الزهور

مجلة ادبية فنية علمية

لأصحابها : الجميّل وتقي الدين وشركائهما

السنة الثالثة

١٩١٢

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

TROIXIÈME ANNÉE

1912

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الاول — مارس (اذار) ١٩١٢ — السنة الثالثة

السنة الثالثة

تدخل «الزهور» مع هذا الجزء في سنتها الثالثة وهي عاملة على اتحاف قرائها بكل ما لذَّ وطاب من ثمرات القرائح الناضجة والعقول المفكرة . فالاجزاء التي ظهرت منها الى اليوم تؤلف سلسلة مقالات شائقة وعقداً من القصائد الغراء لأشهر حملة الأقلام في مصر وسوريا والعراق . واذا نحن فاخرنا بذلك فانما نحن نفاخر بمآثر كتاب العربية وشعرائها في هذا الجيل . على انهُ ليسرنا ان يرى أبناء لغتنا ان « الزهور » كانت في خلال عامين ماضيين من جملة البواعث على تأييد النهضة الأدبية الحديثة التي تزداد اتساعاً يوماً فيوماً بفضل عوامل النشر الجديدة . ولقد عقدنا العزم على متابعة السير الى الأمام ونحن على رجاء ان نتمكن من توفير أسباب التحسين في عملنا جهد المستطاع

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« رأس الوهابية »

تقدم الكلام في هذه المجلة (٢ : ٢٨٧) عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأس الوهابية بمنزلة كونه منهض دين الاسلام في النجديين عند انحطاطه فيهم ، والآن نذكر ترجمته لكونه عالماً ناشراً الآداب في بلاده ، نلخصها عن عدة كتب مخطوطة ، منها : كتاب عنوان المجد ، في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ، للسيد ابرهيم فصيح الحيدري ، وكتاب روضة الافكار والافهام ، لمرتاد حال الامام ، وتعداد غزوات ذوي الاسلام ، للشيخ حسين بن غنّام الاحسائيّ ، فنقول :

١ً الشيخ محمد منبت علم — كان أبوه الشيخ عبد الوهاب عالماً فقيهاً على مذهب الإمام احمد بن حنبل ، وكان قاضياً في بلدة العُيينة ، ثم في مدينة حريملة (تصغير حرملة) ، وذلك في منبلج القرن الثاني عشر من التاريخ الهجري ، وكان له معرفة تامة بالحديث والفقه والتفسير وغيرها ، وله أسئلة وأجوبة في هذه الابحاث . وكان والد الشيخ عبد الوهاب الشيخ سليمان عالماً فقيهاً أعلم علماء نجد في عصره ، وله اليد الطولى في العلم ، وانتهت اليهِ رئاسته في نجد . صنّف ودرّس وأفتى . الا ان الشيخ محمداً لم يكن على طريقة أبيهِ الشيخ عبد الوهاب ، وجده الشيخ سليمان ، بل كان شديد التعصب ، كثير الاعتراض على العلماء ، ويجوّز قتال من خالفهُ ، بل يعتقد كفره ، ويسمي قتال المسلمين المخالفين لآرائه

« جهاداً في سبيل الله » ويجعل أموالهم كغنائم أهل دار الحرب ، ويمنع من قصد زيارة صاحب الدعوة والاستغاثة والاستشفاع به الى الله تعالى ، الى غير ذلك مما يطول شرحه

٢ً **سعيه في ترقية العلم في بلاده** — سعى الشيخ غاية السعي في تعليم الناس العلم وحثهم على الطاعة ، وأمرهم بتعليم اصول الاسلام وشرائطه ، وأحكام الصلاة واركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين ، وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين في معرفة الله تعالى ، فلم يبقَ أحد من عوام أهل نجد جاهلاً باحكام الدين ، بل أتقنها جميعهم ، بعد ان كان أغلبهم جاهلاً لها الا الخواص منهم

وقد أخذ عنه عدة مشايخ منهم : أبوه الشيخ عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن حياة السندي المدني ، والشيخ عبد الله بن سيف وغيرهم

وقد قدم الشيخ محمد الى بغداد وأخذ العلم عن السيد صبغة الله الحيدري وعن غيره

٣ً **اولاده واحفاده** — ولد للشيخ محمد اربعة اولاد وكلهم تلقوا العلم عن والدهم ، وأسماؤهم : الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله ، والشيخ علي ، والشيخ ابرهيم . فاما الشيخ حسين فهو خليفته من بعده والقاضي في بلد الدرعية . ولحسين المذكور عدة اولاد علماء وهم : علي ومحمد وحسن وعبد الرحمن وعبد الملك

واما الشيخ علي ابن الشيخ محمد فكان عالماً في الاصول والفروع والحديث والفقه والتفسير ، وكان قاضياً في « حوطة بني تميم » ، ثم ولي

القضاء في الرياض في ايام فيصل بن تركي

واما الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد فكان عالماً جليلاً وله مصنفات عديدة . وهو الخليفة بعد أخيهِ الحسين . ولي قضاء الدرعية في زمن سعود وابنهِ عبد الله

واما الشيخ ابرهيم ابن الشيخ محمد فكان عالماً ايضاً ، لكنه لم يولَّ القضاء

وحسن بن حسين كان فقيهاً ، وولي القضاء في الرياض في عهد تركي

وعبد الرحمن بن حسن كان من العارفين للفقه أتم المعرفة وكان قد أصاب سهماً حسناً من التفسير والنحو وغير ذلك . وُلّي القضاء في ناحية « الخرج » في ايام تركي وفيصل

واما حمد وعبد الملك فكانا من طلبة العلم وأهل الذكاء والمعرفة

وممن أخذ العلم عن الشيخ محمدٍ عبدُ الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد (وهو ابن ابنهِ) ، وقد وُلي القضاء في الدرعية في عهد سعود الامير المشهور

٤ً كلمة عامة في صفاته — كان الشيخ محمد مع وفرة علمه من دهاة العرب ايضاً . والذي ميزه عمن سواه تشديده في بعض الاصول والاحكام ومخالفته للامام احمد بن حنبل وما عليهِ جمهور الحنابلة في كثير من المسائل

٥ً وفاته ورثاؤه — توفي الشيخ المذكور وله من العمر اثنتان وتسعون سنة . ورثاه كثير من شعراء نجد وغيرها . وممن رثاه الشيخ حسين بن غنام بالقصيدة الآتية ، وفيها ما يدلك على كيفية النظم واسلوبه

في تلك الديار في منبلج صبح القرن الثالث عشر للهجرة . وفي القصيدة بعض أغلاط لعلها من الناسخ ونحن نذكرها على علاتها :

الى الله فى كشف الشدائد نفزع وليس الى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى فسالت دماء فى الخدود وأدمع
امام اصيب الناس طراً بفقده وطاف بهم خطب من البين موجع
واظلم ارجاء البلاد لموته وحل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسمائه ونجم ثوى فى الترب واراه بلقع
وكوكب سعد مستنير سناؤه وبدر له فى منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للانام ضياؤه فداجى الدياجى بعده متقشع
لقد غاض بحر العلم والفهم والندى وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا فاسماعهم للحق تصغى وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى بوقت به يعلى الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة ازيل بها عنه حجاب وبرقع (؟)
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى وعام بتيار المعارف يقطع
فاحيا به التوحيد بعد اندراسه واقوى به من مظلم الشرك مهيع (؟)
فانوار صبح الحق بادٍ سناؤه ومصباحه عالٍ ورياه ضيّع
سما ذروة المجد التى ما ارتقى لها سواه ولا حاذى فناها سميذع
وشمر فى منهاج سنة احمد يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع
وينفي الاعادى عن حمى وسوحه (؟) ويدفع أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التى أمرنا اليها فى التنازع نرجع
فاضحت به السمحاء (كذا) يفتر ثغرها وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامساً وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالالمعى ترفع

فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضيء وتسطع

لقد وجد الاسلام يوم فراقه ... مصاباً خشينا بعده يتصدع

وطاشت اولو الاحلام والفضل والنهى ... وكادت له الارواح تترى وتتبع

وطارت قلوب المسلمين بيومه ... وظنوا به ان القيامة تقرع

فضجوا جميعاً بالبكاء تأسفاً ... وكادت قلوب بعده تتفجع

وفاضت عيون واستهلت مدامع ... يخالطها مزج من الدم همع (كذا)

بكته ذوو الحاجات يوم فراقه ... وأهل الهدى والحق والدين أجمع

فمالى أرى الابصار قلص دمعها ... وليست على فقداه تهمى وتدمع

ومالى أرى الالباب تبدى قساوة ... وليست على ذكراه يوماً توجع

لقد سخنت عين تضن بمائها ... عليه وكبد قد أبت لا تقطع

يحق لارواح المحبين ان ترى ... مقوضة لما خلت منه أربع

وتتلو سريراً فوقه قمر الهدى ... وشمس المعالى والعلوم تشيع

فما بالها قرت باشباح أصلها ... ولم تك فى يوم المعالى تودع

فيا لك من قبر حوى الزهد والتقى ... وحل به طود من العلم مترع

لئن كان فى الدنيا له القبر موضع ... فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع

سقى قبره من هاطل العفو ديمة ... وباكره سحب من البر همع

وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ... ولا زال بالرضوان فيها يمتع

٦ً **تآليفه** — للشيخ محمد تآليف كثيرة فيها المطوّل والمختصر ، فيها الكتاب والرسالة . فمن تصانيفه : ١ً كتاب التوحيد وقد شرحهُ جماعة من العلماء بعده ٢ً كتاب فسّر فيه آيات من القرآن واستنبط منها احكاماً كثيرة ، حتى انهُ ذكر في قصة موسى والخضر اكثر من مئة مسئلة . ٣ً كتاب كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفهُ والرد على المشركين . ٤ً كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ٥ً رسالة

في تفسير شهادة أن لا اله الا الله . ٦ كتاب في تفسير الفاتحة . ٧ رسالة في معرفة العبد ربهُ ودينهُ ونبيهُ . ٨ رسالة في بيان التوجه في الصلاة . ٩ رسالة في معنى الكلمة الطيبة . ١٠ رسالة في التقليد وانهُ جائز لا واجب . ١١ كتاب مفيد المستفيد . ١٢ كتاب اصول الايمان ١٣ كتاب الكبائر . ١٤ كتاب آداب المشي الى الصلاة وهو مختصر الاقناع . ١٥ كتاب مختصر الشرح الكبير . ١٦ كتاب مختصر الانصاف . ١٧ كتاب مختصر سيرة ابن هشام . ١٨ مختصر الهدى النبوي، للامام ابن القسيم . ١٩ مختصر الفتاوى المصرية ، لشيخ الاسلام ابن تيمية . ٢٠ نبذة في معرفة الدين الذي معرفتهُ والعمل بهِ سبب لدخول الجنة واضاعتهُ والجهل بهِ سبب لدخول النار . ٢١ المسائل التي خالف فيها رسول الله (صلعم) اهل الجاهلية . وهي تزيد على مائة مسئلة وقد طبعت في الهند وقد شرحها الشيخ العلامة السيد محمود شكري افندي الآلوسي . وهنالك غير هذه المؤلفات والرسائل ما يطول شرحهُ وسرده . وكلها لا تخرج عن المواضيع الدينية . وانشاؤه سلس لا كلفة فيهِ ولا تعقد . الا ان النساخ قد حرفوا وصحفوا ألفاظاً يعرفها من له الاطلاع في العربية . — هذا ما أردنا ان نبينهُ بوجه الاختصار لكي يقف القارىء بعد ذلك على ما يكتب في هذا الصدد والسلام

(بغداد) سائح

الخواتم

نشرنا فى الزهور (٢ : ٢٤٥) مقالة عن «التعليم الاجبارى فى مصر» لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة هند كريمة سعادة اسكندر عمون بك المحامى المشهور. ووعدنا حينئذ باتحاف القراء بشيء جديد من نفثات قلمها . وانه ليسرنا أن يكون من جملة محسنات «الزهور» فى سنتها الحاضرة سلسلة مقالات ستكتبها حضرتها فى موضوع لم تطرقه مجلاتنا من قبل على ما نعلم ، وهو تاريخ الحلى النسائية وعادات التحلى بها عند جميع الشعوب ولا ريب عندنا فى ان هذا البحث سيروق قراءنا كثيراً — وقارئاتنا على الاخص — لا سيما وان حضرة الكاتبة قد احاطت بالموضوع من جميع اطرافه ووفته حقه من التحري والتنقيب . وقد اختارت ان تفتح هذا الباب بمقالة عن «الخواتم» وهى اكثر الحلى شيوعاً :

الخاتَم والخاتِم نوع من انواع الحليّ الشرقية الأصل ، اشتقّ العرب اسمهُ من «خَتَمَ» ، لأنهُ كان يُستعمل للختم ، وكان العرب في جاهليتهم يتختمون لمجرَّد التحلّي ، ويصوغون خواتمهم من الذهب والفضة والشبه وغير ذلك من المعادن ويرصّعها امراؤهم بالحجارة الكريمة . وفي الحديث «التختّم بالياقوت ينفي الفقر» اي انهُ اذا ذهب مال الرجل ، باع خاتمهُ فوجد فيهِ الغنى . وقال ابن الأثير : انهُ قد ينفي الفقر لخاصةٍ فيهِ . وقد نهى النبيّ عن التختّم بالذهب . وفي الحديث انهُ نهى عن لبس الخاتم مطلقاً الاَّ لذي سلطان يحتاجهُ ليختم بهِ الكتب ، وكره له ان يلبسهُ للزّينة المحضة او لغير حاجة . وفي الحديث ايضاً انهُ جاءه رجل عليهِ خاتم شَبَهٍ [1] فقال : ما لي اجد منك ريح الأصنام ؟ — لأنها كانت تتخذ من الشبه . وقال في خاتم الحديد : ما لي أرى عليك حلية اهل النار ؟ — لأنهُ كان من زي الكافرين

(١) برونز

اصحاب النار . وروي عن عمر بن عبد العزيز انهُ أتاه أن ابنهُ اشترى فَص خاتم بالف دينار ، فكتب اليهِ : عزمت عليك الاَّ ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها في بطن جائع، واستعمل خاتماً من ورق[1] وانقش عليهِ « رحم الله امرءًا عرف نفسه»، ومما قاله ابن خلدون انَّ الخاتم من الخطوط السلطانية والوظائف الملكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده . وقد ثبت في الصحيحين ان النبيَّ اراد ان يكتب الى كسرى فقيل له ان العجم لايقبلون كتاباً الاَّ ان يكون مختوماً . فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيهِ « محمد رسول الله » . قال البخاري: جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر ، وختم بهِ وقال « لا ينقش أحد مثله » . قال وتختم بهِ أبو بكر وعمر وعثمان . ثمَّ سقط من يد عثمان في بئر أريس ، فاغتم عثمان وتطيَّر منهُ وصنع آخر مثله . واقتدى الخلفاء في صدر الاسلام بالنبي فنقشوا على خواتمهم الحكم والآيات بعد ان كانوا لا ينقشون عليها سوى الاسماء .

فنقش أبو بكر على خاتمهِ « نعم القادر الله » وعمر « كفى بالموت واعظاً يا عمر » وعثمان « لتصبرنَّ او لتندمنَّ » وعليّ « الملك لله »

وفي الجدول التالي ما نقشهُ بعض الخلفاء على خواتمهم :

الخلفاء	ما نقش على خواتمهم
الوليد بن عبد الملك	يا وليد انك ميت ومحاسَب
سليمان بن عبد الملك	آمنت بالله مخلصاً
عمر بن عبد العزيز	الوفاء عزيز
يزيد بن عبد الملك	فنيَّ الشباب يا يزيد
الوليد بن اليزيد	يا وليد احذر الموت
يزيد بن الوليد	يا يزيد قم بالحق

(١) فضة

ابرهيم بن الوليد	توكلت على الحيّ القيّوم
مروان بن محمد	اذكر الموت يا غافل
ابو العباس السفّاح	الله ثقة عبدالله
المنصور	عبدالله وبهِ يؤمن
المهدي	العزة لله
الهادي	بالله أثق
هرون الرشيد	كن من الله على حذر
الأمين	حسبي الله
المأمون	عبدالله يؤمن بالله مخلصاً
المعتصم بن هرون الرشيد	الحمد لله الذي ليس كمثله شيء
الواثق بالله	الله ثقة الواثق
المتوكل على الله	على الله توكلت
المنتصر بالله	على الله توكلت
المستعين بالله	استعنت بالله
المعتز بالله	استعنت بالله
المهتدي بالله	هداني الله
المعتمد على الله	اعتمادي على الله وهو حسبي
المعتضد على الله	أحمد يؤمن بالله الواحد
المكتفي بالله	المكتفي بالله
المقتدر بالله	العظمة لله
القاهر بالله	القاهر بالله
الراضي بالله	الراضي بالله

المتقي لله	ابراهيم بن المقتدر بالله يثق
المستكفي بالله	المستكفي بالله امير المؤمنين
المطيع لله	المطيع لله
الطائع لله	الطائع لله
القادر بالله	القادر بالله
القائم بأمر الله	العزة لله وحده
المقتدي بأمر الله	من توكل عليهِ كفاه
المستظهر بالله	ثقتي بالله وحده
المسترشد بالله	من توكل عليهِ كفاه
الراشد بالله	من آمن بالانتقال عمل للمآل
المقتفي لأمر الله	كن من الله على حذر تسلم
المستنجد بالله	من أحبَّ نفسه عمل لها
المستضيء بنور الله	من فكر في المآل عمل للانتقال
الناصر لدين الله	رجائي من الله عفوه
الظاهر بأمر الله	راقب العواقب
المستنصر بالله	العفو بك أولى

وكان الخلفاء من الصحابة يتختمون في اليد اليمنى ، فجعل ذلك معاوية بن أبي سفيان في اليسرى ؛ واخذ الأمويةُ في ذلك ، الى ان نقله السفاح العباسي الى اليمنى ، فبقي الى ايام الرشيد فأعادهُ الى اليسرى ، واخذ الناس في ذلك

وفي كيفية نقش الخاتم والختم بهِ وجوه كثيرة : فمنهُ خاتم السلطان او الخليفة اي علامتهُ . قال الرشيد ليحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفراً ويستبدل بهِ من الفضل أخيهِ : « اني اردت أن أحول الخاتم من يميني الى يساري فكنى له بالخاتم

عن الوزارة لمّا كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم . ثمّ صاروا في دول المغرب يعدونهُ من علامات الملك وشاراتهِ فيستجيدون صوغهُ من الذهب ، ويرصعونهُ بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ، ويلبسهُ السلطان شارة في عرفهم ، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية ، والمظلة في الدولة العُبيدية

ويروون ان الخواتم اربعة : الياقوت لارواء العطش ، والفيروزج للمال ، والعقيق للسنّة ، والحديد الصيني للحرز ، وقيل للخوف . ومن كلام المتأخرين : من تختّم بالعقيق وقرأ لعمر بن العلاء ، وتفقه للشافعي ، وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل ظرفه . اما أقدم خاتم عربيّ فقد وجده الباحثون في ضواحي دمشق ، وعلى فصّه كتابة حميريّة ، ولا يبعد ان يكون من عهد الغساسنة الأول

الخواتم عند المصريين — الخواتم في مصر قديمة العهد جداً ، وأجملها ما عثر عليهِ في قبور الدولة الثامنة عشرة ، والدولة التاسعة عشرة ، والدولة العشرين . وكانت خواتم الملوك والامراء من الذهب الخالص ، وعليها في غالب الاحيان اسم صاحبها وألقابه محفورة بحروف هيروغليفية على فص مستطيل الشكل . وكانت خواتم العامة مصنوعة من مواد أقل قيمة من الذهب ، كالفضة والشَبَه والزجاج والخزف المطلي بطبقة من الزجاج الملون باكسيدات النحاس الواناً زاهية من الأصفر والأزرق . وكان على هذه الخواتم الخزفية كتابات هيروغليفية مطبوعة عليها قبل طبخها بالنار . وقد وجد في تلك القبور ايضاً خواتم مصنوعة من العاج والكهرباء والحجارة الصلدة ، كالجزع والعقيق . وكان بعض الخواتم في زمن السلالة الثامنة عشرة مرصعاً بفصوص من الجُعَل (الجعران) مركبة في حلقات من الذهب تدخل في ثقوبها فيتسنى لحاملها ان يديرها كيف يشاء .

وقد اتخذ المصريون الخاتم عندهم رمزاً للسلطان من قديم الزمان ، كما يظهر ذلك

من قصة يوسف الصديق . فان فرعون ألبسهُ خاتمهُ لما قلدهُ خطة الوزارة . وكان تزوير الختم عندهم جريمة من الجرائم الكبيرة التي تنصل النفس منهـا يوم المعاد . ومن الغريب ان اسم الخاتم بالمصرية مثل اسمهِ بالعربية

وفي المتحف المصري خواتم كثيرة منها خاتم من ذهب على فصهِ صورة طائر من الطيور التي كانـ يقدّسها المصريون . وقد وجد هذا الخاتم في ناووس من الرصاص وعليهِ من النقوش ما يدل على انهُ صنع في زمن البطالسة يوم امتزجت العقائد المصرية بالعقائد اليونانية (١) وقد آثر هـذا الرأي ايضاً العلامة سايس . والغريب من أمر هذه الخواتم ان فتحاتها اهليلجية لا توافق استدارة الاصبع

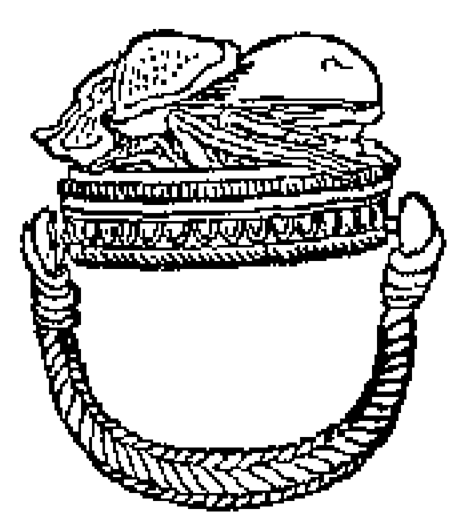
الخواتم عند البابليين — لم يكن الخاتم معروفاً على ما يظهر عند قدماء البابليين ؛ فكانوا يتختمون باسطوانات من البلّور ، او غيره من الحجارة الصلدة في كلّ منها ثقب نافذ من الطرف الواحد الى الطرف الآخر كانوا يدخلون فيهِ سلكاً ويلبسون الاسطوانة في المعصم كالسوار . وقد اشار الكتاب المقدس في سفر نشيد الأناشيد الى ذلك بما نصّهُ : اجعلني كخاتم على قلبك ، كخاتم على ذراعك

الخواتم عند الفينيقيين والأشوريّين — كان الفينيقيون والأشوريّون كالمصريين ينقشون على خواتمهم صور اشخاص وحيوانات ورموز أخرى . ومهروا في ذلك حتى لم يفقهم المتأخرون وكثيراً ما كان الخاتم عند الفينيقيين مرصعاً بجعلٍ على أحد جانبيهِ اسم صاحبهِ وقد ركّب الجعل على محورٍ يدور بهِ من جانبٍ الى آخر

الخواتم عند العبرانيين — كان خاتم الختم عند العبرانيين ضرباً من كماليات الملبس وقد جاء في أخبارهم ان طوبال قايين كان أول من صاغها فاستعملها العبرانيون

(١) وفى المتحف المصرى ايضاً فى قاعة الحلى والجواهر القديمة نحو ٩٠ خاتماً فى صندوق عدد ٤ فنوجه انظار الزائرين الى هذه المجموعة الثمينة وخصوصاً فى الفئة عدد ٣٩٩ الى الخواتم ذات الاعداد الآتية ٣٩٦٩٥ و٣٩٦٩٩ و٥٢٣٦٥ و٥٣٣٦٥

رمزاً الى المقام والسلطان . وفي التوراة ان احشويرش ملك فارس أعطى خاتمهُ هامان الاجاجي لما فوّض اليهِ قتل اليهود ، ثمَّ استرده منهُ واعطاه مردخاي اليهودي . اما الاسرائيليات فكنَّ يلبسنَ خواتم كبيرة الفصوص للتحلي فقط . وقد رمز البعض من اليهود بالفتخة [١] الى دوام رباط الزيجة ، ولعلهم اقتبسوا ذلك من قدماء المصريين لأن الدائرة عند هؤلاء رمز الدوام



خاتم يوناني عليه جُعَل من الذهب غاية في الاتقان

الخواتم عند اليونانيين والرومانيين — لم يكن الخاتم معروفاً عند قدماء اليونانيين قبل زمن هوميروس . وكان أول عهدهم بهِ في القرن السادس قبل المسيح : ثم شاع استعماله عند نسائهم ورجالهم ، فكان يتحلى بهِ عظماؤهم كأرسطوطاليس وذيموسطنيس . وكانت أنواعهُ كثيرة أثمنها ما صنع من الذهب ورصّع بالحجارة الكريمة كالجزع والعقيق واليشب والجشت ولا يزال كثيراً منها محفوظاً في دور العاديات الى يومنا

أما الرومانيون فلم يتختموا لمجرد الزينة كاليونانيين ، بل كان الخاتم عندهم رمزاً الى طبقة معلومة من الشعب ، أو الى منصب من المناصب . فكان خاتم الحديد رمز العبودية ؛ وخاتم الذهب رمز الشرف وعلو المرتبة . وكانت لهم في ذلك شرائع وقوانين لا يتعدونها فلا يتختم العبد بخاتم السيد ، ولا الأمير بخاتم العبد

وقد كان اول استعمال الرومانيين للخواتم أن الحكومة كانت تمنحها للشيوخ الذين ترسلهم سفراء الى الحكومات الاجنبية . ولما منحت هؤلاء حقّ التختم بتلك الخواتم في الاجتماعات الرسمية بعد استقالتهم من مناصبهم ، أخذ غيرهم من الاشراف في أوائل القرن الخامس يقتدي بهم . وما كان الاشراف عندئذٍ الاّ نفراً قليلاً

(١) الفتخة وتعرف في مصر بالدبله وفي الشام بالمحبس

من بيت تولى احد ابنائهِ كرسيّ القضاء العاجيـة [١] . وفي أوائل المئة السادسة أجازت الحكومة حمـله لأعضاء مجلس الشيوخ ، سواء كانوا من الاشراف او من عامة الناس. ولم يمضِ على ذلك زمن بعيد حتى أنعمت بهِ على بعض الفرسان من أنسبائهم ، وأكثرهم من الكتائب الست الأولى [٢]. ثم أذنت فيهِ شيئاً فشيئاً لفرسان الكتائب الأخرى . ثم لغيرهم من الفرسان

على ان التختم لم يكن عندئذٍ اجبارياً . والادلة على ذلك كثيرة منها امتناع ماريوس عن استبدال خاتمه الحديدي بخاتم من ذهب ، الى ان عُيّن للمرة الثانية والياً على رومة . وفي أواخر العهد الجمهوري خوّلت الحكومة قوّادها وولاتها حق الانعام بالخاتم على من يشاؤون ، فكانوا في أول الأمر يكافئون بهِ الابطال والعظماء الذين يظهرون بسالة عظيمة ، او يأتون خدمة جليلة ، ولكنهم ما لبثوا ان تطوّحوا في السلطة المعطاة لهم ، ورأت الجمهورية ان تضع حداً لهذا الافراط فسنت لذلك قوانين جديدة لم تأتِ بفائدة تذكر . ثم قامت الامبراطورية فاعارت الأمر اهتماماً كبيراً ، ولجأت الى كل الوسائط لاصلاحه ، لكنهـا لم تفلح . وما زال التختم ينتشر في البلاد الى ان أمسى حقاً شرعياً لكل الفرسان الذين يمتلكون اربعمائة ألف سسترس [٣] . وكان ذلك بأمر أغسطُس قيصر . ثم بعد سنوات قليلة أراد الاغنياء المحرَّرون ، وأصلهم من سفلة الشعب ، ان يضيفوا الرتب والالقـاب الى الثروة والسعة ، وأخذوا يسعون للحصول على بعضها كالتختم . فهاج الاشراف لهذه المطامع وخشي الامبراطور طيباريوس ان تحتدم نار العـداء بين طبقات الشعب ، فعجل

(١) انعام خاص تمنحه الحكومة لبعض قضاتها وهو الجلوس على كرسي من العاج Chaise Curule ويسمى هؤلاء القضاة بالقضاة العاجيين Magistrats Curuls نسبة اليها (٢) كان عند الرومانيين القدماء ١٨ كتيبة من الفرسان الاغنياء الاحرار والمظنون ان عدد فرسان الكتيبة مئة كما يدل عليه اسمها Centurie وهو مشتق من اللفظة اللاتينية Centium ومعناها مئة (٣) Sesterce يساوي $\frac{1}{6}$ ٢ من الفرنك فيكون المبلغ ٤١٦ فرنكا و ٦٦ سنتيما

لتلافي الأمر ، واقتدى به كل من كلوديوس ودومتيانوس وتريانوس . ولكنهم كانوا اول من خرق حرمة القوانين التي وضعوها لهذه الغاية فأنعموا بالخواتم على غير مستحقيها حباً منهم بالحصول على فوائد شخصية ، او رغبة في تنفيذ أغراض سياسية . وفي أوائل المائة الثانية بعد المسيح ألغى الامبراطور ادريانوس كل القوانين التي وضعها سلفاؤه للتختم ، وأجازه قانونياً للعبد المحرَّر ، ثم جعله من شروط التحرير . وفي زمن سبتيموس سيفيروس واورليانوس ، أصبح حمل الخاتم حقاً لكل عسكري ، فقيراً كان او غنياً ، فصار الخاتم الذهبي بطبيعة الحال رمز الحرية فقط ، كما صار الخاتم الحديدي رمز العبودية وما كان تاريخ الواحد سوى عكس تاريخ الآخر . ويقال ان الرومانيين اقتبسوا لبس الخواتم من الصابيّين الذين كانوا يقيمون في الشمال الشرقي من رومة . وكانوا يحملون لمجرد التحلي خواتم مصنوعة من الفضة والعاج والكهرباء . ويتضح من تواريخ هوراس كوِنتليانس ويوفنال ان استعمال هذه الحلى لم يكن جائزاً الا لمن جاز لهم حمل الخواتم الذهبية . وقد غالى الرومان في أثمانها حتى بلغ ثمن الواحد من بعضها ستين ألف دينار وأسرفوا في حملها حتى كان بعضهم يلبس خاتماً او أكثر في كل اصبع

وكانوا في أول الأمر لا يتختمون الاّ في البنصر ثم أجازوا التختم في السبّابة ففي الخنصر ففي الاصبعين الباقيتين . ومن الخواتم عندهم ما كان يحمل في الأعراس رمزاً الى عقد الزيجة ويلبسونهُ في السبابة

الخواتم الدينية — كان الأساقفة في صدر النصرانية يحملون الخواتم كسائر الناس ، وينقشون عليها الرموز والآيات كالصليب والسمكة والمرساة والحمامة والسفينة وغير ذلك . وكان بعضهم يحفر فيها اسم المسيح وصوَر الرُّسل وعبارات دينية مثل « عشْ بالله » وما شاكل . أما الخاتم الأسقفي فهو الذي كان يعطى المطرانَ عند سيامته اشارةً الى اتحاده بالكنيسة . ولما انتخب غريغوريوس الرابع للسدّة البابوية في سنة ٨٢٧ منع حمل الخاتم في اليد اليسرى لكيلا يتبادر للأذهان ان الأساقفة انما كانوا يفعلون ذلك تصديقاً لزعم الوثنيين انّ شرياناً يمتد من بنصر اليد

اليسرى توًّا الى القلب . وأوجب حمله في اليمنى لأنها اليد التي تمنح البركة .
وكان الخاتم الاسقفي من الذهب الخالص وله فص من الجمشت او الياقوت الازرق

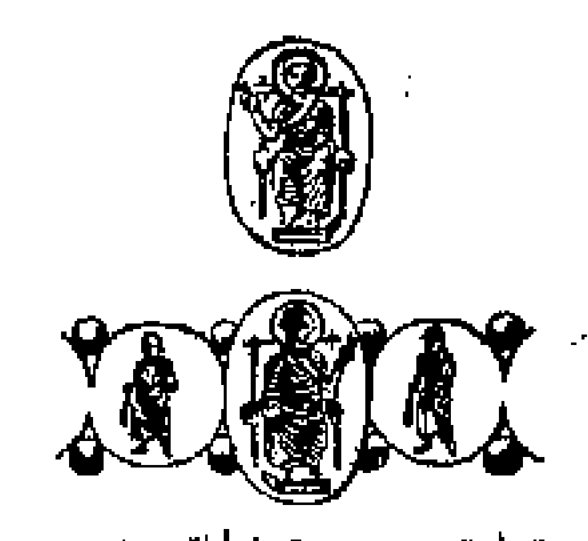


خاتم اسقفي من القرن الثالث عشر



ختم البطريرك الماروني منذ مئتي سنة

او الاحمر او الزمرّد غير محلّى بالنقوش . ثمَّ اجيز استعماله لرؤساء الديور على الاطلاق . أما الخاتم الكردينالي فكان فصّه من الياقوت الازرق ومحفوراً عليهِ اسم البابا وشعاره . وكان البابا يحمل خاتماً عليهِ صورة القديس بطرس وهو جالسٌ في



قطعة من فتخة الخاتم نفسه



خاتم ذهبيّ من صنع القرن الخامس وجد في ازمير وقد نقشت عليه سبع صور في وسطها صورة السيد المسيح

قارب وطارح شبكته في البحر . وحول هذا النقش اسم البابا والى جانبهِ رقم روماني يشير الى منزلتهِ العدديّة بعد سلفائهِ الذين سبقوا فتسمّوا بنفس الاسم . فكان خلفاء بطرس الرسول يستعملونهُ لختم منشوراتهم بالشمع الأحمر . ثم اتخذوه بعد ذلك لدمغ لفافة الرقّ او لختم عصبتهِ . ولما كانت هذه الطوابع تتكسر عند فتح

المنشور صعبَ وجود أثرٍ سليم منها

الخواتم السحريّة – ما من امة في الارض الاَّ وقد اعتقدت في جاهليتها بخواتم الجنّ والسَحَرة . ومن أشهر هذه الخواتم ، خاتم سليمان الحكيم ، وخاتم علاء الدين المشهور في احدى روايات الف ليلة وليلة وخاتم الراعي جيجس

خاتم سليمان[1] – كان سليمان اذا تمعن في فص خاتمهِ رأى كل ما شاء رؤيته ، واذا لمسهُ ازداد حكمةً فوق حكمة وقوةً فوق قوة . زعموا انهُ دخل يستحمُّ مرةً وقد ترك خاتمهُ في حجرةٍ محاذية ، ثمَّ تفقده فلم يجده . وكان أحد خدمه قد سرقهُ وطرحهُ في البحر . فاغتمَّ سليمان لذلك كثيراً ، وبلغ اليأس منهُ اشدَّه ، حتى لقد كره الملك . على انهُ ما لبث ان وجد ذلك الخاتم في جوف سمكة قدّمت له مع طعامهِ ، فعادت اليهِ حكمته التي طبقّت شهرتها الخافقين . ولقد شاعت هذه الرواية شيوعاً عظيماً في العصور الوسطى ، واعتقد صحتهـا أهل الشرق والغرب الذين كانوا يميلون الى المستغربات ، ويؤمنون بالسحر والجنّ ، وينسبون الى نوابغ الرجال ، كهوميروس وفرجيل وسليمان ، قوة السحر ومعرفة الغيب . ومن المرجّح ان حكاية خاتم سليمان حديثة العهد فلا نرى لها ذكراً عند قدماء السلف ممن ذكروا سليمان في تآليفهم او تناقلوا احاديث الجن وعجائبه

خاتم علاء الدين – اعطاه اياه الساحر الافريقي الذي ادخله مغارة المصباح العجيب . والغريب من أمر هذا الخاتم انهُ كان اذا لُمس خرج مارد وانتصب وقال : لبّيك عبدك بين يديك

وكان هذا المارد يأتي بالآيات والمعجزات كسائر الجن والآلهة فلا يسأله صاحب الخاتم امراً الاّ استطاعهُ

خاتم جيجس[2] – نقل شيشرون عن افلاطون ان السموات تصببت يوماً

---

(١) كان على فص خاتم سليمان صورة مثلّثين يقال انهما كانا رمزاً لاسم الجلالة

(٢) وكان خاتم جيجس مصنوعاً من الزئبق المتجمد وفي قلبه حجر صغير حملته الجنّ من عش هدهدة

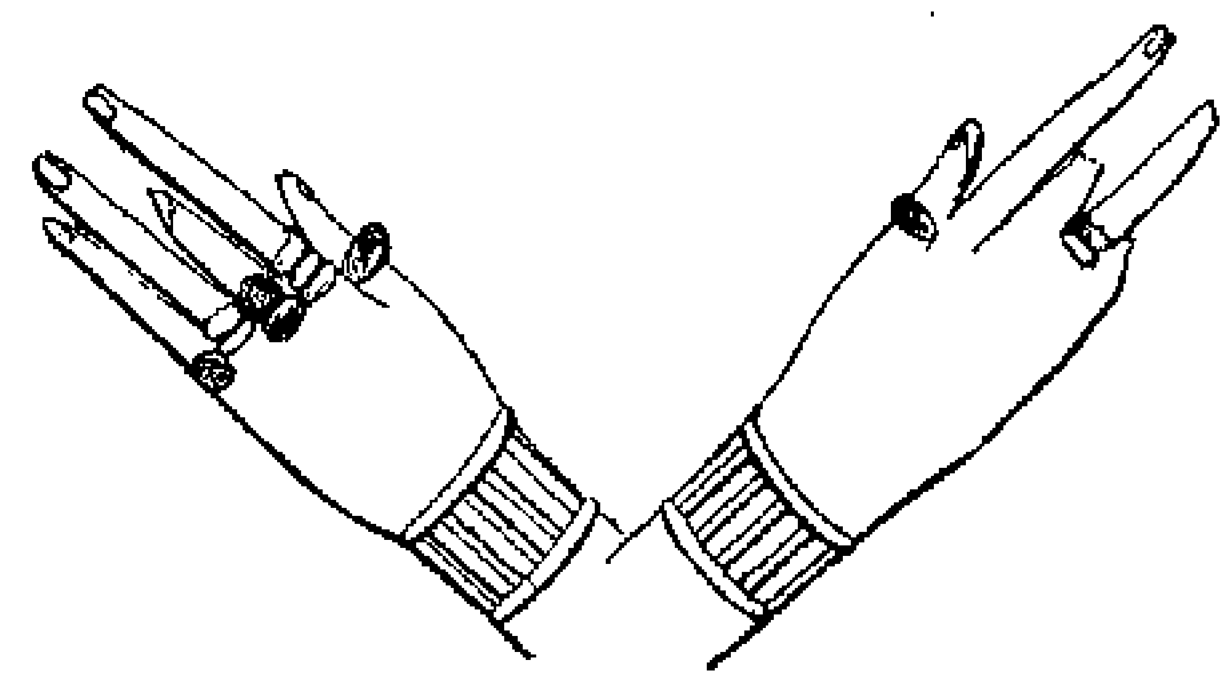
أنهراً وبحاراً ، وان الأرض زلزلت زلزالها ، فانشقت بين عليها ، وزلّت بجيجيس القدم فسقط في الهاوية ، فوجد جواداً من النحاس الأصفر فيه جثة أحد الجبابرة متختماً بخاتم كبير الفص مستديره فاخذه ولما تختم بهِ اختفى عن العيان

وهنالك أيضاً خواتم اخرى من شأنها ان تقطع بحاملها مسافات كبيرة في وقت قصير أو تحوله الى حيوان أعجم . وتقسم الخواتم السحرية الى قسمين عامين: الخواتم التي تمنح صاحبها قوّى غير مألوفة ، والخواتم التي تقيده بقيود العبودية ؛ وفي ذلك وجه للشبه بين معنى الخواتم السحرية والخواتم التاريخية . ألم يقلد فرعون خاتمه يوسف لما استوزره ؟ ألم يلبس يو بيتير اسيره بروميثيه Prométhée خاتماً ليذكره بهِ كيف قيده وخذله على جبال القوقاس ؟ وفي الخواتم السحرية أقوال وخرافات أخرى لا موضع لذكرها رغبة في الايجاز

الخواتم المجوَّفة — الخواتم المسمومة ذات الفصوص المجوَّفة قديمة العهد جدًّا . فمنها الخاتم الذي مصَّ هنيبال السمَّ منهُ بعد فشله في يوم «زاما» وخاتم ديموستينس وحكايتهُ معروفة . وقد ذكر بلينيوس الروماني انهُ لما سرق قراسوس الكنز الذي كان تحت عرش يو بيتير في الكابيتول ، خاف الحارس شرَّ العاقبة ، فمصَّ سمّاً كان في خاتمهِ ومات لساعتهِ . وكان القتل بالخواتم المسمومة شائعاً في الأعصر الوسطى ، فكان للخاتم منها فصٌّ فيه إبرة مجوفة تتحرك بزنبلك وهي متصلة بنقرة وراء الفصّ مملوءة سُمّاً . فاذا أراد حامله قتل عدوٍّ له خدش يده بالابرة عند التسليم فتسرَّب اليها السمُّ . وفي روايةٍ انهُ لما تعذَّر على الزّباء النجاة من عمرو بن عدي مصَّت السمَّ من خاتمها وهي تقول : بيدي لا بيد عمرو

خواتم الزواج — لا يُعرف اول من اتخذ الخواتم رمزاً الى عقد الزيجة . ولكن من المؤكد ان العبرانيين استعملوها لذلك قبل النصرانية بزمن طويل . وكان الجرمانيون والفرنساويون في العصور الوسطى يتغالون في ثمن خاتم الزواج . ثم تغيرت الحال فاقتصروا على فتخة من الذهب . ولكن بقي التأنق عندهم وعند غيرهم من الامم في خاتم الخطبة الى يومنا هذا . وفي المتحف البريطاني خواتم قديمة من خواتم

الزواج بعضها ذهب وبعضها فضة او حديد او شبَه او رصاص او نحاس او صفر او عاج او عظم . وعلى واحد من هذه الخواتم المصنوعة من عظم صورة قلب انسان، وهو من آثار سكان البحيرات في سويسرا ، وعلى آخر رسم يدين متصالحتين وهو مصري الاصل ، وعلى آخر من الحديد رسم يد قابضة على قلب وأصله روماني



رسم يدين من تمثال امرأة مصنوع من الخشب وجد على تابوت مومية في مصر وهو الآن في المتحف البريطاني

وفي القرن الرابع عشر للميلاد أشار أحد الايطاليين باختيار فصوص خواتم الزيجة على حسب الشهر الذي ولدت فيه العروس . فلشهر كانون الثاني الحجر البجادي فيزيد تعلق أصدقائها بها ، ولشباط الجمشت فيقوي فيها الاخلاص ويقيها من السموم ومن النميمة ، ولأذار الياقوت فيعطيها الحكمة والطاقة على احتمال اتعاب بيتها ، ولنيسان اللازورد فيطهر قلبها ، ولأيار الزمرد فيسعدها ، ولحزيران اليشم فيحفظ صحتها ويقيها الجن والغيلان ، ولتموز الالماس فيقيها غيرة زوجها ، ولآب العقيق فيسعد اولادها ، ولأيلول اللؤلؤ فيمنع الخصام من بيتها ، ولتشرين الاول الزمرد المائي فيقوّي الحب ، ولتشرين الثاني الياقوت الاصفر فيجعلها مطيعة لزوجها ، ولكانون الاول الفيروز فانه حرز العفة . وشاعت هذه الخرافة في اوروبا وعمل الناس بها . فكان الزوج في فرنسا يهدي الى عروسه اثني عشر خاتماً لكي تتختم بخاتم منها كل شهر . ولا يزال الجرمانيون يرصعون خاتم الخطبة بالفيروز وعندهم

ان المحبة تثبت مادام لونه ثابتاً . ومن عادات الانكليز أن يتبادلوا اهداء الخواتم في الاعراس . « فادورد كلي » أهدى الى احدى خادماته يوم زواجها خواتم قيمتها اربعة آلاف ليرة انكليزية . والاوروبيون جميعهم يعتبرون خواتم الزيجة شديد الاعتبار . ومنهم من لا يحسبها ثابتة ما لم يكن فيها خاتم ذهب ، كالارلنديين مثلاً ، فالفقراء منهم يستأجرون خاتماً من أحد الصاغة لهذه الغاية . وعند بعضهم ان انكسار خاتم الزيجة يدل على قرب موت أحد الزوجين

واختلف الناس في الاصبع التي يلبس فيها خاتم الزيجة والشائع اليوم حمله في بنصر اليد اليمنى قبل الزواج ، وفي بنصر اليسرى بعده . ويقال ان سبب ذلك وجود وريد في هذه الاصبع يحمل الدم الى القلب رأساً . وورد في كتاب الطقوس الدينية الرومانية ان الكاهن يبارك الخاتم حين عقد الزيجة ويسأل الله ان يحلّ عليه بروحه فتستنير لابسته بنور الهدى الالهي . ثمَّ يرجعهُ الى الزوج مشيراً بذلك الى انَّ الله قد ختم بهذا الحب على قلبه فلا ينفتح لحب آخر ، فيصبح بين يدي الزوج رمز المحبة المتبادلة ، وضمانةً لارتباط قلبه بقلب عروسه ، ثمَّ يخرجهُ الزوج من اصبعه ويضعهُ في البنصر اليسرى من يد زوجته . ثمَّ توسع بعضهم في معنى خاتم الزواج فرمز به الى دوام الصداقة ، او الى دوام السلطان ، او الى دوام العهود ، وما شاكل ذلك . فكان ولا يزال بعض الانكليز يتبادلون الخواتم عندما يحلفون يمين الصداقة . وكان دوج البندقية يطرح في بحر الادرياتيك يوم خميس الصعود خاتماً ويقول : ايتها البحار انا نتخذك زوجةً لنا اشارةً الى تسلطنا الدائم عليك

فالخاتم الذي اختلفت اشكاله ، وتنوعت رموزه ، وتعددت معانيه بحسب اختلاف الشعوب والأزمنة ، وتنوّع العادات وتعدّد الاغراض ، لا يزال الى يومنا أوفر الحلي حظاً ، واكثرها نفعاً ؛ يتختم به الغنيُّ والفقير معاً وانما الفرق ان الأول يتخذه من الذهب محلّىً بالجواهر ، والثاني يكتفي بأن يلبسهُ من نحاس أصفر

هند اسكندر عمون

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

كان للقراء في السنة الماضية ولع كبير بهذه الرسائل اللطيفة التي ينشرها في « الزهور » حضرة الكاتب المجيد سليم افندي عبد الاحد . وقد نقل بعض الصحف والمجلات شيئاً منها مع اطراء صاحبها على حسن ديباجتها . وسيوالي حضرته في هذه السنة ايضاً اتحاف قرائنا بما يختاره من هذه الرسائل اللطيفة



سليم عبد الاحد

الرسالة السابعة

من الشاعر سونبرن الى سيبيل اشتن

(علق الشاعر سونبرن بحب فتاة قروية تسمى سيبيل اشتن ، قيل انها كانت ذات جمال يندر مثله بين النساء . وكانت في اول الامر تبغض سونبرن بغضة

شديدة ولا تطيق مرآه . ولكن مرور الايام حول بغضها الى حب مبرح أسقمها وكاد يودى بحياتها . وكان أهل سونبرن يمانعون فى قرانه بها ، لانها كانت من أصل وضيع ، فسموا جهدهم وأبعدوها عنه . ولكن الحبيبين ظلا يتراسلان نحواً من اربعة أعوام ، ويتعللان باللقاء . ثم انقطعا عن التراسل لسبب غير معروف . ولعل الزمان شفاهما من داء الحب ، او لعلهما يئسا من اللقاء . ولا يعلم ماذا وقع لسيبيل فيما بعد . قيل انها ماتت فى اثناء سياحة قامت بها أملاً بأن تنسى الماضى . وقيل انها تزوجت أحد قواد الجيش ، فلم تقم معه طويلاً حتى ماتت ، والله أعلم)

. . . . لا تعلمين كم ارقب ورود البريد بفروغ صبر . كلما قرب ميعاده ، يخفق فؤادي خشية ان لا يكون حاملاً اليّ كلمة منك تعزيني في هذه الايام المظلمة . لماذا انت بعيدة يا سيبيل ؟ ولماذا تفصل بيننا فراسخ هذا عددها ؟ ان كان الله يحاول ان يفرق بيننا ، فقد اساء الينا بان جمع بيننا قبلاً . وان كانت الاقدار تداعبنا ، فالقلوب ارقّ من ان تحتمل مداعبات الزمان

سيبيل يا معبودتي . اراكِ من خلال رسالتك الاخيرة حزينة كئيبة النفس . لعلي اسأت اليكِ بكلمة فرطت مني ؟ فهل لكِ ان تضميها الى سيآتي المديده التي قد سامحني عنها قلبك الطاهر ؟ كلما قابلتُ نفسي بك ، اراني مجموعة سيآت ، لا تشفع بها إلاَّ حسنة واحدة ، وهي انني احبك حباً يجعلني انظر اليك كما ينظر العابد الى معبوده ، بل ان حبي لكِ اسمى من العبادة يا سيبيل ، لان العبادة تخرج من الشفتين ، واما الحب فهو صادر عن القلب

غداً تنطوي صفحة أخرى من صفحات العمر ؛ غداً يتم لي خمسة

وعشرون ربيعاً من حياةٍ لولاكِ لكانت خمسة وعشرين شتاءً مظلماً . ولكنني منذ احببتكِ ، صرت ارى للحياة معنى جديداً . ولئن كان اهلي يعدّون عليّ هذا الحب هفوة من هفوات الشباب ، فسلام الله على هفوات كلها حسنات ، وحبذا غرور انتِ مبعثه ايتها الساحرة المعبودة !

خمسة وعشرون ربيعاً يا « سيبيل » ؟ بل ثلاثة وعشرون شتاءً وربيعان . فلقد مرّ على حبنا عامان ، كنّا في خلالهما عائشين في احلام هنيئة . ولسوف يأتي يومٌ يرى فيه العالم ان حبنا الذي يزعمونه هفوةً من هفوات الشباب ، انما هو السبيل الوحيد الى السعادة الخالدة . وما اطمع المحبين بتلك السعادة فانهم يرون الخلود قصير المدى لا يكفيهم للتمتع باحلام الغرام

هل تذكرين ايامنا في « وندرمير » بقرب تلك البحيرة الهادئة ؟ سلام الله على تلك الايام يا سيبيل .. ان من التذكارات ما ينبض لها الفؤاد طرباً ، ويطفر لها الدمع سروراً . لقد كانت إقامتنا بقرب تلك البحيرة اشبه بحلم في إشراق النهار ، ما لبثنا ان استيقظنا منه ، فصاح بنا داعي الفراق .. اذا افسح الله في ايامنا ، فسنحج الى « وندرمير » ونجلس على شواطئها الهادئة ، لانه اذا كان للبوذي نهره ، وللمسلم مكّتهُ ولليهودي اورشليمه ، فلماذا لا تكون تلك البحيرة كعبتنا المقدسة نزورها من آن الى آن ، ونتم عندها فروض الغرام ؟

دعيت البارحة للذهاب الى . . . فأبيت محتجاً باعذار باطلة . ولكن أُختي علمت السبب ، وادركت ان رؤية ذلك الغدير وحدها كافية ان

تعيد اليّ التذكارات الماضية ، وتثير في نفسي عواطف كان اولى بها ان تظلّ دفينة في الفؤاد . مسكينة أختي ! . . . . هي تظن ان الغدير وحده يذكرني بك في هذه الحياة ، وفاتها ان خيالكِ مالئ كل فبكري ، واني اتمثلكِ حاضرة في كل مكان ؛ فلا تشرق الشمس الاّ واتذكر محياكِ الجميل ، ولا تزقزق الطيور ، الاّ واخالني منصتاً الى صوتكِ الرخيم ، ولا اشاهد الازهار ، الاّ واتصورني انشق عبيركِ الفيّاح . نعم انكِ تمثلين لي بسائر مشاهد الطبيعة ، لان رسمك مالئ فكري ، وشبحك مالئ الفضاء

عفواً يا سيبيل ! ان كان حبي ينشئ لك آلاماً ، فانني اسعى منذ الان لاطفاء جذوته المحرقة . وان كنتِ ترين السعادة لا تتفق مع حبك لي ، فلماذا لا تنزعينه من قلبك وتستريحين من آلامه ، وامامك مجال الشباب الواسع كلما قطعتِ منه مرحلة نسيتِ مواقف العهد القديم. لا تظني انني اشقى اذا رأيتك سعيدة مع غيري يا سيبيل . أ ليست سعادتي مستمدة منك ؛ فكيف اشقى متى رأيتك تبتسمين ابتسامة السرور ؛ وكيف احزن اذا رايتك متمتعة با حلام لا يجوز لغيرك ان يتمتع بها في هذا العالم ؛ وان كان يعوزك موتي لاكمال سعادتك ، فهوذا روحي بين يديكِ . ضعي لها حدّاً ، فاموت شبعاناً سعادة عند موطئ قدميك . ولكن . . . حسن ان يحب الانسان ، وأحسن من ذلك ان يكون محبوباً

ما اقصر الايام التي نعمنا بها يا سيبيل ! وما اطول فسحة هذا

الفراق . . . ! تلك ايام مرّت بنا مرّ السحاب ، وهذه ايام تمشي متثاقلة بنا الى القبر ، غير عابئةٍ بما تطيل من آلام وعذابات ؛ فلا تنطوي منها دقيقة ، الاّ وتنطوي معها انفاس . والابدية محبة لذاتها تضم الى سفرها من اعمارنا ايام السعادة ، وتبقي لنا ايام الشقآء . ولولا شعاع املٍ ضئيل يخترق حجب الظلام ، لكانت الحياة اعظم نقمة ينتقم بها الله من خليقة يديه

لا يا سيبيل : بل الحياة كلها سعادة وهناء ، لانك انتِ فيها . ولولاكِ لكان العالم في نظري فراغاً ، وكل ما فيه ألغازاً واوهاماً . وكثير ما اتساءل : ترى لماذا لا يكون العالم كله سعيداً لوجودك فيه . ؟ ثم اثوب الى نفسي وأقول : بل يجب ان تكوني لي وحدي لا للعالم اجمع . لاننا اذا كنا كلانا سعيدين ، فما الذي يهمنا سعدَ العالم او شقيَ ؛ عمُرَ الكون او خرب ، ثبتت الكائنات او زلزلت

لماذا تطلبين اليّ يا سيبيل ان احرق رسائلك ؟ أ إنجيل الغرام المنزل تُجعل آياته أكلاً للنار ؟ استغفر الله ايتها القاسية . ان رسائلك تبقى الى الابد في مأمن من عيون الرقبآء ؛ فليهدأ روعكِ وليطمئن بالكِ . واسلمي لمن لا ينساكِ مدى العمر

(بقلم سليم عبد الاحد)　　　سونبريه

في رياض الشعر

في عزّ مُلك الصبّي

نشرنا في الجزء الاخير من سنة « الزهور » الثانية ابياتاً لسعادة اسماعيل باشا صبري يعزّي بها سعادة السير يوسف سابا باشا ناظر المالية المصرية عن فقده ولده فريداً وهو في ربيع الحياة . وننشر اليوم ابياتاً في هذا المعنى لحضرة خليل افندي مطران الشاعر الشهير :

ما في الاسى من تفتّت الكبدِ — مثلُ أسى والد على ولدِ
كم بطلٍ عاش وهو ذو صيَدٍ — فردَّه الثكل غير ذي صيدِ
اهونُ من رزئه عليهِ أذًى — كفاح جيش او ملتقى اسدِ
سابا لك الله وهو ألطف من — يأسو جريحاً وأنت ذو رشدِ
ان قلوباً محيطـة بك من — كرامة ساهمتك في الكمدِ
لهفي على ذلك الحبيب ذوى — منهصرَ الغصن لم ينل بيدِ
ماد نسيم به فمـات وفي — معطفهِ رقة من الميَدِ
مات كنضر الفروع يلزمها — بعد الردى حسنها الى أمدِ
في جاه اوراقه وبين حلى — أزهـاره من مبشر وندي
في عزّ ملك الصبى وحاشية — من غر آماله بلا عددِ
في منتهى مجده وصولتـهِ — اذ يقتل السعد لاهياً ويدي
ويصدم المكر غير ملتفت — ويقحم الدهر غير مرتعدِ
ويترك اللوم حائراً وجلاً — منعقداً في لسان منتقـدِ
يا راحلاً في الفداة عن نعم — تترى وعن بسطة وعن رغد

وتاركاً رسمه لفاقده مصوراً بالجراح في الخلدِ
لا انكرت روحك التي أمنت ما فارقت من مخاوف الجسدِ

وبينما كان الشاعر ينظم هذه الابيات الرقيقة اذ استوقفت قلمه ألحان محزنة تصدح بها موسيقى كانت سائرة في الطريق ، فاذا هو بجنازة تسير خلف طبل وبوق . فسأل عنها فقيل له انها جنازة المرحوم جبران زريق وقد مات في العشرين من عمره . فأثر هذا الموكب الكئيب السائر على نغمات الموسيقى المفجعة في نفس الشاعر وهو لا يعرف ذلك الفتى المتوفى فقال : « وهذا يأخذ حصتهُ في الطريق » وكتب فيهِ الابيات التالية :

مشهدٌ سُيّر في طبلٍ وبوقِ عظةٌ جُنَّت فغنَّت في الطريقِ
عِظة الموت وما عهدي بها ان تزفَّ النعش في تدليل سوقِ
لا ولا عهدي بها خاطبةً عن ثغورٍ من نحاسٍ وحلوقِ
ويح تلك القطع الصفراء في صوتها حسٌّ جراحٍ وحروقِ
من ترى علمها ما مزجت من وجيفٍ وعويل ونعيقِ
ألقت الفجعة فاستولت على كل سمعٍ وأجفّت كل ريقِ
تلك شكوى عن فؤادٍ ثاكلٍ صاخب الآلام رنّان الخفوقِ
يا أباً يبكي ابنهُ ملتمساً ذلك التنبيه للحس الصعيقِ
واضحٌ عذرك مهما تفتتن للعدوّ الصلب والخدن الرفيقِ
آه من نار الجوى فهي التي تفجر البركان من قلب رقيقِ
آه من صدع النوى فهو الذي يرسل الاحزان كالسيل الدفوقِ
أن تذيبوا هكذا أكبادنا يا بنينا فالردى أقسى العقوقِ

خليل مطران

﴿ لؤلؤ الدمع ﴾

لا تذكريني فانَّ الذكر يُرجع لي | عاداتِ وجديَ في ايامِيَ الأولِ
وعالجيني بيأسٍ منكِ ينفعني | البرء باليأس يُدني السُقمَ بالأملِ
طاب التجافي فلا تأساكِ قسمتهُ | اذا مللتِ فما يُشكيكِ من مللي
لسائم الود امَّا يَنصرمْ بدلٌ | منهُ وليسَ لراعي الودّ من بدلِ
دعي لياليَّ . اوطاني تطالبني | بها فلا تشغلي نفسي بلا شغلِ
وكفكفي الدمعَ . هذا الدمع يفتنني | أشجى الشكايات عندي أدمعُ المقلِ
هي اللآلئُ تطفو في المحاجر لا | تختار للسبحِ الا موضعَ الكحلِ
لو لم اكن شاعراً اصبحت حاسدها | فلؤلؤ الدمع منهُ لؤلؤ الغزلِ

ولي الدين يكن

﴿ الخال ﴾

قلتُ لخالٍ بين حاجبيها | انت الذي تلعبُ بالسيفينِ
فقال لا لكنني عنبرةٌ | تمدُّ من دخانها قوسينِ
أصونُ بالبخورِ حسن وجهها | خوفاً عليهِ من سهام العينِ

عبد الحميد الرافعي [1]

﴿ نفس الكريم ﴾

مهلاً أبا الفضلِ لا تجزعْ فقد وُجدت | مكدراتُ الليالي للأساطين

(١) نشرنا في الزهور (٢ : ٤٧٧) قصيدة السيد عبد الحميد بك الرافعي الشهيرة « سلوها لماذا غير السقم حالها » وقد تفضل حضرته على هذه المجلة ببعض قصائد غراء سننشرها تباعاً مبتدئين في الجزء القادم بقصيدته التي يساجل بها شوقي بك ويقرظ قصيدته في وصف هلال العام الجديد

ولا تقلْ عقَّني دهري فما خُلقت نفسُ الكريمِ لغير الصبرِ واللين
فإن تجدْ فى ودادِ الناس شائبة او فى حديثهم سمَّ الثعابين
فقل سلاماً ولا تبذلْ لهم عَبَثاً نصحاً فما النصحُ من عُرفِ المجانين

أتبره (السودان) محمد فاضل

﴿ ذات البرقع الأحمر ﴾

مرّت بنا في طريقِ النور نسألها جاءت من الارضِ أم جاءت من الافقِ
كأنها وقناع الوجه يحجبها شمسٌ تدلُّ عليها حمرةُ الشفقِ

امين البستاني

﴿ كيف كنا ﴾

ولقد كنا وما كنا سوى مثلما يستجمع العينين خدْ
أو جناحَي طائر روّعهُ شركُ الصياد يوماً فشردْ

(البرق) بشاره عبدالله الخوري

﴿ كان معي ﴾

هل من فتى ينشد قلبي معي بين خدور العين بالأجرعِ
كان معي ثم دعاه الهوى فمرَّ بالحيّ ولم يرجعِ
فهل اذا ناديته باسمه يُفيق من سكرتهِ او يعي
فانتِ يا عصفورة المنحنى بالله غني طرباً واسجعي
وأنتِ يانسمة وادي الغضى مرّي بريّاكِ على مضجعي
وأنتِ يا عين اذا لم تفي بذمّة الدمع فلا تهجعي

محمود سامي البارودي

تربية الطفل

عرف قرّاء « الزهور » حضرة النطاسي الفاضل الدكتور محمد أفندي عبد الحميد مما نشرناه مراراً عن مؤلفاته المفيدة في الطب . وقد تفضل حضرته فوعد هذه المجلة بكتابة فصول طبية تهذيبية سننشرها على التمادي . وقد قصر مباحثه في هذه السنة على موضوع العناية بالاطفال وهو موضوع لا تخفى فائدته على احد

صحة الام اثناء الحمل

على الام ان تعتني اعتناء شديداً بصحتها اثناء الحمل . عليها ان تلاحظ ان الامعاء تنطلق يومياً وان تعمل حماماً دافئاً مرة كل يوم ، أو ثلاث مرات في الاسبوع على الاقل . ويجب أن يكون غذاؤها كافياً ومغذياً دون أن تخم معدتها بالاكل فوق الشبع . وعليها ان تمتنع عن المشروبات الروحية . ويجمل بها ان تستريح ساعةً على الاقل في كل مساء ولا بد لها من أن تتأنى في كل اعمالها ، فلا تُسرع فيها ، ولا تجهد نفسها . ويحسن أن لا تذهب الى الاماكن التي يكثر فيها الازدحام كالتياترات والمجتمعات العمومية . أمّا من الوجهة الادبية فيجب ان تكون هادئة الخاطر مطمئنة الضمير ، فتتحاشى كل ما يثير العواطف ويؤثر في الفؤاد . وبالاجمال يجب ان تكون معيشتها صحية ساكنة

التحضير للطفل

يمكن الحامل ان تشغل نفسها في أواخر ايام الحمل أي ، قبل الوضع

بشهرين أو اكثر ، بتحضير ملابس الطفل ومهده . ويستحسن تحضير هذه المعدات في الشهر السابع لاحتمال حصول الولادة قبل ميعادها المعروف . وعلى كل حال يلزم أن تكون هذه الاشياء جاهزة تماماً قبل ميعاد الولادة المنتظر بأسبوعين

واليك قائمة بالملابس اللازمة عادةً للطفل :

٤ لفافات قياس الواحدة ٥ × ٢٥ قيراطاً — ٦ صدريات من الصوف الرفيع مفتوحة من الامام وذات أكمام طويلة — ٤ دست (دزينات) فوَط او مناشف — ٦ مربعات فلانلا لتغطية الفوط — ٤ فلانلات طويلة — ٤ أزواج من الجزم الصوف — ٤ قطع من الفلانلا للرأس — ١ شال رفيع — ١ عباءة وطاقية للرأس — جاكتتان صغيرتان من الصوف

مهد الطفل

لا يستحسن استعمال الاراجيح لنوم الاطفال . وخير المهود ما كان متيناً ومصنوعاً من المعدن كالحديد أو النحاس ، ومرتفعاً عن الارض بقدر قدمين ونصف ويفضل أن يكون المهد خالياً من الزركشة لسهولة تنظيفه ولحاجة الطفل الى الهواء . وكل ما يلزم له كلّة (ناموسية من الشاش)

ويجب ان يحتوي المهد على الاشياء الآتية :

حصيرة للمهد — قطعة من الماكنتوش (المشمع) لوضعها في وسط المهد — ملاءة سفلى — وسادة — غطاء للوسادة — بطانيتان

رقيقتان . ويجب استبدال الملاءة السفلى بغيرها اذا ترطبت من البول او البراز

وصول الجنين

يربط الحبل السري ثم يقطع بعد نزول الجنين . فاذا حدث التنفس بعد الولادة مباشرة ، فيكون الطفل قد ابتدأ حياته الخارجية . وعلى المرضع ان تلفه بفلانلا دافئة ، وتضعه في مكان دافىء حيث يبقى الى ان تستعد لعمل حمام له ويجب تفقد الحبل السري والفم والعينين من وقت الى آخر

المولود الجديد

يصرخ الطفل عند ولادته مباشرة . ويلزم أن نعتبر صراخه هذا علامة صحية عادية . ويزن الطفل السليم الاعتيادي نحو سبعة أرطال مصرية ويبلغ طوله نحو العشرين قيراطاً وتكاد توازي حافات الاظافر أطراف الاصابع . ويوجد عادة بعض الشعر على الرأس ويكون جلده بلون أحمر مغطى بمادة شحمية يحسن ازاحتها بقدر الامكان بلطف بقطعة قديمة من القماش قبل الاستحمام

وليس الطفل في هذا الوقت بكامل العقل ليتدبّر حياته فهي تتعلق بأمه أو مرضعه . فيجب عليها أن تفحصه حتى تتأكد من عدم وجود أي تشوه خلقي كالشفة الارنبية (الفلح) والشق الحنكي ، وعقدة اللسان ، وضخامة الرأس أو أي شيء آخر في الجسم أو الاطراف . وعليها ان تلاحظ

اذا كان يخرج من الجفون افراز بعد فتحها وان تتعهد التبرز والتبويل في وقتهما

غسيل الطفل

من البديهي انه يجب عند تحميم الطفل إقفال باب الغرفة والنوافذ والتحقق من عدم وجود أي تيار هوائي . ثمّ يملأ الحوض (أو الطشت) المعدّ لغسيل الطفل بالماء لارتفاع ٦ قراريط . ويجب ان تكون حرارة الماء معتدلة لا تجاوز درجة ١٠٠ (بمقياس فارنهيت) واذا لم يكن هناك ترمومتر — مقياس الحرارة — فيكفي أن توضع اليد في الماء حتى اذا تحملت الحرارة بسهولة امكن استعمال الماء . وعلى المرضع ان تلبس فوطة من الماكنتوش ثم تلبس بعدها فوطة أخرى من القماش . ولتنتبه الى وضع كل ما ستحتاج اليه اثناء الغسيل في قربها لئلا تضطر الى ترك الطفل في الماء لاحضار ما يلزم . وبعد ذلك تجلس على كرسي منخفض وتضع فوطة ناعمة على حجرها تجعل عليها الطفل موجهة وجهه الى أعلى وتضع فوطة دافئة أخرى على جسم الطفل ورجليه وتتقدم الى غسل الطفل . ولهذا الغرض تغسل وجه الطفل أولاً وتنشفه بسرعة ثم تغسل بعد ذلك جسمه ورجليه بقطعة من القماش بالصابون وبعد اتمام هذا العمل تغمس الطفل في الماء الذي في الحوض حتى عنقه ويسند بوضع اليد اليسرى تحت العنق وذراع الطفل اليسرى وباليد اليمنى تغسل المرضع الرأس بالماء والصابون . ولا يلزم عادة غسيل الرأس لمدة ايام بعد المرة الاولى ولا يحسن

أن تستعمل أي زيت لاذابة المادة الشحمية التي على جسم الطفل لانها اذا لم تذب في الغسيل في المرة الاولى فهي لا شك ذائبة في المرة الثانية ولا بد من الاعتناء في غسيل الثنايا الجلدية لا سيما التي حول العنق . ويبقى الطفل دقيقتين أو ثلاثاً في الماء قبل اخراجه ولذلك تسند المرضع الطفل بوضع يدها اليسرى تحت العنق وتمسك باليد اليسرى رجليه وبعد اخراجه من الماء تضعه على الفوطة التي على ركبتيها جاعلة وجهه الى أسفل وتنشف بفوطة أخرى دافئة بكل سرعة وبكل لطف ورفق العنق والظهر والاطراف . ثم بعد ذلك تذر عليه قليلاً من المسحوق وتقلب الطفل بعد ذلك على ظهره بكل اعتناء وترفع الفوطة المبلولة التي على ركبتيها وتنشفه من الامام ويلزم تجفيف الجلد في كل اجزائه لا سيما حول العنق والاذن والابط والاربية ويذر على هذه الجهة أيضاً قليل من المسحوق ما عدا الوجه ثم توضع عليه الملابس

الدكتور محمد عبد الحميد
طبيب مستشفى قليوب

شيء عن الفن

نشرنا في الجزء الفائت من الزهور (٢ : ٥١٨) مقالة عن الفن بقلم حضرة الكاتبة الاديبة الفاضلة الآنسة « مي » فلما اطلعت عليها حضرة الفاضلة السيدة لبيبه هاشم تفضلت بالرد الآتي :

رأى القارئ الكريم من مقالة الآنسة مي (شيء عن الفن) حسن تصور هذه الكاتبة وسمو نفسها الى اوج الجمال الفني . فهي تنظر من

سماء تخيلاتها الذهبية الى عالم الاختراعات العصرية والاكتشافات العلمية نظرة ازدراء واحتقار لانها لا تجد فيها ما يؤثر في روحها الشريفة ولا ترى في نتائجها المادية ما ينطبق على تصوراتها الشعرية البديعة . ولا غرو فالآنسة مي من الفتيات اللواتي قلما يسمح الدهر بامثالهن أدباً وذكاءً مع سعة اطلاع وحرية فكر . ولما كانت هذه منزلة صفاتها من الاحترام وكان أمر البحث في الفنون من المواضيع الجديرة بالاهتمام رأيت ان اعلق عليهِ كلمة أستأذن حضرتها بايرادها تمحيصاً للحقيقة التي هي غرض كل عاقل أديب

ذكرت الكاتبة ما لا جدل فيهِ من امتياز أهل العصور القديمة بالفنون الجميلة والآثار البديعة التي لا يرجى وجود نظير لها في العصر الحاضر ولا المستقبل . على ان ذلك لا يؤخذ حجة على دناءة الفكر العصري وتقصيره عن سلفه وانما هو دليل على ان ارتقاء الاقدمين كان محصوراً في بعض نوابغ انصرفت قرائحهم الى بعض الصنائع كالرسم والنقش والنظم وما شاكل ذلك من الفنون الجميلة . وهذا بالحقيقة لا يعد ارتقاءً لبعدهِ عن الفوائد العمومية المطلوبة في ترقية الاجتماع . وما دام الانسان منصرفاً الى هذه الوجهة الفنية مكتفياً بها عن سائر العلوم فمن المقرر انهُ يظل مقصراً في معارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ . وعلى ذلك بنى رُسكن فلسفته ورأى المتأخرون رأيهُ فشرعوا بتعرف أسرار الطبيعة وروابطها وأحكامها واستخدموا ما فيها من القوى الكامنة لفائدتهم فقاوموا البحار بقوة البخار واستخدموا الكهرباء في دفع الامراض وتقصير

الشاسع من المسافات . وعلى الجملة فقد أتوا بأعمال عظيمة واختراعات مدهشة تدل على ان النبت الذي تكونت فيهِ أفكارهم ليس أقل فضلاً وجمالاً من نبت تكون فيه فكر الفيلسوف الرياضي اسحق نيوتن. فان هذا استنتج قاعدة الناموس الطبيعي اتفاقاً من وقوع تفاحة الى الارض ثم وقف عند هذا الحد . اما علماء الطبيعة فبنوا على هذا الناموس سائر العلوم الطبيعية التي بين ايدينا الآن واتصلوا بواسطتها الى اختراع الآلات المتنوعة والجهازات الغريبة التي تزعم حضرة الكاتبة انها دليل سقوط النفس البشرية من أوج الجمال الى هوة التجارة

ولعمري كيف تفضل بناء الاهرام ونحت المسلات على تلغراف ماركوني واشعة رتجن في حين ان ذاك على عدم فائدتهِ ينطق بما كانت عليهِ الشعوب الغابرة من الذل والضغط واستعباد الكبير للصغير . اما التلغراف اللاسلكي فان أهميتهُ وفائدتهُ توازيان قوة الذكاء التي بذلت في سبيل اتمامهِ وهي لا يمكن ان تقل قيمة عن قوة ذكاء اصحاب الفنون الغابرين . ولا يعقل ان مجرد حب الكسب هو الذي دفع ماركوني لعمل اختراعهِ وانما هي دواعٍ كثيرة تجاذبتهُ بين النفع العام والرغبة في الشهرة والتلذذ باتمام عمل عظيم وهي نفس الاسباب التي دفعت برافائيل المصور الى قمة الكمال الفني

واني أرى رأي الآنسة مي من حيث جمال الفنون واجلال قدر أصحابها ولكني لا أرى فضلاً للمشتغلين فيها يميزهم عن غيرهم من المخترعين والعلماء المصريين اذ ان فضل المرء يكون على قدر عظمة أعماله واتقانها

لا فرق بين ان يكون ذلك العمل تمثالاً متقن الحفر او قصيدة بديعة النظم او حذاء محكم الصنع ما دام كل من هذه الاعمال يقتضي لاتمامه قوة عقل

واذا قسنا أعمال المتأخرين بآثار الاقدمين لا يسعنا الا المساواة بينها فيما تحتاج اليهِ من المقدرة العقلية لاتمامها وذلك يدل على ان مدارك النوابغ متساوية قوة في جميع العصور وانما هي تحول احياناً الى ما يوافق روح العصر ويقوم باحتياجات الاجتماع. واذا كان فضل الاعمال على قدر الفائدة الناجمة عنها كان في علوم العصريين وأعمالهم ما يزيد منزلتهم العقلية رفعة عن منزلة اسلافهم المتفننين بلا ريب

ان العقل البشري كحجر الرحى يدور دائماً على نفسه طالباً ما يعمله فاذا لم يكن له من العلوم ما يصقله ويوسع نطاقه ويديره على محور الاعمال المفيدة والاكتشافات المهمة التي تشترك منفعتها بينهُ وبين ابناء جنسهِ ظل بليداً وحيداً بافكاره يعمل لخدمة نفسه وسرورها فينصرف الى بهرجة الفنون الجميلة ويلجأ لنظم القوافي في ظلال البنايات الضخمة صارفاً في سبيلها الوقت والتعب جزافاً في حين انهُ متى تحول فكره الى العلم اندفع بكليته الى خدمته والاستفادة منه صارفاً همهُ الى كل ما يجديهِ فائدة محسوسة من بحثهِ وجهاده . وفي هذه الحال فهو يأبى طبعاً ان يسير على خطة أجداده من تعشق الفنون وضياع العمر في سبيل اتقانها

ويكفي لاثبات فضل المحدثين ما بلغ اليهِ عصرهم من الارتقاء المدهش في الزمن الاخير . فانهُ ما اشرق فجر العلوم حتى استنار جو العقول والافهام فتحولت الابصار عن شفق الفنون السابح في ظلمات الخيال الى

شمس الحقائق المتلألئة في أفق العمل والنشاط فشمروا عن ساعد الجد وقطعوا مسافات شاسعة في النصف الثاني من القرن الاخير لم يكن يصدقها العقل لولا ما نراه من النتائج العظمى المترتبة على جهادهم الغريب

أما وهم قد بلغوا هذا الشأو من الكمال بجدهم ونشاطهم فهل يجوز بشرع ربة اللطف ان تصوّب فيهم نظر الاتهام والاحتقار بينما هم ينتظرون من يدها الجميلة اكاليل الغار ؟

لبيبه هاشم

في جنائن الغرب

نشرنا في اجزاء « الزهور » الماضية تحت هذا العنوان شيئاً كثيراً من خير ما يؤخذ من آداب الغربيين ، لان نقل افكارهم واساليبهم في التأليف لما يعود على لغتنا بالفائدة الكبرى . وسنظل فاتحين هذا الباب لنشر ما نختاره أو يختاره قراؤنا الكرام من غرر كتابات حملة الاقلام عند الافرنج

« الفرس »

عنوان قصيدة فرنسوية مشهورة لناظمها Aug. Barbier أوغست بربيه (١٨٠٥ — ١٨٨٢) . وكلها تورية عن قبض نابوليون على زمام الاحكام واضطراره فرنسا الى شن الغارة على أوربا جمعاء مدة سنين طويلة ، كما سيرى القارىء . وبمناسبة مرور مئة عام على الحملة التي سار بها هذا الرجل الكبير على بلاد قياصرة الروس فاننا سننشر في العدد القادم رأي الفيلسوف تولستوي في نابوليون مترجماً بقلم أحد أدباء كتابنا . واليك الآن ترجمة القصيدة الفرنسوية المذكورة :

أيها القرسي[1] : ما كان أجمل فرنسا تحت أشعة شمس مسيدور

(١) نسبة الى جزيرة La Corse مسقط رأس نابوليون بونابرت

العظيمة [١] ؛ كانت كالفرَس الجموح الشامس [٢] الذي لم يروّضه حديد اللجام ، ولم يكبح جماحه عسجد الزمام

كان متين الكفل ، آبداً ، مضرّج الحجول بدماء الملوك ، كان أبياً عتياً ، يقرع بسنابكه الجدولتين ارضاً قديمة عرفت الحرية لاول مرة

لم تكن مرّت عليه قط يدُ بشرٍ لتسومه الضيم والاهانة ، ولم تكن خواصره الضامرة قد اطمأنت يوماً الى سرج الاجنبي

كان لمّاع الوبر ، برّاق العين ، مرتجّ الارداف ينتصب على رجليه فيرتجف العالم رهبةً من دوي صهيله

وحينئذٍ برزتَ الى العالم . ولما رأيتَ هيأته وخواصره اللينة أيها الفارس الكمي قبضت على ناصيتهِ وامتطيت صهوته

ولما كان هذا الفرَس ولوعاً بخوض الحروب، شغوفاً برائحة البارود وقرع الطبول ، جعلتَ له الارضَ مضماراً ، والمعامع تسليةً

وحينئذٍ لم يبقَ لهُ من الراحة حظ ، ولا من النوم نصيب ، بل هنالك جريٌ مستديم ، وعدوٌ مستمر ، فيطأ دائماً ابداً اشلاء الرجال كما يطأ الثرى ، وهو مضرجٌ بالدماء حتى لبانهِ

خمسة عشر عاماً ظلّت سنابكه القاسية في جريه السريع تطحن الامم ، وهو مطلوق العنان مصعّد الانفاس يروح ويغدو على صدور الشعوب

(١) يشير الشاعر الى عظمة فرنسا اثر الثورة الكبيرة . و « مسيدور » هو اسم من الاسماء الاثنى عشر التى كان رجال الثورة قد اطلقوها على اشهر السنة بدلاً من الاسماء القديمة . ومعنى « مسيدور » شهر الحصاد

(٢) شمس الفرس كان لا يمكن احداً من ظهره ولا من الاسراج والالجام

ثمّ اعياهُ العدو دون بلوغ الغايةِ ، وانهكه الكرُّ دون طيّ الشقة ، وملّ من عرك العالم بأسره وإثارة ابناء البشر كما تثير الريح الغبار

فوقف ، وقد خارت قواه وكاد يكبو لكل خطوة ، وقف يسترحم فارسه القرسي . . ولكنك أيها الظالم لم تعره الاّ أُذُناً صمّاء

بل زدتَ ضغط ساقيك على خاصرتيه . وقلّبتَ شكيمته في زَبَدِ فكيهِ لتُخمد شكواه ، فحطمت نواجذه قهراً

نهض الفرس من عثرته ولكنه خارت قواه في احدى المعامع وعجز عن قرض لجامه فسقط صريعاً على فراش من الرصاص وقد قصف اضلاعك في تلك الكبوة   عزيز ميرزا

ثمرات المطابع

رباعيات عمر الخيام[1] — عمر الخيام شاعر يمثل روح عصره ككل الشعراء وقد بات ما نظمه الغازاً لابناء القرون الحاضرة لانهم حاولوا فهمها على غير الغرض الذي وضعت له

والعارفون به في الشرق نادرون وهم في الغرب كثار يكادون لا يعدون نقلت رباعياته الى معظم اللغات الاوروبية ودوّن الناقدون عنها فصولاً وألفوا كتباً وقام له اختصاصيون وقفوا أعمارهم على البحث في رباعياته واغراضها وأصبح لاصحاب كل رأي فيه عصبية معروفة . فمعظم كتاب

(١) طبعتهُ مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها وثمنهُ عشرة قروش صاغ

الالمان يعتقدونه شاعراً صوفياً وكتاب الفرنسيس يرون فيه رجلاً يهوى الخمر والنساء كما يبدو من ظاهر أشعاره . اما الانجليز والاميركان فلا رأي خاص لهم فيه بل كل أقوالهم عنه تقليدية مأخوذة عن غيرهم من الامم

واذا كان فتس جيرولد قد نقل رباعيات الخيام الى لغة الانجليز شعراً بشعر وأذاع صيته في تلك البلاد وحبب لبني السكسون شاعر الفرس العظيم فليس معناه أن الانجليز هم الذين عرّفوه الى العالم

على ان ابناء اللغة العربية لا يعرفون من عمر الخيام الا ما نقله اليهم الغرب من تآليفه ورباعياته . ولولا ما بذله الفرنج من المجهود في سبيل احياء هذا الشاعر ما وصل الينا خبر من اخباره حتى ان أدبيات الفرس التي نحن أحق الناس بمعرفتها وتقديرها قدرها لقرب اللغة الفارسية من اللغة العربية غابت عنا محاسنها ولا نجد منا من اطلع عليها بحيث يستطيع نقلها الى العربية

ولاشك أن نقل آداب لغة الى لغة أخرى يستلزم مواهب وصفات شتى منها الاقتدار الطبيعي في الناقل وتضلع حقيقي في اللغتين يمكنه من فهم أسرار اللغات وادراك روحها ادراكاً تاماً . ومنها صفات أخرى كسبية أوجدتها فيه ظروف الزمان والمكان بحيث تسهل عليه ترجمة العواطف والاحساسات على اختلافها وتباينها ترجمة صحيحة

فاذا لاحظنا كل هذه الاعتبارات ولاحظنا أيضاً أن رباعيات بن الخيام هي من اسمى ما جادت به قرائح البشر على عالم الادب اعتقدنا ان ناقل هذه الرباعيات الى العربية وهو وديع افندي البستاني قد قام بعمل جليل وقدّم للعربية وابنائها خدمة لا تنسى . وسنبقي الكلام على مكانة

الترجمة في الادب العربي الى ما بعد الكلام على شعر الخيام نفسه

ان شعر الخيام من قبيل الشعر الليريقي أو الشعر الغنائي الذي يصور عواطف النفس ويرسم أميال الفؤاد . ورباعياته من هذا النوع أيضاً غير ان عددها لا يحويه الحصر اذ أن كثيراً من الرباعيات منسوب اليه فلا يمكننا والحالة هذه أن نقيدها بقيد ونضعها تحت قاعدة معينة . على أن الرباعيات التي استخرجها فتس جيرولد مما نسب الى عمر الخيام ، ان صدقاً وان كذباً ، واضاف الى روحها الفارسية تلك الروح القلبية لا يمكننا ان نجزم بأنها رباعيات الخيام نفسها لأن فتس جيرولد كان خياماً غربياً أي أنه لما كانت أمياله كلها مشابهة لأميال عمر الخيام الفارسي ، وكانت حياته شبيهة بحياة ذلك الشاعر ، وكان من جهة أخرى واسع الاطلاع على ادبيات الفرس ، أثرت على قلمه كل هذه المؤثرات فأخرج رباعياته خليطاً من روح الخيام ومن روح حافظ الشيرازي ومواهب السعدي

بيد أننا اذا رجعنا الى رباعيات الخيام التي ترجمها فتس جيرولد وغضضنا النظر عن بقية ما ترجمه المترجمون الآخرون من المان وفرنسيس يمكننا — وان كان في ذلك شيء من الصعوبة — ان نقسمها الى اقسام شتى كالحنين الى الماضي واليأس من المستقبل والحث على انتهاز الفرص وتتطلب الملاذ لساعتها أنى وجدت ، والسخرية من الحياة ، والحيرة في الوجود ، والزهد الناشئ عن العجز ، وامتداح الخمر ، والهزؤ بالاديان ، وذكرى الحبيب . وبالجملة فشعر الرباعيات كما قدمنا من نوع الشعر الليريقي الذي يعبر عما يجول في النفس لساعته بدون تقييد

هذا ما تيسر لنا من القول عن الخيام بمنتهى الايجاز . واما رأينا في تعريب وديع افندي البستاني فيحتوي بعض ملاحظات قليلة نرجو الصفح عنها من صديقنا المحبب الذي لا نشك في أن له من اسمه نصيباً وافراً اذ أن نقد الشيء فرع من تقديره وابداء الملاحظات على أمر من الامور معنى من احترامه . فأول ما نقوله عن هذه الترجمة ان المعرب خرج بالرباعيات عن شكلها الطبيعي فجعلها سباعيات والسباعيات ضرب من ضروب الشعر العربي كما أن الرباعيات ضرب من ضروب الشعر الفارسي وقد أدى هذا بصديقنا الوديع البستاني الى أن يقول في سبعة اسطر ما قاله الخيام في أربعة . ثم انه قسم الرباعيات الى نشيدين مقلداً في ذلك الطريقة اليونانية وبين الطريقتين الفارسية والاغريقية من التنافر ما بينهما لان اليونان كانوا يقسمون قصائدهم الكبرى الى أناشيد وكل نشيد يبين حالة من أحوال النفس أو فصلاً من فصول القصة المروية كما هي الحال في الياذة هوميروس . ولكن شعر الخيام ان هو الا صرخات نفس متألمة حائرة لا نشيداً تمجد فيه الحروب ولا الحياة ولا القوة . هذا من جهة الشكل أما من جهة الصياغة فان فيها مآخذ شتى اضطر اليها وديع بعامل التعريب الحرفي كقوله : واضطراراً قد جئت هذي الديارا — وسأضطر للرحيل اضطرارا — واختياري ان استطعت اختيارا

على أن له حسنات كثيرة وله أعذار أكثر فانه شاب لم يتألم وناقل عن لغة لم تكتب الرباعيات بها وكفاه فخراً أنهُ قام نحو الشعر الفارسي بما لم يقم بهِ فحول كتاب العربية من قبله وحبذا قوله في أول النشيد الثاني

أقبل الفجر بهجة يتلالى — فأدِرها تزري الصباح جمالا — واعتزل حلبة الفخار اعتزالا — والاماني خلّ والآمالا — وتأمل فروع هند الطوالا — واسمع العود واطّرح عنك هما — واصف واهنأ بالكأس عيشاً وبالا

محمد لطفي جمعه

المحامي

كتاب في التربية [1] — لا تزال ادارة « الجامعة المصرية » دائبةً على توفير أسباب التعليم والتهذيب للناشئة الوطنية . وقد عهدت الى نخبة من أفاضل العلماء واعلام الادباء من وطنيين وأجانب بالقاء محاضراتٍ في مواضيع مختلفة من اداب وعلوم وفنون واقتصاد الى غير ذلك من فروع المعارف الحديثة . وقد سرّنا انها وجهت عناية خاصة الى تهذيب الفتاة فأناطت ببعض السيدات القاء محاضرات في مواضيع نسائية لا غنى المرأة الشرقية عنها حتى تجاري أختها الغربية في مضمار الترقي . وقد تولت القاء هذه المحاضرات في العام الماضي سيدةٌ من فضليات سيداتنا وكاتبة من أشهر كاتباتنا ، عنينا السيدة لبيبة هاشم صاحبة ومحررة مجلة « فتاة الشرق » المعروفة . وقد جعلت موضوع محاضراتها « التربية » وهو الامر الذي نحن في حاجة ماسة اليه . فتناولته من جميع أطرافه فتكلمت عن التربية الوالدية من حيث اعتناء الوالدين بالاولاد ، وعن التربية البدنية من حيث غذاء الاطفال ونظافتهم وملبوسهم وترويضهم ؛ وعن التربية

(١) مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ويطلب من مكتبتها ومن ادارة مجلة فتاة الشرق وثمنه ٦ قروش صاغ

الادبية من حيث تقويم الاخلاق وارهاف القوى العقليـة الخ وخصت بكلامها الفتاة من حيث تعليمها تدبير المنزل وادب المعاشرة وإعدادها لتكون أماً صالحة — وقد كنا إبان القاء هذه المحاضرات نتمنى ان يكثر عدد السيدات اللواتي يقبلن على سماع هذه المواضيع . ولكن السيدة لبيبة



لبيبه هاشم

قد عممت فائدة هذه المحاضرات بجمعها وطبعها على حدة فبات بوسع الجميع اقتناؤها ومطالعتها . فنشكر لصاحبة « فتاة الشرق » هذه الخدمة الجديدة التي اضافتها الى مآثرها الجليلة في سبيل الادب

الانسانيّة والتمدّن[1] — قال ابن المقفّع : « من حاول الأمور احتاج

(١) طبع في مطبعة المعارف بمصر ويطلب من مكتبتها وثمنه عشرون قرشاً صاغاً

فيها الى ستّ: العلم، والتوفيق، والفرصة، والاعوان، والأدب، والاجتهاد. وهنّ أزواج: فالرأي والأدب زوج. لا يكمل الرأي بغير الأدب، ولا يكمل الأدب الاّ بالرأي؛ والاعوان والفرصة زوج. لا ينفع الاعوان الاّ عند الفرصة، ولا تتم الفرصة الاّ بحضور الاعوان؛ والتوفيق والاجتهاد زوج. فالاجتهاد سبب التوفيق، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد »

هذه الستُّ قد اجتمعت لحضرة الوجيه الفاضل عزتلو جرجس بك انطون أحد أفاضل موظفي الحكومة المصرية فاخرج للناس كتاب « الانسانية والتمدن » وفيه الادلة الناصعة على العلم والادب والاجتهاد عنينا الصفات التي كانت أعواناً لحضرته فلزمتهُ في المباحث التي تحدّاها في هذا المؤلف المفيد. اما الفرصة فلعلهُ كان يسترقها من أوقات فراغهِ وساعات استراحتهِ من عناء الاعمال والواجبات الرسمية. وفي ذلك أبلغ برهان على الفضل. وكأنّ جرجس بك لم يكتفِ بالفائدة التي أرادها للناس من كتابة « الانسانية والتمدن » فزاد عليها فائدةً لا تقل قيمةً عن تلك، فوقف ثمن الكتاب على الاعمال الخيرية واعانة البائسين. فكان في هذا العمل المجيد تطبيق محكم لاسم الكتاب ومباحثهِ على المغزى الذي رمى اليه واستفاده القراء منه. وانّ خير الاقوال ما اقترن بالافعال. جزى الله حضرة المؤلف الاديب بما يجزي به العاقل الفاضل

تاريخ آداب العرب — قام في مصر في السنوات العشر الاخيرة شاعر بليغ أجاد في اكثر المواضيع التي طرقها وكان لهُ المقام الرفيع بين شعراء العصر، فأخذ ينشر عاماً بعد عام ما يجتمع لديه من منظومه، وكان

الناس يقبلون على تلك المجموعات ويثنون على صاحبها الثناء الطيب . ثمَّ سكت ذلك الشاعر منذ أكثر من سنتين فلم نسمع له صوتاً ، ولا قرأنا له شعراً الاّ في ما ندر . وطال هذا السكوت حتى كان الشهر الماضي فاذا نحن وبين أيدينا الجزء الاوّل من كتابٍ جليل الفائدة ، عظيم النفع فقلنا لقد صدقت الحكمة القائلة : « اذا كان الكلام من فضةٍ فالسكوت من ذهب »

ذلك الشاعر هو ابو السامي مصطفى صادق الرافعي ، وهذا الكتاب هو « تاريخ آداب العرب »

قال المؤلف في الكلام على نمط الكتاب وأبوابه : «وقد جعلنا أبوابه اثني عشر باباً تنطوي على جملة المأثور ، ويدور عليها التاريخ كما تدور السنة على عدة الشهور وهذه سياقتها بعد فصلين من التمهيد في تاريخ الادب ، وأصل العرب :

الباب الاوّل : في تاريخ اللغة ونشأتها وتفرعها وما يتصل بذلك

الباب الثاني : في تاريخ الرواية ومشاهير الرواة

الباب الثالث : في منزلة القرآن الكريم من اللغة واعجازه وتاريخه ، وفي البلاغة النبويَّة ونسق الاعجاز فيها

الباب الرابع : في تاريخ الخطابة والامثال جاهليةً واسلاماً

الباب الخامس : في تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة منهُ

الباب السادس : في حقائق القصائد المعلقات ودرس شعرائها

الباب السابع : في أطوار الادب العربي وتقلّب العصور بهِ وتاريخ أدب الاندلس الى سقوطها ومصرع العربية فيها

الباب الثامن : في تاريخ الكتابة وفنونها وأساليبها ورؤساء الكتاب

الباب التاسع : في حركة العقل العربي وتاريخ العلوم وأصناف الآداب جاهليةً واسلاماً

الباب العاشر : في التأليف وتاريخه عند العرب ونوادر الكتب العربية

الباب الحادي عشر : في الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون

الباب الثاني عشر : في الطبقات وشيء من الموازنات »

فأنت ترى أن الرافعي قد ألمَّ بتاريخ الادب من جميع أطرافه وتناول البحث فيهِ من كل جهاته . فكتابهُ ، وهو الكتاب الثاني المطوَّل الذي ظهر الى اليوم في هذا الموضوع[١]، مشبع للادباء ووافٍ بالغرض المقصود منه . ولقد كتب الينا احد أفاضل الادباء يسألنا أن نفسح لهُ في « الزهور » مجالاً لنقد هذا الجزء الاوَّل على ان يكون انتقاده مظهراً لحسنات الكتاب وسيئاته معاً ، اذا كان هنالك سيئات . فرغبنا اليهِ في ذلك ولعله يمكّننا من نشر مقالهِ في الجزء التالي من هذه المجلة . لذلك نحن نكتفي الآن بكلمة الثناء نوجهها الى أبي السامي الفاضل ونتمنى أن ينشط كبار الكتاب والشعراء الى مثل عمله المجيد حتى يكون فضلهم للناس أظهر ، وشكرهم علينا أحقّ

الأدب الصغير[٢] — لعبدالله بن المقفَّع فضل عظيم لا ينكرهُ أديب من أدباء العربية فهو أستاذ الكتاب والمنشئين في سلامة تعابيره ، وجمال

---

(١) نريد « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان (٢) طبع في مطبعة جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية ويطلب من جميع المكاتب

أسلوبه حتى لقد أطلق علماء الادب على انشائهِ صفة السهل الممتنع ، وما برح كتابه « كليلة ودمنة » الى يومنا هذا رفيق المتأدبين . وأخرج اليوم سعادة الاستاذ العالم احمد زكي باشا كاتب مجلس النظار كتاباً آخر لذلك المنشئ النابغة هو « الادب الصغير » فعرفت فضله نظارة المعارف العمومية فقررتهُ لمدارسها الابتدائية ونعم ما فعلت . أما الكتاب فيكفي في تقريظه أن يكون كاتبه عبد الله بن المقفع ، وناشره والواقف على طبعه احمد زكي

ازهار واشواك

عمر النساء

عمر النساء من المسائل الحسابية العسرة الحل ، فقد تبوح المرأة بكل شيء الا بعمرها الحقيقي . وقد جرت لي حكاية من هذا القبيل لا اتمالك عن سردها ولو جرَّت عليَّ سخط بعض القارئات : كنتُ منذ ايام في احد مجالس السمر ، وكان فيمن حضر اربع سيدات يتفاوتن في السن تفاوتاً كبيراً ، فأولاهن في الثمانين من العمر ، والثانية في الستين ، والثالثة في الاربعين ؛ وكان مع هذه ابنةُ اختٍ لها في ربيعها الحادي والعشرين . جلستُ الى الفتاة أجاذبها اطراف الحديث ، واذا بها تقول لي : « ما قولك بخالتي ؟ فهي تحاول ، وقد جاوزت حدَّ الاربعين ، ان تجلس على عرش الجمال . » فقلت : « عبثاً تحاول ، فقد تربعتِ على هـذا العرش دون سواكِ » ثمَّ دنوت من الخالة احدّثها ، فابتدرتني بالسؤال : « الآ بربك قلْ

لي ما رأيك في هذه السيدة التي أربى عمرها على الستين وهي لا تزال تقضي كلّ يوم ساعةً من الزمن أمام مرآتها ؟ » فقلت : « تضيع الوقت سدًى ، فانّى للمرآة توليها ما اولتك الطبيعة من الرونق ؟ » وبعد برهةٍ كنتُ الى جانب « ابنة الستين » فسرعان ما قالت لي : « انظر الى هذه العجوز الدردبيس فهي تحاول بطلاء وجهها ان تمحو آثار الثمانين عاماً التي تثقل كاهلها » فاجبت « هذا خرَف الشيوخة » قلتُ هذا وبقيتُ مدةً أفكّر . ثمّ عزمت على إعادة طوافي مبتدئاً هذه المرة من الكبرى الى الصغرى . فجلستُ بقرب « الثمانين سنة » وقلت لها : « ان هيأتك يا سيدتي اشبه شيء بهيأة السيدة التي كنتُ احدثها الآن ، فكأنكما أختان ولدتا في سنة واحدة » فتبسمت وقالت : « أنت مصيب فقد ولدنا في عام واحد » تركتها وعدتُ الى الستين سنة » فقلت « تراهنت واحد اصحابي على انكِ وهذه السيدة (وأشرتُ الى ابنة الاربعين) قد ولدتما في شهر واحد في سنة واحدة » فأمالت رأسها إمالة الاثبات الشديد وقالت « وأظن في اسبوع واحد » انتقلتُ بعدئذٍ الى جنبِ ابنة الاربعين فقلت : « لاريب في انك مازحة بقولك ان هذه الفتاة ابنة شقيقتكِ ، فان الناظر اليكما يظنكما توأمين » فأجابت « لا . هي بالحقيقة ابنة أختي ، لكنّ أمها أختي كانت تكبرني بخمسة وعشرين عاماً ، وقد اخبرتني اني ولدتُ وابنتها هذه في عام واحد . . . » تقول ابنة الثمانين انها ولدت في سنة ولادة ابنة الستين ، وهذه ولدت في السنة التي ولدت فيها ابنة الاربعين . وهذه ولدت وابنة العشرين في عام واحد . فتكون العجوز

الثمانينية — على هذا الزعم — من سنّ الفتاة ابنـة العشرين . . . . ؟
آه من عمر النساء . . . !

تمثال « مويّار »

لا يزال الانسان يغالب عناصر الطبيعة ، فيتغلب عليها ؛ ويسترق اسرارها ونواميسهـا ، فيستخدم قواهـا لزيادة قوته ، او لتوفير اسباب رفاهيته . فتوحاتٌ وانتصاراتٌ احرزها وهي ابهى واشرف من انتصاراته في ميادين القتال . وآخر فتح تمّ له من هـذا القبيل ، تذليله الهواء ، واتخاذه اياه مطية سهلة المقاد . فصار يسافر هواءً كما كان يسافر برًّا او بحراً ، فدانت له الطبيعة باسرها . على ان هـذا الفتح لم يتم له دون تضحيـة العدد الكبير من الابطال . نخص منهم اليوم بالذكر المهندس الفرنسوي « مويار » الذي رفعت له شركة « مصر الجديدة » تمثالاً في ارضها ، وجمعت الوجهاء والادباء حوله في الشهر الغابر ليحتفلوا بذكره . هكذا يكرم الغربيون نوابغهم . . . وقد اراد علاّمتنا زكي باشا ان يكون لنوابغ الشرق نصيبهم من هذا الاكرام ، فأبان في خطبةٍ ملؤهـا التنقيب والبحث ان اثنين من العرب — وهما الجوهري وعباس بن فرناس — قد حاولا الطيران قبل سواهما . وقد اعترفت بذلك لجنة الاحتفال، فنقشت الابيات الآتية على قاعدة التمثال وهي لحافظ ابراهيم :

إن يركبِ الغربُ متنَ الريح مبتدعاً ما قصّرتْ عن مداه حيـلةُ الناسِ
فان للشرق فضلَ السبق نعرفـه للجوهريّ وعباس بن فرناس
قد مهّدا سُبُلاً للناس تسلكهـا الى السماء بفضل العلم والبـاسِ

خصت مصر « مويار » دون سواه من ابطال الطيران لترفع له تمثالاً تحت سمائها ، لان « مويّار » الافرنسي المولد ، عاش ومات في مصر . وفي مصر كان يشتغل لتحقيق مسألة الطيران ، فوضع قواعد هذا الفن كما هي معروفة اليوم ؛ ولكنّ ضيق ذات يده حال دون ابراز فكرته الى حيز العمل ، فعاش فقيراً ومات فقيراً . وقام بعده علماء آخرون فعملوا بالمبادي الميكانيكية التي وضعها ، فتمكنوا من امتلاك ناصية الهواء ومجاراة الطير في مضمار السماء . مات « مويّار » فقيراً كما عاش ولكنه أغنى ابناء جنسه باختراعه العجيب ؛ فكان شأنه شأن معظم كبار المخترعين والمكتشفين كغاليله وكولمبس ، فهم لا يحيون ولا يمجّدون الاّ بعد موتهم . . . خمسة عشر عاماً مرّت على وفاة هذا المخترع . فأدرك العالم سموّ مداركه ؛ وقام اليوم يجود بتماثيل البرونز والرخام ، على من حُرم في حياته ما يسدّ به الرمق . فما اعجب مغالطات بني البشر . ويا ما احدّ سهام اللوم التي صوّبها اليهم حكيمنا شبلي شميل اذ قال :

مُيّار انك قد قضيت ككل من … نفع البرية وهو قد نال الضررْ
قد عشتَ بين الناس أوحد بائساً … والعقل مقتدرٌ وفي الايدي قِصرْ
هم ضيّقوا الدنيا عليك وانت في … فتح السماء لهم تحلّق في الفكرْ
ضنّوا عليك وانت حيٌّ بينهم … وتسابقوا للميت في نثر الدررْ
جهلوك حتى اوقعوا بك ريبةً … وتفاخروا بك بعد موتك عن أشرْ
لو انهم نفعوك يوم خدمتهم … لوفوك حقاً غير حق منتظرْ
أو أنهم فهموك يوم هديتهم … عزّاك علمك انهم حقاً بشرْ
يستمسك الانسان بالبالي فان … عنه تزحزحه تجده قد نفرْ

مـا فضلك المغنيّ وهو به الغنى	بل جهلهم يعنون في هـذا الأثرْ

سهم نافذ . . . ! ولكن الخلف الذي يعوّض عن السلف باعلان فضل من غمط فضله يستحقُ قسطه من الثناء

ماصر

لمن هذا الشعر . . . ?

وقعنا على الابيات التالية وهي لشاعر كبير من شعراء اليوم الذين عرفهم قراء « الزهور » فاذا بهـا تنم كثيراً عن شاعرها . فرأينا أن ننشرها غفلاً من التوقيع تاركين لفراسة القراء أن يعرفوا اسم الشاعر . ومن عرفه وكتب الينا اسمه في خلال شهر بعد صدور هذا الجزء جعلنا لهُ جائزة كتاباً أدبياً من أفضل الكتب التي ظهرت حديثاً وعليه توقيع الشاعر بخط يده

نظرت اليهـا نظرة فتأثرت	وبان على الخدين من نظرتي أثَرْ
ولما تراءى الوجد بيني وبينهـا	مددت له ستراً من الرأي فاستترْ
وقد كدت أنسى كبرتي فاد كرتها	وراجعت نفسي أن يراجعها الصغرْ
تضن بها النعمى وتبذلهـا المنى	وتنأى بها السلوى وتدنو بها الفكَرْ
فيجذبني وجدي وتدفعني النهى	وينهضني شوقي ويقعدني الكبر
أرى في ديارات الأحبـة أوجهاً	فأطلب اغضاءً فيسبقني النظر
يلمُّ بهـا يشتار منهـا محاسناً	كذا النحل يشتار العسول من الزهر
وكم ليَ في الالحاظ سرًّا مكتماً	ينمُّ عليه آثنان شعريَ والحوَر
مضى زمن اللهو الذي لست ساخطاً	على ما مضى منهُ وذا زمن العبر
فأسكتني ما أسكت الورق في الدجا	وأنطقني ما أنطق الورق في السحر
كلانا له ان ردد النوحَ سامعٌ	فتسمعني كتبي ويسمعها الشجر
تمنت قلوب ان أكون دخلتها	ولاغرو لكن آفة الورد في الصدَرْ

منشئ المجلة

انطون الجميّل



المدير المسؤول

امين تقي الدين

الجزء الثاني   ابريل (نيسان) ١٩١٢   السنة الثالثة

الكهانة

اذا كان سعادة اسكندر عمون بك من مشاهير رجال القانون فهو ايضاً من كبار الكتاب العارفين آداب اللغة كل المعرفة . واذا كان اشتغالهُ بالقضاء فالمحاماة قد صرفهُ عن معالجة المواضيع الكتابية ، فان له في عهده الأول آثاراً ادبية تدل على تمكنهِ من صناعتي النظم والنثر . ولقد ظفرنا ببعض تلك الآثار وسننشرها بادئين بالفصل التالي وقد كتبهُ حضرته منذ نحوٍ من خمسٍ وعشرين سنة وهو مقتبس من موادٍ كثيرة كان سعادته قد اعتنى بجمعها واعدادها لوضع كتابٍ مطوّل في تاريخ العرب قبل الاسلام :

الكَهانة في اللغة القضآء بالغيب . والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الاسرار . وقد اختلف العلماء في وجه سبب الكهانة ؛ فمنهم من قال ان نفس الانسان اذا صفت وتغلَّبت على الجسم ، اطلعت على أسرار الطبيعة . ولذلك كان اكثر الكهّان معتلّي الاجسام ، بتغلب النفس فيهم على المادة ، كما اتصل بنا عن « شقٍّ » و « سطيحٍ » و « عمرانَ » وغيرهم من الكهان المشهورين .

ومنهم من قال : انّ وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكيّ ؛ ولعلّ ذلك خاص بالمنجمين دون غيرهم من الكهان . ومنهم من قال : ان للكاهن تابعاً من الجنّ ، ورئياً يلقي اليهِ الاخبار . وهو القول المشهور عندهم ، المعتمد في الاسلام . وقد جاء في صحيح البخاري عن النبي : أن الملائكة تحدث في العِنان (أي الغمام) بالأمر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرّها في أُذُن الكاهن ، كما تقرّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة . وقال الله في كتابه : يوحي بعضهم الى بعض زخرفَ القول غروراً . وقال : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم (الآية) . وقال الازهري : كانت الكهانة في العرب قبل مبعث رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ؛ فلما بُعِثَ نبياً وحرست السماء بالشهب ، ومُنعت الجن والشياطين من استراق السمع والقائهِ الى الكهان ، بطل علم الكهانة . وقال الله في كتابه : وانّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً

وكان للكهانة في الجاهلية شأنٌ عظيم لشدة اعتقاد القوم بها . فكان الواحد منهم اذا ضلّت له ضالة ، أو سرِق له شيء ، أو همّ بأمرٍ ذي بال أو أُصيب أحد من أهله بمرضٍ ، يذهب الى الكاهن فيستطلع منهُ ما يحبّ الوقوف عليهِ من مكان الضالة ، أو محل السرقة ، أو مآل الامر ، أو دواء المريض . وكانوا يقصدون الكهان بنوع أخصّ لأجل تفسير الاحلام المؤثرة ، لأنهم كانوا يعتقدون انها نبأ روحاني عما سيقع لهم من الأمور الخطيرة في مستقبل الزمان . وكانوا يحترمون أقوال الكهان فيما يسألونهم عنه ، فلا يخالفون لهم رأياً . وكان الكهان يتوخون السجع

في كلامهم ، لانهُ أوقع في النفوس ، فيستصغون الى أقوالهم الاسماع ، ويستميلون بها القلوب . . . أقول : وربما كان الغرض الاول من التزام السجع ترك الكلام مبهماً غامضاً ، لانَّ المتكلم اذا التزم في كلامهِ قافيةً ، سواء كان الكلام نظماً أو نثراً ، يباح له من الإبهام في أقواله ما لا يباح لغيره . وكل متكهن محتاجٌ الى ذلك الابهام

وقد اشتهر في الجاهلية عدد من الكهان ، أكثرهم في بلاد اليمن . فكان العرب يقصدونهم من أطراف البلاد لاستطلاع الغيب منهم في الأمور العظام ، غير معتمدين في ذلك على الكهان الذين بين ظهرانيهم . ثمَّ اذا صدَّقت الحوادث شيئاً من ظنونهم ، وصحَّ شيء من أقوالهم ، تناقلت الالسنةُ الخبر ، وزادت عليهِ الرواة من الحكايات المختلفة أضعاف أضعاف الحقيقة ، فتزداد بذلك شهرتهم . وربما نسبوا اليهم أموراً في أزمنة لم يكونوا موجودين فيها ، كما نسبوا الى سطيح الكاهن أنهُ أنذر باستيلاء الحبشة على اليمن قبل الاستيلاء بسبعين سنة . ثم أوّل رؤيا الموبذان بعد مولد النبي . ولذلك اقتضى الامر ان يجعلوا عمره نحواً من ثلثمائة سنة . وقد عنَّ لقوم أن يجعلوا مولدهُ قبل ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ، لكي تتفل هذه الكاهنة في فيهِ ، فينتقل اليهِ علمها ولذلك اضطروا أن يمدوا عمره الى ستة قرون أو أكثر

و « سطيح » هذا أشهر كهان الجاهلية . ثم يليه « شقّ » وكانا متعاصرين . وممن اشتهر قبلهما ظريفة الخبر كاهنة عمرو مزيقياء ملك اليمن الذي تفرقت الازد في عهده بسبب سيل العرم ؛ وعمران الكاهن أخو

عمرو المذكور؛ وعمران هو أوّل من رأى في كهانته أن قومه سوف يمزّقون كل ممزّق ، ويباعد بين أسفارهم . ثم رأت طريفة في كهانتها نبأ السيل، فانذرت عمرواً . ومن الكهان الذين اشتهروا في آخر زمن الجاهلية سملقة وزوبعة وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة وسديف بن هرماس ، وغيرهم ممن يضيق بنا المقام عن ذكر أخبارهم

ولنذكر هنا شيئاً من أخبار « سطيح » الكاهن على سبيل الانموذج والمثال ، لا سيما وأنهُ كان عند القوم بمنزلةٍ صيّرتهُ امام الكهانة ، فاصبحت أخباره جزءاً من تاريخ الكهانة نفسها

قالوا : هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي ابن مازن بن غسان ، وسمي سطيحاً لعجزه عن القعود والقيام ، فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الارض ؛ ولما كان ذلك الرجل عجيباً عندهم في كهانتهِ، اقتضى الامر أن يكون كل شيء متعلق بهِ عجيباً أيضاً . فكما انهم زعموا ان شقاً كان نصف انسان ، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ؛ كذلك زعموا انهُ لم يكن في جسم سطيح عظم سوى الجمجمة ؛ ولذلك كان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب . وقالوا ان الجمجمة نفسها كان يلين عظمها اذا لمست باليد وانهُ كان اذا غضب اشتدت أوصاله فينتصب قاعداً ويبقى كذلك الى ان تسكن سورة غضبه . وقد ذكرنا أقوالهم في طول عمرهِ . وقد زعموا انهُ خرج مع من خرج من اليمن في أيام سيل العرم ومات في أيام كسرى أنوشروان

وأوّل ما تكهن بهِ سطيح انهُ كان نائماً مع اهلهِ في ليلة سماكية

مظلمة ، فاذا هو قد زعق من بينهم ورنّ وتأوّه وقال : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطرقنَّكم ما طرق . قالوا : ما طرق يا سطيح . قال : ما طرق الاّ الأجلح ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولاهم فيه دح . قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح . قال : امر بسد النقرة ذو حبة في الوجرة وحرّة بعد حرّة ، في ليلة قرّة . فلم يكترثوا لقوله ، وتعاصفت مدود من أودية هنالك ، فجاءتهم في ليلة قرّة كما ذكر ، فساقت الانعام والمواشي وكادت تذهب بعامتهم

ومن اشهر ما يروى عن سطيح تأويله رؤيا ربيعة بن نصر ملك اليمن اذ أنذرَ باستيلاء الحبشة على بلاده . وذلك ان ربيعة رأى رؤيا هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من اهل ملكه الاّ استدعاه اليه ، فلما اجتمعوا في داره قال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بها وبتأويلها . فقالوا قصّها علينا نخبرك بتأويلها . قال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئنّ الى خبركم عن تاويلها انه لا يعرف تأويلها الاّ من عرفها قبل ان اخبره بها . فقال له رجل منهم إن كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق اذ ليس احد اعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه . فبعث الملك اليهما . فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له : اني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت تأويلها . قال : أفعلُ . حُمَمَه ، خرجت من ظلمه ، فوقعت بارض تَهمَه فأكلت منها كل ذات جمجمه . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنَش ،

ليَنزلنّ ارضكم الحبش ، وليملكنّ ما بين أبين الى جرش . فقال له الملك وأبيك يا سطيح ، ان هذا لنا لغائظ موجع فتى هو كائن أ في زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين . قال : أ فيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم ؟ قال : يليه أرِم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم احداً باليمن . قال : أ فيدوم ذلك من سلطانه او ينقطع ، قال : بل ينقطع ، قال ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي يأتيه الوحي ، من قبل العلي . قال : وممن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن مالك بن فهر بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أ حق ما تخبرني ؟ قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتم ما قال سطيح لينظر أ يتفقان ام يختلفان قال نم رأيت حممه نخرجت من ظلمه فوقعت بين روضة واكه فا كلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الاّ ان سطيحاً قال وقعت بارض تهمه ، فأكلت كل ذات جمجمه . وقال شق وقعت بين روضة واكمه فا كلت منها كل ذات نسمه . فقال له الملك ما اخطأت ياشق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟ قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلنّ ارضكم السودان ، وليغلبن على كل طَفلة البنان وليملكن

ما بين أبين الى نجران . فقال له الملك وأبيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فتى هو كائن أفي زماني ام بعده ؟ قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم اشدّ الهوان قال ومن هـذا العظيم الشأن قال غـلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي يزن قال أ فيدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين اهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال يوم تجزى فيه الولات تدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس ليوم الميقات؛ يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول ؟ قال اي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما انبأتك لحق ما فيه أمض

وروى الأزهري باسناده عن مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيـهِ قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ارتجس ديوان كسرى وسقطت منهُ اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك مائة عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلاً صعاباً تقود خيلاً عِراباً قد قطعت دِجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح كسرى أفزعهُ ما رأى فلبس تاجه وأخبر مرازبته بما رأى ، فورد عليهِ كتاب بخمود النار . فقال الموبذان وأنا رأيت في هذه الليلة وقصَّ عليهِ رؤياه في الابل . فقال له وأي شيء يكون هذا ؟ قال حادث من ناحيـة العرب فبعث كسرى الى النعمان بن المنذر أن ابعث اليَّ برجل عالم ليخبرني عما أسأله . فوجه اليهِ بعبد المسيح بن عمرو بن نُفيلة الغساني ، فأخبرهُ بما

رأى فقال : علمُ هذا عنـد خالي سطيح قال : فأتهِ وسلهُ وأتني بجوابهِ .
فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت فأنشأ يقول :

أصمّ ام يسمع غطريف اليمن　　ام فادَ فازلمّ بهِ شأو العنن ؟
يا فاصل الخطة أعيت مَن ومَنْ　　أتاك شيخ الحيّ من آل سنَنْ
رسول قيل العُجم يسري للوسَن　　وأُمه من آل ذئب بن حجَنْ
ابيضُ فضفاضُ الرداء والبدَن　　تجوب بي الأرضَ علنداةٌ شزَن
ترفعني وجناً وتهوى بي وجَنْ　　حتى أتى عاري الجآجي والقطَنْ
لايرهب الرعدَ ولا ريب الزمن　　تلفُّهُ في الريح بوغاء الدمَنْ
كأنما حُثحِثَ من حضني ثكَنْ

قال . فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبد المسيح على جمل مُسيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان، وخمود النيران ورؤيا الموبذان. رأى ابلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبُعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عـدد الشرفات ، وكل ما هو آتٍ آت . ثم قبض سطيح مكانه . فكان ذلك آخر ما تكهّن بهِ ونهض عبد المسيح الى راحلتهِ وهو يقول :

شمّر فانك ما عُمّرت شمّيرُ　　لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
ان يمس ملك بني ساسان أفرطهم　　فان ذا الدهر اطوارٌ دهاريرُ
فربما ربما أضحوا بمنزلةٍ　　تخاف صولهم اسدٌ مهاصيرُ
منهم اخو الصرح بهرام واخوتهم　　وهرمزانٌ وسابورٌ وسابورُ

والناس اولاد علاّتٍ فمن علموا أن قد أقلّ فمهجورٌ ومحقورُ
وهم بنو الأم لمـا ان رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان في قَرَنٍ فالخير متّبعٌ والشرّ محذورُ

فلما قدم على كسرى اخبره بقول سطيح فقال كسرى : الى ان يملك منا اربعة عشر ملكاً تكون امور . فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى زمن عثمان . وكان من أمر انقلاب دولتهم ما كان (١)

اسكندر معلوف

نابوليون الأول وحرب روسيا

وضع الكونت لاون تولستوي، الكاتب الروسي المشهور، كتاباً تحت عنوان « نابوليون وحرب روسيا » وصف فيهِ فظائع تلك الحرب الهائلة بأسلوبٍ انتقادي خطّأ فيهِ مزاعم معظم المؤرخين الفرنسيس والروس الذين أسهبوا في الكلام على تلك الحرب ، وسفّه آراءهم من مثل ايجاد مؤرخي الفرنسيس أعذاراً لعاهلهم تنصّلهُ من تبعة تلك الحملة التي هلكت فيها مئات الالوف من البشر ، وانفقت في سبيلها القناطير المقنطرة من المال ، ومثل ادعاء مؤرخي الروس ان قيصرهم وقادة جيوشهِ تمكنوا بدهائهم من القاء الفرنسيس في تلك الورطة التي فغرت فاها وابتلعتهم . ولما كان تولستوي ينظر الى نابوليون بغير المقلة التي ينظر بها اليهِ السواد الأعظم من بني الطينة ، أحببنا ان ننقل لقراء « الزهور » الكرام الفصل الاخير من الكتاب المذكور وننشره لهم على علاتهِ ، فاسحين على صفحات هذه المجلة مجالاً لأقلامهم

(١) لهذا الفصل بقية سننشرها في الجزء الآتي مع فصولٍ اخرى كتبها عمون بك في مباحث شتى عن العرب قبل الاسلام كما أشرنا الى ذلك

لعلهم يتحفوننا بما يعنُّ لهم من الملاحظات في الموضوع الذي نحن في صدد الكلام عنهُ . قال تولستوي :

﴿ نابوليون واسكندر الأول ﴾

اذا جارينا المؤرخين في ان الرجال العظام يسيرون بالانسانية الى غايات معلومة ، وأن الموازنة الأوروباوية ، وانتشار الافكار الثورية ، وعمران البلدان وغير ذلك من الأغراض تتعلق بعظمة الدولتين الروسية والفرنساوية ، تعذَّر علينا والحالة هذه ان نفسّر معاني الحوادث التاريخية دون ان نجعل للصدفة والدهاء شأناً فيها

ولو كانت الغاية من الحروب الأوروباوية التي شبت نيرانها في مفتتح هذا القرن (التاسع عشر) اعلاء شأن الدولة الروسية لكان من الممكن ادراك تلك الغاية بغير الحروب التي سبقتها وبغير تلك الغزوة

ولو كانت عظمة فرنسا هي الضالة المنشودة لكان من المستطاع اصابتها بغير الثورة والامبراطورية

ولو كان الغرض الذي يرمون اليهِ نشر الافكار الثورية لكانت الكتب أسهل منالاً له من الجنود

ولو كان رفع منار العمران هو الحاجة التي يطلبونها ، لسهل عليهم قضاؤها بذرائع أنجع من اهلاك عباد الله ونهب أشيائهم

ولماذا جرت الحوادث في هذا المجرى ، ولم تجرِ في غيره ؟

ان التاريخ يجيب ان الصدفة أوجدت الحالة ، فاستفاد منها الدهاء

ولكن ما هي « الصدفة » وما هو معنى لفظة « دهاء » ؟

ان كلمتي صدفة ودهاء لا تعبّران عن شيء موجودٍ في الحقيقة . وهذا هو السبب الذي يجعل تحديدهما متعذّراً

فهما لا تدلاّن الاّ على طريقة واحدة يستعان بها على ادراك حقائق الأمور . اني أجهل مثلاً سبب هذا الحادث ، ويجري في وهمي اني أعجز عن فهمهِ ، ومن جراء ذلك لا اعالج الوقوف على كنههِ ، فأقول ان الصدفة هي التي أوجدتهُ

اني أرى قوةً تنتج عملاً لا ينطبق على صفات البشر المألوفة ، وحين تصعب عليّ معرفة سبب تلك القوة ، أقول ان هذا ضرب من ضروب الدهاء

ان الخروف الذي يضعهُ الراعي كل مساء في حظيرة خصوصية ، ويقدّم له طعاماً زائداً ، يفوق من جراء ذلك رفاقهُ في السمن ، ويبين لأولئك الرفاق انّ في أمرهِ شيئاً من الدهاء ، على ان الحقيقة هي ان ذلك الخروف ، بدلاً من ان يدخل كل مساء الحظيرة العمومية مع رفاقهِ يفرز في حظيرة خاصة يقدّم له فيها العلف . وحين يسمن ذلك الخروف ، ينحر ويباع للجزار ، فيؤثر ذلك الأمر في باقي الغنم ، ويبين لها انهُ نتيجة من نتائج الدهاء المقرون بسلسلة من سلاسل الصدف الغريبة

ولو لم تعد الغنم تعتقد ان كل ما يجري يرمى بهِ الى غاياتٍ تتعلق بها دون سواها ، ولو زعمت ان الحوادث الطارئة تجري الى غاياتٍ تجهل حقيقتها ، لتجلت لها للحال وحدةٌ في العمل ، وتعاقب منطقي في كل ما يطرأ على الخروف الذي يُسمّن

ان الغنم وان لم تكن تدرك الغاية من تسمينهِ ، تدرك انهُ لم يحدث

شيء من الذي حدث للخروف من باب البداهة ، ولا تحتاج الى تفسير معناهُ الى الالتجاء الى الصدفة أو الى الدهاء . انّا لا نكتشف في حياة الاشخاص المذكورين في التاريخ تماقباً منطيقياً للحوادث التي تقتضيها الضرورة الآحين نعرض عن معرفة غاية الاشياء الاخيرة باعترافنا ان فهمنا يقصر عن الوصول اليها . فحينئذٍ يتجلى لنا سبب التفاوت بين أعمالهم ومقدرة الاشخاص العاديين ولا نعود محتاجين البتة الى الاعتقاد بكلمتي صدفة ودهاء . وبناءً عليهِ نقول انهُ يكفينا أن نعتقد انا نجهل الغرض من حركات الشعب الاوروباوي وانا لا نعلم الاّ الحوادث الناشئة عن المجازر التي جرت في فرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا وان الداعي لتلك الحوادث هو زحف الشعوب الغربية على الشعوب الشرقيـة وبالعكس أي زحف الشعوب الشرقيـة على الشعوب الغربية . وحسبنا الاعتقاد بهذه الأمور حتى لا نعود نجد شيئاً من الدهاء والشذوذ في صفات نابوليون واسكندر الاول ولا نعود نعتبر ذينك العـاهلين الاّ رجلين مثل سائر الرجال ولا نعود فقط محتاجين الى ان نفسر بالصدفة معنى الحوادث الصغيرة التي صيرت ذينك الرجلين في الحالة التي كانا عليهـا بل يتضح لنا بجلاء ان تلك الحوادث الصغيرة لم يكن بدٌّ منها

وحين نهمل امر المسير الى الغاية النهائية ندري انهُ كما يتعذر وجود ازهار وبذور لنبات من النباتات غير الازهار والبذور التي لهُ، يتعذر وجود شخصين من الاشخاص الذين ينوه عنهم التاريخ يستطيعان على مثال الاسكندر الاول ونابوليون من مفتتح حياتهما الى مختتمها ان ينهضا كل

النهوض باعباء المهمة الملقاة مقاليدها اليهما

ان السبب الاصلي للحوادث الاوروباوية في فاتحة هذا العصر منشأهُ الحركات الحربية التي اجرتها في بدء الامر الشعوب المحتشدة للزحف من الغرب على الشرق وفيما بعد من الشرق على الغرب

كان بدء هذه الحركة في الغرب وكانت الامور الآتية تدعو الشعوب الغربية الى الاغارة على الديار الروسية والتوغل فيها حتى موسكو :

١ً ان تلك الشعوب كانت متكاتفةً تكاتفاً حربياً يمكنها من تلقي صدمة مجموع الشعوب الحربية الشرقية

٢ً انها نبذت كل تقاليدها وعاداتها

٣ً انها كانت تأتمر لاجراء تلك الحركة الحربية بأمر رجلٍ تمكن من تزكية نفسهِ وتبرئة ساحتها باستعاذتهِ بالكذب والنهب والقتل لادراك غايتهِ . ان الثورة الاصلية الصغيرة المنتمية الى الثورة الفرنساوية الكبرى تبددت من جراء صغرها . وتغيرت التقاليد والعادات فتألفت شيئاً فشيئاً جماعة جديدة ونشأت معها تقاليد وعادات جديدة وفي ذلك الوسط نهض للاضطلاع بمهمتهِ الرجل الذي ساقتهُ الاقدار يوماً من الايام الى ترأُس الحركة وحمل اعباء مسئولية الحوادث التي توالت . ان ذلك الرجل الذي لم تكن لهُ مبادئ ولا عادات ولا تقاليد ولا اسم والذي لم يكن فرنساوياً هادنتهُ الاحداث مهادنةً غريبة وعرَضية فنال ما وصلت اليهِ يدهُ في أول الأمر وتدخل مع جميع الاحزاب التي كانت تلقي الشقاق في فرنسا دون أن يعتصم بحبل واحدٍ منها وكان من أمرهِ انهم رفعوهُ الى أعلى درجة

ان جهل المحيطين بهِ وضعف خصومهِ وعدم الاعتداد بهم واخلاصه في الكذب وضيق دائرة عقلهِ الذي تكتنفهُ الدعوى دفعت ذلك الرجل الى تولي زعامة الجيش

ان حسن الانتظام في جيش الحملة الايطالية وما أبداهُ العدو من الرغبة عن القتال وثقة ذلك الرجل بنفسه وجرأته الوهمية كانت مرقاة الى مجدهِ العسكري . وقد رافقتهُ في كل شيء صدف سعيدة على زعم البعض

وكان أولياء الامور في فرنسا ينظرون اليهِ شزراً الاَّ ان تلك المعاملة كانت مساعدةً لهُ على نيل رغائبهِ

ان المساعي التي بذلها لتغيير الخطة التي توخى انتهاجها احبط الواحد منها بعد الآخر، فالدولة الروسية أبت أن تدخلهُ في خدمتها والدولة العثمانية نبذت ما كان يعرضهُ عليها من الخدمة

وفي حرب ايطاليا كان غير مرةٍ الخطر أدنى اليهِ من قاب قوسين بيد ان احوالاً غير منتظرة كانت تخرجهُ من تلك الورطة الوبيلة

ان الجنود الروسية التي كانت قادرة على تقويض أركان مجدهِ بجميع أنواع التدابير السياسية لم تطأ أوروبا بأقدامها مدة بقائه فيها

ولدن رجوعه من ايطاليا وجد الحكومة الفرنساوية في حالة من الانحلال تقضي على الاشخاص المتألفة منهم بأن يتواروا أو يهلكوا . فكأنَّ الخروج من تلك الحالة المصحوبة بالخطر على نابوليون قد عرض من غير سعيٍ ولا تمهيد وكان ذلك الأمر عبارة عن حملتهِ الى أفريقيا وهي حملة لا محل لها من الاعراب تدلُّ على الحماقة

وعادت الصدفة الى خدمته بنوع عجيب فان مالطة المعتبرة منيعةً جداً استسلمت اليهِ بغير حربٍ وان عزائم نابوليون التي لم تكن تخلو من التغرير بالنفس كللها النجاح

وترك أسطول العدو أي أسطول الانكليز جيشاً برمتهِ يمرُّ في عرض البحر على انهُ بعد قليل من الحين لم يعد يأذن لمركب وان زورقاً ان يمرّ على متن اللجة

وفي أفريقيا ساق كثيراً من الفظائع الى قوم عزّل على التقريب وكان الرجال الذين أتوا تلك المنكرات وخصوصاً زعيمهم يزعمون ان ما أجروهُ عظيم وجميل وانهم يجنون من أدواحهِ ثمار المجد وان مآثرهم الخطيرة تحكي مآثر قيصر والاسكندر المقدوني

وان تصوراته الوهمية بالمجد والسؤدد التي لم يكن من شأنها فقط الاحجام عن اقتراف الجرائم بل الافتخار بها والنسبة اليها معنى يفوق الطبيعة والتي ستكون هادياً لهذا الرجل ولجميع مريديهِ وأشياعهِ أطلقت حريتها للاستعداد في أفريقيا

وأفضى كل ما عالجه الى الفوز فان الطاعون تجاوزهُ ولم يُعتبر قتلهُ الأسرى جناية تلصق به

وان انطلاقهُ المعجل الوهمي الخالي من السبب والدالّ على النذالة لتركهِ وراءهُ رفاقهُ في حال الضيق عدَّهُ لهُ بعضهم فضيلةً وقد مكّنهُ الاسطول الانكليزي مرة ثانية من النجاة

فحينئذٍ انبهر من تلك الجرائم التي فتحت في وجهه باب السعادة

وانتهى الى باريس دون ان يكون له غاية مقررة . فالحكومة الجمهورية التي كانت منذ سنة من الزمان تقدر ان تهلكهُ كانت في حالة من الانحلال أوصلتها الى شفير الدمار وكان حضور ذلك الرجل الذي لم يكن ينتمي لحزب من الأحزاب مدرجة لارتقائهِ الى مكانة عالية . ولم يكن قد رسم له أدنى خطة بل كان يخاف كل شيء الاَّ ان الأحزاب اعتقدت ان فيهِ نجاتها ولذلك التمست مساعدتهُ

فهو وحده بما كان يجول في خاطره من أوهام المجد والعظمة وما كان يساورهُ من تلك الأحلام في ايطاليا وفي مصر وما كان فيهِ من الاعجاب بنفسهِ والجرأة على ارتكاب الجرائم والاخلاص في الكذب يستطيع ان يحقق تلك الحوادث الموشكة ان تتمّ

وكان هو الشخص اللازم للحلول في المركز الذي كان يتوقعهُ وقد اشترك بغير ارادتهِ ومع فقدان الخطة الواجب الجري عليها ومع ما كان هو عليهِ من التردد ومع ما كان يأتيه من الهفوات في تدبير مكيدة يراد بها القبض على ازمة السلطة فكان الفوز موالياً لهُ

فدفعوهُ الى وسط جلسة كان الديركتوار قد عقدها فذُعر وصمم على الهرب لتوهمهِ انهُ قد هوى الى وهدة العطب فادَّعى انحراف الصحة وفاه بكلمات خالية من المعنى كادت تكون القاضية عليهِ

ولكن الاشخاص الذين كانت حينئذٍ حكومة فرنسا مؤلفة منهم وكانوا قبل ذلك الحين كبار النفوس وراجحي الحصاة شعروا في تلك الساعة بأن دورهم قد انقضى وكانوا أشد اضطراباً من نابوليون نفسهِ ففاهوا

بخلاف ما كان يجب عليهم التفوه به للمحافظة على السلطة وخذل المختلس

ان الصدفة او بالحري ملايين من الصدف ساقت اليهِ السلطة وان جميع الناس قد اتفقوا على تثبيت تلك السلطة كأنهم قد تداولوا في ذلك الأمر . ان الصدفة أوجدت ضعف اخلاق اعضاء الديركتوار الذي حملهم على الخضوع لنابوليون

ان الصدفة منحت بولس الأول تلك الاخلاق وجعلتهُ يعترف بسلطة نابوليون

ان الصدفة كادت لهُ تلك المكيدة التي ثبتت صرح سلطتهِ بدلاً من ان تنقض دعائمها

ان الصدفة اسلمته البرنس « دنفين » ومكنتهُ من الفتك بهِ بنوع لم يكن منتظراً وقد برهن هذا العمل اكثر من سواهُ للملإِ طرّاً ان لنابوليون الحق باجرائهِ لان القوة بجانبهِ

ان الصدفة جعلتهُ يستنفد الميسور لتأليف حملة على انكلترا وهو مشروع يؤول الى هلكتهِ ويتعذر وضعهُ موضع الاجراء بيد انهُ وقع على غير انتظار على « ماك » والجيش النمساوي الذي استسلم من غير ما حرب ولا قتال

ان الصدفة والدهاء جعلاه ُينتصر في أوسترليتز وقد اعترفت بالصدفة جميع الأمم وأوروبا بأسرها ما عدا انكلترا التي لم تشترك في الحوادث الموشكة أن تجري مع ما كانت جرائم نابوليون تثيرهُ في أفئدتها من النفور والفظاعة بسلطتهِ واللقب الذي انتحلهُ لنفسهِ وأوهام المجد والعظمة

التي كان جميع الناس يجدونها جميلة ومعقولة

وكانت قوات الغرب التي كان يبين انها تتهيأ لاجراء حركة في المستقبل تعظم وتتثبت أركانها بعد ان كانت قد رمت بأنظارها غير مرة الى الشرق في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٦ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩

وسنة ١٨١١ اتحدت العصابة التي تألفت في فرنسا مع شعوب الوسط وانشأت مجموعاً هائلاً

وكان مع تعاظم ذلك المجموع يتعاظم تبرئة ذلك المترأس عليهِ من تبعة المسئولية

وكان ان ذلك الرجل في خلال السنوات الست التي جرى فيها الاستعداد للحركة العظيمة تولى الملاقات مع جميع عمال أوروبا وملوكها وأمرائها . وان الاقيال الذين فقدوا تيجانهم لم تكن أوهامهم المعقولة مما تقاوم بهِ الاوهام غير المعقولة التي ابتدعها نابوليون لنيل العظمة والمجد . وقد بادر الواحد منهم بعد الآخر ليبينوا لهُ انهم ممن لا يُعتَدُّ بهم

وأرسل ملك بروسيا زوجتهُ الملكة الى ذلك الرجل العظيم طمعاً بنيل الحظوة لديهِ واعتبر عاهل النمسا ان ذلك الرجل يوليهِ نعمةً كبرى باقترانهِ بابنتهِ وجعل البابا حارس القداسة في البشر الدين قاعدةً لتمثال مجد ذلك الرجل العظيم(١)

الياس طنوس الحويك

---

(١) في الجزء القادم تتمة رأي تولستوي في نابوليون والاسكندر

في رياض الشعر

﴿ لو يُفيد اللهف ﴾

لما نكبت الاستانة في العام الماضي بحريقها تألفت في مصر لجنة لجمع الاعانات للمنكوبين ، وأنفذت ولي الدين بك يكن الى حضرة السريّ الأمثل الخواجه حبيب لطف الله . فوفد عليهِ وليس بينهما معرفة من قبل . حدثنا ولي الدين قال : « تلقّاني ذلك الشيخ الجليل على الرحب والسعة وأدناني منهُ . ثم أعلمتهُ بحاجتي فانبسطت لها نفسه وجاد بخمسين جنيهاً مرتاحاً الى تلك الغاية النبيلة » فأبقت هذه المقابلة أثراً طيباً في نفس الشاعر حتى اذا فجع الخواجه لطف الله بزوجتهِ في الشهر الماضي ، رثاها بالأبيات الآتية وانما يذكر الانسان بحسناته :

بكتكِ عيونُ العلى ونأح عليكِ الشرَفْ
لحى الله هـذا الرَّدى فأيَّ الشموس كسفْ
أيعلمُ مـاذا جنى أيعرفُ ماذا اقترفْ ؟
ألا تلفتْ مهجةٌ حمتْ مُهجاً من تَلفْ
ألا جلَّ فيهـا الأسى ألا عمَّ فيهـا الأسفْ
بكى الناس جوداً مضى وكان يحاكي السَّرَفْ
تُكتّمهُ جُهدَهـا ويعرفهُ من عَرَفْ
بهِ كَلفتْ دهرَهـا فزادَ ونعم الـكلفْ
تواضعُ في عزّهـا وأترابُهـا في صَلفْ
وما حلَّ لطف الإلـــهِ ذا القلب الاَّ لَطَفْ
فكمْ لبكيٍّ رثى وكم لأسيٍّ عطفْ
لقـد شَرُفَتْ بالسَّلَفْ وقد شرُفَتْ بالخلَفْ

وما ترفتْ نعمـةً　　وان نشأتْ في الترَف
أُفيضَ عليهـا الثنا　　ففاضَ الى أن وكَفْ
ولو أنهـا كفكفتْ　　ثناء الورى ما استكفْ
تخالفَ في غيرهـا　　ولكنَّ فيهـا ائتلفْ
فصار لهـا كالحلى　　وباتَ لهـا كالتُّحَفْ
وما الوصفُ مدحاً إذا　　جرى الصدقُ فيما وَصَفْ
أيا دُرَّة المجـد قد　　رجعت لجوف الصدَف
فلهفاً افتقدك لو　　يُفيـدُ عليك اللهفْ

ولي الدين يكن

﴿ إلى شاعر الأمير ﴾

هذه هي القصيدة التي وعدنا بنشرها وبها يقرظ شاعرها المجيد قصيدة شوقي بك التي يقول في مطلعها :

العـام أقبل قم نحيّ هلالا　　كالتاج في هام الوجود جلالا

ويرى القراء في ختامها ان « شاعر الفيحاء » قد شاء مساجلة « شاعر النيل » فاذا رأى اميرُ الشعراء ان يفعل فمن حسن حظ الأدب وقراء الزهور :

حلّق فكري في سماء الخيـالْ　　وساحَ في سُوح المعـاني وجالْ
وغاصَ والوجدُ له سائقٌ　　في أبحرِ الشعرِ لجنى اللآلْ
فلم يجدْ أبدعَ من دُرَّة　　قد صاغها «شوقي» بنعتِ الهلالْ
غارتْ لها الشمسُ وخافتْ بأن　　تُعلي على الأيام فضل الليـالْ
يا شمس فاستجدي الهلالَ الضيا　　فإنمـا حالُكِ للعكس حالْ
ألبسهُ « احمـد » في وصفـهِ　　نوراً على نورٍ ففاق المثـالْ

لا تُنكروا من أحمدٍ مُعجزاً … إن قيل سحرٌ فهو سحرٌ حلالْ
سطورُ حسنٍ مشرقاتُ السنا … كأنها بعضُ ليالي الوصالْ
وتارةً تحكي عيونَ المها … سواحرَ الدلِّ مواضي النصالْ
آياتها بيّنةٌ للنهى … وقدرُها أرفعُ من أن يطالْ
هيهاتِ ما الاتيانُ من مثلها … بسورةٍ الأّ ورا الاحتمالْ
تظهرُ من أحرُفها هيبةٌ … تشخصُ الضرغامَ وسطَ الدحال
فلو تحدّى في البرايا بها … داست على هام النهى بالنعالْ
هذا هو الشعرُ الذي تعتلي … بمثل شأواهُ معالي المقالْ
في كل شطرٍ منهُ ثغرٌ غدا … يفترُّ عن نظمِ اللآلىء الغوالْ
وكلُّ بيتٍ حلَّه « يعربٌ » … مطنّباً فوقَ الدراري العوالْ
فصاحةُ البدو على لفظهِ … تسيل كالماء النمير الزلالْ
أما مغازيهِ فكم سلسلتْ … بلاغةً فيها يهيمُ الخيالْ
سهلٌ على الأفهام لكنهُ … ممتنع ان يُنتحى بالنضالْ
فيهِ مع الرقّةِ روحٌ وما ال … أرواح بالتقليدِ مما ينالْ
يُعجزُ من جاراه مهما ارتقى … فضلاً لمن حاولَ نيلَ المحالْ
وجاذبُ الحسنِ لعمري لهُ … معنىً يراهُ الذوقُ فوقَ الجمالْ

٭٭٭

فيا أميرَ الشعر مهلاً فقد … سلبتَ واللهِ شعورَ الرجالْ
كم لك من عذراء فكرٍ زهتْ … كالروضِ وافي الزهر ضافي الظلالْ
فتنتَ أهل الشام في حسنها … وفخرُ وادي النيل فيها استطالْ
رقّت فكانت كنسيم الصبا … إذا تلويتها على الغصنِ مالْ
إيجازُها رحبُ المعاني على … زهوٍ كغمز اللحظِ من ذي الدلالْ

وجوهرُ الالطاب منها جلا ... عقودَ أجياد بها النور قالْ
اذا العقول العشر أبصرنها ... أصبحنَ من دهش بها في عقالْ
«والملك الضلّيل» لو رامها ... مُعارضاً لم يجنِ الآ الضلالْ
خفّت على السمعِ وكم ضمّنت ... معنىً بهِ استنزرت رسوخ الجبالْ
لهُ على الألباب مع لطفهِ ... كالراح سلطانٌ عظيمُ الجلالْ
يخالهُ الطبعُ على أنسهِ ... ليثاً تبدّى من كناسِ الغزالْ
لذا تراني مضمراً رهبةً ... ورغبتي تدفعني للسؤالْ
أودُّ ان تجريَ ما بيننا ... رسائلُ الشعر بملء السجالْ
وان يكن ثمّة فرقٌ فقد ... تُشبَّهُ البيض ببيض الرآلْ
وقصديَ الفخرُ فما أدّعي ... أنيَ من فرسان هذا المجالْ
بل اجتلي نهجَ ابتداعٍ بهِ ... ملائكُ الشعر عليكم عيالْ
انير فكري باحتكاك الضيا ... ما يُظهرُ الافرندَ غيرُ الصقالْ
فإن اجبتم فهو لطفٌ وما ... للُطفِ عن أهليهِ قطُّ انفصالْ
وما عليكم حطةٌ انما ... تواضعُ العالين عين الكمالْ

عبد الحميد الرافعي

﴿ رُسُل الثغور ﴾

وما شُربنا «الدخان» عيبٌ وانما ... قصدنا بهِ معنى قفوا وتأملوا
أدرناهُ فيما بيننا فلعلّنا ... الى ثغرِ مَن نهوى بهِ نتوصلُ

نجيب زلزل

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الثامنة

من توماس هود الى روح مس كليانسي

(توماس هود شاعر من أبلغ شعراء الانكليز عاش في النصف الأول من المئة التاسعة عشرة . توفيت أمه وتركته طفلاً لعناية رابّه فنشأ رقيق الاحساس شديد التأثر حتى بلغت به رقة الشعر حد الجنون . وكان يهوى فتاة جميلة تدعى مس كليانسي عاهدها على الاقتران ولكن فرط الديون التي كان يُطالب بها الجأته الى الفرار من انكلترا فلم يرجع اليها الاّ بسبب موت حبيبته . وقد كتب اليها الرسالة الآتية على أثر موتها ونظم فيها قصيدة هي من أرق ما تصوره شاعر في هذا الموضوع)

أيتها الروح الطاهرة :

لستُ أعلمُ أين أنتِ الآن ، وأين مقرُّكِ من عالم الأبدية . لعلك ترفرفين بأجنحتكِ الذهبية في هذا الفضاء اللانهاية له ، وتتنقلين بين كواكبهِ السابحة ، كما تتنقلُ الفراشة في الحقول . وسواء كنتِ مستقرّةً في رحبتهِ أو محلّقةً في فراغهِ ، فلا شك انكِ ترين عالمنا هذا أقلّ مما ترى النسرُ النملة من علوهِ الشاهق ؛ وتتذكرين ايامكِ القليلة على هذه الارض السابحة معكِ في فراغٍ غير مدركِ الحدود

فان كنتِ ، وأنتِ خالعة ثوب الهولى ، قد نسيتِ ايامَ كنا نجلس معاً على شاطئ تلك البحيرة الهادئة ، فأنا لا أنسى تلك الايام السعيدة ،

بل أذكر كيف كنا نحبسُ شفاهنا عن النطق لتتكلمَ القلوبُ ، ونحدق بأبصارنا في الأفق لنتفرّغ أكثر للتأمل في الحب . ولقد اذكرتني بكِ اليومَ مفكراتي التي ولعت بتدوينها منذ حداثتي ، وقد كان بودي لو بقيت ذكرى الماضي دفينةً في الفؤاد لأن في عودتها الى البال فتحاً لجروحٍ لا تقبل الاندمال

أيتها الروح الطاهرة . سلامُ الله عليكِ ، كلما خفق جناحاكِ وخفق معهما فؤادي لذكراكِ ! سلام الله عليكِ ، كلما برزت الشمس من وراء الأفق تنثر التبر من أشعتها الذهبية ! إنْ كنتِ قد سلوتني ، فان بين جنبيّ قلباً لا ينبض الا لذكراكِ ، ولا يخفق الاّ لخفوق جناحيكِ . وان كان عالم الأرواح قد أنساكِ عالم الهيولى ، فلا كانت الأبدية ولا عالمها ! لأنّ ساعةً واحدة بقربك أشهى من الخلود في فردوسٍ لا تكونين فيهِ . وما الذي يهمني ان طال الخلود أو قصر ، انْ لم تكوني في ذلك العالم الخالد ، كما كنتِ في هذا العالم الفاني ؟

بل انعمي بالاً ، ولتقرَّ عيناكِ بما أنتِ فيهِ من نعيمٍ وهناءٍ ! فحسبي سعادةً ان تتمتعي بما تشتهين . وثقي ان قلبي الذي كان يودُّ لو ترفرفين فيهِ بجناحيكِ لهو فارغ الا من رسمك ؛ وقد دُفن الحبُّ في كل زاويةٍ من زواياه فهو مثقلٌ بيأسٍ تنوءُ بثقلهِ راسيات الجبال

ايهِ أيتها الروح الطاهرة ! ما الذي ترينه في ذلك العالم الواسع من أسرار الحياة ؟ وما الذي شغلكِ عن ذكرى حبنا القديم ، وقد كنتِ ، وأنتِ على هذه الارض ، تصفينه بالخلود ، وتقولين انهُ مستمدٌّ من عالم

لأرواح ، اذ لا بداءة له ولا نهـاية . فاذا صدق قولهم انّ الأرواح تحلق في الفضاء ، فلماذا لا ترفرفين حولي بجناحيكِ ، وتسمعيني ذلك الصوت الرخيم الذي عوّدتني سماعهُ وأنتِ بعد على هذه الارض ؟

سقياً لمواقف ذلك الغرام ، أيتها الروح الطاهرة . قد كنتِ في الحياة خافقةَ الفؤاد ، وأنتِ الآن خافقة الجناحين . وأما أنا ، فلا أزال كما كنت ثابتاً على الولاء ، مقيماً على العهود ، وان كان لي بعد أُمنية في هذه الحياة فهي ان أُمتّع بنظرةٍ منكِ في عالم الابدية ، وأُظللك بجناحيَّ في فردوس البقاء

كثيراً ما أقصدُ الى مثواكِ وأتفرّسُ في تلك الحفرة التي يرقد فيها هيكلكِ الجثماني رقدته الدائمة ، فتضيق الدنيا في عينيَّ وتمثل لي رحبة الفضاء الذي تحلّقين فيهِ أضيق من سُمّ الخياط . ولكم وقفتُ برمسكِ خاشعَ الطرف ، حاسرَ الرأس ، وعواطفي ثائرةٌ في داخلي ، فأرى الحياة حلماً ، والعالم كله مجموعة شقاء . وأنّى للحلم ان يستمرّ نعيمهُ ، اذا انتقلت النفسُ منهُ الى يقظة رائعة ؟

القبر !

هناك ، حيث ينقطع كلُّ صوت ، وتبطل كلُّ حركة ؛ هناك ، حيث تحلّ الهيولى وتنتهي الحيـاة ؛ هناك ، حيث يضيع كلُّ عزاء ، وتقلُّ كل مواساة

ما أتفه الحياة بدونكِ يا كليمانسي كل يومٍ منها أبديةٌ مملّة ؛ والنفسُ لا عزاءَ لها سوى الغد ؛ ولكنّ الغد غامضٌ كأسرارِ الأبدية ، فاذا لاح فجرُه بكيتُ على أمسهِ

نعم ، هي أيامٌ تنقضي يا كليمانسي وما بقي منها أقلُّ مما عبر. ولا بدَّ ان يأتي ذلك الغد الذي تنطوي فيهِ آخر صفحةٍ من العمر ، فيتثاءب القبرُ وأُصغي الى حفيف اجنحتكِ ، والنفس تائقةٌ الى النجاة من اغلال المادة لتحلّق معكِ في فراغٍ لا نهاية له . فمتى يبزغ ذلك الفجر المجيد ؟ إنَّ أحلامنا لم تتحققْ في هذه الحياة ، فهل تتحقق في العالم الآخر ؟ أم تكون الأبدية أقسى من عالم الفناء ، فيمتدُّ بنا الفراق ، وينقطع كل أملٍ من اللقاء.

هوذا أنا أنتظرُ ذلك الغد

فسلام الله الى حين اللقاء ....

نوماس هود　　　　(بقلم سليم عبد الأحد)

شيء عن الفن

كتبتُ في مجلة « الزهور » مقالاً تحت هذا العنوان ، فتفضلت السيدة لبيبة هاشم بالردّ عليَّ مبديةً رأياً غير رأيي . فلم يذهلني ذلك لعلمي أن قيمة الفنون الجميلة في نظر السيدة لبيبة توازي قيمة خرافات العجائز « وقصص الغول وعنقاء بنت الريم » في نظر الفيلسوف الباحث ، فضلاً عن ان حضرتها تسيء الظن في جماعة الفنّيين وربما تحسبهم أعضاء عليلة في جسم المجموع الانساني . فلذا أظنها مستحسنة في سرّها ان يمرّ الطبيب آلته الكهربائية على جسم كل واحدٍ من أفراد هذه الزمرة الخبيثة : زمرة الموسيقيين والمصوّرين والنقاشين والشعراء ، لعلهم يعودون

ن مسارح أحلامهم البليدة الى عالم المحسوس ! ! !

لكنّ شيئاً آخر أذهلني في مقالها ، وهو اتهامي باحتقار العلوم .
امحها الله ؛ نعم قد أتهمتني ! لقد نسبت اليّ أقوالاً لم أرِدْ قولها ، وصوّرتني
بورة جميلة قبيحة (لكنها قبيحة أكثر منها جميلة) في وقت واحد ، اذ
ملتني فتاة « تنظر من سماء أحلامها الذهبية الى عالم الاختراعات العصرية
الا كتشافات العامية نظرة الاحتقار والازدراء » . فتاة غريبة الاطوار ،
ستقلة في دوائر أحلامها ، متكبرة متوحشة مع كثير من البلاهة —
دت لا أعرف نفسي في هذه الصورة ، ولكني لم ألبث ان فكّرتُ في
ن الصديقة الفاضلة تقصد مداعبتي . ولعمري أني أُحبُّ مداعبة يدها
لطيفة وان ظلمت وجارت

*
* *

يتنازع السيادة في عالم الافكار عنصران : العنصر الروحي والعنصر
المادّيّ . فالمادّيون يقولون إن الغنى هو السعادة وان أهمّ واجبات الانسان
و السعي وراء الثروة للتوصل الى السعادة عن طريق التجارة . والروحيون
تقدون أنّ الانسان خلق لغاية أسمى من الغنى ، وان سعادته الحقيقية
لا توجد في التجارة ولا تتأتّى من الأرباح الناتجة عنها ، فيذهبون
بآمالهم الى ما وراء المحسوس متلمسين آثار هذه السعادة التي تذوب
في لقياها الارواح ، باحثين عن الجمال المطلق المقرون بالكمال المطلق ،
هذا هو المحور الذي تتيهُ حولهُ الأنفس الملتهبة بنيران حبّ الجمال وحبّ
الحقيقة . فهذه الفئة (وهي من أعلى طبقات البشر أدبياً) لا تجد حظوى

في عيني صاحبة « فتاة الشرق » الفاضلة . وهي تقول في كل فردٍ من أفرادها انه « يظلُّ مقصراً في معارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ » (واأسفاه عليه ! ! !) ، وانه « يظلُّ بليداً وحيداً بأفكاره يعمل لخدمة نفسه وسرورها فينصرف الى بهرجة الفنون الجميلة ويلجأُ لنظم القوافي في ظلال البنايات الضخمة صارفاً في سبيلها الوقت والتعب جزافاً » (يا للخسارة ! ! !)

يعلم الله أني لا أريد الدفاع عن الفنّ ومحبيه لانه من المستحيل ان يُقنع أحد الطرفين خصمه ، ولو كان محقاً ، ولعلمي ان الحرّية الأدبية مزيّة غالية ، وانّ لكل انسان حريته في اعتقاداته وآرائه . لكني أودُّ أن أستفهم حضرة الكاتبة لماذا يا ترى يظلُّ محبُّ الفن مقصراً في معارفه وشرائعه وآدابه ، كما تزعم حضرتها ؟ ألأنهُ لا يدرس « المكانيك » ، وهل كل الناس يدرسون هذا الفرع من العلوم ؟ ان لكل مخلوقٍ خطة يسير فيها فهو لا يتقن من العلوم الاّ الفرع الذي يستخدمه لقضاء حاجته والسير في خطته

ومع ذلك فاننا نرى معارف محبي الفن تزيد على معارف غيرهم لأنهم يميلون طبعاً الى البحث في كلّ مهمّ مفيد ، والى استكشاف كل جديد

ولماذا يظلُّ الفنيُّ مقصراً في آدابه ؟ ان من أحبَّ شيئاً برهن على ان في روحه جوهراً يشابه جوهر الشيء المحبوب ، ومن أحب الفنّ فقد أحب الجمال والكمال ، لأن الفنّ صورتهما . ففي روح الشاعر اذاً شغفٌ بالجمال وميلٌ الى الكمال ، فهو والحالة هذه أقرب الناس الى

ما هو حسن، والأدب أحسن حسنات الاجتماع . يقول صديقنا روسكن: « ان روح الشرير لا تقدر أن تفهم الجمال والكمال ، بل ان الارواح الجميلة الطاهرة الشريفة تقدرهما حق القدر لانها من أمثالها » . وأودّ أن أضيفَ الى هذا خلاصة ما قرّره علماء الفلسفة الاجتماعية وهو ان العلم شيء والاخلاق شيء آخر . فان لم تصدقني السيدة لبيبة فعليها بكتُب « هربرت سبنسر » وكتب غيره من المفكّرين أمثاله الذين يقولون انّ مفعول العلم والدرس يتجسم في القوى العقلية ، وقد يؤثر أحياناً في الاخلاق لكنه لا يؤثر دائماً

أما قول صاحبة «فتاة الشرق» ان الشاعر يظلُّ بليداً ، فهذه مسألة فيها نظر بل نظران وأكثر . فعليها ببدائع « شوقي » وبتأملات « الخليل » فان هذه وتلك تظهر شيئاً من العظمة والجمال وغيرها من الصفات الباهرة التي تميز روح الشاعر . أما وحدة الفنيّ وميله الى العزلة فان الفيلسوف العصري « ماترلنك » ينبئها عني أن « الأرواح الاعتيادية لا تفهم أسرار العزلة وفوائد مناجاة النفس ، مع ان الانفراد أحياناً رياضة ضرورية للقلب والعقل . وان الروح التي لا تشعر بالاحتياج الى الانفراد هي روح فاسدة » ثم يهتف هذا الفيلسوف نفسه قائلاً مع كارلايل الكاتب الانكليزي : « يا محبي العزلة والصمت ، أنتم ملح العالم ، فان لم تكونوا فيه ، فسد ! » ثم فلتذكر حضرتها أنّ حبّ الذات هو محرّكُ أعمال كل واحدٍ من البشر ، سواء كان شاعراً يقرض الشعر أو فلاّحاً يحرث الارض ، لكن هذه العاطفة الغريزية تظهر في كل انسان مظهراً مختلفاً متغيراً بتفاوت الاطباع

والاميال والمدارك . وقصارى الكلام اني اؤكد للسيدة لبيبة أنَّ حبَّ الفن منحة الهية تخلق مع الانسان وتنمو فيه على التمادي كلما تقدم في السن؛ هي صفة جبلية غريزية لا اكتسابية كالعلوم واللغات والصنائع . هي نفحة من روح الله الأبدية السرمدية . وليس القصد من الفنون البهرجة ، كما تظنُّ حضرتها ، وانما القصد منها تلطيف الشمائر ، وإعلاء الفكر وتجريده عن الدنايا ، ولمس الروح بيد الجمال ودفعها الى ما هو عظيم شريف . القصد منها تهذيب الأميال وإفهام الانسان أنَّ القوى الالهية الراقدة في طيات نفسه تفرض عليه واجباتٍ ، حبها شرف ، والعمل بها مجدٌ لا يضاهى . القصد منها تنوير الافهام وتنبيه العواطف الكريمة في قلبه ، كالشجاعة والمروءة والصدق والحزم والرحمة . ولئن عجبت من قول رسكن « كل شعب يرتقي عنده الفنُّ الى الكمال تسقط مملكته » فلأنَّ هذا الرجل لم يكتب الاَّ لاعلاء شأن الفنّ وتمجيدهِ وتعظيمهِ ، واظهار الخطة التي يجب على كل فنيّ اتباعها . ليس لرُسكن فلسفة ، ان لم تكن فلسفة الانتقاد الفني ، وأراهُ أعظم ناقدٍ فنّي في انكلترا بل في أوروبا بأسرها اذا وضعنا معهُ « فاين » الفرنساوي الكبير . وقد ظهر رُسكن في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وتوفي منذ سنوات قليلة

تقول حضرة الكاتبة أيضاً أن لا فرق عندها بين حذاءٍ حسن الصنعة وقصيدة بديعة النظم ما دام يجب لاتقان كل عمل قوة عقل . والوعتاه على ذرر الأفكار تنزّل فتلامس الأحذية ! فحضرتها والحالة هذه لا ترى فرقاً بينها وبين الخياطة التي تزين الثوب بالزركشة

« والدنتلا » ؟ معاذ الله أن أقول أنا بهذا القول : الجسد عزيز بلا شك والاهتمام بهِ واجبٌ على كلّ عاقل ؛ على انّ أهمية الروح تفوق أهميتـه بمراحل ، فضلاً عن ان الدماغ ينفق من قواه في عمل عقلي في ساعة واحدة أكثر مما ينفق للعمل الجسدي في ساعات طويلة .

نعم ان العمل جميل ، وهو شريف في ذاته مهما كان حقيراً في أعين الناس ، غير أنّ هذا لا ينفي ان لكل شيء درجات : يوجد الحسن والأحسن منهُ ، والعظيم والأعظم منهُ ، والغني والاكثر غنى ، والفاضل والأفضل منهُ ، وهلمّ جرّا .

***

لقد انتقدت حضرة الكاتبة الفاضلة تفضيلي آثار الفن القديمة ، وتساءلت كيف أؤثرُ بناء الاهرام ونحت المسلات على أشعة رنتجن والتلغراف اللاسلكي في حين ان تلك الآثار تنطق بما كانت عليه الشعوب الغابرة من الذلّ واستعباد القوي للضعيف . هذا موضوع يطلب البحث لنعلم هل كان الذل أشد وطأةً في الماضي على العباد منهُ اليوم . أما أنا فلا أرى الانسانيـة قد تمتعت بالحرية التامـة بل أراها قد استبدلت قيودها القديمة بقيود جديدة . على ان هذا بحث طويل يضيق عنهُ نطاق هذه العجالة . وأجيب السيدة على سؤالها ، بأني لا أرى نسبة بين المقابلتين لاني لم أتناول المقابلة الاّ من الجهة الفنية ، فلا تجوز النسبة الا بين كل شبيه ومشابه له ، فان وُجدتْ نسبة بين هياكل أثينا وبرج ايفل ، فان هذه النسبة تتلاشى عنـد ما تقابل تلك الهياكل بالتلغراف اللاسلكي .

ولو انتبهت حضرتها الى هذه النقطة لانصفتني في هذا المعنى . أما الاكتشافات العامية فمن منا لا يقدرها حق قدرها ؟ ان علماء الاكتشاف هم أبطال عصورنا الذين يجب أن تكتب أسماؤهم بدماء القلوب وان تجثو الافكار لدى ذكرهم المجيد . اني أعبد هؤلاء الابطال وأميل بكليتي الى العلوم التي تسير بالانسانية الى التقدم والارتقاء ، ولم أعن في مقالتي السابقة الا العلوم التجارية المحضة التي يتمسك بها البشر طمعاً بالارباح الناتجة عنها . حسن أن يجتهد الانسان في جمع الثروة لأن أهمية الدرهم تزداد يوماً فيوماً ، ولكنني لا أظن أنَّ الارتقاء الصحيح قائم بالثروة وحدها ، وأعتقد مع رسكن ان هناك تربية هي ارتقاء في نفسها وان لم يكن صاحبها مثرياً

هذا اعتقادي يا سيدتي . فاعذري تطوحي واصفحي عن هفوات قلمي . إن لكل امرىءٍ أخلاقاً وأميالاً ، فأنصح لكل واحدٍ ان يعمل بها ، بعد استشارة ضميره . أقول للرياضي : « اشتغل بارقامك » ، وللطبيب « اشف مرضاك » ، وللتاجر « اضحك من زبائنك لئلا يضحكوا منك » ، وللشاعر « احلم أحلامك وأنشد أناشيدك »

فليعمل كل انسان على اكتساب سعادته كما يفهمها هو ، لا كما يفهمها الآخرون ، ما دامت السعادة غاية الخلائق القصوى وكعبة آمال الكون

مي

نوابغ مصر الاحياء

اقتراح الزهور على قرّائها

قام في مصر في نهضتها الاخيرة رجال برهنوا على ان الشرقيّ اذا أعدّته التربية ، وتوفر له العلم ، لا يقلّ نبوغاً عن الغربي . واذا كانت مصر قد فقدت في السنوات الاخيرة عدداً من هؤلاء النوابغ لم يفسح لهم في الأجل فكان موتهم خسارة جلّى ، على حين ان الحاجة اليهم والى أمثالهم شديدة ، فان فيها اليوم عدداً أيضاً ممن تصحّ تسميتهم بالنوابغ اذا حُفظت النسبة بين النبوغ و بين النهضة الحاضرة التي تعدّ طفلةً بالنسبة الى نهضة الغربيين في هذا العصر

فالزهور

تقترح على كل واحد من قرّائها ان يختار عشرة رجال في مصر يراهم انهم أشهر النوابغ اليوم . وان يبعث اليها بأسمائهم مجرّدةً عن الأسباب التي بنى عليها اختياره اذ يكفي ان يسرد تلك الأسماء سرداً ولا يُعنت نفسه بالشروح والتعليقات وذكر المهن أو الفنون التي كان النبوغ فيها . وانما تجب مراعاة شرط اساسي هو : ان يكون العشرة المختارون من الأحياء

والزهور

تجمع هذه الأسماء ثم تنشرها في الجزء القادم والى جانب كل اسم منها عدد الذين أجمعوا على اعتباره نابغة . وتنشر بعدئذٍ صور اولئك العشرة النوابغ المختارين فاسحةً لكل نابغةٍ منهم صفحةً من صفحاتها يكتب فيها للقراء ما يحلو له . ان عشر صفحاتٍ يكتبها عشرة نوابغ . تحتوي ولا ريب عشرات كثيرة من الدرر الغالية

حادث في الصحافة

بعد ثلاث وعشرين سنة في « المؤيد »

صدر الأمر العالي الخديوي في اوائل الشهر الماضي بإسناد منصب نقابة الاشراف ومشيخة الطرق الصوفية الى فضيلة السيد عبد الحميد افندي البكري ، وبتولية سعادة الشيخ علي يوسف مدير سياسة جريدة « المؤيد » مشيخة السادة الوفائية لمصاهرتهِ بيت السادات المشهور

وفي ١٦ منهُ جرى الاحتفال بالسيّدين في سراي عابدين العامرة ، في قاعة الاستقبال الكبرى للتشريفات الرسمية ، فجلس الجناب الخديوي والى يمينه فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر ففضيلة مفتي الديار المصرية فنائب قاضي مصر . والى يساره فضيلة السيد عبدالحميد البكري فسعادة شيخ السادات الوفائية . وجلس على الجانبين بقية كبار العلماء من اعضاء مجلس ادارة الازهر ومشايخ الأروقة ومشايخ المذاهب ورجال القضاء الشرعي

وعقب ان استقرّ المجلس بالجمع ، قُدّمت القهوة لحضرة المتشرفين بالحضرة السنية ؛ ثم قال الجناب العالي :

« اني مسرورٌ اليوم كثيراً اذ أرى هذا الاحتفال يجمع كبار العلماء حولي ؛ وأحوال المعاهد الدينية على ما نرجو لها من انتظام السير وتمام الهدوّ والسير في طريق التقدم والارتقاء . ولذلك يسرُّني ان اعرب لجميع رؤساء المعاهد الدينية عن الشكر والامتنان . ومما يزيد سروري

اني احتفل اليوم بهذين الرئيسين الدينيين اللذين عُهِدت اليهما المحافظة على مجد بيتين من أعظم بيوت المجد والشرف

وقد سبق لي ان استقبلتُ عقبَ وجودي في هذا المركز حضرة السيد توفيق افندي البكري ، وأنا اليوم أستقبل حضرة السيد عبد الحميد البكري خلفاً له ، وأستقبل معهُ حضرة السيد علي يوسف شيخاً للسادة



السيد علي يوسف

الوفائية ؛ وأراهما خيرَ اهل لما عهدتُ اليهما ، وبمعونتكم ان شاء الله يقومان بوظيفتهما خير قيام »

ثم أمر سر تشريفاتي خديوي فألبسهما خلعتين سنيتين مصنوعتين من الجوخ الاخضر ومبطنتين بالفرو النفيس ، وكانت عمامتا السادة البكرية والسادة الوفائية قد احضرتا في الجلسة ، فأمر الجناب العالي سعادة السر تشريفاتي خديوي بالباسهما اياهما

وبعد انتهاء الحفلة الرسمية في سراي عابدين قصد فضيلة السيد عبد الحميد البكري سراي السادة البكرية في الخرنفش ؛ وقصد سعادة السيد علي يوسف في جمع من رجال الطريقة الوفائية وقد لبسوا الاخضر وتعمموا بالعمائم الكبيرة « زاوية الرباط » في جهة الخرنفش ايضاً وهي الزاوية القديمة التي كان يتعبّد فيها سيدي « علي وفا » الأستاذ الاكبر الاشهر للطريقة الوفائية مدة حياته ، وكان يعيش في أواخر القرن الثامن للهجرة

وهناك دخل شيخ السادات الوفائية الجديد كعادة كل شيخ يتولى مشيخة هذه الطريقة ، فتوضأ وصلّى ركعتين في القبلة . ثم قرأ جماعة الطريقة حزب السادة الوفائية وكرّروا شعارها وهي كلمة « يا مولاي ، يا واحد ! يا مولاي ، يا دائم ! يا علي يا حكيم ! »

وفي الساعة الأولى بعد الظهر عاد هذا الجمع الى بيت السادة الوفائية في درب الجماميز ؛ حيث جلس شيخ السادة برهة من الزمن على سجادة السادة الوفائية ؛ وهي أقدم سجادة توجد في مصر اذ كان يصلي عليها سيدي « محمد وفا » الاكبر ، والد سيدي « علي وفا » ، الذي ولد في أوائل القرن الثامن للهجرة لوالده السيد « النجم الأنور » الذي كان استاذ سيدي ابن عطاء الله السكندري

هذا ولما كان خروج السيد علي يوسف من الصحافة ، بعد ان خدمها في « المؤيد » زهاء ثلاثة وعشرين عاماً ، حادثاً ذا شأن في عالم الأدب رأت « الزهور » ان تجمع لقرائها زبدة أقوال بعض الكتاب والصحافيين في زميلهم السابق ؛ من حيث هو كاتب صحافيٌّ فقط ، وهذا ما تيسر لنا جمعهُ

الشيخ علي يوسف سهلُ التأليف ، شديد المضاء . هو في بيانهِ أقربُ الى العامة منهُ الى الخاصة . اذا غالبَ غالبَ بصوتهِ دون روحهِ ؛ صحافيٌّ محنّك وليست الكتابة من عملهِ

كأنما يراعهُ سوطهُ يضربُ ان جدَّ ولا يكتبُ

لا تدَعُ العجمةُ اسلوبَهُ فليس في اسلوبهِ مُعرَبُ

ولي الدين يكن

لو كان غيرَ سياسيٍّ بطبيعتهِ ، لما كان من الكتاب

ابو السامي الرافعي

أنظرُ اليهِ بعين الصحافي ، فأراهُ عظيمَ البراعة ، في تقليب اليراعة ، وشديد الحصافة ، في ميدان الصحافة ؛ ولو وجد قلمهُ من عواطفهِ دعامة ، لرفعهُ بيننا الى مقام الزعامة ؛ ولقد زاد فضلهُ أنه من الطبقة العصامية ، وجهّال اللغات الأجنبية

يوسف البستاني

سيف لا يزال في غمده صدئاً حتى يجلوه القراع

مصطفى لطفي المنفلوطي

كان للانشاء في مصر ديوان أنت رئيسه ، والكتاب جميعاً عمّاله

مصطفى لطفي المنفلوطي ايضاً

له اسلوب جمع بين المتانة والطلاوة ولا سيما في الايلام والهجاء ، وقلم يطاوعهُ في الشيء ونقيضهِ على السواء . ولكنَّ علمهُ قليل فما هو من الكتَّاب الذين يبقى أثر مقالاتهم الى حين

اسكندر شاهين

— يكتب بقلم ذي أنبوبتين : أفرغ في هذه أرياً ودرياقاً ، وأفعم هذه سُماً زعافاً وكلما دافَ من هذه على تلك وصلَ الى أبعد غايةٍ من قوة التأثير وسلامة التعبير . كتابتهُ صورة من دهائهِ وما سَلِمَ من عاب وان كان من أقدر الكتاب

ابراهيم الدباغ
صاحب مجلة الانسانية

تربية الطفل

لباس الطفل

يغيَّر على الحبل السري الذي ينفصل بين اليوم الخامس والعاشر ، باحدى القطع المربعة الاربع السالفة الذكر . تقطع القطعة المربعة من أحد الجانبين ومن منتصفها الى مركزها ، ثم توضع القطعة بحيث يكون هذا الشرم الى أعلى ، والحبل السري في أسفل الشرم المذكور ؛ ثم يثنى الجزء الأيمن على الحبل السري وأخيراً الجزء الأيسر ، ثم تقلب القطعة بما فيها من الحبل السري الى أعلى . ومن اللازم أن يكون الحبل جافاً وان يبقى كذلك ، وذلك بذرّ قليل من المسحوق عليه . وعلينا أن نلاحظ الحبل السري لحدوث نزف منهُ أحياناً . وبعد انفصال الحبل السري يوضع على السرة قطعة من القطن ، وتحفظ في مكانها باللفافة ويجب أن

تكون اللفافة بحيث تكون السرة في منتصفها ، وتلف جيداً من أسفل ، وتلف لفاً بسيطاً من أعلى حتى لا يحدث أي ضغط على المعدة والرئتين . ثم توضع بعد ذلك الصدرية التي من الصوف وتربط من الامام ، ثم تثنى لفافة لتكون بشكل مثلث فوق الصدرية ، وتحكم على الطفل فوق الصدرية بالطريقة الآتية : توضع اللفة التي بشكل المثلث بحيث تكون أطرافها العليا تحت إبط الطفل بقليل حتى لا تمتنع حركة الذراعين ؛ ثم يدخل الطرف الأسفل من اللفة بين ساقي الطفل ويضم الطرفان الآخران على جسمه الواحد فوق الآخر . ويلف الطفل بعد ذلك بلفة مربعة أخرى ، ويوضع على قدميه الحذاء المصنوع من الصوف ، ثم يوضع الشال فوق رأسه

ويشترط في ملابس الطفل ان تقيه البرد ؛ لانه يتأثر بسرعة لصغر سنه ؛ وان تترك للطفل الحرية التامة حتى يستطيع أن يحرك أعضاءه بكل سهولة ، لأن ذلك يساعد على نمو الجسم نمواً كاملاً ؛ وان تكون جافة نظيفة وتستبدل بغيرها متى ترطبت من البول أو البراز . وعلينا أن نلاحظ اثناء إلباسها للطفل ان تكون خالية من التجمدات لانها تؤلمه

الاعتناء بالاذن والانف والعيون والفم

وبعد إلباس الطفل يجب على المرضع أن تنظف الأذن والأنف والعيون بقطع من القماش مبللة بالماء الدافىء وتنشفها بقطع من الفلانلا الجافة أو بفوطة ناعمة . ويلزم التأكد من عدم وجود إفراز في العينين ،

لانهُ اذا وجد يحسن غسلهما بمحلول البوريك ، ومعالجتهما بأي علاج حسب أمر الطبيب . وينظف الفم بادخال السبابة ملفوفة عليها قطعة من القماش بعد ان تُغمس في الماء الدافئ ويحسن مسح اللثة واللسان وسقف الفم بقطع من القماش المبللة بجلسرين البورق

متى يحسن عمل حمَّام للطفل

يرى البعض تحميم الطفل مرتين في اليوم ، ويقتصر البعض على حمام واحد في الصباح مع تغيير الملابس وملاحظة السرَّة وإحكام رباطها . ومن المهم عند تنظيف شعر الطفل (بالفرشة) أن يكون ذلك بلطف لوجود مساحة صغيرة في الرأس لم يلتئم فيها العظم تسمى باليافوخ ولا يتم التئام العظم الا بعد ١٨ -- ٢٤ شهراً والضغط على اليافوخ قد يحدث اعراضاً خطرة لوجود المخّ تحته مباشرة

الطفل في المهد

من المستحسن ان لا ينام الطفل مع أُمه في فراشها مطلقاً لما يحدث أحياناً من الخطر بنوم الأم عليه . وأفضل مكان لنوم الطفل هو المهد ويؤخذ الطفل من المهد آناً بعد آخر لارضاعهِ . ويحسن ارضاعه على أثر إخراجه من الحمام ثم يُصبح ميَّالاً الى النوم فيجب أن يكون المهد معُدًّا لاستقبالهِ واذا كان الجوُّ بارداً يمكن تدفئة المهد بوضع زجاج مملوء بالماء الساخن . ولا يحسن هزُّ الطفل في مهدهِ خشية أن يتعود ذلك . وكل ما يحتاج اليهِ هو السكون والهواء المطلق دون وجود مجرى هوائي

الدكتور محمد عبد الحميد

لمن هذا الشعر . . ؟

نشرنا في الجزء الفائت أبياتاً أخفينا اسم ناظمها ، تاركين لفراسة القراء ان يعرفوه ؛ فوردت علينا اجوبة كثيرة من أنحاء مختلفة . فاذا بمعظم الكاتبين قد نسب تلك الأبيات الى سعادة اسماعيل صبري باشا ، وقد بلغ عدد هؤلاء ٥٣ ، وعزاها بعضهم — وعددهم ٢٧ — الى خليل افندي مطران . وزعم ١٦ انها لسعادة شوقي بك . وتوزع بعض الأجوبة على حافظ افندي ابراهيم وأبي السامي الرافعي وأمين بك ناصر الدين محرّر الصفا وعبد الحليم افندي المصري . وقال مكاتب من السودان انها للدكتور شدودي . واعتقد بديع افندي الحوراني انها لوالده الاستاذ الشيخ ابراهيم الحوراني

أما الأبيات فهي من نظم **ولي الدين بك يكن**

وأما الذين أصابوا في نسبتها اليه فهم حضرة : عبد المعطي بك حسين عمدة الصوالح — والسيدة لبيبة عقيلة أيوب افندي نقاش — وأندراوس افندي حنا — واسكندر افندي سعيد البستاني — والخواجات حنا ويوسف شيخاني — وعبد الله افندي نادر — وأمين افندي حمدي . وقد أرسلت ادارة مجلة « الزهور » جائزةً لهم كتاب « المعلوم والمجهول » لوليّ الدين بك يكن وعليهِ توقيعه بخط يده

هذا واننا نقتطف من بعض الأجوبة التي وردت علينا الشذرات الآتية :

كتب ابو اسحق الصابي في مساجلة استاذه الشريف الرضي قصيدته النونية الساكنة فأجابهُ الشريف بقصيدة اخرى من نفس البحر غير انهُ اطلق الرويّ زاعماً انهذا الرويّ الساكن مما ينافي العذوبة ويكدُّ اللسان ويضطرب في اسلتهِ . وهو رأي العرب الذين تظهر فطرتهم اللغوية في ألسنتهم لأنهم انما يريدون الوجوه اللفظية التي نشأت بها اللغة حسناء رائعة وتمت بها هيفاء بارعة فما كان من ذلك في الشعراء فهو أثر ورأي يجري هذا المجرى

ولما قرأتُ الأبيات التي نشرتها «الزهور» عجبت من أول بيت لهذا التقييد الذي أراه في الروي. ثم مررت في هزّها حتى أتيت عليها . فاذا صقال مطبوع، واذا فكر دقيق و بصيرة نفاذة وفطنة شفافة. فراجعت رأيي متهماً ثم رجّمت النظر كرّتين فصحّ عندي ان تقييد الروي انطلاقٌ في حرية الشاعر وانهُ من أفراد شعراء المعاني الذين ينبع الشعر في قلوبهم قبل ان يفيض على ألسنتهم ولا أعرف ذلك لأحد كما أعرفهُ للرجل الكبير الذي يكاد يكون قلباً كلّه وهو اسماعيل باشا صبري

ابو السامي الرافعي

« الأبيات لولي الدين بك يكن . فان أخطأ ظني فما ذلك الاَّ لأن الشعر الحقيقي روح واحدة تتجلّى بمظاهر متعددة حسب ما توحيه قرائح الشعراء وكثيراً ما تتشابه هذه المظاهر فتعسر معرفة اسم الناظم مهما كان لاساوبه في النظم من المميزات »

اسكندر سعيد البستاني

هذه الأبيات تشابه في روحها الأبيات المنشورة تحت عنوان « لؤلؤ الدمع » في الجزء نفسه ولا سيما في قول الشاعر « وقد كدت أنسى كبرتي فاذكرتهـا » فانهُ ينطبق على ما ورد في مطلع « لؤلؤ الدمع » لولي الدين بك يكن

لا تذكريني فانَّ الذكر يرجع لي　　عادات وجدي في أياميَ الأول

هنا ويوسف شيخاني

هذه الأبيات ليست لشوقي لأنَّ شعره يعلو وينخفض كموج البحر ؛ وليست لحافظ لأنهُ يعتني بالديباجة اكثر من اعتنائهِ بالمعاني ؛ وليست لخليل لأنَّ ألفاظهُ أقلّ من معانيه ؛ وليست لوليّ الدين لأنهُ على فصاحته يعوزه بعض الجزالة ؛ وليست لالياس فيّاض لانصرافه عن الشعر الى سواه في الأيام الحاضرة . على انهُ لو كان البارودي لا يزال حيًّا لنسبتها اليه لما فيهـا من رصانة القول وجزالة المعنى وحسن السباك . فهي في رأيي والحالة هذه لسعادة اسماعيل باشا صبري

يوسف الخوري كرم

أرى في هذه الأبيات افكار ومعاني اسماعيل باشا صبري ، وفي اسلوبها وديباجتها لهجة وليّ الدين بك يكن

لمع لمع

هذه الأبيات هي للشاعر الذي نشرت له الزهور في مجلّدها الأول « شكوى المنفي » صفحة ١٤٠ و « ياليل الصب » صفحة ٣٢٧ ، و « نفس مكرمة » صفحة ٤٢٨ . وفي مجلّدها الثاني «ما كان» صفحة ١٩٠ و« القلوب البائسة» صفحة ٩٧٤. وفي مجلّدها الثالث « لؤلؤ الدمع » صفحة ٣١ فهي لوليّ الدين بك يكن

لبيب نقاش

هي للشاعر الذي سُمعت أنّاتهُ على ضفاف البسفور، ودوت صيحاتهُ في ارجاء يلدز. الشاعر الكاتب المجرّد عن كل تعصب ان دينيًّا او جنسيًّا . هي لوليد الاستانة ومنفي سيواس ونزيل مصر اليوم صاحب « المعلوم والمجهول » عرفتهُ وانا اطمع بأن أرى توقيعهُ على الجائزة فاحتفظ بخط الرجل الحرّ الذي علّم الأحرار كيف يكون على الحرية . هي لولي الدين بك يكن ؟

عبد الله نادر

قرأت كثيراً لولي الدين بك يكن وتشبعت من روحهِ فلم اشكّ في ان الأبيات لهُ

امين صبري

وقد ورد علينا جواب مطوّل من حضرة الكاتب المجيد الشيخ ابرهيم الدباغ صاحب مجلة الانسانية فيهِ نقدٌ لهذه الأبيات وددنا ان ننشره لما فيهِ من الفائدة لولا ان منعنا ضيق المقام . على ان حضرتهُ اخطأ في نسبتها

***

هذا وانا نشكر المكاتبين الادباء الذين تفضلوا بالرد على اقتراحنا ، ونُلفت نظر القراء جميعهم الى اقتراح « الزهور » المنشور في هذا الجزء صفحة ٨٩ بعنوان نوابغ مصر الاحياء

ثمرات المطابع

كتاب خالد — قرأتُ كتاب خالد من الفاتحة الى الخاتمة . وكنت قد رأيتُ مؤلفه مرةً في بيروت منذ ثلاث سنين في صيدلية صديقي الفاضل مراد أفندي بارودي . فلما قرأتُ في الكتاب وصف « خالد » نفسهُ انهُ « حليق الشاربين ، مسترسل شعر الرأس » تمثلت أمام مخيلتي صورة المؤلف جليةً واضحة . والكتاب كغيره من نتائج الافكار يجمع بين الحسن وغير الحسن وذلك شأن كل مؤلَّفٍ على الاطلاق

وقد أدهشني في هذا الكتاب ما يلوح للقارىء لأول وهلة من سعة اطلاع مؤلفه وتعمقهِ في معرفة اللغة الانكليزية وسهولة انشائهِ وغزارة مادته . الاَّ انهُ قد تكلف استعمال الالفاظ الانكليزية النادرة فكأنهُ أراد ان يظهر مقدرته اللغوية ونبوغهُ في ادراك اسرار تلك اللغة الاجنبية

والكتاب مقصود بهِ سرد سيرة « خالد » وما لقي في مسقط رأسه وفي بلاد الغربة من تقلبات الأيام فهو مكتوب للعامة وكان يستحب ان تكون ألفاظه سلسة كمعانيهِ لا ان يكون معجم كلمات غريبة .

وقد حمل المؤلف في كتابهِ حملة شديدة على الجزويت والاتراك ولا يعنّ لنا هنا ان نخطّئ او نصوّب عمله بالنسبة الى هذين العنصرين ولكننا نقول اذا كان هذا التقريع لا يجلب فائدة فما هو الاَّ نفثة مصدور او ثورة غيظ لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً . وأجدر بأرباب الاقلام ان يكونوا أوسع صدراً وأكثر حلماً فلا يدفعهم الغضب الى شطة قلم تنكأ

جرحاً قديماً لا يرجى شفاؤه ولكنها تزيده ألماً

ومن أحسن ما ورد في الكتاب وصف الأماكن التي زارها المؤلف ووصف معيشة القرويين في سذاجتها الطبيعية حتى انكَ اذا قرأتَ وصف الجبال والأودية وبزوغ الشمس ومغيبها ، وظلال الصخور وأغصان الاشجار وخضرة الوادي وخرير الماء وهبوب النسيم وتغريد الاطيار وشذا الازهار ، تظن انك انتقلتَ بالفكر الى المكان الذي يصفهُ وكأنك تشاهده بعينك . وهي لا شك مقدرة للكاتب يحمد عليها

وفي الكتاب مباحث كثيرة فلسفية دقيقة تدلّ على ذكاء خارق وذهن متوقد ، وسعة اطلاع ، والمام بأكثر الفنون القديمة والعصرية ، حتى لترى المعاني تسطع متقطعةً كوميض البروق فتبهر البصر بشدة لمعانها ثم تضمحلّ بسرعة فيعقبها ظلام دامس . بل هي شرر النار المتطاير من حديد محمي الى البياض تحت مطرقة الحدّاد . تراه ينبعث في كل مكان ثمّ يختفي بمثل السرعة التي ظهر بها . ذلك انهُ لا يرمي الى غاية واحدة بل ينتشر في كل جهة ثم يندثر فلا تدري ما العلاقة التي كانت بين مصدره ومرجعه

ولا مشاحة في ان المؤلف شاعر أكثر مما هو كاتب . وقد بلغ بهِ الخيال الى الحلم فيرى ان المستقبل سينشيء دولة عربيةً في سوريا تجعلها بهجة الدنيا . وهو حلمٌ لذيذ نتمنى ان يصير حقيقةً ولكن بينهُ وبينها مراحل حتى الآن لا يبلغها الاّ الوهم . ومن المؤكد ان المؤلف قد استفاد كثيراً من الغربيين ادباً وعلماً وفلسفةً ولكن الفطرة الشرقية لم تزل شديدة فيهِ وهي التي تجعل الأمل يقوم عندنا موضع العمل . وهذا ما جعل

الشرقيّ غارقاً في سبات منامهِ لاهياً بآماله وأحلامهِ

هذه خلاصة ما تأثر به ذهني من مطالعة كتاب « خالد » بسطتهُ كما أرسلتهُ النفس وما خشيت ان يسوء موقع بعض الحقائق التي فيهِ من ذلك الفكر المتقد وذلك العلم الجامع

نجيب

مختارات المنفلوطي[1] — رأى السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ، صاحب « النظرات » ، حاجة طلاّب الأدب الى «كتابٍ يجمعُ لهم من جيّد منظوم العرب ومنثورها ، في حاضرها وماضيها ، وفي كل فنّ وغرض من فنونها وأغراضها ، ما يستعينون باستظهارهِ او ترديد النظر فيهِ ، على تهذيب بيانهم وتقويم لسانهم . . . فهزَّ دوحة الأدب العربي هزَّةً ، تناثرت فيها هذه الثمرات الناضجة » التي سمَّاها « مختارات المنفلوطي » . بين يدينا الآن الجزء الأول من هذه المختارات وهو يشتمل على بابي الفصاحة والبيان ، والأدب والحكمة ، مأخوذة فصولها عن مئة شاعرٍ وكاتبٍ تقريباً بين قديم وحديث ؛ وستليهِ اجزاء اخرى تتضمن سائر أبواب الكتابة . وقد برهن السيد المنفلوطي في انتقاء هذه المختارات عن ذوقٍ سليم واطلاعٍ واسع ، الأمر الذي لم نعجب له ، لأن صاحب « النظرات » من كتَّابنا المعدودين ومن ذوي الخبرة التامة بالأدب والأدباء . وقد أحسن بوجهٍ عام في وصف كل كاتب من الكتاب الواردة أسماؤهم في كتابهِ ، غير انا كنا نودّ ان نرى زيادة تفصيل في هذهِ التراجم كأن يذكر لنا دائماً سنة ولادة المترجَم كما ذكر غالباً سنة وفاته ،

(١) طبع بمطبعة المعارف في مصر . ثمنهُ عشرة قروش صاغ وعدد صفحاتهِ ٢٧٠

أو على الاقل القرن الذي عاش فيهِ ، ملحقاً ذلك بأسماء اشهر مؤلفاتهِ ، لكي يطلبها من يرغب في زيادة الاطلاع ، او على الأقل ليكتفي بمعرفة أسمائها . وكان يُستحبُّ ايضاً مراعاة تاريخ الكتّاب في إيراد كتاباتهم ، فلا نقرأ شيئاً للمتنبي المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وبعدَه أبياتاً لبشار بن برد الذي توفي قبله بنحو من مئتي سنة ، ثم ننتقل دفعةً واحدة الى احد شعرائنا المعاصرين . فهذه الأمور لا تخفى أهميتها في تنسيق المختارات وترتيبها ، وقد راعاها الافرنج قبلنا في مختاراتهم ، فكانت نتيجتها تفوّق ناشئتهم في حفظ تاريخ آدابهم الأمر الذي يكاد يجهله حتى المتأدبون منا . على ان « مختارات المنفلوطي » تُعَدُّ من خير ما لدينا من هذا القبيل

الدولة والجماعة [1] — عنوان لكتيّب يقع في ٦٥ صفحة وضعهُ بالتركية احمد شعيب بك ، ونقله الى العربية محبُّ الدين افندي الخطيب احد محرري جريدة المؤيد ، وصدَّرهُ رفيق بك العظم بمقدمةٍ عن علم الجماعة في الشرق . الواضع من مشاهير الكتاب الأتراك ، والمترجم من حملة القلم البارعين . أما رفيق بك فمنزلتهُ الادبية معروفة لدى الجميع . ان كتاباً هذا شأنه لخليق بكل اديب ان يطالعهُ بامعان ولا سيما انه يحتوي بحثاً مفيداً قلّما عالجتهُ الاقلام العربية الاَّ في العهد الاخير . فلمحبّ الدين الخطيب الثناء الوافر

(١) طبع بمطبعة المؤيد وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

لما نُكبت بيروت نكبتها الاخيرة في ٢٤ فبراير — شباط ، هزّت الأريحية والمروءة دولة الأمير النبيل محمد علي باشا ، شقيق الجناب العالي الخديوي ، ونخبةً من سراة مصر وكرمائها ، فتألفت لجنة رئيسها دولة الامير ، وقوامها أصحاب السعادة والوجاهة : محمد شواربي باشا ، ومحمود رياض باشا ، وعزيز عزت باشا ، واسماعيل باشا صبري ، وحسن باشا مدكور ، واسماعيل باشا اباظه ، وحسين باشا واصف ، وعبدالرحمن باشا صبري ، وخليل باشا خياط ، ونجيب باشا شكور ، وسليم بك ايوب ثابت ، ورفيق بك العظم ، وحبيب افندي لطف الله ، فاحتفلوا باحياء ليلة خيرية في تياترو الاوبرا الخديوية مساء الثلاثاء في ١٩ مارس الماضي ، لإعانة المنكوبين في تلك الحادثة الاليمة ، فضمت الليلة أوجهَ وجهاء المصريين والسوريين يتقدمهم صاحبا الدولة الاميران محمد علي باشا ، وحسين باشا كامل (عم سمو الجناب العالي) وصاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وأصحاب السعادة النظار الكرام . فرأى الحاضرون في تلك الحفلة الانيقة احسن ما يُرى ، وسمعوا خير ما يُسمع

ولما كانت « الزهور » منذ نشأتها الى يومها الحاضر ، عاملةً ابداً على إحكام الروابط الأدبية بين القطرين الشقيقين — مصر وسوريا — وقد طالما كتبت واستكتبت في هذا الموضوع المقالات والقصائد التي كانت صحف هذين البلدين تردّد صداها ، وتعزّز مبدأها ، رأت من الواجب عليها أن يكون لها يدٌ في تلك الحفلة التي أقامها ابناء أحد القطرين لاعانة ابناء القطر الآخر في بلواه . فتقدمت الى اللجنة بلسان سعادة السري الأمثل سليم بك ايوب ثابت ، فأُذن لها وحدها في نشر ما أعدّ لتلك الليلة لجمعتهُ في كرّاس خاص ، صدّرتهُ برسم دولة الأمير الرئيس ، وقدمت منهُ عدداً كبيراً الى اللجنة ، ليلة الاحتفال ، ليُضاف ثمنهُ الى مبرات المتبرعين . وقد ارتأت « الزهور » ألاّ تحرم قراءها من تلك النفثات الشائقة ، فأودعتها في هذا الجزء ليبقى لديهم اثراً لروح التآخي والتضامن ، ذلك المبدأ الشريف الذي بسطهُ حضرة سليم بك ثابت الخطيب المشهور في ختام تلك الحفلة في خطبة بليغة ألقيت ارتجالاً فلم نتمكن من إثباتها



صاحب الدولة الامير الخطير محمد علي باشا
شقيق الجناب العالي الخديوي

جريح بيروت

وهى ابيات تمثل حالة جريح من جرحى حادثة بيروت الاخيرة وضعها لهذه الليلة سعادة اسماعيل باشا صبري وحافظ افندي ابرهيم

المثلون : الجريح البيروتي جورج افندي ابيض
ليلى زوجته الست ابريزستاتي
العربي فؤاد افندي سليم
الطبيب المصري عبد الرحمن افندي رشدي

الجريح: ليلاي ما أنا حيٌّ يُرجى ولا أنا ميتُ
لم أقضِ حق بلادي وها أنا قد قضيتُ
شفيتُ نفسي لو أني لما رُميتُ رَميتُ
بيروت لو أن خصماً مشى اليَّ مشيتُ
او داس أرضكِ باغٍ لدسته وبغيتُ
او حلَّ فيكِ عدوٌّ منازلٌ ما أُتقيتُ
لكن رماكِ جبانٌ لو بان لي لاشتفيتُ

* * *

ليلايَ لا تحسبيني على الحياة بكيتُ
ولا تظني شكاتي من مصرعي إن شكوتُ
ولا يخيفنكِ ذكرى بيروت اني سلوتُ
بيروت مهد غرامي فيها وفيكِ صبوتُ
جررت ذيل شبابي لهواً وفيها جريتُ
فيها عرفتكِ طفلاً ومن هواكِ انتشيتُ

ومن عيونِ رباها وعذب فيكِ ارتويتُ
فيها لليلى كناسٌ ولي من العزّ بيتُ
فيهـا بنى لي مجداً أوائـلي وبنيتُ
ليلى سراج حيـاتي خبا فما فيـهِ زيتُ
قد أطفأتهُ كراتٌ ما من لظاهنَّ فوتُ
رمى بهنَّ بغـاةٌ أصبنـني فثويتُ

* * *

ليلى: لو تُفتدى بحيـاتي من الردى لفديتُ
ولو وقاكَ وفيٌّ بمهجتي لوقيتُ
ان عشتَ او متَّ أني كما نويتَ نويتُ

* * *

الجريح: ليلاي عيشي وقرّي اذا الحمـامُ دعاني
ليلايَ ساعات عمري معـدودة بالثواني
فكفكفي من دموعٍ تفري حشاشة فانِ
ومهّدي ليَ قـبراً على ذرى لبنانِ
ثم اكتبي فوق لوحٍ لكل قاصٍ ودانِ
هنـا الذي مات غدرا هنـا فتى الفتيانِ
رمَتـهُ أيدي جناةٍ من جيرة النيرانِ
قرصانِ بحرٍ تولوا من حومة الميـدانِ
لم يخرجوا قيـد شبرٍ عن مسبح الحيتانِ
ولم يطيقوا ثباتاً في اوجه الفرسانِ
فشمَّروا لانتقـامٍ من غافلٍ في أمانِ
وسوَّدوا وجـه روما بالكـيد للجيرانِ

تبًّا لهم من بغاثٍ   فرّوا من العقبانِ
لو انهم نازلونا   في الشام يوم طعانِ
رأوا طرابلس تبدو   لهم بكلّ مكانِ
يا ليتني لم أُعاجَلْ   بالموتِ قبل الأوانِ
حتى أرى الشرق يسمو   رغم اعتداء الزمانِ
ويستردُّ جلالاً   لهُ ورفعة شانِ
وليعلم الغرب انّا   كأمّة اليابانِ
لا نرتضي العيش يجري   في ذلة او هوانِ
أراهم أنزلونا   منازل الحيوانِ
وأخرجونا جميعاً   عن رتبة الانسانِ
وسوف تقضي عليهم   طبائع العمرانِ
فيصبح الشرق غرباً   ويستوي الخافقانِ
لأُمَّ جدّدْ قوانا   لخدمة الأوطانِ
فنحن في كل صقعٍ   نشكو بكل لسانِ
يا قوم انجيل عيسى   وامة القرآنِ
لا تقتلوا الدهر حقداً   فالملك للديّانِ

ليلى : اني أرى من بعيدٍ   جماعةً مقبلينا
لعلّ فيهم نصيراً   لعلّ فيهم معينا
هوّن عليكَ تماسكْ

(يدخل الطبيب المصري ورجاله مع رجل عربي)

الطبيب :   اني سمعت أنينا
أظنُّ هذا جريحاً   يشكو الأسى او طعينا
بالله ماذا دهاهُ   يا هذهِ . خبّرينا

ليلى : لقد دهتـهُ المنايا من غارة الخائنيـنا
صبُّوا عليـهِ الرزايا لم يتقوا الله فينـا
فخفّفوا من اذاه ان كنتم فاعلينا
الطبيب: لا تيأسي – وتجلّدْ أراكِ شهماً ركينا
أبشر فانك ناجٍ واصبر مع الصابرينـا
(ثمَّ يفحصهُ ويلتفت الى اخوانه ويقول)
اوّاه اني أراهُ للموت أمسى رهينا
جراحـه بالغـات تعيي الطبيب الفطينا
وعن قريبٍ سيقضي غضَّ الشباب حزينا
العربي : أفٍّ لقومٍ جياعٍ قد أزعجوا العالمينـا
قِراهمُ أينَ حلُّوا ضربٌ يقدُّ المتونا
عقّوا المروءة هدّوا مفاخر الأولينـــا
عاثوا فساداً وفرّوا يستعجلون السفينـا
وألبسوا الغرب خزياً في قرنهِ العشرينـا
وألجموا كلَّ داعٍ وأحرجوا المصلحينـا
فيـا اوربّة مهـلاً أين الذي تدّعينـا
ماذا تريدين منـا والداء أمسى دفينـا
أين الحضارة ؟ إنّا بعيشنـا قد رضينـا
لم نؤذِ في الدهر جاراً ولم نخاتل خدينـا

⁂

« مسرّة » الشام إنّا اخوانكم ما حيينا
ثقوا فإنا وثقنــا بكم وجئنا قطينا
إنا نرى فيك عيسى يدعو الى الخير فينـا

قرَّبت بين قلوبٍ　　قد أوشكت ان تبينا
فانت فخر النصارى　　وصاحب المسلمينا

الجريح: رأيت يأس طبيبي　　وهمسهُ في فؤادي
لا تندبيني فاني　　اقضي وتحيا بلادي

العربي: أستودع الله شهماً　　ندباً طويل النجادِ
أستودع الله روحاً　　كانت رجاء البلادِ
فيا شهيداً رمتهُ　　غدراً كرات الأعادي
نم هانئاً مطمئناً　　فلم تنم أحقادي
فسوف يرضيك ثأرٌ　　يذيب قلب الجمادِ

قصيدة شاعر الامير

يا ربِّ أمرُكَ في الممالك نافذٌ　　والحكم حكمك في الدَّمِ المسفوكِ
ان شئتَ أهرقهُ وان شئتَ احمِهِ　　هوَ لم يكن لسواك بالمملوكِ
واحكم بعدلك إن عدلك لم يكن　　بالمفترى فيهِ ولا المشكوكِ
ألِأَجْلِ آجالٍ دنت وتهيأت　　قدَّرتَ ضرب الشاطئ المتروكِ
ما كانَ يحميه ولا يُحمى بهِ　　فُلكان أنعم من بواخر «كوكِ»
هذي بجانبها الكسيرِ غريقة　　تهوي وتلك بركنها المدكوكِ

* * *

بيروتُ مات الأسدُ حتف أنوفهم　　لم يشهروا سيفاً ولم يحموكِ
سبعون ليثاً أحرقوا أو أغرقوا　　يا ليتهم قُتلوا على «طبروكِ»
كل يصيدُ الليث وهو مقيَّدٌ　　ويعزُّ صيد الضيغم المفكوكِ
يا مَضرِبَ الخِيَمِ المنيفة لِلقرى　　ما أنصف العُجْمُ الأولى ضربوكِ
ما كنت يوماً للقنابل موضعاً　　ولو أنها من عسجدٍ مسبوكِ

بيروتُ يا راحَ النزيل وأنسهُ ... يمضي الزمانُ عليَّ لا أسلوكِ
الحسن لفظٌ في المدائن كلّها ... ووجدته لفظاً ومعنىً فيكِ
نادمت يوماً في ظلالك فتيةً ... وسموا الملائكَ في جلالِ ملوكِ
يُنسون (حسّاناً) عصابة (جلّق) ... حتى يكادَ بجلّق ينديكِ
تاللهِ ما أحدثت شرًّا أو أذى ... حتى تُراعي أو يُراعَ بنوكِ
انت التي يحمي ويمنع عرضها ... سيف الشريفِ وخنجرُ الصعلوكِ
ان يجهلوكِ فان املكِ (سوريا) ... والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوكِ [1]
والسابقين الى المفاخر والعُلى ... بلهَ المكارمَ والندَّى أهلوكِ
سالت دماء فيكِ حولَ مساجدٍ ... وكنائسٍ ومدارسٍ و « بنوكِ »
كنا نؤملُ ان يمدَّ بقاؤها ... حتى تبلَّ صدى القنا المشبوكِ
لكِ في رُبى النيلِ المبارك جيرةٌ ... لو يقدرون بدمعهم غسلوكِ
يكفيكِ بُرءاً للجراح ومرهماً ... أنَّ الأمير « محمداً » يأسوكِ
لو يستطيع كرامُ مصرَ كرامةً ... « لمحمدٍ » بقلوبهم ضمدوكِ
هو في ابتناء المجد صورة جدّه ... أذكرتِ « ابرهيم » في ناديكِ ؟

شوقي

خطبة سعادة الاستاذ احمد زكي باشا

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »

يا سيدي الامير النبيل ، يا زهرة الربيع في روضة النيل ، يا حفيد محمد علي الكبير ، وشريكه في اسمه الجليل وفعله الجميل !

حيّاك الله وبيّاك ! فأنت القدوةُ الصالحة للأكابر في حبّ قومك ، وأنت

---

(١) عنى الشاعر بالأبلق الفرد جبل لبنان

أنت المتفاني في خدمة العرب بما يفيض من قلبك على قلمك ! نراك تتطوّف الشرق في أقصاه ، وتزور الغرب حتى منتهاه ، ووطنك لا يزال نُصب عينيك لا تنساه . تجوب الآفاق كما تتنقّل الشمس في البروج ، وشعاعك الروحاني متصل على الدوام بهذه الربوع ، بل بما بين الجنوب من القلوب . تلك آثار يراعك ونفثات صدرك ، نراها متمثلة في مثاني السطور ، وفي تضاعيف الطروس التي أملاها وجدانك على بنانك . فجاءت أسفار أسفارك خير آية شاهدة بأنك اذا ابتعدتَ عن مصر ، فلا تزال نفسك تناجيك بمصر ، ولا تزال روحك تحنّ الى ساكني مصر . تلك عواطف سامية يمنحها الله من يشاء ! ويمنعها عمن يشاء . عواطف شريفة تتجلى بأظهر معانيها حين حلولك في روضة المقياس ، بعاصمة أخيك العباس ، وهل يخفى القمر عن أبصار الناس ؟

فلا غرو يا مولاي أن جاءت هذه الليلة الغرّاء غُرّةً في جبين الليالي ، فأنت بدرها الذي تسجد له الاهرام والبرابي . لأنك أحييتَ فيها آية من آي الفرقان ، آية عائدة بالخير الحقيقي على المستحقين من بني الانسان :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان ».

أيها السادة الكرام !

شكر الله صنيعكم ، ووفّقكم لخير أمتكم ! فبمثلكم ترفع مصر رأسها بين الأمم ، وفي اجتماعكم هذا معنى شريفٌ لمن ينشُد الوطنية الصادقة ، ولمن يريد أن يتعرّف ما هو التضامن الانساني على وجهه الصحيح .

هذه مصر ، وهذه الشام ! صنوان ، بل توأمان متلازمان ، جمعتهما أواصر السُّلالة والقرابة والجوار ، ومزجت بينهما لُحمة اللغة والأدب ، وربطتهما ببعضهما الآمال والآلام .

ارجعوا الى التاريخ ، في القديم وفي الحديث ، «ولا يُنبّئكم مثل خبير» . فطالما

كان القطران تحت صولجان واحد ، وطالما كانت الأمتان كجسم علا رأسه في العلا الى السماء ، ووضع إحدى قدميه على قارَّة أفريقية ، وأقرّ الاخرى على قارة آسية ! تعاونت الشقيقتان ، في الشدة والرخاء ، ورفعتا معاً منار العرفان ، فاستضاءت به جميع الارجاء .

نعم إن كرسيّ الملك كان في أغلب الاحيان في طيبة ومنف على عهد الفراعنة في الجاهلية الاولى ، ولكنهُ كان ايضاً في دمشق الفيحاء حينما بدا فجر الاسلام ، ثم انتقل الى فسطاط ابن العاص فقطائع ابن طولون فقاهرة المعز لدين الله

فهل من عجيب أن يلتحم القطران ببعضهما التحاماً تاماً في الحسّ والمعنى ؟

هكذا بقيت الحال في ايام الفتح العثماني الذي شمـل الاختين معاً الى اليوم والى أبد الآباد ، حتى ظهر ابو الرجال ، وسيد الاقيال ، وأمير الابطال ، أعني به محمد علي الكبير والجد الأعلى لمولانا العباس

وهنا أقف موقف الإجلال والإكرام ، وأنحني باحـترام أمام ذكرى ذلك الهمام المقدام ، وأستمطر شآبيب الرحمة والرضوان ، على ضريح ذلك الذي استنقذ مصر من مخالب الفوضى وعوامل الخراب ، ثم أحياها ووضع لها قواعد العمران . وسعى حتى جمع بين الشقيقتين تحت الراية العثمانيـة مستعيناً بابراهيم نجله الكبير ، ذلك البطل المغوار ، المستوي فوق صهوة الجواد ، أمام رَدْهة هذه الدار . وها هو لا يزال يشير باصبعـه على الدوام . . . . . . الى نحو الشام ! دلالةً على تمام الارتباط والاتحاد في ظلال الهلال .

جاءت قناة السويس على عهد سعيد وتلاقى فيها البحران ، في يوم ولا كمثله يومٌ من أيام اسماعيـل . فكان اتصال الاحمر بالابيض انفصالاً بين بَرَدَى وبين النيل ، وانفصمت تلك العروة الصغرى ، فيما بين الغوطة والدلتا . غير ان ذلك التفريق كان على التحقيق اكبر عامل في جمع القلوب وفي ازدياد الحنين .

فمصر لا تزال ترمق الشام بعيون وامقة ، وقلوب خافقة ؛ وأبناء الشام ينظرون

الى مصر . . . وكأنها لهم أرض الميعاد . فهم اليها يحُجُّون وبها يعتمرون ، وفيها يعمّرون ويعمُرون .

وها هي جاليتُهم قد استوطنت وادي النيل ، لما تلقاه من الحفاوة التي امتاز بها المصري الكريم ، منذ الزمان القديم .

وكيف لا تقابلهم بهذا الارتياح ، وقد جمعتنا بهم تلك العلائق ، ونحن مجبولون على إكرام كل وافد من الخلائق ، ولو كان بعيد الديار ، وربما كان ممن يُنكر المعروف ويغمط الفضل ويقابل الاحسان بالكفران ؟

لا جَرَمَ أن في فيضان النيل أثراً كبيراً في فيضان القلوب ، وفي فيضان الجيوب . لذلك اشتهر بنو مصر الخصيبة بالاسراع في مدّ يد المعونة الى كل منكوب ، ولو كان ممن لا رابطة له بهم . فانهم مشغوفون بالاحسان — لمجرد الاحسان — الى الانسان ، مهما كان . فهذا لسان الحال لا ينطق عن الهوى ، وهو شاهدُ عدلٍ على ان مصر تتألم لكلّ من يصيبه الأذى أو يحلُّ به الردى . فاذا ما فوجيء الانسان — كائناً ما كان — بقارعة من قوارع الدهر ، سارع أهل مصر الى بذل المعونة بقلوب رحيبة رحيمة ، وأيدٍ مبسوطة كريمة . وكلما دعا الداعي لعملٍ من أعمال البرّ ، كان لصوته في هذا الوادي أقوى صدى ، وتسابقت عشائرنا لتلبية النداء بالندَى

ولا أذهبُ بكم بعيداً في إثبات هذه القضية البديهية . غير انني لا أجد مندوحةً عن ذكر مثالين ، قريبٌ عهدهما ، وقد جئنا في هذه الليلة لنعزّزهما بثالث ، ومعاذ الله ان يكون هو الاخير !

أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن الكثيرين من السادة السامعين وأكثر منهم ممن ليسوا في زمرة الحاضرين ، قد تسابقوا منذ عامين لاغاثة المنكوبين في باريس ، عند ما طغَى نهر السِّين فجعل ذلك الفردوس الأرضي كبحيرة تتلاطم فيها الأمواج . وما ذلك إلاَّ لأن المصريين قد علَّمهم طغيان النيل في بعض الأحايين بما يتبعهُ من الكوارث والنكبات .

كذلك هم أعرف الناس بغوائل النار . ولذا تنافسوا في تلبية الداعي الذي دعاهم لنجدة المنكوبين من أهل صقلية وقَلَوْرِية (كلابريا) من أعمال ايطاليا ، وذلك على إثر ما دهاهم من نوازل الزلازل وثوران البركان ، منذ ثلاثة اعوام من الزمان . وقد بلغت قيمة ما جاد به الخيّرون من اهل مصر عشرات من الوف الجنيهات ، كان لها الأثر الطيّب في تخفيف المصائب عن بني الانسان في تلكم الديار .

ولقد اعترفت حكومة ايطاليا بهذه الأريحية ، فشكرت مصر وأهدتها نَوْطاً من الذهب ، هو الآن محفوظ بدار الكتب الخديوية .

هذان مثالان ناطقان بأن اهل مصر هم ممن يُدرك معنى التضامن الانساني ، وإن كان بعض الذين لا خلاق لهم يُنكرون عليهم هذه الخليقة الكريمة .

كيف لا يفقهُ المصريون معنى التضامن الانساني ، وهو متأصل في أخلاقهم منذ ثلاثة عشر قرناً ؟

نعم ، فهذه النظرية الجليلة يظنها قصار النظر من آيات العصر الحاضر ، ومن بدائع الحضارة الغربية . وليت شعري ! ماذا يقول المفتون بأوْرُوبّة وتعاليمها إذا ما هداه الله الى ما بين يديه وتحت عينيه من آداب الإسلام ومبادئه في العمران ؟

لا جَرَمَ انهُ يرى في نظامهِ الاجتماعيّ البديع كثيراً من الحكم الباهرة ومن قواعد الأخلاق الجميلة . ولكنهُ قد حيل بينهُ وبين مآثر الاسلاف بحجابٍ ، يا له من حجاب !

ففي هذه الليلة الباهية ، يجدر بأبناء العرب الكرام ، أنْ يتدبّروا قول النبي عليه الصلاة والسلام ، في الحثّ على بثّ التضامن بين المؤمنين بوجه عام . ودونكم ايها السادة نصّ حديثه المشهور :

« مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحُمهم كمَثَلِ الجسد ، إذا اشتكى عُضو منهُ تداعى له سائره بالحمى والسهر . » أو كما قال :

هذا هو التضامن !

وقد عرفه الشرقيون منذ اجيال طوال .

هذا هو التضامن الذي جرينا عليهِ مهتدين بسنَّة السلف الصالح !

هذا هو التضامن الذي جمعنا من كل فج عميق ، في هذا الاحتفال الجميل البهيج ! !

أيها السادة الكرام

يحلو لي ولكم في هذا المقام ترديد قوله تعالى : « مَثَلُ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كَمَثَل حَبَّة أنبتتْ سبعَ سنابِلَ في كلّ سُنبلةٍ مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء . والله واسعٌ عليم . »

لهذه الحكمة البالغة قد تواصَيْنا بالحقّ وتواصَيْنا بالصبر ، وعقدْنا الخناصر لمساعدة المنكوبين من إخواننا في الشام. ولسنا في حاجةٍ لتزكية عملنا وتبرير سعينا بالأسباب التي قد يتشبَّثُ بها الانسان في إغاثة الانسان . وذلك لأنَّ اتحادنا مع المنكوبين في الأصلِ والسلالة وارتباطَنا وإياهم بتلك العلائق الكثيرة الثمينة ، يجعلان من أقدس واجباتنا أن نبدأ بالإسعاف لفروع دَوْحتنا وأفراد أُسرَتنا . « والأقربون أولى بالمعروف »

نعم ، فقد تعوّدنا من دهرنا على الإحسان بوجه الاطلاق ، وان كانتْ مَناحينا قد اختلفت فيهِ على ضروبٍ شتى . فمنا من يجنحُ اليه في المعاملات ، وفريقٌ يستهدف اليه في المجاملات ، وآخرون يبتغون وجه الله . « ولكلّ وِجهَةٌ هو مولّيها » !

فكيف لا نتسابق الى سبيل الخير ، عندما يكون أخونا في حاجة ماسّة الى نفحة من نفحات البرّ ؟ ليس المنكوب في بيروت بغريبٍ عنا ، فانَّ الدَّمَ الذي يجري في عروقه هو هو الذي نستمدّ نحن منه الحياة . وكلانا من طينة واحدة ، ومن مشرب واحد ، وأجسامنا تنتعش بروح واحدة ! هذا الى ما أوصانا الله تعالى به من الاحسان الى « ذي القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب » . وتلك الصفات الثلاثة قد توفّرت كلها في أبناء الشام ، بالنسبة الى اخوانهم المصريين . فلا عَجَب اذا كنا نشاطرهم الأتراح ، كما نحن نشاركهم في الأفراح . سُنّةٌ قضى

بها التضامن الانساني ، بل هي فريضة أوجبتها قوانين الاجتماع ونواميس العمران . والجار أولى بالشفعة ، والاخ أحقُّ بالشفقة !

أئذا كنا نشترك من صميم الفؤاد في تخفيف الكوارث التي حلّت بالأقوام البعيدين ، في الاقطار النائية ، أفيكون من شيَمِنا أن لا نبالي بما ألمّ باخواننا في الشام ، أولئك الذين كانوا آمنين مطمئنين ، في مدينة هادئة ساكنة ، وكانت قرائن الاحوال جميعها تدلّ على أنهُ « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ؟

لغيرنا أن يحدّث نفسه بالمرحمة في السرّ والنجوى . واما نحن فقد طفحت قلوبنا بالتألم والشكوى . فلا مندوحة لنا عن المجاهرة بما تكنُّهُ جوانحنا لاخواننا من حسن الانعطاف ، الذي يمليه التضامن على كل من أوتيَ مثقال ذرّةٍ من الانصاف .

فان القلوب إذا تواثبت في الصدور ، بعثت النفوس الى الجود بالموجود ، وحركت الأيدي الى إخراج المكنوز في الجيوب والبيوت ، لتخفيف المصاب الذي دَهِمَ المساكين من أهل بيروت .

« ان الله يحب العدل والاحسان »

سادتي !

لعلي اكون لسانكم الناطق ، وترجمانكم الصادق ، اذا قلت إنكم تتحدّثون الآن بشكر الامير الجليل الذي دفعتهُ عواطفه البارّة بالانسانية لجعل هذه الليلة الشريفة تحت رعايته العالية . أفليس هو الذي أوجد لجمعنا المحتشد الآن فرصةً جميلة للاعراب عما في نفوسنا من معاني المروّة العربية ، ومن العطف على قوم هم لدينا من أعزّ الناس ؟

نشكر آلك يا ابا العباس :

مولاي !

إن الذين تبارَوْا في إجابة دعوتك ، واجتمعوا في هذه الساعة حول طلعتك ، يتقدمون الى ساحتك ، وقلوبهم على أكفّهم ، وأيديهم في الجيوب ، ليبرهنوا على

عظيم إخلاصهم وجليل احترامهم لشخصك المحبوب .

ولا تسل عما سيكون في بيوت بيروت ؟ هنالك آياتُ الحمد والمدح يرتلها المغاثون في الغداة والآصال ، تعرج بها طائفةٌ من الملائكة المقرّبين ، وترفعها الى أعلى علّيين ، فيتقبّلها ذو الجلال والاكرام ، الذي وفقك لأعمال الخير وخير الاعمال ، بتصدُّرك في هذا الاحتفال . احتفالٌ فيه « لِلّذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولَدَارُ الآخرة خيرٌ ولَنِعْمَ دار المتقين » . « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً » . « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

احمد زكي

تحية الشآم لمصر

الى مصرٍ أزفُّ عن الشآمِ	تحيات الكرام الى الكرامِ
تحيات يفضّ الحمد منها	فمَ النسمات عن عبق الخزامِ
نُدبت لها وجرّأني اعتدادي	باقدار الدعاة على القيامِ
اذا ما كان معروف وشكر	مبادلة التصافي والوئامِ
فحباً أيها الوطنان اني	وسيط العقد في هذا النظام
وسيط العقد... لا عن زهو نفس	أقلّ الرأي يُلزمني مقامي
ولكن عن ولاء بي أكيدٍ	وعن رعيٍ وثيقٍ للذمام
أعرني ثغرَ بيروت ابتساماً	اصغ فرض الجميل من ابتسام
ويا بحراً هناك أعرْ ثنائي	نفيس الدرّ ينظم في الكلام
ويا غاباتِ لبنان المفدّى	من الدوح المجدّد والقُدام
أراكِ على الكنانة عاطفات	وقد ذكرت. أميلكِ من غرام ؟
أمدّيني بأرواحٍ زواكٍ	لاقرنها الزكيّ من السلام

٭٭٭

بلادي لا يزال هواكِ مني كما كان الهوى قبل الفطام

اقبّل منك حيث رمى الاعادي رغاماً طاهراً دون الرغام

وافدي كل جلمود فتيتٍ وهى بقنابل القوم اللئام

فكيف الشبلُ مختبطاً صريعاً على الغبراء مهشوم العظام

وكيف الطفل لم يُقتل لذنب وذاتُ الخدر لم تُهتك لذام

لعمر المنصفين أبعد هذا يلام المستشيط على الملام

لحى الله المطامع حيث حلّت فتلك أشدّ آفات السلام

تشوب الماء وهو أغرُّ صافٍ وتمشي في المشارب بالسقام

أيُقتل آمن ويقال رفقاً عليك فما حِمامك بالحمام

ستسعد بالذي يشقيك حالاً وتنعم بعد خسف بالمقام

فأما أن تعيش وانت حرٌّ فذاك من التغالي في المرام

واما ان تسام في المعالي فطائشة بمرماك المرامي

مضى عهد يجار الجار فيه ويؤخذ للحلال من الحرام

وهذا العهد ميدان التباري بلا حدّ الى كسب الحطام

مباح ما تشاء تخذه إمّا بحق الرأي او حقّ الحسام

ولا تكرثْك نوحات الثكالى ولا شكوى ضميرك في الظلام

٭٭٭

اساتذةَ المطامع ما ذكرتم هو الناموس يقدم وهو نام

فلا يضعفْ ضعيفٌ او نراه لناب الليث يصلح في الطعام

فهمنا مأخذ الجاني علينا واعذار السواسية العظام

وأن بديل عصر كان فيه عجاف القوم ملكاً للضخام

زمان ساد شعب فيه شعباً وأنزله بمنزلة السوام

فقوم من ملوك كيف كانت ... مراتبهم وقوم من طغام
وبين العنصرين خلاف نوع ... على كون الجميع من الأنام
أقول وقد أفاق الشرق ذعراً ... من الحال الشبيهة بالمنام
على صخب الرواعد في حماه ... ورقص الموت بين طلىً وهام
أقول بصوته لحماة دارٍ ... رماها من بغاة الغرب رام :
أباة الضيم من عربٍ وتركٍ ... نسورَ الشم آسادَ الموامي
قرومَ العصرِ فرساناً ورجلاً ... نجومَ الكرّ من خلف الاثام
بنا مرضُ النعيم فنسّمونا ... وغّى يشفي من الصفو العقام
بنا بردُ المكوث فادفئونا ... بحمى الوثب حيث الخطب حام
بنا عطلُ السماع فشنّفونا ... بقعقعة الحديد لدى الصدام
لقد جئتم ببرهانٍ عظيمٍ ... على انّا نعودُ الى التمام
وأنا ان جهلنا او غلطنا ... أنفنا ان نعاتب باحتكام
وأنا حيث فاتحنا كذوبٌ ... بميعاد فطنّا للختام
فان زينت لنا الأقوال عفنا ... تعاطيها كما كرة المدام

* * *

على هذا الرجاء ونحنُ فيهِ ... نسيرُ موفّقين الى الامام
مثولي رافعاً إجلالَ قومي ... الى « عباسٍ » الملك الهمام
الى ملك التضامنِ والتآخي ... عميدِ الشرقِ من بعد « الامام »
وجهري جُهدَ ما تسعُ المعاني ... بمدح شقيقهِ السنِم المقام
متمّ امارة الأصلِ المعلّى ... بفضلٍ باذخٍ كالأصلِ سام
وادعو ان يُعزَّ اللهُ مصراً ... ويوليها السعودَ على الدوام

خليل مطران

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثالث مايو (ايار) ١٩١٢ السنة الثالثة

كسوف الشمس

كسفت الشمس في السابع عشر من الشهر الفائت حوالي الساعة الثانية وربع بعد الظهر ، فرأينا ان نذكر للقرّاء شيئاً عن هذا الحادث الطبيعي :

يعرف كلٌّ من له المام بالنظام الفلكي ان القمر يدور حولَ الارض ، وهو والارض يدوران حول الشمس . وعليهِ فلا بدَّ من أن يكون القمر تارةً بين الشمس والارض ، فلا نرى منهُ إلاَّ القسم المظلم اذ أن القسم المنير يكون محاذياً للشمس ، وهذا هو « المحاق » ؛ وتارةً تكون الارض بينهُ وبين الشمس فيمكننا ان نرى حينئذٍ القسم المنير ، وذلك بعد خمسة عشر يوماً ، وهذا هو « البدر » ؛ وطوراً يكون والارض متحاذيين على مسافةٍ واحدة من الشمس ، وذلك هو « التربيع » . وبين المحاق والتربيع يكون « التثليث » ، وبين التربيع والبدر يكون « التسديس » . ولما كان القمر كالارض غير مضيءٍ بنفسهِ بل يستمدُّ كلاهما النور من الشمس ، كان لا بدَّ من أن يكون وراءَ القمر ووراء الارض في الفضاء ظلٌّ ، وكل من يكون في هذا الظلّ لا يرى الشمس ، فتظهر الشمس

مكسوفة ، عندما تدخل الارض في مخروط ظلّ القمر ، ويظهر القمر مخسوفاً عند ما يكون في ظلّ الارض لأنها تحول دون وصول نور الشمس اليهِ

ويسهل عليك ان تمثل ذلك اذا افترضتَ القنديل بمثابة الشمس ، وجعلت يدك بمثابة القمر ورأسك الارض فعند ما تمرُّ يدك امام المصباح يحتجب ضوؤه قليلاً عن ناظريك حتى يختفي تماماً ، ثمّ يعود فيظهر ثانيةً . هكذا يكون كسوف الشمس

ميعاد الكسوف وانواعه — عرفه الاقدمون باسم ساروس (Saros) وهو كناية عن ١٨ سنة و ١١ يوماً ، يحدث فيها ٤١ كسوفاً و ٢٩ خسوفاً تتعاقب في المدة نفسها كما دلّت مراقبتهم للسماء . اما اليوم فان لدى العلماء جداول فلكية وضعوها بعد الاختبار الطويل

والكسوف إما جزئي ، و إما كليّ او تام ، وإما دائري على شكل حلقة وذلك عندما تصير الشمس شبه دائرة قاتمة اللون حولها هالة منيرة . وفي الكسوف التام يكون المنظر ذا عظمةٍ مروّعة تلقي الرعب في النفوس، فتسودّ الشمس ، ويخيّم الظلام وتظهر النجوم في السماء ويستولي على الحيوانات نفسها رعب ذكره جميع الفلكيين الذين وصفوا هذا المشهد ، فرأوا المواشي واجفةً تنقطع عن المرعى ، والطيور تلجأ الى وكناتها والكلاب مرتعشة تُشغل عن متابعة اصحابها . ولو اردنا ذكر كلّ ما كتبه علماء الفلك في هذا الباب لأستغرق الموضوع صفحات عديدة

درس الشمس اثناء كسوفها — تروى هذه المغالطة عن فونتينل « لا شيء أكثر ظلاماً في طبيعته من الشمس ، فلا يتسنى لنا درسها الاّ

اثناء كسوفها » وواقع الحال يؤيد هذا القول ، فان الكسوف قد أفادنا عن الشمس أكثر من جميع المظاهر الجوّية . واذا كان أطول كسوفٍ لا يدوم أكثر من بضع دقائق فان ذلك الوقت ، وإن كان وجيزاً ، يكفي لأخذ الرسوم ودرس اطوار الشمس وبقعها . فان التقارير عن هذه الحوادث قد افادت العلم فائدة عظمى ومهّدت السبيل لاستخراج النتائج المهمة من هذا القبيل

اعتقادات الشعوب — قال فونتنيل « نرى لدى كسوف الشمس من الخزعبلات والخرافات ما يقضي بسنّ قانونٍ يمنع العلماء من الاشارة الى هذا الحادث قبل اوانهِ . . . » وكان القدماء ينسبون الكسوف الى غضب الآلهة ، او الى حنق الشمس التي تحجب طلعتها النيرة دون فظائع البشر . وقد عزا ذلك قومٌ الى يدٍ قوية تسدلُ ستاراً على منبع الأنوار ، وآخرون الى ضلال الارض عن مركزها ، وتوهم البعض ان هذا الحادث الطبيعي ليس إلاّ مفعول اعمال السحرة التي تطفئ النور . وهذا هو سبب ما كان يقدم عليهِ العامة — حتى في ايامنا — من صراخٍ وهتاف وضرب على صفائح نحاسية زعماً منهم انهم يبطلون بهذه الطريقة مفعول السحر أو يخيفون « التنّين » الذي يبتلع الكواكب . ونجد ان هذا الاعتقاد كان سائداً بين معظم الشعوب ، كالهنود والصينيين واليونان والرومان والعرب وسكان اميركا . وقد رأينا مما تقدم ان هذا التنين المخيف ليس الاّ القمر الذي يقف بيننا وبين اختهِ الشمس فيحجب عنا نورها

زعمُ هيرودوتوس ٤٨٤ — ٤٢٥ ق م — إنّ كتابات هذا المؤرخ

الشهير تدلُّ على ان اوهام الشعب كانت ساطية على افكاره من هذا القبيل. فهو يذكر حدوث الكسوف اربع مراتٍ في كتابهِ والالفاظ والعبارات التي يستعملها لوصف هذا الحادث تدلُّ على جهله حتى كلمة بمعنى «كسوف» فهو تارة يقول «أظلمت السماء بغتةً» وتارة «صار النهارُ ليلاً والنورُ ظلاماً» ومرةً واحدة يفصلّ ذلك اذ يقول «تركت الشمس مكانها في السماء واختفت عن الأبصار ولم يكن اذ ذاك لا غيم ولا سحاب ، وكان الجوُّ صافياً »

زَعْمُ اليونان — وكان من عادات بلاد مكيدونيا على عهد سقراط (٤٨٦ — ٤٠٠ ق م) ان تُوصد ابواب المنازل وتُحلَق شعور الاولاد حزناً وحداداً . ويروى عن الاسكندر الكبير انه عندما كُسفت الشمس قبيل موقعة أربيل قرّب القرابين وذبح الذبائح استرضاءً للشمس والقمر ودفعاً لغضب الآلهة وتمويهاً على الشعب

زَعْم الرومان — في سنة ١٧٨ ق م اثناء الحرب التي دارت رحاها بين برسه وبولس اميليوس حدث كسوفٌ ألقى الهلع في قلوب المتحاربين ولكنهُ لحسن طالع الرومان كان بين قوّادهم فلكي مشهور اسمه سليبسيوس جالُوس وكان قد انبأهم عن هذا المظهر الجوّي قبل اوانه فاصاب اعداءهم الفشل واصابوا الظفر . ويروي المؤرخ ديون كاسيوس ان الامبراطور اقلوديوس لما علم ان يوم تذكار تبوّئه السدة الامبراطورية يوافق يوم كسوفٍ خاف ان يتشاءم الشعب ويتطير منهُ فامر بنشر الخبر في كل المملكة مع شرح اسبابه الطبيعية وذلك تلافياً لوقعهِ السيئ

زعْم الهنود والصينيين — حدث سنة ١٨٧٧ كسوف في مدينة

لاوس من اعمال الهند الصينية ، فأحدث قلقاً عظيماً بين السكان .فكنت تراهم سائرين في الشوارع والازقّة ينشدون الاهازيج الحربية ، ويطلقون العيارات النارية نحو السماء لتهويل التنين . وفي الصين تجري احتفالات عديدة من شأنها ، على زعمهم ، إعادة الأجرام السماوية الى نظامها المسنون. ولما كان الصينيون يعتقدون ان ملكهم «ابن السماء» ومملكتهم «المملكة السماوية» أصبحوا يتوهمون ان كلّ خللٍ يطرأ على نظام السماء ناجمٌ عن خللٍ في نظام بلادهم ، وعليهِ فهم يقيمون الاحتفالات ويقربون القرابين عند حدوث مثل هذه الامور

الكسوف في التاريخ — ان النظر في بعض الحوادث التاريخية التي كان للكسوف دورٌ عظيم فيها يبيّن لنا ما وراء العلم من الفوائد ، والى اي حدٍّ تبلغ الخرافات بالشعب متى سطا عليهِ الجهل

أقدم كسوفٍ يرويه لنا المؤرخون مدوّنٌ في تاريخ الصينيين على على عهد الملك «شو» ويرتئي العلماء انهُ حدث في الثالث عشر من اكتوبر (ت ١) سنة ٢١٢٨ قبل الميلاد

وأشهرُ كسوفٍ ذكره التاريخ القديم هو كسوف سنة ٥٨٥ ق م وهو جديرٌ بالذكر لسببين : الأول لأن العالِم «تالس» Thalès كان قد تنبأ عنهُ ، وهو أول فلكيٍّ عند الأقدمين قد شرح هذا الحادث وأدرك اسبابه ؛ والثاني لأنهُ بواسطة هذا الكسوف قد توصل العلماء الى تقرير بعض حوادث مهمة . وقد رواه المؤرّخ هيرودوتس في معرض كلامهِ عن الحرب المنتشبة بين الفرس وأهل «ليديا» حيث قال ما ترجمتهُ :

« كانت رحى الحرب دائرة بين الأمتين منذ ست سنوات ، ففي احدى المواقع صار النهار ليلاً والنور ظلاماً ، فذعر المتحاربون لهذا المشهد ، وكفوا عن القتال وعقدوا الصلح » وكان المؤرخون مختلفين على السنة التي جرت فيها هذه الحرب ، فنهم من جعلها في سنة ٦١٠ ، ومنهم في سنة ٥٩٣ . غير ان الأبحاث الفلكية دلت اخيراً على ان هذا الكسوف كان حدوثهُ تماماً في ٢٨ مايو (ايار) سنة ٥٨٥ ، وهكذا ساعد علم الفلك علم التاريخ على حلّ هذا المشكل وغيره

وقد حدّث « كسنوفون » عن كسوفٍ آخر في كتابه « آناباس » لما روى وصول اليونان الى ضفاف دجلة ، قال ما ملخصه : « وكان هنالك مدينة قديمة مهجورة تحدق بها أسوار منيعة يبلغ علوّها مئة قدم ، وهي مبنية بالأجرّ الأحمر ، وكان الفُرْسُ قد حاصروها دون جدوى لمناعتها ، حتى ساعدتهم الاقدار على فتحها ؛ وذلك انه في احد الايام احتجبت الشمس عن العيان فهلع السكان وخلّوا المدينة بين أيدي العدوّ [١] » وقد حقّق العلماء ان هذا الكسوف حدث في ١٩ مايو ٥٥٧

وفي ٣ اغسطس سنة ٤٣١ حدث كسوف تام رواه « بلوترخوس » في كتابه حياة بريكلس [٢] ، قال : « وكان الاسطول (اسطول اليونان) على أهبة السفر للحرب (محاربة أهل سبارطه) وكان بريكلس على ظهر السفينة اذ كسفت الشمس كسوفاً تاماً . فأثر ذلك في البحارة وتشاءموا

(١) Xénophon — Anabase l. I. ch. 4.

(٢) Plutarque — Vie de Périclès,

من هذا الظلام غير المنتظر ، وكادت همتهم تخونهم ، لو لم يعمد بريكلاس الى حيلة لطيفة ، وهي انه أخذ رداءه ووضعه على وجه احد القواد قائلاً : ألستَ الآن في الظلمة ؟ وهل في هـذا الامر ما يخيفك ؟ — فأجاب القائد نفياً ، فقال بريكلاس : وأي فرقٍ بين هذا الظلام وذاك سوى ان الاول ناتج عن شيء اضخم من ردائي . . ؟

وجاء في توسيديد [١] « وفي ذلك الصيف عند ولادة القمر ، بعد الظهر بقليل أصاب الشمس كسوف ، حتى أصبحت كالهلال ، وظهر في السماء بعض نجوم ، لم تلبث ان عادت الى منظرها الاول »

ثم كثر بعد ذلك ورود ذكر الكسوف وشرح مظاهره في التاريخ مما لا مجال لذكره الآن . على اننا نكتفي بإيراد خبر نجاة كريستوف كولمبس : كان ذلك في غرة مارس سنة ١٥٠٤ وكان الزاد قد فرغ من السفينـة فألقت مرساتها تجاه الجزيرة المعروفة اليوم باسم «جامايكا» فطلب كولمبس من سكانها المتوحشين مؤونة وزاداً ، فرفضوا . وكان عالماً بأن الشمس ستكسف في اليوم الثاني فاتخذ ذلك وسيلة للتهويل عليهم ، فأنذرهم بمنع نور الشمس عنهم ، اذا هم لم يجيبوا طلبـه ، ولا تسل عن رعبهم في ثاني يوم عندما رأوا كسوف الشمس ، ولم يفهموا فيـه الاَّ تنفيذ ما هُدّدوا به . فتراموا على اقدام كولمبس يستعطفونه ، وقدموا له كلّ ما طلب وأصبحوا ينظرون اليه نظرهم الى الهٍ

(١) Thucydide le II ch. 28.

الكهانة

قلنا فيما تقدَّم ان الكهّان يعرفون الغيبَ بوحيٍ من الشيطان ، فتلك هي الكهانة الأصلية عندهم ، وأصحابُها أوسع الكهان علماً وأعظمهم خطراً ، وأسماهم مقاماً ؛ ولكنَّ هنالك طُرقاً اخرى لمعرفةِ الغيب تختلف عن الكهانة الأصلية في أسبابها وشروطها وكيفيتها ؛ كالعرافة والعيافة والطرق بالحصى والحزو والتنجيم وكلها ضروبٌ من الكهانة الاَّ أن أهلها أقلُّ من الكهان علماً ، وأدنى منهم رتبةً ، وهم نفسهم مراتب ودرجات . والعربُ يطلقون اسم الكاهن على العرَّاف ، والعائف ، والطارق بالحصى ، والحازي ، والمنجّم ، وعلى كل متكهّن يتعاطى الخبرَ عن الكائنات في مستقبل الزمان . وربما استعمل بعضهم العرَّاف بمعنى الكاهن ، فيطلقهُ على كل متكهن

أما العرَّاف فهو الذي يعرف الأمورَ بمقدمات أسباب يستدلُّ بها على مواقعها من كلام مَن يسأله أو فعلهِ أو حاله . فعلمهُ قاصرٌ على معرفة الشيء المسروق وسارقهِ ومكان الضالة ، ودواء المريض ، ومواقع السحاب ، ونحو ذلك

وقد اشتهر من العرَّافين في الجاهلية رُباح بن كحلة[1] عرَّاف اليمامة ، والأبلق الأسديّ عرَّاف نجد ، وكان كلاهما في العصر الأخير من زمن الجاهلية . وأولهما هو المقصود بقول عروة بن حزام :

فقلتُ لعرَّاف اليمامة داوني ... فانك ان داويتني لطبيبُ

واليهما معاً أشار الآخر في قوله :

جعلتُ لعرَّاف اليمامة حكمهُ ... وعرَّافِ نجدٍ ان هما شفياني

فقالا شفاك اللهُ واللهِ ما لنا ... بما حملتْ منك الضلوع يدان

ومن اشتهر أيضاً بالعرافة هند صاحب المستنير الذي يقول عنهُ المسعودي انهُ

(١) هكذا في مروج الذهب وجاء في مقدمة ابن خلدون رباح بن عجلة

كان في غاية التقدم فيها ، وكذلك الأجلح الزهري وعروة بن زيد الأسدي

وأما العائف فهو الذي يتكهن بواسطة العيافة ، وهي زجر الطير او الوحش ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها . قال الأعشى :

ما تعيفُ اليوم في الطير الرَّوَح . من غراب البين أو تيس بَرِح

وقال الفرزدق :

وليس ابنُ حمراء العجان بمفلتي ولم يزدجر طير النحوس الأشائم

وقال الاخطل يخاطب امرأة وسيمة تزوَّجها رجل دميم :

فهلا زجرت الطير ليلة جئته بضيقة بين النجم والدَّبران

وهو كثير في شعرهم . وهذا النوع من الكهانة أشهر أنواعها عندهم : ومنشأوه اعتقادهم باليمن والشؤم . فاليمين عندهم خير ، والشمال شرّ . ولذلك اشتقت لفظة التيامن واليمن والتيمن من اليمين ، كما اشتقت لفظة التشاؤم والشؤم من معنى كلمة الشمال ، لأن المشأمة في اللغة بمعنى الميسرة ، واليد الشؤمى والجانب الأشأم ، بمعنى اليد اليسرى والجانب الايسر . فلذلك الاعتقاد كان الرجل منهم اذا أراد حاجة أتى الطير في وكره فنفّره ، فان أخذ يميناً مضى لحاجته ، وان أخذ شمالاً ، رجع . وهذا هو الاصل في زجر الطير [1] . ومن ثم استعملوا كلمة الطيَرة بمعنى التشاؤم ، ثم أطلقوا الزجر على الوحش ايضاً ، وتوسعوا في كيفيـة الزجر واحواله ، فقالوا : الزجرُ للطير وغيرها ، التيمنُ بسنوحها ، والتشاؤم ببروحها ، والاعتبار باسمائها واصواتها وممرّها . فلما صار كذلك اختلط أمره على العامة فأصبح ضرباً من الكهانة بعد ان كان اعتقاداً بسيطاً باليمن والشؤم ، فصار العائف ، اذا عاف طيراً او وحشاً ، يتكهن فيخبر بأمور من الغيب ، كما يفعل العرّاف . وربما عاف بالحدس ، وهو لم يرَ شيئاً ، لا طيراً ولا وحشاً . وبقي التفاؤل والتشاؤم على بساطته الاصلية للعامة فقط

ومن القبائل التي اشتهرت بالعيافة في الجاهلية بنو أسد . قيل ان قوماً من الجن تذاكروا عيافتهم ، فأتوهم ، فقالوا : ضلَّت لنا ناقة فلو ارسلتم معنا من يعيف ، فقالوا

(١) مقامات الحريري

لغُلَيِّمٍ منهم انطاق معهم . فاستردفه احدُهم ، ثم ساروا فلقيتهم عقاب كاسرةً احد جناحيها . فاقشعرَّ الغلام وبكى . فقالوا مالك ؟ فقـال كسرت جناحاً ، ورفعت جناحا ، وحلفت بالله صراحا ، ما أنت بانسيٍّ ولا تبغي لقاحا

وممن اشتهر بالعيافة من الاشخاص عبيدُ الراعي حدَّث المنقريُّ عن العتبيّ قال : وقف عبيد ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم ، اذ سنحت ظباء سود منكَّرة ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها ، واقفة على شأنها ، فانكر ذلك عبيد الراعي ولم ينتبه اليهِ اصحابه فقال :

ألم تدرِ ما قال الظبـآء السوانحُ　　أطفنَ أمام الركب والركب رائحُ
فكبَّرَ من لم يعرف الزجر منهم　　وأيقن قلبي أنهنَّ نوائحُ

ثم شارفوا مقصدهم ، فألفوا الرئيس قد نهشتهُ أفعى فأتت عليه . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وهذا من غريب الزجر . وذلك ان السانح مرجوٌّ عند العرب ، والبارح هو المخوّف ، وأظن عبيداً انما زجر الظبآء في حالة رجوعها ، ووصف الحال الاول في شعره كما ان من شرط الواصف ان يبدأ بهوادي الاسباب ، فيوضح عنها فهذا هو وجه زجر عبيد الراعي في شعره

اما السانح والبارح فقد اختلف أئمة اللغة في تعريفهما . قيل السانح ما أتاك عن يمينك من ظبي او طائر او غير ذلك ، والبارح ما أتاك من ذلك عن يسارك . وقال رؤبة : السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره . وقيل : السانح الذي يجيء عن يمينك فتلي مياسره مياسرك . وقال أبو عمر الشيباني : السانح من جاء عن يمينك الى يسارك وولاك جانبه الايسر وهو انسيُّه . والبارح ما جاء عن يسارك الى يمينك وولاك جانبه الايمن وهو وحشيُّه . وقيل : بل السانح ما مرَّ بين يديك من جهة يسارك الى يمينك ، والبارح ما مرّ من يمينك الى يسارك . ولا يخفى ما في كل ذلك من المناقضة . وكذلك قال بعضهم : السنُح الظباء الميامين . وقال البعض الآخر : السنُح الظباء المياشيم

واكثرُ العرب يتيمنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح . ومن ذلك المثل « من

لي بالسانح بعد البارح » وأصله ان رجلاً مرّت بهِ ظباء بارحة فتطيّر من ذلك فقيل له : عسى ان تمرّ بك اخرى سانحة ، فقال المثل . وهو يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه . وقال أبو دؤيب :

أربتُ لإربتهِ فانطلقتُ　　أرجّي لحبّ اللقاء سنيحا

وأنشد أبو زيد :

أقول والطير لنـا سانحٌ　　يجري لنا أيمنهُ بالسعودِ

وأنشد الليث :

جرت لك فيها السانحات باسعدِ

وقال الشاعر :

أبالسُنُح الأيامن ام بنحسٍ　　تمرُّ بهِ البوارحُ حين تجري

وقال ذو الرمّة :

خليـليَّ لا لاقيتما ما حييتما　　من الطيرِ الا السانحات وأسعدا

وقال النابغة :

زعم البوارحُ انَّ رحلتنـا غداً　　وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسود

ومن العرب مَن يتيامن بالبارح ، ويتشاءم بالسانح ، قال الأعشى :

أجارَهما بشرٌ من الموت بعدما　　جرَى لهما طيرُ السنيح بأشأمِ

وبشر هذا هو بشر بن عمرو بن مرثد ، وكان مع المنذر بن ماء السماء يتصيد في يوم بؤسه الذي يقتل فيهِ أول من يلقـاه . وكان قد أتى في ذلك اليوم رجلان من بني عمّ بشر فأراد المنذر قتلهما ، فسأله بشر فيهما فوهبهما له

وقال زهير متشائماً أيضاً بالسانح :

جرت سَنحاً فقلتُ لها أجيزي　　نوًى مشمولةً فمتى اللقـاء

وقال كثيّر :

أقولُ اذا ما الطيرُ مرَّت مخيفةً　　سوانحها تجري ولا أستثيرُها

وقال عمرو بن قميئة :

فبيني على طيرٍ سنيحٍ نحوسةُ		وأشأم طيرِ الزاجرين سنيحها

قال ابن بري : أهل نجد يتيمّنون بالسانح ، ويتشاءمون بالبارح ، والعكس من ذلك عند أهل الحجاز . فهذا هو الأصل ثم قد يستعمل النجديّ لغة الحجازي، والحجازي لغة النجدي ، أقول : والظاهر من كل ذكرناه ان جميع العرب يتيمنون بالأيامن ، ويتشاءمون بالأشائم ؛ وانما الخلاف واقع عندهم في معنى السانح والبارح لغةً . فقد رأيتَ ان السانح عند قوم على حسب تعريفهم له هو البارح عند غيرهم . وكذلك السنح عند قوم الظباء الميامين ، وعند غيرهم الظباء المياشيم ؛ فلذلك يتايمن هؤلاء بما تشاءم بهِ الآخرون فكانوا بذلك موافقين لهم في الحقيقة ، لأن الخلاف انما هو في الإسم لا في المسمّى

قلنا إن اصل العيافة هو اعتقادهم باليمن والشؤم وان اليمين عندهم خير ، والشمال شرّ . أما تفضيلهم اليمين على الشمال ، فقد جاروا فيهِ الطبيعة التي جعلت الأعضاء اليمنى من جسم الانسان أقدر من اليسرى وأقوى . وجاراهم في ذلك التفضيل جميع الشعوب . فكان المحل الأيمن أفضل المحلين ؛ وبذلك قضى الله نفسهُ اذ جعل اليمينَ لأهل الجنَّة ، والشمال لأهل النار ، وجعل لكل رجلٍ ملكاً عن يمينهِ ، وشيطاناً عن شماله . وقد جاء في صحيح البخاري ان النبيّ كان يحب التيمن ما استطاع في شأنهِ كلهِ في طهوره وترجله وتنعلهِ

وأما الطارق فهو الذي يتكهن بواسطة الطرْق بالحصى ، وذلك ان يخطَّ في الأرض أو الرمل خطوطاً باصبعين ، ثم باصبع ، ويقول : ابني عيَان أسرعا البيان ثم ينبيء عما سئل عنهُ . وربما يكون النداء لابني عيان في العيافة أيضاً وفي غيرها من ضروب الكهانة . واكثر كهان الطرق من النساء . قال لبيد :

لعمركَ ما تدري الطوارقُ بالحصى		ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

وقيل الطرقُ ان يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن . والظاهر ان الطرقَ في الأصل كان بالحصى ، ثم توسع فيهِ بعضهم الى القطن والصوف ، وبقي الإسم على أصله . ومن أمثال العرب التي تُضرب للذي يخلط في كلامهِ ، ويتفنن فيهِ ،

قولهم : اطرقي وميشي . قال رؤبة :

عاذلَ قد أُولعتِ بالترقيشِ　　　اليَّ سرًّا فاطرقي وميشي

وفي لسان العرب : الطرق في الأصل هو ضرب الصوف بالعصا ، والميش خلط الشعر بالصوف

وأما الحازي فهو الذي يتكهن بواسطة الحزو ؛ وهو ان ينظرَ في الأعضاء والغضون وخيلان الوجه فيتكهن . قال الشاعر :

وحازيةٍ ملبونةٍ ومنجّسٍ　　　وطارقة في طرقها لم تسدّد

قالَ ابن شميل : الحازي أقلُّ علماً من الطارق ، والطارق يكاد يكون كاهناً ، والحازي يقول بظنٍّ وخوف

والعرب يستعملون لفظة الحزو بمعنى الزجر أيضاً فيقولون : حزَونا الطير نحزوها حزواً ، أي زجرناها زجراً . قال ابو زيد وهو عندهم ان يَنغق الغرابُ مستقبل رجل ، وهو يريد حاجة ، فيقول : هو خير ، فيخرج او ينغق مستدبره فيقول هذا شرٌّ فلا يخرج وان سنح له شيء عن يمينهِ تيمن بهِ ، او سنح عن يساره تشاءم بهِ ، فهو الحزو والزجر

وأما المنجّم فهو الذي يتكهن بواسطة التنجيم . وذلك ان يرعى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ليعلم منها احوال العالم . وفي كتب اللغة علم النجوم عندهم علم يبحث فيهِ عن احوال الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب . وموضوعه النجوم من حيث يمكن ان تعرف بها احوال العالم . ومسائله هي كقولهم : كلما كانت الشمس مثلاً على هذا الوضع المخصوص فهي تدلُّ على حدوث امر كذا في العالم

والاصل في هذا الضرب من الكهانة أنهم كانوا يعتقدون ان كل ما يحدث في هذا العالم من الحوادث انما سببه النجوم من حيث سيرها ومنازلها وأنوائها واقترانها الى غير ذلك من احوالها ومظاهرها . فنسبوا اليها البرد والحر والصحو والمطر والخير والشر والصحة والمرض والحرب والسلم والسعد والنحس ، وهو الاعتقاد الذي جعلهم يعبدونها في القِدَم . فلما وُجد عندهم ذلك الاعتقاد أخذوا يلاحظون النجوم

ويراقبونها ويلاحظون سيرها ومواقيتها حتى اذا حدث في الأرض حادث ما في زمن ما ، ثم عاد الفلك الى هيأته التي كان عليها حين وقع ذلك الحادث ، أنبأوا بعوده ايضاً بناءً على ان الاسباب الواحدة ، في حالة واحدة ، تُنتج دائماً نتائج واحدة . فهذا هو الاصل في علم النجوم . ثم اتخذه بعضهم طريقةً لكسب المال فجعلوه ضرباً من ضروب الكهانة ، وصاروا يخبرون بما يخبر بهِ الكهّان من احوال الغيب المختصة بافراد الناس ، كتفسير الاحلام ، وادواء الامراض ، ونجاح المسعى ، وما أشبه ذلك . واعتقدت عامة الشعب ان كل شيءٍ سرّه في النجوم ، وان الانسان قد يعلم الغيب بالوحي الفلكي . فمن ثم قالوا في كلامهم : نظر فلان في النجوم ، بمعنى انه فكَّر في أمرٍ ينظر كيف يدبّره . فصار ذلك في اللغة [1] كما تقول : بفلان جُنَّة ، بمعنى انه مختلّ العقل . وهـذا من شواهد تأثير اعتقاد الشعوب في لغاتهم وهو كثير في اللغة العربية

تلك هي أشهر ضروب الكهانة في الجاهلية . فاذا كان عندهم ضروب اخرى فلا عبرة بها لعدم شهرتها بينهم ، فضلاً عن انها لا بد ان تكون مأخوذة من الضروب الاصلية التي أتينـا على ذكرها كما أُخذ الطرقُ بالقطن والصوف من الطرق بالحصى

ولم يكن للكهّان صفة دينية اصلاً ، بخلاف الكهنة عند اليهود . ولعل السبب في ذلك كون وحيهم من الشيطان ، ووحي كهنة اليهود من الله . وكان أهل الرتبة العليا منهم ينقطعون الى الكهانة فلا يشتغلون بعمل آخر ، ولا يشتركون مع القبيلة اشتراكاً مادياً في شؤونها العموميـة بل كانوا يعيشون عادة محتجبين عن ابصار العامة ، الا يخالطهم أهلهم وذووهم ، ولا يقابلهم من الناس الا مَن قصدهم ليستطلع

---

(١) جاء فى القرآن الشريف عند الكلام على ابراهيم : « فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم » قال الليث : يقال للانسان اذا تفكر فى امر ينظر كيف يدبره ، نظر فى النجوم قال : وهكذا جاء عن الحسن فى تفسير هذه الآية ، أى تفكر ما الذى يصرفهم عنه اذا كلفوه الخروج معهم   (لسان العرب)

منهم الغيب . وكان معاشهم من الهدايا التي يقدمها لهم أولو الحاجات . وكان العرب يحترمونهم لعلمهم وسعة اطلاعهم ، وربما احترموهم بسبب علاقتهم ذاتها بالجنّ والشياطين . وبناء على ذلك الاحترام كانوا يسمون كل صاحب علم دقيق كاهناً كالطبيب والقُناقِن وهو البصير بالماء تحت الارض وكذلك كل حكيم بصير بالامور . وقد جاء في الحديث ان شريحاً كان زاجراً شاعراً . وفي حديث ابن سيرين : ان شريحاً كان عائفاً . أراد انه كان صادق الحَدْس والظن ، لا انه كان يفعل فعل الجاهلية في العيافة . ومن المحتمل ايضاً ان تكون تسميتهم للطبيب والقناقن كاهناً من قبيل الحقيقة في لغتهم لا المجاز ، لان الجهل كان مخيماً على عقول عامتهم ولا فرق عند الجاهل بين من ينذر بموت رجل ، حيث لا ترى العامة شيئاً من الخطر ، او ينذر بخوف قبل حصوله ، وبين من يخبر بمكان الضالة ، او بتفسير الاحلام ، فكلا الامرين عند الجاهل من قبيل معرفة الغيب . وبناء على ذلك لا يبعد ان يكون قد دخل عندهم في عداد الكهان كثيرون من الاشخاص الذين كان لهم المام حقيقي بالطب والفلك او غير ذلك من العلوم

ولم تزل الكهانة في الجاهلية الى ان جاء الاسلام فابطلها . وقد اوردنا كلام الأزهري في هذا الخصوص . وجاء في الحديث أنهُ نهى عن حلوان الكاهن ، وعن الطيرة . وفي الحديث ايضاً من أتى كاهناً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد . قالوا أي من صدَّقهم

وجاء في صحيح البخاري انهُ كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان ابو بكر يأكل من خراجه . فجاء يوماً بشيء فأكل منهُ ابو بكر فقال له الغلام : تدري ما هذا ؟ فقال ابو بكر وما هو ؟ قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة ، الاَّ اني خدعته فلقيني فاعطاني بذلك فهذا الذي اكلت منه . فادخل ابو بكر يده فقاء كلَّ شيء في بطنه

على اننا بالرغم عما جاء به الدين ، لا نزال نرى حتى الآن سوق الكهانة رائجة في كل بلاد نطق اهلها بالضاد ، كأنَّ الجهل يأبى الاَّ ان يكون محفوفاً ابداً بانواع

الخرافات ، او كأن خرافات الجاهلية ملازمة للفتهم ، لا تنفصل عنها ، فورثناها معها. وكأني بنا قد خجلنا من وقوفنا عند الحد الذي وصلت اليه اجدادنا ، فبعد ان كانت الكهانة على نحو ما ذكرناه في هذا الباب ، جعلناها نحن علماً بل علوماً باصولٍ ذات قواعد وروابط وشروط . وألَّفنا فيها الكتب العديدة ، وأضعنا فيها الوقت الثمين ، وزدنا عليها ضروباً وانواعاً لم تكن معروفة في الجاهلية اصلاً فافسدنا عقول الشعب بالاوهام والاكاذيب . وقد كان عدد الكهان في الجاهلية قليلاً بحيث لا يصيب العشرَ القبائلِ كاهن واحد ، وأما الآن فلا شارع من شوارع مدننا الاّ وفيه الرمَّال والحاسب والحازيء ، وباصر البخت ، وضارب المندل ، وكلُّ دجّال خدَّاع ، يسلبون فقراء الناس اموالهم عاجلاً ، ويعدونهم بالسعادة آجلا . نعم ان الكهانة ممنوعة بامر الحكومة في بلادنا ، ومعاقب عليها في قوانيننا ، ولكن اخلاق الشعب ورجال الضبط والربط بالجملة لم تزل على حالتها الاصلية ؛ وربما تعجبوا من وجود مثل ذلك النصّ في قوانين الحكومة وأنكروا عليها معارضتها لأناس يعلمون الغيب ويخدمون الناس باطلاعهم على أسرار المستقبل . ولذلك تراهم يغضون الطرف عنهم فلا يتعرضون لمنعهم . وقد رأيتُ مرَّةً احد رجال البوليس انحرف عن قارعة الطريق قاصداً احد الرمَّالين ، فظننتُ انهُ ذاهب لمنعه من نشر بضاعته في الشارع العمومي واثبات مخالفته للقانون ، ولم اكن اظنّ في أمثاله ذلك الترقي الأدبيّ . فأخذني العجب وأتبعتهُ بنظري ؛ فاذا هو وقد جلسَ بين يدي الرمَّال ، وأخذ يستطلع منهُ الغيب ، ويسمع شقشقتهُ بغاية ما يكون من الجد والاحترام

اسكندر عمون

في الادارة مجموعة « الزهور » عن سنتيها الاولى والثانية
وثمن المجموعة الواحدة مجلدة خمسون غرشاً

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة التاسعة

من جوزيفين الى ناپوليون بونابرت

(لا نخال أحداً من القراء يجهل اسميّ جوزيفين وبونابرت وما وقع بينهما من النفور الذي أفضى الى الطلاق . وكان ذلك في أواخر سنة ١٨٠٩. الأ ان جوزيفين ظلت تراسل ناپوليون حتى أيامها الاخيرة . ولو سمحت لها الدول المتحالفة لرافقتهُ الى منفاه . وكان موتها في سنة ١٨١٤ أي بعيد سقوط ناپوليون . وقد وصفها جميع المؤرخين بالصفات الطيبة وأجمعوا على ان ناپوليون كان مديناً لها بأمور كثيرة لا يسعنا الاسهاب فيها الآن . قيل انها كانت تتشاءم من ارتقائهِ الى العرش وتخشى ان يحمله ذلك على طلاقها والاقتران بأميرة من أميرات الأسر المالكة . وقد تم ذلك . أما الرسالة الآتية فقد بعثت بها اليهِ على أثر ولادة وليّ عهده من ماري لويز) :

صحوت اليوم وقرع النواقيس يملأ الجوّ وهزيم المدافع يرنّ في الفضاء . فسألت عن السبب فقيل لي ان جلالة الامبراطورة قد وضعت مولوداً سيرث عرش فرنسا ويضيف صفحة مجدٍ جديدة الى تاريخ آبائهِ . وقد كنت أودّ لو بلغتني هذه البشارة منك قبل ان اسمعها من افواه الناس فكنت افرح لفرحك وتقرّ عيناي بأن ترى لك من يخلّد لك ذكرك ويورثه للأجيال المقبلة . فان ساءك انني تمنيت سماع هذه البشارة من فمك فان ما كان بيننا من العهد السابق شجّعني على تعليل نفسي بهذه

الامنيَّة . ولعلّ ذكرى أيامنا الماضية تشفع بي لديكَ وتبدد عن محياك غمامة الكدر والاستياء

لست اقصد يا صاحب الجلالة ان اراضيك بهذه الرسالة او أكفّر عن سيآتي الماضية اليك . فان تلك السيآت أعظم من ان يشفع بها ما اعانيه من مضض هذا الفراق واحتمله من اراجيف الوشاة . لاسيما واني لا أعرف لنفسي حسنةً سوى اني أحببتك حباً يقرب من العبادة فكان جزآء حبي لك انك فصمت عرى مواثيقنا المقدسة بحجة اني لم ألدْ لك من يرث عرشك من بعدك . وبلغتْ منك القسوة أن اتهمتني بامور ما أنزل الله بها من سلطان

ولست بلائمتك على تصرّفك هذا يا صاحب الصولجان . ولكن راعني ما رأيت نفسي فيه من اليأس . فرأيت ان أبسط اليك كتابي هذا واهنئ شعبك بولي عهدك ووارث عرشك . مع اني احسبك في غنى عمن يخلد لك ذكرك لان الذكر الذي قد خلفته ستتوارثه الاجيال المقبلة خلفاً عن سلف . ولسوف يأتي يوم يرى فيهِ العالم ان الالهة أساءت اليَّ اكثر مما اسأتُ انا اليك اذ لم تقدّر لي ان أهبك من يخلد لك ذكرك من بعدك . لذلك حاولتَ ان تنتزع حبي من قلبك . فلجأت الى غيري لتبلغ بها ما كانت نفسك تطمح اليه . فهنيئاً لها من امبراطورة سعيدة وهنيئاً لفرنسا بوارثها المقبل

ولقد رضيت بنصيبي هذا بعد ان احتملت منهُ في اول الأمر ما تنوء من ثقله راسيات الجبال . وكنت أقول يومئذٍ ان الزمان هو الطبيب

الاكبر فلن يمرّ العام حتى انسى ما بيننا من وعودٍ وعهود . وهوذا الآن قد مرّ ذلك العام وانا لا ازال اعاني ما كنت اعانيه يومئذٍ من غصص وحسرات

والذي يحزنني اكثر من كل شيء هو انني محرومة رؤيتك اذ تمرّ بي ايام طويلة مملّة ولا ارى لك حتى شبه خيال الاّ في الحلم . ولو تعلم شدة هذا العقاب لكان لي من دموعي شافع لديك . ولكنك قد اغمضت عينيك فلست ترى ما اعانيه من غصص مبرّحة . واذا كان في العالم قوة تمنعني عن اخماد أنفاسي بيدي فذلك لأني واقفة على عتبة الأبدية وقد غطست فيها ركبتاي . فلماذا أضيف الى آثامي العديدة اثماً آخر بوضع حدٍ لأنفاسي بيدي ؟ وفضلاً عن ذلك فان موتي يورثك من تأنيب الضمير ما لا اطيق ان أراك معذباً به . ولأشهى على قلبي ان أراك سعيداً ولو على بعد منك ، من ان تعيش معذباً وأنا قريبة اليك

كان ينبغي ان افرح لفرحك اليوم . ولكنّ ذكرى عهودنا السالفة لم تُبقِ في قلبي مجالاً للسرور اذ كيفما التفتّ أرى ما يروعني من الفرق بين الامس واليوم . ويزيد روعي كلما تأملت في ما عسى ان يجيء به الغد وقد يمثل لي شبح الغد بصورة تنين هائل . فيزيد بي انقباضي ولا أرى من خلال ظلمته الحالكة الا شعاع املٍ ضعيف هو ان انام اليوم ولا استيقظ في الغد . ترى هل يحزنك غداً موت امرأة كنت تعبدها بالأمس ؟ أم يصدق فيك المثل القائل ان البعيد عن العين بعيد ايضاً عن القلب ؟

لا يسوءك عتابي هذا فان اليأس الذي انا فيه هو الدافع لي على النطق بكلام ربما لا ترضاه . واني ليدهشني فرط الشجاعة التي بدت مني في خلال العام الغابر اذ لم اكن اصدّق قبلاً ان امرأةً مثلي تستطيع ان تحتمل ما احتملته من عذاب وشقاء . والذي شجعني على احتماله هو أملي ان يكون لي من ورائه كفارة عن هفواتي تشفع بي لديك وتنسيك كل شيء ما عدا حسنتي الوحيدة وهي اني أحببتك حباً مخلصاً على رغم ما كان يبلغك عني من الاراجيف . وليست غايتي الآن ان ادافع عن نفسي بين يديك ، فإن ما كان بيننا قد انطوت صفحته ، وقضاءك لا مرد له . وانما أردت ان انبهك الى أمرٍ قد يسهو عنهُ الملوك والعظماء . وهو ان واضع الشرائع يجب ان يكون نموذجاً للعدل . واما انت فقد وضعت نفسك موضع الخصم والحكم ، وسددت اذنيك عن سماع صوت الرحمة والرأفة

لما كنت أسمع بانتصاراتك الباهرة كنت أفرح وأشعر كأنني حاملة راية النصر . ولا أزال حتى الآن أتوق الى سماع أخبار انتصاراتك وأتمنى ان تزيد منها كل يوم صفحةً جديدة الى تاريخك المجيد

وفي الختام اقبل تهنئاتي لك بوارث عرشك وأطال الله بقاءك حتى ترى أولاد أولاده . . . .

جوزفين   (بقلم سليم عبد الاحد)

نابوليون الأول وحرب روسيا (١)

ان كل ما كان يحفُّ بنابوليون أوحى اليهِ المنهاج الذي جرى عليهِ في تمثيل دوره ، وجعله يلقي على عاتقهِ عبء مسئولية الحوادث الحاضرة والمستقبلة بدلاً من ان يتهيأ نفسهُ لتمثيل الدور المقضي عليهِ تمثيله

انهُ لم يكن يأتي عملاً من الأعمال او يقترف جريمة من الجرائم او يباشر سرًّا من الأسرار البسيطة ، الاَّ ويبادر الناس الى التنويه بيسانه

ان الألمان لم يجدوا شيئاً يروقهُ أفضل من الاحتفال بتذكار معركتي ايانا وارستاد

ولم يكن هو وحده عظيماً ، بل كان أجداده واخوتهُ وأولاد اخوتهِ وأصهاره جميعهم عظماء . وكان كلُّ شيءٍ يأول بسهولة الى ان يزيل منهُ آخر أثرٍ من آثار العقل ويعدُّه لتمثيل دوره الهائل . ولما تمَّ له الأمر كانت جميع القوى مستعدَّة لمناصرتهِ

وباشر غزو المشرق فانتهى الى الغاية الأخيرة وهي موسكو، فاستولى على تلك العاصمة وساق الى الجيوش الروسية متالف لم يكُ قد ساق مثلها الى الجيوش المعادية له من عهد موقعة اوسترليتز الى اليوم الذي جرت فيهِ موقعة واغرام

وعوضاً عن الصدفة والدهاء اللذين جعلاه يتنقل من انتصار الى انتصار جارياً الى الغاية المنصوبة لهُ ، تلقى فجأة مجموع صدفٍ معاكسة له من الزكام الذي أصابهُ في بورودينو الى الشرارة التي أضرمت النار في موسكو والبرد القارس في روسيا . وبدلاً من الدهاء نجد فيهِ ضعفاً وصغارة لم يذكر التاريخ شيئاً يماثلهما

وكانت الغزوة تتقدَّم ولكن بشكلٍ معاكس، وصارت جميع الصدف معادية له بعد ان كانت من أحلافهِ . وحينئذٍ شهدنا حركة مخالفة موجهة من الشرق الى الغرب تشابه كل المشابهة الحركة التي سبقتها

---

(١) راجع الزهور الجزء ٢ ص ٦٥

وقد أُعلنت حركة جديدة بمساعي عديدة جرت في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩ ، فتألفت عصابة كالعصابة الماضية وجعلت تكبر حتى صارت جماهير غفيرة وتألبت شعوب اوروبا الوسطى عند تلك الحركة التي كانت معتبرة تكراراً للحركة السابقة ، لأنهُ لم يكن ينقصها شيء لتماثلها مماثلة تامة من مثل التردُّد في اثناء الطريق وازدياد السرعة عند الاقتراب من الغاية . وأُدركت باريس ، وهي الغاية الاخيرة لتلك الحركة ، وكان من وراء ذلك انكسار نابوليون وجيوشه

وان نابوليون ذاتهُ لم يُعَدّ شيئاً مذكوراً وصارت أعماله الاخيرة تستثير الشفقة عليهِ والنفور منهُ . ومع ذلك بدت صدفة جديدة تعجز الافهام عن ادراكها ، فان المتحالفين كانوا يبغضون نابوليون ويعتبرونهُ سبباً لجميع نكباتهم

وكان يُقضى عليهم في ذلك الحين ، عند زوال مهابتهِ وتقلص ظلّ قوّتهِ واتهام الناس له باقتراف الجرائم والغدر ، ان ينظروا اليهِ بنفس المقلة التي كانوا ينظرون اليهِ بها قبل ذلك العهد بعشر سنوات وبعده بسنة واحدة ، اي ان يروا فيهِ لصاً نبذتهُ الشريعة الاَّ ان صدفة غريبة لم تجعل الناس يعتبرونهُ ذلك الاعتبار . ولكنهُ لم يكن بعد قد اكمل تمثيل دوره . فان ذلك الرجل الذي كانوا يعتبرونهُ لصاً نبذتهُ الشريعة أُرسل الى جزيرة تبعد يومين عن فرنسا وأعطي تلك الجزيرة وعُيّن لخدمتهِ خفراء وخصص لنفقاتهِ ملايين من الفرنكات لأسباب لا يعلمها الاَّ الله

وبدأتْ حركة تلك الشعوب تسكن ، وهدأت الأمواج الزائرة وعقبها في ذلك البحر الساكن تموجات لطيفة ركب متنها سياسيون كانوا يتوهمون ان الفضل من ذلك السكون مرجعهُ اليهم

وعاد البحر الى الهيجان ، فاعتقد اولئك السياسيون ان الخلاف الذي نشأ بينهم كان أصلاً لذلك الهيجان ، وباتوا يتوقعون انتشاب حرب بين مواليهم وبانت لهم تلك الأحوال مأزقاً لا مخرج له . بيد ان الأمواج التي كانوا يشعرون بدنوّها منهم لم تأتِ من الجهة التي كانوا ينتظرونها ، بل كانت هي نفس الأمواج الآنفة الذكر آتية من باريس

وان ذلك الرجل الذي ألقى فرنسا في وهدة الخراب عاد اليها وحده دون ان تصحبهُ الجنود ، ودون ان يكون لديهِ خطة معروفة يسير عليها ؛ وكانت حياتهُ تحت رحمة كل خفير يلقاه في طريقهِ . ولكنهُ بصدفةٍ غريبة لم يُمس بأدنى أذى . وهرع القوم لملاقاته باحتفاء خلافاً لما كان منتظراً منهم ؛ وطبقت أصواتهم الفضاء بالتهليل لذلك الذي كانوا بالأمس يقذفونهُ باللعنات ، والذي سيعودون بعد شهر من الزمان الى لعنهِ . ولم يجرِ ذلك الاَّ لأنهم كانوا لا يزالون محتاجين الى ذلك الرجل لاتمام الفصل الاخير . انتهى الفصل وتمَّ الدور الاخير ، وأُمر الممثل ان يخلع لباسهُ وينزع عنهُ خضابهُ لاستغنائهم عنهُ

وهو نفسهُ أظهر للملا طرًّا بكل وضوح حقيقة ذلك الشيء الحقير الذي كان البشر يعتبرونهُ قوَّة حين كانت يد الحوادث غير المنظورة تقوده

وان مدبّر الكائنات الحقيقي عند انتهائهِ من تلك الرواية أمر أهم الممثلين فيها ان ينزع عنهُ ما كان متنكراً بهِ وأرانا اياه ، قائلاً : « انظروا ذلك الذي آمنتم بهِ . واعلموا الآن اني أنا الذي جعلتكم تسيرون على الطريق التي سلكتموها . وليس هو ! »

الاَّ ان البشر الذين تعمي بصائرهم قوَّة الانجذاب لبثوا مدَّة طويلة وهم لا يدركون الحقيقة

وانا نجد اموراً كثيرة مقدَّرة في حياة الاسكندر الأول وهو ذلك الشخص الذي ترأس الحركة المعاكسة ، اي تلك التي جرت من الشرق الى الغرب . فما هي الصفات التي كان مزداناً بها ذلك الرجل لتمكنهِ من تصيير ما سواه نسياً منسياً وترؤس تلك الحركة ؟

انهُ كان ولا مراء قد ازدانَ بعاطفة العدالة وعُني عناية حقيقية بشؤون اوروبا ولم يتعلق بأذيال امور لا طائل تحتها . وكان متحلياً بصفات ادبية تفوق صفات الملوك المعاصرين له وذا اخلاق لطيفة تستميل اليهِ القلوب وقد شعر باهانة شخصية نالتهُ من نابوليون

ان جميع هذه الاشياء المميزة كانت متجمعة عند الاسكندر الأول ، وقد حشدتها الصدف الكثيرة او الصدف المزعومة التي حدثت في حياتهِ الماضية ، وساعدها كل شيء كتربيتهِ واصلاحاته المبنية على أساس الحرية ؛ والمستشارين الذين كانوا يؤازرونهُ بصرف النظر عن اوسترليتز وتلسيت وأرفورت

وكان هذا الرجل في اثناء الحرب الوطنية لائذاً بقوة الخمول ، لانه كان مستغنى عنهُ . ولكنهُ لما أصبحت الحرب الأوروباوية مما لا يستغنى عنها ، برز في المواقف الخطيرة الى الموقف المعدّ له ، ليضمّ متفرّق الشعوب الاوروباوية ويسير بها الى الغاية المعروفة

ادرك تلك الغاية . وبعد الحرب الاخيرة التي اتقدت نيرانها سنة ١٨١٥ كان لدى الاسكندر أعظم قوة يستطيع الانسان ان يصيبها .

وماذا فعل بتلك القوة الهائلة ؟

ان الاسكندر الاول معيد السلم الى اوروبا ، الذي هبت في صدره منذ حداثتهِ نسمات الرغبة الحقيقية في جرّ الهناء والراحة الى رعيتهِ ، والذي كان أول من أدخل الاصلاحات الموسومة بسمة الحرية الى بلادهِ ، ذلك العاهل الذي كان قابضاً بيديهِ على عنان سلطة مطلقة كان يقدر بالحقيقة ان يعمل خير رعيته ونجاحها . وماذا يبدو لنا الآن ؟ بينما كان نابوليون في منفاه يرسم خططاً كاذبة ووهمية ليظهر السبيل الذي يمكنه ان ينتهجهُ لسعادة الانسانية لو كانت له السلطة على ذلك ، كان الاسكندر الذي كانت له تلك السلطة ينهض باعباء مهمتهِ ، وهو شاعر بيد الله على قلبهِ ، ويعلم ان تلك السلطة هي من جملة الأباطيل ؛ ولذلك أعرض عنها وتركها في أيدي أشخاص محتقرين ، ولم يكن يني عن ترديد هذه الكلمات : « ليس لنا المجد ولكن لك وحدك »

أنا انسان نظيركم ، فاتركوني أعيش عيشة رجل بسيط لأتمكن من التفكير بنفسي وبالله

كما ان الشمس او كل ذرة من ذرات الاثير تنشىء كرة مستقلة بذاتها ، مع

انها لا تؤلف الاَّ ذرة من ذلك الكائن العظيم الذي يعجز الانسان عن الوصول اليهِ ، فان لكل انسان غاية خاصة وفي الوقت عينه يخدم الغاية المشتركة التي يقصر العقل البشري عن الوصول اليها

ان النحلة التي تطير عن الزهرة تقع على ولد وتلسعهُ ، فيصير الولد يخاف النحل ويتوهم ان غاية النحل في هذا العالم لسع الناس

ان الشاعر يعجب بالنحلة التي تمتصُّ من كاس الزهرة ، ويصير يتوهم ان غاية النحل امتصاص شذا الازهار

ان المشتغل بتربية النحل يلاحظ النحلة وهي تجمع اللقاح وعصير النباتات لتغذية اليعسوب وصغار النحل ويصير يتوهم ان غاية النحل بقاء الجنس

ان النباتي يلاحظ ان النحلة تنقل اللقاح من احد النباتات الى عضو التأنيث في زهرة اخرى لتلقيحها ، فيصير يتوهم ان غاية النحل التلقيح

ان نباتياً آخر يلاحظ ان النحلة تساعد على نقل النباتات من مكان الى مكان آخر ، فيصير يتوهم ان غاية النحلة نقل تلك النباتات

ولكن الغاية الاخيرة للنحلة ليست في الغايات الاولى والثانية والثالثة التي مرَّ بيانها ، والتي يستطيع عقل الانسان ان يكتشفها

وكلما اكثر المرء من البحث عن حقيقة تلك الغاية الاخيرة تجلى له ان عقله يرتدُّ كليلاً عن الوصول اليها

ولا يمكنهُ الاَّ ان يلاحظ العلاقة المشتركة بين حياة النحلة والحوادث الطبيعية الاخرى . فهو يبقى محصوراً في نفس الدائرة الضيقة للبحث عن غايات الحوادث والاشخاص الذين يذكرهم التاريخ فيظلُّ عاجزاً عن البلوغ الى الغاية الاخيرة

(عن تولستوي)	**الياس الحويّك**

في رياض الشعر

ما برحنا انجازاً لوعودنا السابقة باذلين الجهد في زيادة عدد الكتاب والشعراء الذين يحلّون «الزهور» بنفثات أقلامهم حتى أصبح قرّاؤنا يفاخرون بمن يكتب لهم مجلتهم الشهرية . والى جمهور كتّاب «الزهور» المعروفين نضيف اليوم أديباً كبيراً رفعهُ شعره على قلتهِ الى منزلة سامية بين حملة الاقلام ونعني بهِ حضرة المحامي المشهور داود بك عمون فقد ظفرنا منهُ بأوراقٍ مطويّة سنوالي نشرها :

يوم ڤلادمير[1]

«او دعوى الحق الإلهي»

لا تلوموا تلك السيوفَ الدوامي　　جَلَتِ الشكَّ عن عقول الآنامِ

علَّمتهم أن لا حياة لشعبٍ　　رازحٍ تحت مطارقِ الاحكامِ

أيُّ نصفٍ ترجون من حاكمٍ يحسـ　　ـبُ هذي الرقابَ كالأنعامِ

ورث الملكَ بالرجال وبالما　　ل كأن الرجال بعضُ الحطامِ

فاذا اهتمَّ منهُ بالرعايا　　فاهتمام الجزّار بالأغنامِ

⁂

قيصرُ الرّوس قام بين البرايا　　ناشراً دعوةَ الهدى والسلامِ

ذاكراً اننا بنو رجلٍ فر　　دٍ خلقنا للحبِّ لا للخصامِ

موعزاً بانعقاد مؤتمر التحكيم　　يقضي في المعضلات الجسامِ

ضحكَ الضاحكون منها وعدّوها　　أمانيَّ نيلها بالمنامِ

رُبَّ أمرٍ صعبِ المنال بعيدٍ　　صيَّرتهُ العقول سهل المرامِ

(١) نظمها الشاعر ابّان الحرب الروسية اليابانية الاخيرة

هبهُ حلماً فالسعي فيهِ جميل — وجمالُ الحياة بالأحلامِ
هذهِ الأرض ترتجيكَ لحقق — ظنَّها فيكَ يا سليل الكرامِ
لكَ في منحها السلامَ أيادٍ — خالداتٌ غرٌّ مدى الأيامِ

٭٭٭

ولبثنا عيوننا شاخصاتٌ — ناظرين انجلاء ذاك الغمامِ
فاذا بالسلام حربٌ عوانٌ — كلَّ يومٍ نيرانها في اضطرامِ

٭٭٭

قيصرَ الروسِ لا تضيّق على الصفـ — ـرِ مداهم فالصفر أهل انتقامِ
لكَ مُلكٌ رحب الفضاء فسيحٌ — فتمهدْ اجزاءه بالنظامِ
أفهما أوجستَ من شعبك الموتو — رِ خوفاً دفعتهُ للصدامِ ؟

٭٭٭

لا رعاكِ الإله يا أرض منثو — را ولا بلّلت ثراكِ الهوامي
ما لعقبانكِ اتخمنَ وغدرا — نكِ أصبحنَ بالدماء طوامي
كم خميسٍ وافاكِ يمرحُ زهوًا — ثمَّ لم يبقَ منهُ غير العظامِ
شهر الحرب شاهروها وباتوا — في أمانٍ والقتل في الاقوامِ
سئمَ الروسُ فتكها بئست العيـ — ـشة من ذلةٍ لموتٍ زؤامِ
قال مقدامهم هلمّوا الى « الوا — لد »[1] نشكو مظالم الحكامِ
ومشوا للمليكِ عُزلاً ومد — لين اليهِ بحرمةٍ وذمامِ
فتلقتهمُ جنود أبيهم — برشاش الردى وحدِّ الحسامِ
ملأت منهم الشوارع اشلا — ء كراديس فهي كالآكامِ

٭٭٭

(١) يطلق الروس اسم الوالد على القيصر

قيصرَ الروس ان شعبك أولا   دكَ فارباً واشفق على الأرحامِ

قيصرَ الروس خفْ دعاء الثكالى   وبكاء الاطفال والأيتـامِ

أفهذا الحق الإلهيُّ ان يقتـــل شعبٌ أتاكَ لاسترحامِ

زالَ ما كنتَ تدّعيهِ من الحـ   ـقّ بما سال من دماءٍ حرامِ

داود عمون

﴿ سجن الهوى ﴾

أصلُ سُقمي من العيون السقيمهْ   وانحنـائي من القدودِ القويمهْ

تلك غرَّت بالانكسار فؤادي   ورمتهُ فمـا استطاعَ الهزيمهْ

وهوى لِينِ هـذه قد دعاني   لدواعي الغرامِ لَيْنَ الشكيمهْ

صرتُ من بعد عزّةٍ وإباء   أجدُ الذلّ في الهوى خيرَ شيمهْ

ما غزَتْ أعينُ الحسان قلوباً   قطُّ الاَّ ومهجتي في الغنيمهْ

لا ولا شمتُ من ثغورِ الغواني   لمعَ برقٍ الاَّ ودمعيَ ديمهْ

علَّمتني نظمَ الفرائد لكن   تيَّمتني منهـا اللآلي اليتيمهْ

أنا أبكي ومهجتي في سعير   وهي في عذبهـا البراد بسيمهْ

وبروحي رشاً رخيمَ المعـاني   حبُّهُ حلَّ من فؤادي صميمهْ

أهيفَ القدّ باهرَ الحسن يزهو   بجبين أضحى الهلالُ خديمهْ

ان تبدَّى او ماس تيهاً وعجباً   لم يدعْ للهلالِ والغصن قيمهْ

وعلى خدّه من المسكِ خالٌ   أشتهي لثمهُ وأهوى شميمهْ

غير اني أخاف نبل جفون   منهُ تولي الضنا وتوهي العزيمهْ

سامحَ الله حبّهُ كم دهاني   دونَ صحبي بالمقعداتِ المقيمهْ

كبَّل القلبَ بالقيود وألقا   هُ بسجن الهوى لغير جريمهْ

ليتهُ اذ دعا الفؤادَ أسيراً لم يكن صيَّر الغرام غريمهْ
تبذلُ العينُ دمعها في هواه ولهذا قد سُمّيَتْ بالكريمهْ

عبد الحميد الرافعي

هل للهموم قلوب

ألقى الجمال عليكَ آيةَ سحرهِ فغدوتَ ما شاء الجمالُ حبيبا
حتى الهموم سَمت اليك بودّها من كان يحسبُ للهموم قلوبا

خليل مطران

الى بحمدون[1]

« عبرات البين »

من دونكِ البينُ يا ليلى ومن دوني وبعض ما كان قبل البين يكفيني
خطا اليَّ خُطى الآجال ساربةً في القلب والقلبُ لا يدري الى حينِ
خطىً كنسف الجبال الراسيات على نفسي وكالدمع دمع الحزن في اللينِ
تمشي على الأمل الزاهي فتحطمهُ وقد يرفُّ رفيفاً كالرياحينِ
وتغمر الحبَّ ظلاً بعد ما صبغتْ مني الشباب حواشيهِ بتلوينِ
يا بينُ ما ضربات الدهر غير خطىً تمشي بها في المحبّين المساكينِ
شيئان ما لها في الناس تعزيةٌ ولا تعزّيهما يوماً بمظنونِ
قلب بأضلاع مشتاقٍ تجاذبهُ يدُ الفراق وعقل عند مجنونِ

٭٭٭

يا بينُ ويحك ما أبصرتَ قطّ سوى شخصَي حبيبين من هذي الملايينِ

(١) قرية في جبل لبنان يكثر فيها المصطافون

رفقاً بلؤلؤةٍ في جانبي صدفٍ ضمّا عليها كضمِّ القلبِ للدّينِ
فلو ترى الهائم المسكين مرتعداً من النوى كذبيحٍ تحت سكّينِ
روح ضئيل وشخص جامد وهوًى برحٌ وهمٌّ سليبِ العقل مفتونِ
ملقىً لدى الناس لو أبصرت حالتهُ في الناسِ أبصرتَ ميتاً غير مدفونِ

* * *

ليتَ الفراق نجا بي من عواذلها ولو الى مطرحٍ في القبر يطويني
كأسٌ ظمئتُ لها حتى اذا عرضت شرقتُ منها بما قد كان يُرديني

مصطفى صادق الرافعي

الفتاة العمياء[١]

سادتي انَّ في الوجودِ نفوساً ظلمتها الأقدار ظلماً شديدا
هيَ تشقى من غيرِ ذنب جنتهُ ولكم مذنبٍ يعيش سعيدا
رحم الله أعيناً لم تشاهدْ منذُ كانت الاَّ ليالِيَ سودا
تتمنى لو فُتّحت فتملّتْ من جمالِ الوجود هذا الشهودا
تتناجى حمائم الروض صبحاً لا نراها ونسمعُ التغريدا
ويكون الربيع منا قريباً فنظنُّ الربيع منا بعيدا
حين ترنو الى الوُرود عيونٌ ليت شعري كم تستطيب الورودا
أبويَّ اللذين أوجدتماني أتريدانِ شقوتي ؟ لن تريدا
عشتما في ظلالِ شملٍ جميعٍ أنا وحدي وجدتُ شملي بديدا
واذا كنتُ قد ولدتُ فقيداً ليتني كنتُ قد فقدتُ وليدا

(١) قالها الشاعر بلسان فتاة عمياء فانشدتها في حفلة مدرسة الحياة الجديدة للبنات الكفيفات في مصر

سادتي اننـا صبرنا امتثـالاً ما ضجرنا ولا شكونا الجدودا
فانظروا نظرةَ الكرام الينـا وارحموا أدمعاً تخدُّ الخدودا

ولي الدين يكن

﴿ أوهى قرنه الوَعِلُ ﴾

هذي طرابلسٌ صحراؤها جدَثٌ للطامعينَ ومسرى ريحها عِللُ
يذودُ عن حوضها اسدٌ مقذّفةٌ لا ينزلُ النصرُ الاَّ حيثما نزلوا
أشاوسٌ من بني الاعراب ما ثموا الاَّ ثغورَ مواضيهم ولا نهلوا
ما قامَ يطمعُ في أملاكهم شرهٌ الاَّ تحكَّم من أعضادهِ الشللُ
وضاقت الارض عنه وهي واسعةٌ وأظلمتْ بمرامي عينهِ السبلُ
« كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنهـا فلم يَضرْها وأوهى قرنهُ الوعلُ »

شبلي ملاّط

﴿ روعة نبأ ﴾

روى البرق منعاهُ فأصعق بالنبا يدكُّ من الصبر الجميل ويخربُ
بليلٍ من الاشجان ضاوٍ هلالهُ وعقد الثريّا دمعهُ المتصبّبُ
كأنَّ السماك الرامح اعتقل القنا لثار اخٍ والنسر في الجوّ موكبُ
كأن بني نعشٍ على نعش من ثوى نوائح ترثي المكرمات وتندبُ
كأن بشير الصبح اجفل رهبـةً من الأرض يدنو تارةً وينكّبُ
كأن عبوس الأفق يلطم خدَّهُ فلاح عليـهِ احمر اللون اصهبُ
كأن الضحى قد شقَّ جلبابهُ اسًى فلم يدرِ أنَّى بعـدهُ يتجلببُ

نسيب ارسلان

رواية عطيل

ترجم حضرة الكاتب الشاعر الشهير خليل افندي مطران رواية عطيل لشكسبير، ومثَّلها في تياترو الاوبرا الخديوية جوق جورج افندي ابيض نابغة التمثيل العربي . ثمَّ تمنى جمهور الأدباء على المترجم الفاضل أن ينشر هذه الرواية بالطبع ، فصدَّرها بمقدّمة بليغة درس فيها الشاعر الانكليزي وروايته هذه درساً جميلاً جدًّا فنقلناه عنهُ . والرواية لا تلبث ان تتداولها أيدي القراء . قال خليل :

ندبني لتعريب هذه الرواية جورج افندي أيض صاحب الفرقة (الجوق) المعروفة الآن باسمه، فترددتُ زمناً ، ثم أتيح لي ان رأيتهُ يمثّل تجربة من «اديب» فأعجبني اتقانه واتقان بعض أعوانه واستخرتُ الله في نقل عُطَيل الى لغتنا الشريفة

فلأذكرْ أولاً ما دعاني الى اختيار اسم عطيل ردًّا على بعض المعترضين

كان عُطيل في زعم القصّاص الذي نقل عنهُ شكسبير اصل هذه الحكاية، بدويًّا مغربيًّا جلا الى البندقية وخدم في جيشها حتى أصبح قائده الاكبر، وعقيده في الملمّات . والمغاربة يومئذٍ خليط من العرب والبربر المستعربة . فامَّا ان يكون قد دعي منذ مولده باسم افرنجي فغير محتمل ، وامَّا ان يكون قد دعي باسم عربي حرَّفته العجمة، فهو الأصح عقلاً . فاذا رددنا أوتلّلو الى لسانهِ الاصلي، فالذي يستخرج من حروفهِ أحد اثنين : عطاء الله او عُطيل . فأما عطاء الله فلم أتوصل الى تحقيق أن مغربيًّا واحداً سُمّي بهِ ولهذا ضربتُ عنه صفحاً ، وأما عُطيل فقد اعتقدت انهُ الاخلق بالاختيار لسببين : أحدهما انهُ أشبه بما جرت عادة العرب على تسمية الزنوج بهِ من ألفاظ التحبب امثال مسعود ومسرور وزيتون ومرجان للذكور ، وخيزران وضياء للجواري . ومعلوم ان عُطيلاً تصغير تحبّب لصفة عُطْل بمعنى عاطل اي خلوٌ من الحلية فتسمية احد الزنوج بهِ انما هي محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب . وثانيهما لأن «عُطَيلُ» بضمّ أوله ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب الى أوتلّلو من كل اسم سواه

بقي في هذا الصدد ان أقول مروراً للذين تمنّوا لو أبقيت اسم أوتللو كما أورده المؤلف ، انني لم اوافقهم على هذا لانني كرهت ان أُثبت في العربية اسماً من أسمائها على الرطانة التي حرّفتهُ اليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك الصورة ، في حين انهُ لا يتعذّر علينا اكتسابهُ مثلها وهو مردود الى اصله التقديري او التحقيقي من غير ان نسوم مسامعنا جراحة تحريفهِ . ذلك ما اوحى اليَّ اليقين أنهُ خير وأولى

بعد هذا التفسير الذي تقاضتني اياه بعض الصحف ، ونفر من الاصدقاء ، ارجع الى الرواية ولي فيها مبحثان موجزان ، من جهة الاصل ، ومن جهة التعريب

* * *

اما من جهة الاصل فأقول ان واضع هذه الرواية انما هو نابغة الادهار في فنهِ وأعني بهِ شكسبير . وضعها لاظهار الغيرة وتأثيرها في الرجل بأقوى وأصدق ما دلَّ عليهِ الاختبار من أمرها، ولذلك اختار عاشقاً افريقياً بدوي الفطرة — ليكون وثَّاب الشعور عنيفهُ — عسكريَّ المهنة — ليكون سريع التصديق والانخداع — مكتهلاً أي في أوّل الانحدار من سنّ الاربعين — ليكون أشدّ في التعشق كما هي شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب وليكون ايضاً في الحالة التي يتهم فيها الانسان نفسه بفقدان اكثر الصفات التي يقتضيها الغرام ولا سيما حينما يكون المستهام اسود البشرة من احلاس الحروب ، والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الاخلاق مترفين

ذلك هو الغرض الأساسي العام الذي رمى اليهِ شكسبير فأصاب بهِ دقائق الحقائق اصابة كانت في جملة ما حمل أكابر المفكرين وأعاظم الكتبة على الشهادة له بأنهُ أخبر خبير بخفايا القلوب ، وأمهر كشاف لخباياها

ثم انهُ أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين : أحدهما اثبات أن العفة لا تنتفي من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جيرتها وفي عشيرتها ، والثاني تبيين الاحتيال ونهاية ما يبلغهُ من نفس رجل

ذكي مطماع خسيس أصمّ الضمير ، مستبيح كل محرم ، مستهين كل منكر في سبيل غايته

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة في ألوف الجزئيات التي تؤدّي الى تصوير الغرض الكلي والغرضين الملحقين به ؟ ذلك ما يقف عليه القارىء من مجرَّد مطالعته للرواية فانهُ يشعر قليلاً قليلاً ان الأسماء تمحى وتستبدل بأشخاص مقوّمين في أصلح تقويم لكل منهم ويدخل متدرّجاً من الوهم في الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مشاهد مما ألفهُ في الحياة لا يردّه الى كونه قارئاً سوى انتهائه الى دفة الكتاب

ومن جهة هذا التصوير الأخّاذ الذي يصوّر به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد ان ذلك الاستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التي يرسمها الفن . صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود ، وهل مثل العقل الذي رزقهُ كان مما يقيد بقيود ؟

الشاعر الذي « افتتن فكتور هوجو » بغرابة شعره ، ووجد عند فراسته وطلاقته وقوّة تمثيله المعنويات بالحسيات ، مبدأ المذهب الحرّ الذي ذهب اليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنَّة الكتاب في العالمين

الكاتب المنقِّب المتعمق في مظاهر الخلائق ومضمراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة في الاختيار وبراعة في التأليف وسلطة على اللفظ يستدني به أبعد المعاني ويقيد أوابد الوجدانات ، الذي اعجب به المؤرخ الفيلسوف « تاين » وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده

الأديب الذي تترجم مكتوباته على وفرتها الى كل لغات الدنيا ، وفي بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتتنوع ويجيز احاسنها المجمع الأدبي الاكبر كما اجيزت ترجمة « مونتيجو » و « ليتورنور » وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الالسنة والاجناس والاذواق والملل والنحل على مكتوباته سواء في اصلها او في غير اصلها ، وتقرّها في أعلى منزلة عندها لجمعها المذهب والمطرب الى المفكه والمفيد والمبكي والمضحك الى الزاجر والمؤنس

أهذا الذي يطلب منهُ ان يكون اسير اصطلاح وعبد لفظة ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمّا فعل . ولو أبقاه في عنقه لما اشرأبّ صعداً الى مناجاة اجرام السماء، ولا أطاق الإكباب الى أبعد اغوار الاسرار في الطبائع البشرية

من ذلك المنجم العظيم نجمت « عطيل » وهي احدى آيات مستخرجاته ولما كنت اعهده فيها من نادر المزايا وجدتُ من كافي بها معواناً على معاناة تعريبها

* * *

فأما من جهة التعريب فأقول ان في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان في نفس فكتور هوجو . أقرأ لغتنا ام نقلت اليه عنها بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا اعلم . ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فان عنده مثلما عندنا جرأة على الاستعارة وذهاباً بضروبها في كل مذهب ، وله مثل ما لنا كلفٌ بالتنقل الوثبي من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد الى القصد وثباً وعليك ان تمهل في فكرك وتجد الرابطة ، وبه مثل ما بنا من الهيام في المبالغة التي لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين الاَّ الذين في تصوُّرهم حدَّة وجماح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب . وعلى الجملة ففي كل ما يكتبهُ شكسبير شيء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم الى الفطرة الحرة

تناولتُ الرواية لأعرّبها وكأنني أنوي ردّها الى اصلها كما رددتُ اسم عطيل وقبل ان أشرع فيها تفكرت في الأسلوب الذي اختاره لها

أهو ذلك الاسلوب المخرّق الذي تشف الفصاحة فيه عن رقع العامية ؟ لا وألفاً لا

فتالله لو ملكتُ تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلي اياها الاَّ منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نزلتْ من هيكله الذهبي الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزفيتين القذرتين فهو فوقهما متداعٍ وبهما مشوَّه ، منتقماً لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التي مزّقتها في الشرق والغرب كل ممزق ،

منتقماً للفصاحة نفسها وأية فصاحة في خُشَارة لا تصيب فيهـا تبر الاصل الاَّ وقد تلوَّثت بذريرات لا تحصى من أوضار الرطانات بأنواعها

بُعداً لهذا الاسلوب اذن ! ولنختر غيره . . . أنؤثر الاسلوب الجزل المتين القديم ؟

لا ولا ! لأن الروايات انما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا منهـا مغزى بجانب التفكهة . أفنعكس عليهم تلك السنَّة الشريفة التي سنها النبي القرشي بقوله أمرتُ ان اخاطب الناس على قدر عقولهم

بعد هذا وذاك لم يبقَ الاَّ الاسلوب الوسط وهو الذي تكون بمقتضاه الالفاظ كلها فصيحة لكن سهلة ، وتفكك الجمل تفكيكاً يقرّب مراداتها من الافهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة من غير ان يفوتنا الالتفات في ذلك التفكيك الى اشتات ما صنع ادباء العرب من مثاله لمناسبات مخصوصة وان لم يألفهُ جمهور الكتَّاب الاحتفاليين

هذا هو الاسلوب الذي آثرتهُ وأرجو ان اكون قد وفقت فيهِ بعض التوفيق فتجتمع معه لهذه الرواية مزيتان : احداهما انها تكون عربية فصيحة لولا الاعلام ولولا تشقيق الكلام على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديماً وحديثا ، والثانية انها تمثل أقوال شكسبير حرفاً بحرف ولفظةً بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الديني او الاجتماعي الذي لها عند القوم الممثَّلين فيصحُّ ان تكون هذه التجربة مثالاً للتعريب يتحداه طلبة المدارس

خليل مطران

نوابغ مصر الاحياء

لا تزال رسائل القراء ترد علينا بكثرة رداً على اقتراحنا الذى نشرناه فى الجزء السابق فرأينا والحالة هذه ان نرجىء نشر النتيجة الى الجزء الآتى

تربية الطفل (١)

الغوط — والتبرُّز

على المرضع ان تتمهد الطفل من وقت الى آخر وهو في مهده ، فاذا كان مستيقظاً فقد يحتاج الى إضجاعهِ على الجانب الآخر حتى يكون مستريحاً . فاذا لم يفد ذلك واستمرّ مستيقظاً مع صراخ يجوز ان تكون احدى اللفافات مبلولة من الغائط او البول ويحتاج الحال الى تغييرها ، ومن الغريب ان الطفل وهو في مبدإ حياته يكره رطوبة الملابس

ولا بدّ من ان تكون الملابس نظيفة جدًّا وجافة قبل استعمالها . ولا يحسن استعمال الصودا في غسيل الملابس لأنها تحدث طفحاً في جلد الطفل لأنه يكون رقيقاً في هذا الوقت . وأما اذا كانت الصودا ضرورية لتنظيف الملابس اثناء الغسيل ، فلا بدّ من إزالة كل آثارها بتكرار غسلها بالماء الخالص . ولا حاجة الى القول انه يجب ابعاد كل الملابس القذرة من غرفة الطفل بعد تلوثها مباشرة كما انه يجب غسلها او تجفيفها في مكان آخر

يبوّل الطفل عادة بعد ساعات قليلة من الولادة ويتبرز في هذا الوقت أيضاً ولون البراز أسود في الأيام الخمسة الأولى وهو اللون الطبيعي، وعلى كل من يعتني بأمر الأطفال ان يلاحظ النقط الآتية : نوب التبرز في الأربع والعشرين ساعة الأولى هي اثنتان أو ثلاث ، والمواد تكون بدون رائحة كريهة ولونها أصفر (فاقع) بعد الخمسة الأيام الأولى ، والمواد

(١) راجع الجزئين الأوّل والثاني من « زهور » هذه السنة

تكون رخوة ولا تتشكل الاّ بعد زمن طويل . وليس فيها كتل بيضاء (لأن الكتل البيضاء تدل على اللبن غير المهضوم) . وأما البراز الأخضر المحتوي على كتل بيضاء فيجب استشارة الطبيب في شأنه ، وكذا المواد البرازية ذات اللون الردغ سواء كانت محتوية على دم أم لا ، لأن الوقاية من أمراض المعدة والامعاء أسهل من معالجتها . وأما المواد البرازية الجامدة فتحتاج الى علاج أيضاً خشية ان يتعوّد الطفل الامساك

ويجب تغيير الفوطة المبلولة بأخرى خشية تهييج الجلد . وعلينا ان نجفف الجلد جيداً ونذرّ عليهِ قليلاً من المسحوق قبل وضع الفوطة النظيفة . وتنظف الاليتان جيداً بعد كل تبرُّز مع تجفيفهما وذرّ قليل من المسحوق عليهما . ويستحسن البعض وضع قليل من المرهم على الاليتين بدلاً من المسحوق . ولا بأس من ذلك اذا عمل المرهم من أجزاء متساوية من مرهم زنك وزيت الزيتون . وأما اذا احمرّ جلد الاليتين فاستعمال المرهم المذكور واجب

لبن الأم

يختلف لبن الأمهات كميةً وصفة ، وعند بعض الأمهات اللبن الكافي بعد مضي ١٢ ساعة من الولادة . والبعض الآخر لا يوجد عندهنّ اللبن الكافي الاّ بعد ثلاثة أيام . فاذا ظهر اللبن في ثدي الأم في الاثنتي عشرة ساعة الأولى بعد الولادة يحسن ارضاع الطفل في هذا الوقت ، لأن الطبيعة قد هيأت في لبن الأم كل ما يحتاج اليهِ الطفل من التغذية

وفضلاً عن ذلك فاللبن الذي يخرج من الثدي بعد الولادة مباشرة يكون له تأثير خاص في امعاء الطفل . ويعرف هذا اللبن باللبآ ، ويختلف عن اللبن الذي يظهر في الثدي بعد ذلك بكثرة المواد الدهنية فيهِ . وارضاع الطفل من الثدي يحدث تنبيهاً ويحرض على افراز اللبن . وأما اذا لم يظهر اللبن في اليومين الأولين فيمكن اعطاء المولود كل ثلاث ساعات او اربع ملعقة شاي من اللبن والماء . ويحضَّر اللبن باضافة جزء من اللبن الحديث الى ثلاثة أجزاء من الماء النقي المغليّ جيداً في اناء نظيف ويمكن استعماله بعد ذلك متى هبطت حرارته الى درجة ١٠٠ (فارنهت)

كيف يرضع الطفل

تحتاج الأم الى قليل من المهارة حتى تستطيع ان ترفع طفلها من ثديها ؛ ولإرضاعهِ من الثدي اليسرى عليها ان تضع الطفل على ركبتيها وذراعها اليسرى حتى يكون رأسه أعلى من رجليهِ وحتى يمكنها ان تجذبهُ اليها متى أرادت . وهي مع ذلك تسند جسمه ورأسه . ويحسن ان تضع الأم تحت مرفقها وسادة صغيرة ، وتوضع الحلمة في فم الطفل ، وتمنع الأم بسبابتها والأصبع الوسطى من اليد اليمنى ضغط الثدي على أنفهِ . وأما اذا كانت الرضاعة من الثدي اليمنى فيسند الطفل باليد اليمنى ويمنع الثدي من من الضغط على أنف الطفل بأصابع اليد اليسرى . ويختلف زمن الرضاعة من ١٠ الى ١٥ دقيقة وعلى المرضع ان تلاحظ أيبلع الطفل اللبن ام لا . واذا داخلها شك في ذلك فعليها ان تزنه قبل الرضاعة وبعدها مباشرة .

ومن الأطفال مَن يفهم عند أخذه الى صدر أمهِ الغرض المقصود فيلتقم الثدي بسهولة ، ومنهم من يحتاج الى عناية واغراء للارضاع . وقد يجب أحياناً ان توضع نقطة من جلسرين البورق على الحلمة لاستغواء الطفل لالتقامها ، أو ربما كان عدم بروز الحلمة هو السبب في عدم استطاعة الطفل للرضاعة ، وكل ما يلزم وقتئذٍ هو ان تضغط ضغطاً خفيفاً حتى تبرز

وبعد انتهاء الرضاعة يبقى الطفل ساكناً قليلاً من الوقت ثم يوضع في مهده حيث ينام نوماً هادئاً غالباً حتى يأتي ميعاد الرضاعة الثانية

وتغسل الحلمة ، بعد كل رضاعة ، بقليل من الماء الدافىء وتنشف جيداً ، ويحسن استعمال ثدي واحدة لكل رضعة لأنه لا يحسن ان يرضع الطفل من الثديين في كل مرَّة بل يلزم ان يرضع مرّة من الجهة اليمنى والمرة الأخرى من الجهة اليسرى وهكذا بالتناوب

الدكتور محمد عبد الحميد

الى قراء الزهور

لدى الزهور مقالات كثيرة اضطرَّنا ضيق المكان في هذا الجزء الى تأجيلها ، فليعذرنا كتَّابها الأفاضل . واننا نغتنم هذه الفرصة لإعلان الذين يرسلون الينا دائماً القصائد والمنظومات الشعريَّة على اختلافها ، انَّ « الزهور لا تنشر » في « رياض الشعر » الاَّ ما كان من الطبقة الجيّدة منه وعبثاً يلحُّ علينا الناظمون الادباء

السيدات والقلم

مضت الأيام الطيبة على دول الشرق ، دول تجاوب على أفنانهـا الشعراء والشاعرات ، والكاتبون والكاتبات . حيث أصاخت عروشُ الملوك والملكات لكل مُسمِعٍ ومُسمِعة من سادة الكلام . ومضت الأيام الطيبة على دول الغرب ، دول أطلعت من آفاقهـا وجوه المطربين والمطربات ، أصحاب الفن وصاحباته . حيث تألقت التيجان على محاسن الوجوه ومحاسن النفوس . ولكن أدرك الشرق الكبرُ حتى اورثه الكَن وسرَت على الغرب نسمة الحياة فجدَّ وتقدَّم

ملكاتنا وولائدنا بِتنَ عواقر ، وملكاته وولائده أنجبنَ وأكثرنَ . فما خلَّفتْ « عنان » التي زعموا ، ولا « ولاّدة » التي وصفوا ، قينةً ولا اميرةً . ولقد أتت بعد «مرغريت ده ڤالوى» ومدام « ده سڤينيه» كثيرات مثل مدام « ستايل» و « جورج ساند » . بلى أتت عقائل متوَّجات مثل ملكة الانكليز المرحومة فيكتوريا ، ومعاصرتها كرمن سلفا . فباتت سماء الغرب حالية ، وسماؤنا عاطلة

على اننا اصبحنا اليوم نرى في الشرق سيدات يبارينَ الرجال ، ويجاوزنَ كلَّ سابق منهم . وكنا ظننا حقبة من الدهر ان لن نسمع . ذلك الترجيع يخالطه ذياك الأنين ، ولكن العصر ربيع الشباب ، والميدان روض الحياة فأهلاً بالساجعات المطربات

أعجبتُ إعجاباً شديداً بما نسجته انامل الكاتبة الفاضلة السيدة هند عمون في تاريخ الخواتم . فذلك فصل اقل محاسنه انه بلا نظير

وقد تنظر عيني في هذه (الزهور) الطيبة فترى كل زهرة كأنها ثغر الأمل . فأقول لمن الزهرة ، فيُقال لفلانة الفاضلة . اهلاً بالزهرات في حديقة الزهور . . !

(٢١)

كنت قاربت الكبر . وادركني الاعياء . وها انا اليوم اسمع بلابل الله في ملكه فاجاوبهـــا . ما هذه بنات هديل ، وانما هي بنات حواء . آن لاقلامنا ان تختار احسن ما عندها من الدرر

تلك الاجياد جديرة بهذه العقود . . .　　　　ولي الدين يكن

جريدة « الأخبار »

بلغت الصحافة المصرية منزلة سامية من الترقي واشتغل بهـــا في العهد الاخير جمهور من كبار الكتاب ورجال السياسة ، فأصبح لها تأثير بليغ في الرأي العام ، فرأينا ان نخص من حين الى آخر كل جريدة بفصل يصوّرها لقراء « الزهور » من حيث خطتهـــا وأسلوبها وكيفية تحريرها . ونبتدىء في هذا الجزء بجريدة « الاخبار » لمناسبة عودتها الى الظهور في هذه الاثناء على أثر توقيفهـــا شهرين بمقتضى القرار الذي أصدره مجلس النظار

الأخبـــار — أنشأها صاحبها سـنة ١٨٩٦ بالاشتراك مع داود افندي بركات رئيس تحرير الاهرام اليوم . وتوقفت سنة ١٩٠٠ ثمّ عادت الى الصدور سنة ١٩٠٦ فكانت اول جريدة عربية مصرية تصدر في الصباح . وهي اصغر الصحف المصرية حجماً ولكنها من أغزرها مادّةً بالنظر الى الأسلوب الذي توختهُ في ايراد الحوادث . وقد كادت تقصر ابحاثهـــا على الشؤون المحلية او ما كان لهُ علاقة بها من الشؤون الخارجية . وانك لتقرأ الخبر في صحف المساء ثمّ تصبح فتقرأه في « الأخبار » فلا تستنكف من معاودة قراءتهِ لأنك على يقين من انك ستجد في طريقة ايراده شيئاً جديداً . وللأخبار على سائر الصحف ميزتان : الأولى انها تنشر ما لها وما عليها تاركة لمن يكتب فيها الحرية التامة في ابداء فكره ولو جاء هذا الفكر مخالفاً لمذهبها ، والثانية انها ذات إعتناء خاص بعنوانات اخبارها ومقالاتها

حتى لقد يجيء العنوان فيها وحده ابلغ من مقالة طويلة . ولقد جرى بعض هذه العنوانات مجرى المثل بين القرّاء

أما الشيخ يوسف الخازن صاحب « الأخبار » فهو معروفٌ بشدّة الذكاء وتوقد الذهن . وهو من اكثر كتّابنا حفظاً للتاريخ ونوادره وأقدرهم على الاستشهاد بها عند اللزوم ، فتراه دائماً ابداً حاضر القريحة لإيراد حادثة او نكتة يطبّقها على حوادث اليوم ، يظهر لك ذلك في حديثه كما يظهر في كتابته ، وقد حلّى كثيرًا



الشيخ يوسف الخازن

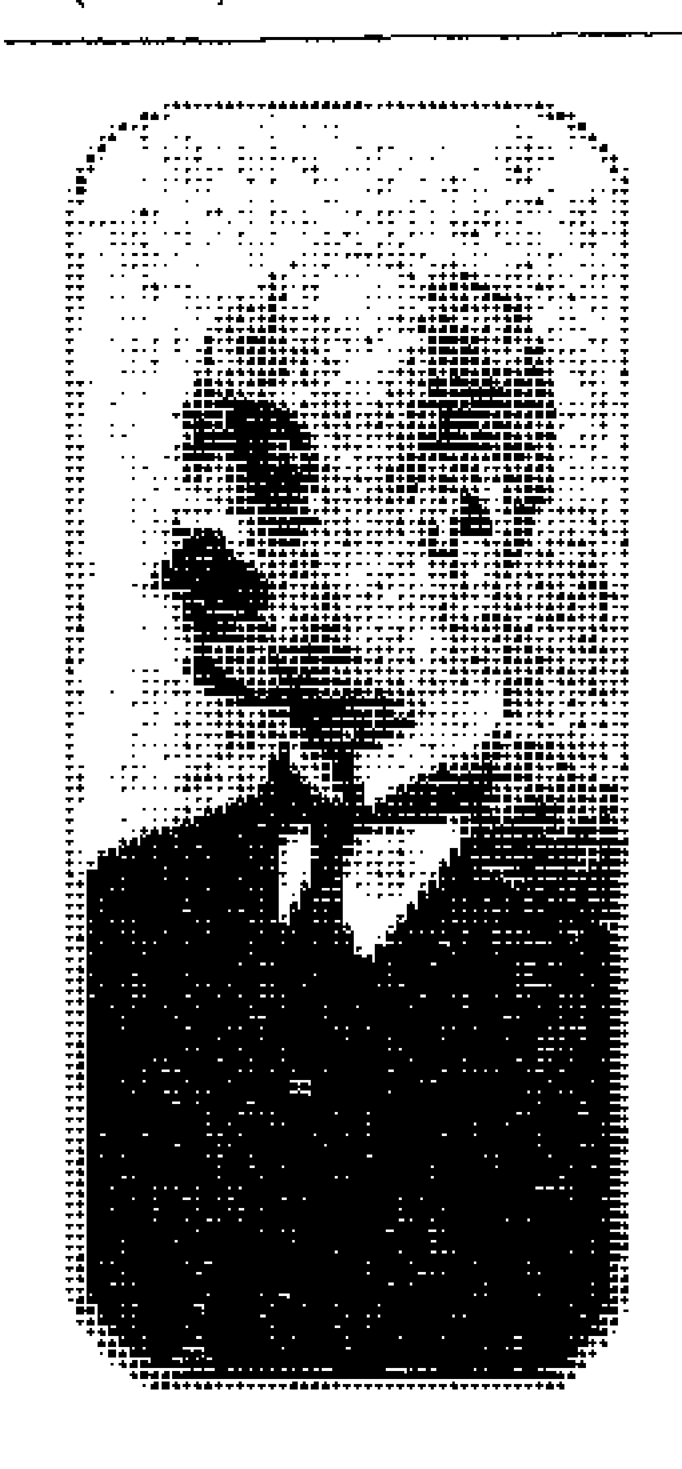
بالدرس والمطالعة السليقة الانتقادية التي عرفت بها الاسرة الخازنية . وله من هذا القبيل نكت وأجوبة تروى بين الناس . والشيخ لطيف المعاشرة لا يملهُ جليسهُ .

وخصومه السياسيون أنفسهم يشهدون له بخفة الروح. وقد لا تفارق الابتسامة ثغره — كما ترى في رسمهِ الذي امامك — وهي غالباً ابتسامة استهزاء من كل شيء . .
عثرنا في بعض اعداد « الاخبـار » على مقالة نعتقد ان الشيخ قد كتب مقدَّمتها وهو امام المرآة يصوّر نفسه اذ قال « لي صديقٌ شاذٌّ الاخلاق ، غريب الاطوار قلما يتفق رأيه مع رأيك ، او يوافق خاطره خاطرك ؛ ولذلك تراه في معظم الاحيان منفرداً في رأيهِ ، مخالفاً للجمهور في حكمـهِ . وليس السبب في ذلك كونه يحبُّ المخالفة والمعارضة ، بل كونه ينظر الى المسائل من غير الجانب الذي اعتاد معظم الناس ان ينظر اليها منهُ ، فيكشف اموراً جديدة قد تخفى على الآخرين ، وهو يعبّر عنها تعبيراً فكهاً لا يخلو من نكتةٍ تسرُّك فتجعلك تضرب صفحاً عن شذوذه وغرابة اطواره لا سيما وانهُ بعيدٌ عن المكابرة فلا يحاول ان يقنعك بصواب رأيهِ بل يقول هذا رأيي والسلام »

وصاحبنا مزيجٌ من التعصب والتسامح بل هو بوجه عام شديد التعصب لمذهبهِ فلا يخط حرفاً الا تأييداً لهذا المذهب او انتقاداً للمذهب المخالف ، وان كان ذلك لا يظهر لأوّل وهلةٍ في جريدتهِ التي اباح أعمدتها لكل المذاهب . ومن رأي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ان خطة «الاخبار» تظهر فيما تختاره من أقوال الصحف اكثر مما تظهر في مقالاتها الخاصة . وقد أثَّرت اخلاق الرجل في اسلوب الكاتب اي تأثير حتى صحَّ فيهِ قول بوفون « الكتابة هي الرجل » فجريدته هي صورته المعنوية وهو شديد الولع بها فقد ضحى لأجلها في مراكز عديدة عُرضت عليـهِ وأنفق في سبيلها حتى اليوم ستة آلاف جنيه من ثروتهِ . وهو كثير التأني في كتابتهِ شديد الحكم على انشائهِ ، يكتبُ و يشطب ويشذّب ويمزّق كثيراً قبل ان يدفع الى الطبع مقالة لا تتجاوز العمود فهو من هذا القبيل أقلّ الصحافيين مقدرة على سدّ الفراغ ، على ان مقالته تخرج بعد ذلك موسومةً بسمتهِ الخاصة فتُعرف بهِ

ويشاركه الآن في تحرير « الاخبار » توفيق افندي حبيب ، ومقالاتهُ لا تخرج عن دائرة التعليق على الحوادث اليوميـة بأسلوبٍ فكاهي لذيذ لا يخلو غالباً من

ملاحظات دقيقة وقرصات انتقادية ، وهي غالباً موقعة بامضاء « محدّث » وله ابحاث حسنة في شؤون طائفتهِ القبطية ؛ وقد لا تعجبك المقالة منهُ على انك قلما تضجر او تسأم منها . وهو كثير المطالعة ، يقرأ كلَّ ما تصل اليهِ يدُهُ مما يطبع باللغة العربية ، وله ذاكرة قويَّة تجعله بمثابة قاموس للحوادث المصرية على عهدهِ ، ويصعب على الشيخ يوسف ان يجد مساعداً للتحرير اطوع من توفيق حبيب وأقرب منهُ لفهم أفكاره ، كما انهُ يصعب على توفيق حبيب ان يجد صاحب جريدة يترك له الحرية في الكتابة كصاحب الاخبار ، ولذلك قد مرَّت عليهما بضع



توفيق حبيب

سنوات وهما جالسان الى طاولة تحرير هذه الجريدة ، وكلاهما راضٍ عن صاحبه

معرض الزهور السابع عشر

« في الاسكندرية »

في الاسكندرية جمعية زراعية اوربية النشأة ، وطنية العمل ، تقيم في كل سنة معرضين تشهر بهما عملها ، احدهما في اوخر شهر ابريل وتسميه « معرض الزهور » ، والآخر في اواخر شهر نوفمبر وتسميه « معرض الأقحوان » والأول يطلق عليه اسمه بالغلبة لأنه يكون معرضاً للزهور وطوائف متنوعة من النباتات ، واصناف شتى من البقول والفواكه والخضروات . والثاني يطابق اسمه مسماه لأنهُ لا يعرض فيهِ غير

طوائف الاقحوان . وما اكثر اشكالها والوانها . وكلا المرضين يفتح في وقته يومين متواليين — السبت والاحد — وبديهي ان الجمعية انما تختار هذين اليومين لأنهما يوما الراحة والتنزه في الاسكندرية ، ويكثر اقبال الجهور فيهما على مشاهدة معروضاتها الجميلة

فشهر ابريل « نيسان » الحالي هو شهر معرض الزهور . وقد فتح هذا المعرض في يومي السبت والاحد الواقعين في ٢٠ و ٢١ منهُ وأقبل الالوف من الناس يتمتعون برؤية زهوره وبقوله منسقةً أبدع تنسيق

وقد جرت العادة السنوية ان يحتفل بافتتاح معرض الزهور بحضور امير البلاد او نائب ينوب عن سموه من امراء العائلة الخديوية ، ولكن في هذه السنة كانت حفلة افتتاحه بسيطة على خلاف العادة فقد جرت بحضور اعضاء الجمعية وجماعة من اصحاب المعروضات وجمهور من الزائرين . ولم يرأسها احد من الامراء ولا النظار . غير ان ذلك لم يؤثر في رونق المعرض ولا أنقص من جماله في نظر الجمهور

⁂

قبل ان نصف معرض الزهور يجمل بنا ان نورد لقراء « الزهور » نبذة موجزة عن نشأة الجمعية صاحبة هذا المعرض لأنهُ ثمرة من ثمار اعمالها :

كثير من الناس من يظنّ أنّ الجمعية الزراعية في الاسكندرية هي نفس الجمعية الزراعية في القاهرة ، او هي فرعٌ منهـا . والحقيقة انها مستقلة عنهـا تمام الاستقلال ، وعملُ هذه يختلف عن عمل تلك . ووجه الشبه بينهما ، من حيث الاشتغال بالزراعة ، ان الأولى هي بمثابة البستاني ، والثانية بمثابة الفلّاح . وكلتاهما تقوم بعملها « تحت رعاية الجناب العالي الخديوي » ورئاسة دولة الأمير حسين باشا كامل . ومصر في حاجة اليهما معاً

قبل ان تنشأ هذه الجمعية في الاسكندرية منذ سبع عشرة سنة خطر لبعض وجهاء الانكليز من موظفي الحكومة المصرية والنازلين في هذه المدينة ان يقيموا معرضاً للزهور هنا على نمط المعارض الزهرية التي تقام في انكلترا . فاستمدوا لذلك

وانشأوا معرضاً صغيراً من هذا النوع في النادي العمومي الانكليزي المعروف « بنادي جنود البر والبحر » . فكان كأنهُ معرض للنزالة البريطانية في الثغر اذ لم يهتمّ بهِ غيرها من سكان الاسكندرية إلاَّ قليلاً . وبعد سنةٍ من الزمن أقاموا معرضاً آخر في نفس المكان فكان هذا أفضل من المعرض الأول. وفي سنة ١٨٩٦ رأى اولئك الغواة أنْ يوسّعوا دائرة عملهم ويؤلّفوا جمعيةً زراعية للمثابرة على ترقية توليد النبات والزهور في هذا القطر ، واقامة المعرض في كل سنة . وكان كذلك . فأنهم ألّفوا الجمعية برئاسة الاميرال « بلامفيلد » الذي كان مديراً لمصلحة المواني والمنائر في الاسكندرية ، وارسلوا وفداً الى الجناب الخديوي يلتمس منهُ ان يشمل جمعيتهم برعايته السامية ، فسُرَّ سموه من المشروع وجعل الجمعية تحت رعايتهِ ؛ وانتخب دولة الامير حسين كامل باشا رئيس شرف للجمعية ، والامير عمر باشا طوسون وكيلاً لها

واتفقت الجمعية مع شركة فنادق تنكوفتش على اقامة أول معرض رسميّ في تلك السنة في فندق « سان ستيفانو » في يومي السبت والاحد الواقعين في ٢٣ ابريل « نيسان » و ٢٤ منهُ ، وطلبت الى سمو الأمير ان يفتتح هذا المعرض ، ولكنّ سموّهُ اعتذر وقتئذٍ عن الحضور وأناب عنهُ دولة البرنس حسين باشا كامل فرأس حفلة الافتتاح

كان المعرض الأول صغيراً فأقيم في قاعة البهو من بناية « كازينو سان ستيفانو » . ولكنّ الجمهور هرع لمشاهدة الزهور التي تعرض في متنزه عام ؛ فضربت الجمعية على الدخول رسماً قدرهُ خمسة غروش صاغ عن كل شخص ، وجمعت من تلك الضريبة مبلغاً كبيراً ، لأنّ عدد الذين زاروا المعرض بلغ نحواً من خمسة آلاف . ولا يزال هذا الرسم بعينه مورداً من موارد الجمعية . وفي سنة ١٨٩٧ تبنّت جمعية الزراعة البريطانية في لندن جمعية الاسكندرية ، وأباحت لها استعمال مداليتين من مدالياتها « فلورا » و « بنكسيان » — من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٣ . ثم استقلّت جمعية لندن بمدالياتها ، وضربت مداليات مخصوصة للجمعيات التي تستمدّ رعايتها ،

ومنها جمعية الاسكندرية . ولما رأت الجمعية الزراعية الخديوية في القاهرة ترقّي جمعية الثغر في السنة التالية ، أرسلت اليها اربع جوائز لتقدّمها للفائزين من العارضين . ومن ذلك الوقت صارت تمدّها بالمساعدة المستمرّة . وكانت الجمعية تدعو لمعارضها الأولى افواجاً من تلاميذ المدارس من ذكور واناث ، وتوزّع عليهم باقات الزهور عند انصرافهم الى منازلهم ، ولكنها أبطلت تلك العادة عند نجاح معارضها

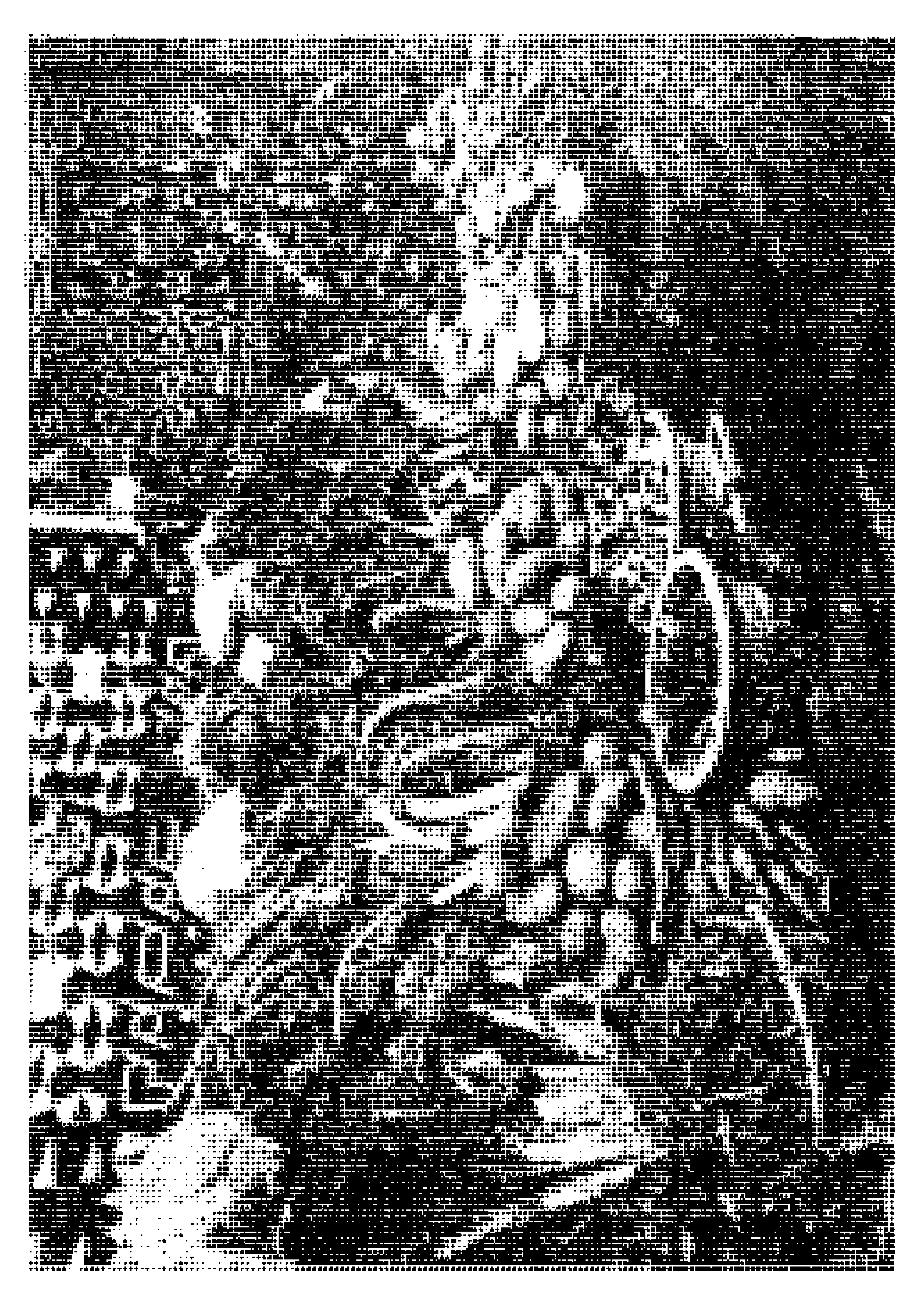
* * *

اما معرض الاقحوان فقد أُنشئ في سنة ١٩٠٢ ؛ وكان ايراده لاول مرّة أكثر من نفقاته . وكان افتتاحه في يومي السبت والاحد — ٢٩ و ٣٠ اكتوبر — ولا يزال يجيء في وقته تالياً معرض الزهور

وقد اضطرّت الجمعية قديماً الى اقامة معارضها في فندق «أبات» القديم وبورصة البرنس طوسون ودار الجمعية اليونانية في الاسكندرية ، ومنذ عدة سنوات لم تعد تقيم معرضاً في غير سان ستيفانو . وإدارة الفندق المذكور لا تتناول من الجمعية اجراً على إشغالها ساحة بنايتها بخمائل الازهار ، بل تكتفي بما تستورده بسبب المعرض من اثمان المشروبات والمأكولات ، وهو شيء كثير . اما ايراد « الدخول » فتأخذه الجمعية كما تقدّم

* * *

كانت الجمعية عند نشأتها فقيرة تجمع من أعضائها من المال ما تستعين به على القيام بعملها في الزراعة ، ولكنها كانت حكيمة مقتصدة لا تشتغل الاّ بقيمة ما تستورده . ولم تخطو خطواتٍ سريعة في ميدان العمل الاّ منذ سنة ١٩٠٧ ، فان الحكومة منحتها في تلك السنة اعانة سنوية قدرها ٦٠٠ جنيه ، فوسعت دائرة زراعتها ، وعيّنت لها سكرتيراً خاصاً هو المستر «فش» الذي لا يزال يشغل مركزه فيها بكل كفاءة . ثم أعطتها بلدية الاسكندرية بقعة أرضٍ في « حديقة النزهة » لتجري التجارب الزراعية فيها ، وجعل السكرتير مكتبه في تلك الحديقة الواسعة للاشراف على العمل ، ومنذ تلك السنة صارت تستغلّ زراعتها



(نموذج مما عرضتهُ الجمعية الزراعية من البقول والخضراوات)

وفي سنة ١٩٠٩ استأجرت من مصلحة الاوقاف الخديوية عشرين فداناً من أرض عزبة خورشيد القريبة من الاسكندرية لمدة ثلاث سنوات ، الفدان باجرة ١٣ جنيهاً في السنة . وفي سنة ١٩١١ زادت الحكومة اعانتها فجعلتها ٨٠٠ جنيه

وعنيت هذه الجمعية منذ نشأتها بتهذيب مغروسات البساتين وغرس ما لا يعرفهُ المصريون من أشجار الفاكهة الأجنبية ، والنباتات المتنوّعة في أرض مصر . وقد توصّلت بقوّة تجاربها الكيماوية والفنيّة العديدة الى ادخال بضعة أصناف جديدة على ما نراه عندنا من البقول والفاكهة والازهار . ونذكر على سبيل الاستشهاد فيما يأتي بعض ما رأيناه من الجديد في المعرض الاخير :

الليمون الحامض الياباني ، وهو أشبه بالليمون البلدي والرشيدي الاّ انهُ اكبر حجماً ولا نوى فيه ، والبطاطس الانكليزي وهو نوع من أجود أنواع هذا الصنف والباميا البيضاء ، واللفت الذي يستعمل لاستخراج السكر ، وأنواع كثيرة من البقول والخضروات . وكثير من أنواع الزهور والرياحين وأخصها « الجيرانيوم » وزهر « الايرس » الاسباني . وهي تشتغل الآن بتلقيح البرتقال البلدي بالبرتقال اليافاوي المعروف «بالشموطي» وتحسين الصنف المعروف « باليوسف افندي » المصري . وقد أهدت اليها إدارة الزراعة في الولايات المتحدة عدّة أنواع من أشجار البرتقال والخوخ والدرّاقن . واستحضرت من اليابان أنواعاً من الاشجار والبقول

وهي تستعمل في زراعتها السباخ الكيماوي وأخصُّ تراكيبه ما كان ممزوجاً بفوسفات حمض الكلس والبوتاس ونترات الصودا . وتستخدم أحدث الأدوات الزراعية وتبيعها للطالبين . وكانت منذ بضع سنوات توزع البذور على الزارعين مجاناً تشجيعاً لهم على اتباع خطتها في العمل . أما الآن فتبيع البذور وغيرها برأس المال ولولا ذلك لكانت أرباحها وافرة

معرض الزهور الذي أقيم في هذا الشهر هو مجموعة نموذجات متنوّعة مما تغرسهُ الجمعية في أرضها – ما ذكر وما لم يذكر – ومما يزرعهُ غواة الزراعة ورجال الحقول من شتى الازهار والنباتات والبقول على اختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها

ساحة المعرض هي ساحة « كازينو سان ستيفانو » الداخلية المشرفة على البحر من الجهة الشمالية . وقد نسقت فيها أنواع المعروضات تنسيقاً هو كل جمالها الفني .



(بعض خمائل معرض الزهور في ساحة كازينو سان ستيفانو)

ولا يخفى ان الزهرة لا يعوزها شيء لتكون جميلة : فهي جميلة في منبتها في الحقل ، وجميلة في يد القاطف ، وجميلة في قاعة الاستقبال ؛ ولكن مجموعة الزهور والنباتات

يعوزها الترتيب في وضعها لتكون جميلة ، ما دام الجمال في تناسب الاشياء ؛ وهذا ما كان متوفراً في معرض الزهور الاخير

ساحة المعرض تنقسم الى نصفين بينهما « كشك» للموسيقى . اذا وقفتَ في أوّلها متجهاً الى الشرق تجد أمامك في النصف الأوّل خمائل الزهور ، وفصائل النباتات ذات الورق الاخضر تدبّج البقعة بأشكالها الهندسية الجميلة في ثلاثة صفوف : صفّ الى اليسار للجهة البحرية ، وصفّ الى اليمين والثالث في الوسط

أما النصف الآخر فأهمُّ ما فيـهِ معرض المجلس البلدي وهو بمثابة بساط من الزهر مرسوم على مربع كبير من الأرض رسماً قد لا تكوّن اليد في التصوير أجمل منهُ للعين . ولا تسل عما فيهِ من أنواع الزهور والنبات ، فان عدَّ أصنافها ، اذا لم نقل لا يتيسر لغير علماء النبات — وهو العذر الحقيقي — نقول انهُ يستغرق وقتاً ويستوجب شرحاً طويلاً

وهناك ثلاثة أقسام اخرى للمعروضات : قسم مخصوص للسيدات وهو يشتمل على أنواع الورد من أبيض وأصفر وأحمر ، والاقحوان ، والمنثور وغير ذلك ، موضوعة كلها على موائد كبيرة في ظروفٍ زجاجية مستطيلة بترتيب جميل . وقسم يشتمل على صنفين احدهما للورد المقطوف والثاني لزهر الايرس . والقسم الثالث هو محلّ البقول والخضروات والفواكه وقد خصصت له في المعرض خيمة واسعـة لا تقلّ مساحتها عن ٢٠٠ ذراع مربع

وقد قسمت المعروضات من الوجهة الفنية الى اربعة أقسام رئيسية

(١) معروضات «الشوالي » للغواة (٢) الازهار المقطوفة — وهي تشمل الورد والايرس (٣) أزهار الموائد (٤) البقول والاثمار وغيرها

وقدّمت للعارضين المتسابقين مداليات وجوائز عديدة على ما امتـاز من معروضاتهم المتنوّعة . والاربعة الذين نالوا الجوائز الاولى في الاقسام المذكورة هم بحسب ترتيب الاقسام : مدام شارلوت دبانه ، والمستر هنري سفر ، ومدموازل جشر ابنة رئيس المحكمة المختلطة ، ومسز هو بكنسون قرينة حكمدار بوليس الاسكندرية

وللمعرض نظام معروف بمعاملته مع المزارعين والعارضين وشروط الاشتراك في المعرض وقبول المعروضات ونحو ذلك . وله لجنة عاملة دائمة تخدم الجمعية . ولجنة موقتة خاصة تؤلف من المحكمين عند اقامة المعارض للحكم في استحقاق الجوائز . والأولى تؤلف من ١٤ عضواً تحت رئاسة المستر سندرز القاضي في محكمة الاستئناف المختلطة ، والثانية تؤلف من ١٠ اعضاء بينهم سيدتان انكليزيتان

على ان جمال المعرض الحقيقي مستمدٌ من زائريه ، والمُشاهدُ يستجلي هذه الحقيقة لأوّل وهلة عند دخوله الى ساحة المعرض . واكثر ما يزيد المنظر جمالاً وجود الاوانس والسيدات فيهِ متفرقات بين الأزهار والرياحين ، بقبعات تستلفت الانظار بأشكالها ، وأثواب تنافس الازهار بألوانها ، ولا تنسَ جمال الصور ، ومحاسن الدعج والحور ، وفخامة المظهر ، ولطف المعشر

(الاسكندرية) عباس المصفى

ثمرات المطابع

تاريخ آداب اللغة العربية [١] — لما قرَّظنا في الزُّهور (٢ : ٢٧٦) الجزء الأوَّل من كتاب آداب اللغة العربية لمؤلفه جرجي افندي زيدان العالم المؤرّخ الشهير ، قلنا في الختام : « . . وانا ننتظر توفيقه الى اظهار الجزء الثاني من كتابهِ وهو سيكون ولا ريب ، أوفى بحثاً ، وأتمّ بياناً ، لأنهُ يتناول عصراً كثرت آثاره ، وتوفرت المعلومات عنهُ » وقد صدق ظنّنا اليوم ، وثبَّت صاحب الهلال اعتقادنا فيهِ ، فانهُ لم يحُلِ الحول على اصداره الجزء الاوَّل ، حتى وضع بين أيدي ابناء العربية الجزء الثاني الذي نحن بصدده الآن وهو أوفى بحثاً ، وأتم بياناً ، كما أمَّلنا أن يكون

اذا طالعتَ هذا الكتاب ، وأمعنت النظر في تنسيقهِ ومباحثهِ ، عرفتَ كم عانى الأستاذ زيدان من التعب وكم اجتاز من المصاعب حتى توفرت لديهِ موادّهُ ،

(١) طبع فى مطبعة الهلال عدد صفحاته ٣٥٧ وثمنه عشرون قرشاً

ودانت له أشتاتها، فألّف منها ذلك الكتاب النفيس . ولكنَّ صاحب الهلال مأثور عنهُ النشاط والانكباب على الدَّرس ، والرغبة في افادة الناشئة العربية في هذا العصر ، وليس كتابهُ هذا بأوَّل عملٍ مجيد يشكره عليهِ ابناء هذا اللسان

ويحتوي هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من قيام الدولة العباسية الى دخول السلاجقة بغداد ، ويدخل فيهِ تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج العلم في أواسط القرن الخامس للهجرة ، وفيهِ تراجم العلماء والأدباء والشعراء وسائر أرباب القرائح ، ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها أو طبعها من أقدم أزمنة التاريخ الى الآن . فأنتَ ترى ان هذا الكتاب تاريخ لم يوضع قبله في العربية كتاب مثله ، وقاموس يرجع اليهِ من طلب معرفة ادباء اللغة العربية في جميع الأمصار . ولقد كان المتأدّبون منا يُقضى عليهم بالتعب والدَّرس السنين الطويلة لكي يلمُّوا الماماً عاماً بتاريخ الآداب العربية — وقد يملُّ كثيرون العمل ، ويقنطهم السعي والبحث — فأصبحوا اليوم ، بفضل الأستاذ زيدان ، يتناولون ذلك التاريخ على أهون سبيل ، وأصبح في وسعهم أن يشغلوا أيامهم بدرس علوم شتى كان ذلك السعي والبحث يحولان دونها . فكتاب تاريخ آداب اللغة العربية ، وكتاب تاريخ التمدُّن الاسلامي وحدهما ، يحلّان صاحب الهلال المحلّ الأسمى من الكرامة والاحترام في نفوس ابناء اللغة العربية ، وهما الى جانب ما لحضرته من التآليف والأعمال يصفان حياته بأنها حياة العمل والنفع الحقيقيَّين

تعليل النوع[1] — اذا سمينا لقراء « الزهور » الدكتور محمد عبد الحميد فلا نسمّي لهم من يجهلون،فهو الذي يتحفهم بتلك المقالات الشهرية عن « تربية الطفل » وهو الذي طالما اشرنا الى كتبهِ الطيبة النفيسة التي لم يسبقه عالم الى وضعها باللغة العربية . واامامنا اليوم كتابٌ جديدٌ له في « تعليل النوع » وهو يشرح نظرية النوع الجديدة المبنية على المشاهدات الاكلينيكية مع ذكر الطريقة المؤدية الى معرفة نوع الطفل في بطن أمه وقبل ولادتهِ وبيان طريقة الحصول على النوع المرغوب فيه من

(١) طبع في مطبعة المعارف عدد صفحاته ٢٦٤ وثمنه عشرون قرشاً .

ذكر او انثى — وهذه المسألة من المسائل التي لا تزال مغمضة ، وقد تضاربت فيها آراء الاطباء واختلفت اقوالهم . ولا مجال هنا لتأييد مذهب وتفنيد آخر فضلاً عن ان ذلك من شأن العلماء الاختصاصيين . على انهُ لا يسعنا الاَّ تجديد الثناء على همة صديقنا الدكتور عبد الحميد التي لا تعرف الملل في خدمة قومهِ وبلاده بما ينشره لهم من المباحث العلمية الجديدة . وفّقه الله الى متابعة اعماله المشكورة التي أخذت الامة تقدّرها حق قدرها

اللُّغة العربيَّة [١] — وهو خطاب ألقاه في بيروت حضرة العالم الفاضل الاستاذ جبر ضومط م . ع استاذ اللغة العربية في المدرسة الكليَّة السوريَّة . وقد بحث فيهِ بحثاً تاريخياً فلسفياً عن موطن العربية المُضَريَّة ، ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية . ودقق النظر في تقسيم السامية الى فرعيها القحطاني ، وهو الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها ؛ والعادي ، وهو الذي كان يتكلم بالعربية تسميةً بأشهر قبائله عاد . ثمَّ توغل في هذه المباحث حتى اذا وفاها حقها من البرهان التاريخي والعقلي والأثري ، نظر نظرةً صادقة في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة ألفاظها وعباراتها واقتدارها على التعبيرات الفلسفية والاجتماعية . وما هو معروف عن الاستاذ ضومط من العلم وسعة الاطلاع يجعل لخطابه هذا منزلةً كبرى في نفوس الباحثين والمدققين من علمائنا الذين يعنون بهذا الموضوع التاريخي الفلسفي ، فله الشكر الوافر

الحب الطاهر [٢] — خطرات أوحى بها الخيال الى حضرة الكاتب الشاعر الاديب امين افندي حمدي وتقطرت من قلمهِ كما يتقطر الندى ، فجمعها في كتيّب حرصاً عليها ، ولا يُحرص الاَّ على الثمين . فحبَّذا لو أقبل عليها محبوّ الأدب ليروا كيف توحي الطبيعة التصورات الجميلة

ديوان المصري [٣] - نشر عبد الحليم افندي المصري الجزء الثاني من ديوانه

(١) المطبعة الادبية بيروت (٢) طبع فى المطبعة الاهلية الكبرى بطنطا
(٣) طبع فى مطبعة التأليف ويطلب من مكتبتها

المعروف باسمه ، وفيهِ القصائد والمقاطيع الشائقة التي نظمها في خلال الثلاث السنوات الاخيرة ، وكانت « الزهور » قد نشرت بعضاً منهــا كما يذكر القراء . والذي يقارن بين هذا الجزء من الديوان ، و بين الجزء الذي سبقه ، يرى كيف ترقّى الشاعر في خيــاله ، وفصاحته ، واسلوبه ، وطلاوته ، ولكنه لا يختلف عليهِ النَفَس الشعري لأنَّ عبد الحليم شاعر مطبوع تكاد تلمس شاعريته في كلّ قصيدةٍ لمس اليد . فنحن نثني عليه كلَّ الثناء ، ونتمنى ان يُقبل الادباء على ديوانهِ فانَّ له في ذلك اعظم تنشيط

ابراهيم ادهم باشا

في ادارة « الزهور »

تفضَّل صاحب العطوفة القائد الهمام الباسل ابراهيم أدهم باشا بطل الحرب الطرابلسية ، وصاحب السعادة السريّ الأمثل سليم بك أيوب ثابت ، فزارا ادارة هذه المجلة ، وأثنيا على أصحابها لما يبذلونهُ في سبيل نشر المعارف والآداب . وقد ذكر القائد الكريم انهُ اتصل بهِ ما « للزهور » من المكانة في نفوس القوم فأحبَّ إن يزور ادارتها ليعرب لنا عن اعجابهِ ، وليثبّتنا في الخطة التي اتخذناها ، اذ توسلنا «بالزهور» لإحكام الصلات الأدبية بين الاقطار العربية . ونحن نقابل هذا الصنيع بالشكر للزائرين الكريمين ، ونعدُّ ثناء القائد الهمام اكبر منشّطٍ لنا في عملنا

أزهار وأشواك

استغرقت الحفلة التي أقيمت لمساعدة منكوبي بيروت قسماً كبيراً من الجزء الفائت ، فاضطرَّت ادارة هذه المجلة الى زيادة ملزمة كاملة عليهِ . وكثرت المواد أيضاً في هذا الجزء ، ولم يكن بدٌّ من نشر مقالة عن معرض الزهور الاسكندري فحُرمتُ من المحادثة الشهرية مع قرائي ، مع اني كنتُ اعددتُ لهم أزهاراً وأشواكاً كثيرة . . . فالى الملتقى في الجزء القادم

حاصد



الجزء الرابع   يونيو (حزيران) ١٩١٢   السنة الثالثة

النذل

« في قاموس اللغة وفي قاموس العالم »

النذل في القاموس الخسيس الساقط . فهل تعلم معنى هاتين اللفظتين ؟

هما في القاموس ايضاً تجمعان في طيّهما معاني الحقارة ، والسفالة والرذيلة والنقص والجبن ، وما سوى هذا من المترادفات . ولكنني لا إخالك قد فهمتَ المعنى الحقيقي . انّ قواميس اللغة تنتقل بك من لفظةٍ الى لفظة ، وتفسّرُ لك كلمةً بكلمة . دعها الى جانب ، وهلمّ بنا الى هذا القاموس العظيم ، قاموس العالم ، واليك منهُ الرواية التالية فقد حدثت وقائعها في مصر ، في مثل هذه الأيام من السنة الماضية ،

*
* *

كَلِفَ فتىً بفتاة . جارانِ تجاور بيتاهما ، كما تحابَّ قلباهما . والحبُّ

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ   فكلامٌ فموعدٌ فلقاء

وتشاكيا ما بهما . الوجد في نفسها ، والنار في كبده . والقلوبُ

أرقُّ ما تكون ، في صدورٍ لم تنفتح للحب ، ولم تدرِ معنى الغرام . فهي حينئذٍ كذلك الغشاء الرقيق من « الجلاتين » يلصق على الزجاج في الآلة المصوّرة ؛ فاذا تناوله النور لمحةً أثر فيهِ ، فانطبعت عليهِ صوَر ما يمرُّ حياله في خلال تلك اللمحة

وعفَّت فتأدب . ووقف لها غرورُ الشباب وقفةَ العدوّ الغادر . يهزُّ الفتاة ويدفعها فتردّهُ بعفّةِ البكر ، ويهيجُ الفتى ويغالبهُ فيتّقيهِ بأدب الحبّ

وأعانت الأيام ، على الجوى والهيام . فتلاقيا على ضفاف النيل ، وتفيئاَ ظلال الاهرام ، وتسامرا من نافذتَي بيتيهما تحت بريق النجوم في سكون الظلام ، فما زادتها الليالي الاَّ جوًى ووجداً ، وما زادته الاَّ صبابةً وهياماً

ولما فاض القلبان بالحبّ ، ولم يبقَ في قوس الصبر منزع ، حدَّث الفتى أهلهُ بأمره ، وقصّت الفتاة حكايتهـا على ذويها . قالَ يا أبي هذه التي أحبُّ ، وقالت يا أمّ هـذا الذي أريد . أما الأمُّ فرضيت ، واما الأب فأبى . ولكنّ الإباء أجّج نار الغضا بين ضلوع الفتى ، فالتظى قلبهُ بالشوق والتهب لوعةً وجوى ؛ وشجّع الفتاةَ من أُمها الرضى ، فتمادت في الوجد ، وتطوّحت في الهوى . ولم يكن للعاشقين سبيل الى السلوى ، فانقطع هو الى القنوط ، وتعلَّلت هي بالمنى . حتى اذا غلب اليأس على الرجا ، وفتَّ في ساعد الفتى وقد سامهُ الشوق صبراً ، اندفع مع غرور الصبي ، وحببّ اليأس الى نفسه الردى ، فهوى بهِ الغرور الى ذلة الانتحار فهوى وما ارعوى

قال : اما الحياة فقد مرّرها أبي ونغّصها عليّ فلأجعلنّ حياته مرّةً منغّصة ، ولأنتقمنّ لنفسي منهُ شرّ انتقام . اني أموت فأشقّ قلبه حزناً عليّ ، وافتّت كبده تفجعاً وغماً ، فلا يعيش بعدي ، ولئن عاش فليستنفدَ دموع عينيهِ ، ولِتعذّبهُ الشيخوخة حتى يجرّه العذاب الى القبر . . .

. . . . ولكن هبني قد متُّ ، وانتقمت بموتي من أبي ، فكيف أطيق أن تحيا الحبيبة بعدي ؟ أأرضى لها الحياة لكي يتلاشى الحبّ في نفسها فتنساني وقد لا تلبث ان تعلق بغيري فتلقم قبري حجراً ؟ انما قلوب النساء كالعصافير تتنقَّل من غصنٍ الى غصن ، فاذا استقرّت فريثما يقف اهتزاز الفنن الذي استقرّت عليهِ ! . . واذا لم يكن من الموت بدٌّ ، فمن الظلم ان يموتَ الحبيب وحده ، وتعيش الحبيبة بعده ! ! . .

ثم كاشف فاتنتهُ بهذا الرأي ، وبسط امامها افكاره وامانيّه ، فزجرتهُ فما ارعوى وانما أثار تأنيبها في نفسهِ نزقَ الشباب فتصلّب وأبى الاّ أن يموتا معاً . وخافت الفتاة أن تتهم في حبّها ووفائها فقالت له : انت لست بأشدّ حباً لي مني حباً لك ، ولست بأشجع قلباً ، واشدّ بأساً . الحبُّ ساواني بك وما آثرك عليّ في شيءْ . ان كنت رجلاً فأنا امرأة . انما المرأة أرقّ شعوراً من الرجل ، واكثر تمادياً في الحبّ ، واندفاعاً مع الشهوات. ولقد شئتَ لي أن أموت معك فلتكن مشيئتك فيَّ يا ربّ

فمدّ الفتى يده وشدَّ على يد الفتاة فتعاهدا على الردى . ثم افترقا على هذا العزم بغيةَ ان يضمّهما القبر، ولم يضمّهما القصر ، وارادةَ ان يجمعهما الموت ولم تجمعهما الحياة

***

الانتحار جبن والمنتحر جبان . قد ييأس امرؤ فيرى الفرج في الموت ، وقد يدفع الغرور صاحبه الى مهواة الرّدى تخلصاً من متاعب الحياة، وفراراً من نائبات الدهر . ولكنّ الانتحار ، مهما تنوّعت اسبابه ، واختلفت دواعيه ، ليس الاّ دليل الخوَر والجبن ، والذلّة والصغار ، فالمنتحر جبان وان استبسل في طلب الموت . لولا الجبن لم يكن الانتحار !

***

شُلَّت يده ! صبّ لها وصبّ لنفسه . فالسُمُّ في كأسها ، والسمُّ في كأسهِ

ودنا الموت من شفتيها ، ودنا الموت من شفتيهِ . يا ويح لحظّهما ! كلاهما غضُّ الصبي ، رطب الأهاب ، وكلاهما والهٌ تيّمهُ الحب ، وبرّح به الجوى !

حمل الكأس الى شفتيهِ ، فاهتزّت بهـا يمناه ، وارتجف لها قلبه .
وأدنت الكأس من شفتيها فما اهتزّت يمينها ، ولا خفق فؤادها

وتلاقى الناظران من النافذتين ، في مقلتها دمعة ، وفي عينهِ جمرة !!

هي فتاة وهو فتى ! هي امرأة وهو رجل ! هي شربت ، وهو . . لم يشرب !

الفتاة شربت كأسها حتى الثمالة ، والفتى صبّ كأسه على الأرض !

***

هل عرفت الآن معنى النذالة ، ومعنى قولهم : فلان نذل ؟!!

القدَر والمقدّر

الاعتقاد بالمقدّر من أهمّ الاعتقادات التي أثّرت في حياة البشر في الأعصر الغابرة . وهو لا يزال متملكاً على افكار ابناء اليوم وان اختلفت كيفية اعتقادهم باختلاف مذاهبهم وآرائهم في عواقب الانسان . وتقسم هذه المذاهب الى ثلاثة اقسام : الماديون والقائلون بمذهب جمع الكائنات (الوهية العالم) (Panthéistes) والروحيون

فالماديون يعتقدون ان الانسان ليس الاّ مجموع اجزاء كيماوية تنحلّ بالموت ثم تتفرّق دقائقها ، وتنضم الى اجرام اخرى فتصير لها ومنها . وعندهم ان لكل واحدٍ من البشر ان ينتقي لحياته غاية ترمي اليها اغراضه ، وتطمح للوصول اليها افكاره ، وتوقف عليها اتعابه وآماله . اما قيمة الحياة فتعلّقة بفضل صاحبها ، وهي تقاس بما تجلبه على العالم من الخير — او الشر ؛ ولا يعبّر عنها عند الماديين الاّ باللذة والألم . العلم الوضعي يحسب كل ما يراه ظواهر طبيعية ونتائج حركات آليَّة تتشابه كلها في نظره ، فلا تفرق ماهيّتها الاّ بواسطة الحسّ ، فيسمي الماديون ما يسرّهم خيراً ، ويدعون ما يؤلمهم شرّاً ؛ وهم مع ذلك يؤثرون — نظرياً — خير المجموع على خير الفرد

اما القائلون بالوهية العالم فيعتقدون ان كل جرمٍ من أجرام الخليقة هو شكل بارز عن الجوهر الالهي المنتشر في طبقات الكون ، وان الروح بعد انفصالها عن الجسد تعود الى ذلك الجوهر العظيم كما يعود

الجسد الى المادة الكلية التي تكوّن منها . وكان فيثاغورس وافلاطون وغيرهما من فلاسفة الماضي يعتقدون بالتقمص (Métempsycose) ولا يزال الهنود والدروز الى ايامنا الحاضرة يعتقدون هذا الاعتقاد . وسواء غرقت الروح في بحر الحياة الكلية أم سكنت جسداً آخر ، فان الشخصية الحقيقية تنتهي عند عتبة القبر . فلهم ، والحالة هذه ، ان يعملوا في حياتهم كل ما يؤول الى سرورهم وارتياحهم دون افادة الغير . بيد ان ذوي الأخلاق الكريمة منهم يسعون في نفع الجمهور ما استطاعوا

والروحيّون يؤمنون بأن الروح ابدية لا تفنى ، وانها تحفظ بعد الموت ذاكرتها وسائر مميزات شخصيتها الجوهرية . هي لا تموت لأنها شعلة من روح مبدعها العظيمة ، فهي تعمل الحسنات وتسير في طريق الصلاح ، وتفيد وتستفيد ، وتُضحّي من لذتها وراحتها شيئاً كثيراً بقصد الوصول الى المصدر الالهي السامي والتمتع بغبطة لا نهاية لها

مهما تعدّدت المذاهب والمشارب فقد أجمع البشر على ان هناك قوة تدير حركة العالم ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها . يسميها بعضهم « عناية » او « ارادة الهية » ، وينعتها آخرون بالـ (Déterminisme Universel) وقد اصطلح الجميع على التعبير عنها بكلمة « قضاء » او « قدَر »

***

وضع الأقدمون « القدَر » فوق جميع الالهة . وهو في علم اديانهم (Mythologie) ابن « العدم » و « الظلمة » وهما الالهان الوحيدان اللذان لم يكن لهما ابتداء ، ولكنهما انتهيا اذ ان « العدم » اضمحلّ في

الخليقة كما ان « الظلمة » تلاشت في النور . « المقدّر » يقبض بيده على حظوظ البشر ، ويحكم فيهم كيفما شاء . وفي الخرافات القديمة أن اوامره منقوشة على صفحات من نحاس ، ولا قوة ارضيّة تستطيع ان تمحوَها او تغيّر منها شيئاً . كانوا يصوّرونه شيخاً طاعناً في السن كفيف البصر ، وتحت قدميه الكرة الأرضية وعلى رأسه اكليل من نجوم ، دلالة على خضوع السماء له . يسراه تمسك القارورة المحتوية على حظوظ البشر ، ويمناه تقبض على عصا من حديد اشارةً الى سطوته وقدرته المطلقة ، وقساوته وصلابته في احكامه

وقد جاء في الياذة هوميروس ان جوبيتير كان قد أراد انقاذ هكتور من شر آخيل ، على انهُ لما وزن حظّيهما ورأى ان هكتور سيموت لا محالة تركه وشانه . وكذا فعل « ابولّون » الذي كان يرافقه في غدواته وروحاته ويمده بالمساعدة ، فانهُ ابتعد عنه لعلمه أن القدَر لا يُعاند

توالت القرون وسبحت الافكار في فضاء واسع من الحرية العلمية فتناول الفلاسفة هذا الموضوع ودرسوه درساً مدققاً فنفوا وجود آلهة عمياء تلقي على البشر صواعق غضبها ونقمتها بحسب أهوائها ، ونسبوا « القدَر » الى نواميس ثابتة وعلاّت رياضية تأتي بالنتائج التي ندعوها « قضاء وقدراً » . وقال « ارسطو » ان الاقدار ناجمة عن قوّتين : قوة خارجية ، وقوة داخلية اي آتية من نفس الانسان . وكان جميع المفكرين الذين سبقوا ديكارت يقولون بوجود سلسلة علات آلية هي أساس النظام الكلّي . ثم جاء ذلك الفيلسوف الفرنساوي وثبّت هذه القاعدة ،

وأخرجها من دائرة المعقولات وأدخلها في دائرة الفلسفة الرياضية اذ شرحها شرحاً رياضياً ، وأسندها الى قواعد علمية رأسها القاعدة التي تستند اليها جميع العلوم الطبيعية ، وهي ان لا شيء يموت بكل معنى الكلمة ، ولا شيء يحيا ، بل ان الموت كالحياة ليس الا تقلب المادة من حال الى حال بحكم النواميس الابدية التي تديرها ، وانهُ لا بداية للكون ولا نهاية له ، بل ان كل حركة نراها ان هي الاَّ نتيجة حركة اخرى سبقتها وهي تابعة لحركة او لحركات تقدمتها . وفي العلوم الوضعية أن كلَّ ما في الكون حركات متتابعة متوالية ، وأن كل حركة « فسيولوجية » تعقبها فينا نتيجة « بسيكولوجية » او «فسيولوجية» . فالهضم مثلاً نتيجة الاكل ، والغذاء نتيجة الهضم ، والدورة الدموية نتيجة الغذاء ، وانتظام الدماغ نتيجة الدورة الدموية ، والفكر نتيجة انتظام الدماغ . فلو لم تنتظم الدورة الدموية في اجسام « روجر بايكن » و « البرت كريسي » و « شورتز » ما عرفت اوروبا البارود ولا قُتل بهِ الوف الجنود وملايين المحاربين . ولو لم تنتظم حركة القلب عند مخترع التلغراف اللاسلكي لما خلصت الباخرة « كرباثيا » النفوس التي انتشلتها من الباخرة «تيتانيك» كما انه لو أصاب مخترعي السفن مرض ما ، لما سارت السفن في البحار ولا غرقت الملايين فيها . وقس على ذلك . لا شيء يستطيع الخروج من دائرة النظام العامي وهذا النظام هو قدر الأقدمين الفلسفي بعينه

* * *

أجل ان النواميس تظلُّ ثابتة لا تتغير . الأجرام الكبيرة تسقط

الى الأرض بقوة الجاذبية ، ولا تقدر ان تسبح في الجو ما لم يكن هنالك من المواد الكيماوية ما يساعدها على معادلة ميزانيتها الطبيعية . شجرة التفاح لا تستطيع ان تحمل عناقيد العنب ، كما ان الدوالي لا تثمر موزاً ، وكل ما في الكون مرتب محدود . يقول ڤولتير : « قُدّر على الانسان ان يكون له عددٌ محدود من الاسنان والشعر والافكار؛ وقُدّر عليه ان يأتي يوم بهِ تسقط اسنانه، ويقع شعره ، وتتلاشى افكاره . »

ثم يتابع كلامه قائلاً : بعض البلهاء يقول : « ان طبيبي البارع قد شفى عمتي من مرضها الخطر ، وزاد في حياتها عشر سنوات »

« تقول ، أيها الأبله ، ان طبيبك شفى عمتك من مرضها ، ولكنهُ بفعله هذا ، لم يغلب ارادة الطبيعة ولم يعاكسها بل اتّبعها . قُدّر على عمتك ان تولد في هذه البلدة ، وان تمرض في يوم كذا بمرض كذا ، وقُدّر على الطبيب ان يسكن في هذه البلدة ، وان تدعوَه عمتك اليها ، وان يلبّي طلبها ، وان يعطيها العلاج الذي شفاها . هكذا شاءت الظروف الجارية بأحكام الناموس الأبدي »

« الفلاّح الجاهل يظن ان الجوّ أمطر حقله اتفاقاً ولكن الفيلسوف يعلم ان الصدفة اسم بلا مسمّى . وانّ التراكيب الجوّية أوجبت وقوع المطر على تلك البقعة في ذلك اليوم »

« من الناس من تخيفهم هذه الحقائق فيقولون ان بعض ما في الكون ضروري ، والبعض الآخر ليس الاّ حوادث وعوارض . وأنا اجيبهم انهُ لمن المضحك ان يكون نصف الكون مرتّباً وتابعاً لنواميس

ونظامات ، وان يكون النصف الآخر مهملاً . عند ما يتأمل المفكر ويبحث في دقائق هذا الموضوع يرى ان كل مبدإ يخالف الإقرار بالمقدّر لهو مبدأ مستهجن

« لكن حُكم على بعض الناس ان يفهموا قليلاً ، وعلى آخرين ان لا يفهموا مطلقاً ، وعلى غيرهم ان ينتقدوا الذين يفهمون وان يضطهدوهم »

مي

خواطر

* خلق الله العالم كله واستراح ، وخلق الله الرجل واستراح ايضاً ؛ ثم خلق المرأة ومذ ذاك لا استراح هو ، ولا استراح الرجل　　« رأي اميركاني »

* لا طريقة لايقاف تأثير الجرائد الا في تكثير عددها ؛ واني لاتعجب كيف ان حقيقة راهنة كهذه لا تزال مجهولة　　« توكفيل »

* خيار خصال النساء شرار خصال الرجال : الزهو والجبن والبخل

« الامام علي »

* أُحبُّ حرية الصحافة باعتبار ما تمنعهُ من المضارّ ، اكثر مما أحبها باعتبار ما تجلبه من المنافع　　« سنت بري »

* انما ينشئ الجريدة مشتركوها لا محرروها　　« جيراردين »

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة العاشرة

من فكتور هوغو الى خطيبته اديل فوشه

(فكتور هوغو أشهر من ان يعرَّف لأنه المجلّي في حلبة الشعر والانشاء كما تشهد له بذلك مؤلفاته ورواياته التي أظهر بها مساوئ المجتمع العمراني بطريقة لم يسبقه اليها أحد . ومن احسن ما نُشر له من آثاره الأدبية بعد موته مجموعة رسائله الغرامية التي كان يبعث بها الى خطيبته أديل فوشه . وقد اخذنا منها الرسالة الآتية كتبها في ساعة يأس بلغه فيها ان خطيبته ستقترن بغيره اطاعة لرغبة والديها)

في مثل هذه الايام من السنة الماضية كنا نعدّ الايام الباقية لنا من أمد الفراق . واليوم نعدّ الأيام الباقية لنا من حرية التراسل قبل ان تعتزلي الى بيتكِ الجديد وتتكافي المعيشة مع الرجل الذي قد اختاره لكِ والداكِ ، واني عالم انهُ لا يحق لي أن اكاتبكِ فيما بعد ، وانما تشفع بي ذكرى غرامٍ لا تزال في النفس بقية باقية منهُ . فان كنتُ أدعوكِ الآن رفيقة صباي فلأني لا أزال أطرب لذكرى أيامنا الماضية وأحن الى ربوع صبانا كما يحنّ الفطيم الى أحضان أمه

تلقيت رسالتكِ الاخيرة مع بريد هذا الصباح فأحببت ان أُجيبكِ عنها قبل ان تنطوي آخر صفحةٍ من استقلالكِ فلا يعود يسوغ لكِ أن تبتسمي لغير زوجكِ او تهتمي بغير مرضاته . وربما كانت هـذه آخر

رسالةٍ مني اليكِ . فائذني لي ان أُخاطبكِ باللهجة التي اعتدتُ مخاطبتكِ بها قبل الآن . لأنكِ تقولين ان الحب الذي يضمّ قلبينا سيظل ثابتاً الى الأبد ، وإن إكراه أهلكِ اياكِ على الاقتران بغيري لا يمكن ان ينسيكِ حبنا القديم وعهد غرامنا المنصرم

أراكِ من خلال رسائلكِ تكتمين عني هموماً ثقيلة الاعباء . فلماذا أنتِ حزينة يا اديل ولماذا تفسحين للهموم مجالاً في فؤادكِ المثقل باعباء الغرام ؟ ان كان الغد يروعكِ فان لكِ من بعده موقفاً تنسين بهِ مواقف الامس اذ تجدين من حب زوجكِ ما يلهيكِ عن ذكرى غرام فاض بهِ قلبكِ ردحاً من الدهر ثم انطوت صفحته وانطفأت شعلته ، وحلّ محلّهُ حبٌّ آخر ربما فتحتْ لكِ السعادة من ورائهِ احضاناً رحيبة

لعلكِ تتهمينني بفتورٍ في الحب . ولكن متى عرفتِ ان رسمكِ لا يبرح من مخيلتي دقيقة واحدة وان قلبي لا يزال يخفق كلما عرضَ لي ما يذكّرني بكِ ، علمتِ ان اليمين التي أقسمتها لكِ تحت تلك الصفصافة سأظلّ اردّدها حتى آخر نفس من الحياة . فافرحي ولا تحزني يا اديل . ان قلباً وقفته على حبّكِ لن ينفسح لغير رسمكِ الجميل . ومواقف حبنا هذه أرسخ من أن تعبث بها أيدي الزمان

سحابة وتنقشع يا أديل . فمتى انقشعت لا تعودين تذكرين من أيامنا هذه اكثر مما يذكر الشيخ من ايام طفولته . لأن واجبات الغد ستنسيكِ أحلام اليوم ، وداء الحب المستحكم فيكِ سيشفيهِ مرور الزمان . وما الذي يهمكِ غداً ولكِ من ثغور بنيكِ ما ينسيكِ ابتسامة حبيبٍ

قديم ، ومن محبة زوجكِ ما يفتح لكِ ابواب فردوسٍ كنت قد اغمضت عينيكِ عنهُ قبلاً لتتمتعي باحلامٍ زائلة ؟ فافرحي ولا تحزني لأنني أنا ايضاً أفرح متى رأيتكِ في سعادة وهناء

أرى الحياة مملّة يا أديل . لم أعد أطرب لشيءٍ فيها كما كنت اطرب لها من قبل . لأن الآمال التي كنت أتعلل بها في الأمس قد زالت فصرتُ أرى الحياة أشبه بدور هزلي يلعبه الانسان في العالم ثم يفسح المجال لشقيٍّ آخر يجيءُ بعده . فما الذي يحببها الينا ولا شيءَ يخلد فيها سوى الآمال ؟ نعم ان الآمال كثيرة متشعبة ، وأنعشها للنفس ما كان مبعثهُ القلب ومنشأه الحب . ولكن أية لذةٍ للحياة اذا انطوت صفحة تلك الآمال وحلّ محلّها اليأس وانتقلت النفس من حلمٍ هنيءٍ الى يقظة رائعة

تقولين انكِ عازمة على الانقطاع عن العالم ، والالتجاء الى دير تقضين فيهِ البقية الباقية لكِ من الحياة . أفما يكفيكِ أن لكِ من قلبي ديراً ليس فيهِ سواكِ يا أديل ؟ ألا يكفيكِ أنكِ تحوّلين هنالك من عابدةٍ الى معبودة فتسمعين من مزامير الغرام وأناشيده ما يفتح لروحكِ الطاهرة فردوساً تتنعمين فيهِ ؟ فان خطرَتْ لكِ فيهِ العبادة فهنالك تجدينها على أسماها وانما هي موجهة اليكِ عند مذبح الغرام .

كنت البارحة في ملهى . . . وكانت عيناي شاخصتين كلَّ الوقت الى المقصورة التي كنا فيها معاً لآخر مرّة . وكان فيها رجل ضخم الجثة وبرفقتهِ فتاة حسناء في مقتبل العمر وهما يقهقهان لنكات الممثلين ويصفقان لها طرباً . فقلت في نفسي هل هما سعيدان كما كنا في تلك

المقصورة منذ اشهر خلت ؟ وهل يمكن ان يبلغا من السعادة ما بلغناه منها في عهد غرامنا القصير ؟

ما اطيب قلبك يا أديل ! تطلبين مني ان اسامحك وانتِ تعلمين انني لا أعرف لكِ سيئة غير ما أسأتِ بهِ الى نفسك اذ أحببتني حباً مخلصاً كنتِ في غنى عنهُ . لحرامٌ عليكِ ان تستذنبي نفسكِ الطاهرة وتنسبي اليها ما هي بريئة منهُ . وان كانت سيئات البشر كلها من قبيل ما تستذنبين بهِ نفسك فما أقدسها ذنوباً تفتح لمرتكبيها أحضان الآلهة ، وتبلغ بهم الى نعيمٍ تجري من تحتهِ الانهار . أأنتِ تذنبين يا أديل ؟ اذاً مَن بعدكِ لا يخطئ في العالم ؟ ولمن تبقى أبواب السماء مفتوحة إن هي أُوصدت في وجوه الملائكة ؟

لي حاجةٌ اليكِ يا أديل وهي ان تسمحي لي بحفظ صورتكِ التي اهديتها اليَّ في عيد ميلادكِ الفائت فانها التعزية الوحيدة الباقية لي بعد مأساتنا هذه . فإن أنكرتِها عليَّ فليس لي الاَّ ان أُعيدها اليكِ . ولكن ثقي انكِ سواء استرجعتِها مني او لم تسترجعيها فانَّ رسمكِ منقوش في قلبي ولن يمحوه مرور الأيام او كرور الأعوام

سلام الى حين اللقاء وراء « مرسحنا » الفاني . سلام يحمله اليكِ النسيم في اليقظة ، والملائكة في الحلم　　　فكتور

(بقلم سليم عبد الاحد)

لقمان الدويبات

قال ارسطوطاليس « يُرى على نهر هيپانيس[١] (Hypanis) دويبات لا تعيش الاّ يوماً واحداً[٢] ، فالتي تقضي نحبها في الساعة الثامنة من الصباح تُحتضَر ، والتي تطوي بساط ايامها في الساعة الخامسة من المساء ، تموت هرماً . »

وقف أحد كتّاب الافرنج على هذا القول الذي نقله شيشرون ، فكتب فصلاً يتدفق زلاله حكمةً رائعة ، لجاريناه فيهِ فوضعنا هذه الاسطر التالية :

لنفرض انّ ذكراً من ذكور هذه الدويبات الهيپانيـة عمّر نهاراً واحداً لمتانة بنيتهِ ، واندماج خلقهِ ، وتوثيق آرابه ، أي انهُ وُلد مع انبثاق الفجر ، ثم قضى عمره عاملاً بنشاطٍ وهمة وكدٍ وجدٍ ، مدة الثواني العديدة

---

(١) كان يطلق اسم نهر هيپانيس في السابق على نهرين في اوربة البربرية : أحدهما يُعرف اليوم باسم « كوبان » ويخرج من كوه قاف ، ويدفع مياهه في بحر ازوف ؛ والآخر يُعرف باسم « بوغ » ويأتي من ديار ياجوج وماجوج الاوربية (اسكيثية الاوربية) ويصب في أولبية في فوهة نهر البورستين

(٢) الكلام هنا عن هذه الدويبات المسماة « بينات اليوم » وهي طويئرات لا تعيش الاّ يوماً واحداً ، ومن ذلك اسمها العربي الذي وضعناهُ . وهي تُعرف في ديار العراق باسماء شتى كالچليلو او الاكليلة ، والخيتعور ، والزُخرُف ، والبعصوصة ونحوها . واسمهـا بالفرنسوية : (Éphémère) ، وبلسان العلم (Ephemeris) وتوجد في جميع الاصقاع التي تكثر فيها الغدران والبطائح والمستنقعات

التي تنشأ منها الساعات العشر او الاثنتا عشرة وهي مدة عمره الطويل ما عاش هذه الساعات الطوال الاَّ وقد حنكته التجارب ، وعجم عود الزمان ، وغمز قناته ، فقام بين اخوته واخواته خطيباً مصقعاً ، ذرب اللسان ، بليل الريق ، جزل الخطاب ، قوي العارضة ، تخلب أقواله كل سامع . كيف لا يكون كذلك وقد رَكِبَ من الأمور اكتافها ، واقتعد ظهور المكاره ، وحلب الدهر اشطره ، فأصبح طويل الفكرة ، دائم التدبر ، ولذا لا تعجب اذا قلتُ لك انهُ غدا لقمان أوانهِ ، وسحبان زمانهِ ، وسليمان عصره ، وقسّ دهرهِ

أجل انهُ لكذلك لاسيما وقد رأى أنداده ولِدَاتهِ ، قد اخترمتهم المنية عند الظهر ، كأنهم خلائق نجت نجاة سعيدةً من مساوئ الشيخوخة ، التي كانت تحلُّ بهم لو كانوا بلغوا مداها . ولهذا يحقّ لهذا الشيخ الجليل ، لقمان هذه الدوبيات ان يقصّ على احفاده الاخبار المتواترة التي تروي أموراً كلها عجائب وغرائب لم تدر في خلد أصحاب التواريخ المدوَّنة

وعليهِ ، جمعهم ذات يوم ، وهم كلهم أقوام من جنسهِ ، في مقتبل الشباب ، وغضّ الأهاب ، عمرهم ساعة . ثم قال لهم : هلمَّ ايها الشبان اسمعوا وعُوا . . . وما قال هذه الكلمات الاَّ ورأيتهم جميعهم آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية . ثم أخذ يتكلم وهو يتحدَّر تحدّر السيل ، ويتدفق تدفق اليعبوب ، كأنّ الله فجرَّ ينابيع الحكمة على لسانهِ ، وأراه الغيب من وراء ستر رقيق شفاف . اما الجلاَّس فكانوا يطربون بغُرَر تلك الأقوال ،

ويثملون بارتشاف سلاف الحكم التي تزري بالدرر الغوال . وكل ما كان يرويه عليهم كانوا يقضون منه العجب العجاب ، ويطيبون له نفساً ، ويودّون ان يسمعوه مدى الأحقاب

على ان سماعهم اياه الى المساء ليس بقليل ؛ فهو عندهم بمنزلة اعوامٍ ، بل قرون . إذ الغروب عندهم من قبيل عصر من أعظم عصور الخلق اذا بلغوه

ولنفرض الآن ، ان هذه الدويبة الذكر — لقمان ذاك الاوان على نهر هيبانيس — أزمع على الرحيل ومغادرة هذه الدنيا الدنية ، لأنهُ أحسّ بدنو أجله لميل شمس النهار الى المغيب . فجمع جميع أولاده وأحفاده من صلبهِ ولفيف اصدقائهِ ومعارفهِ ليودّعهم وداع الفراق ، ويوصيهم وصاياه الاخيرة . فاحتشد جميعهم تحت ظل فُطرةٍ ظليل . فأخذ الشيخ الجليل المحتضر يقول :

« يا اصدقائي ووطنيّ ، اني أشعر بأن لا بدَّ من نهاية هذه الحياة ، لأنهُ كان لها بداءة . ولقد حان أجلي ، وقربت ساعة وفاتي ، ولست متأسّفاً على زوال أيامي ، وتصرُّم حبل حياتي . فلقد أصبح طول عمري عبئاً ثقيلاً على كاهلي ، ولم يبقَ لي في هذه الدنيا ما يُطيّب لي فيها مرارة سُؤر رمقي . هذه الفتن والمحن وضروب النكبات أتلفت دياري ، وكثرة البلايا والرزايا أمالت قناتي ، وتتالي الأمراض والادواء التي تحلّ بقومنا استفرغت قواي ، وتعاقب المصائب والنوائب التي ألمّت بأهل بيتي استنفد الدماء الباقي من حياتي . كل هذا ، اذا ضُمَّ الى ما رأيتهُ واختبرتهُ بنفسي

في حياتي هذه الطويلة ، تحققون ان الزمان علمني هـذه الحقيقة الثابتة الاركان وهي : ليس من سعادة قارّة دائمة على هذه الارض ، ولا سيما اذا كانت تلك السعادة منوطة بأمور ليست بأيدينا ولا بارادتنا ، بل بمشيئة عناية غامضة . فلقد رأيتُ طائفة من أقوامنا ماتوا عند هبوب ريح صرصر ؛ وشاهدت جماعةً من شبيبتنا المتهوّرة قد غرقت في طحمة سيل جارف ؛ وكنت يوماً ممن حضر فرأى مطراً مدراراً أحدث طوفاناً عرمرماً اكتسح زرافاتٍ زرافاتٍ من ابناء وطننا العزيز ؛ ولقد تحطمت ديارنا ذات يومٍ كل محطّم بعد ان سقط بَرَد هائل القدر أمات ربواتٍ وربواتٍ من اخوتنا المظلومين . وزيدوا على ذلك ان قوماً منّا اذا رأوا سحابةً سوداء قالوا في أنفسهم : ان هذه الاّ سحابة قوم عاد

« اني لقد عشت في عصور الخلق الأولى ، في زمان الفطحل ، وحادثتُ جماعةً عظيمة من الدويبات كنّ أطول مني قامة ؛ بل كنتُ بجانبهنّ كأحد بني ياجوج وماجوج ، بجنب واحدٍ من بني عُوج كنّ ذوات بنيةٍ أقوى من بنيتي ، وذوات حكمةٍ تزري بحكمة سليمان . ولهذا اعلموا ، يا سادتي ، ان كل ما أنطق وأتفوّه بهِ ، لا يشوبهُ ريب ، ولا يخامره شك . وليس في نيتي ان اخدع واحداً منكم

« يا قومي ، صدّقوا كل ما أقوله لكم ، وتأكّدوا ان الشمس التي ترونها الآن متسترة وراء المياه ، ويخيّل الينا انها غير بعيدة عن الأرض ، رأيتها سابقاً قد تكبّدت السماء ، قاذفةً سهام أشعتها مصوّبةً اياها علينا ؛ وكانت الارض في ذلك العهد العهيد سابحةً في سبحات وجه الله ، أكثر

مما هي عليهِ في هذه العصور المتأخرة ؛ وكان الهواء أجف من هذا السكاك ، وأحرّ منهُ ؛ وكان اجدادنا الفضلاء أصحاب جدٍّ وكدٍّ وجلد وقناعة سامية

« يا قومي ، ان حواسّي وان كان قد فلّ غربها ، وكلّت شباة ذاكرتي ، الاّ اني اؤكد لكم ان هـذا النجم المتلألئ المجيد ، يتحرّك ويسير . ولقد رأيتُ بزوغهُ الأول من وراء قمّة هذا الطود الباذخ ، ونشأتُ في الوقت الذي أخذ يرتفع رويداً رويداً على الأفق ، ويخطو بعد ذلك في السماء خطوات جبّارٍ عنيد من أعظم الجبابرة قوةً وحولاً وطولاً وهولاً . ولقد تقدّم في السماء تقدّماً حثيثاً عجيباً مدة أعصار متطاولة متتالية ، وهو يقذف حرارةً غريبة ، وأنواراً عجيبة ، لا يمكنكم أبداً ان تتصوروها ، ان لم تروها بعيونكم ؛ بل ما كان يمكنكم ان تحتملوا أمريهِ الأمرين

« اما الآن ، وقد قارب الأفول ، وان يوارى في قبور المياه ، أرى ان أفراد هـذه الامة كلها سائرة ، بل صائرة الى الزوال والاضمحلال الوشيك ، وتسجّى هذه الدنيا الغرور بأكفان الظلمات ، في أقلّ من مائة من الدقائق

« وا حرَباه ! يا أصدقائي ، وا حرَباه ! ما أعظم ما كان غروري في سابق العهد ، في عنفوان شبابي ، وغضاضة اهابي ! كنتُ إخالني من الخالدين المقيمين في هذه الارض ! وان ليس من شيء في هذه الدنيا يستطيع ان يتغلّب عليّ ، ويُفني جواهر بدني ، وعناصره المتركب منها ! وكنت اذا نظرت الى مساكني التي كنت قد نحتّها في الصلصال

المَلك ، كنت أقول : وهل يموت مَن يقيم في مثل هذه المباني المحكمة البنيان ، التي لم يشيّد مثلها سليمان ، ولا الانس ولا الجان ! فما أشدَّ ما كانت ثقتي بنفسي ، وطمعي بهذه الحياة ، وبقوة أعضائي ، وبتراكيب مفاصلي ومواصلي ، وقوة أجنحتي ! ! ! كل ذلك أصبح كأن لم يكن ، لقد عشتُ للطبيعة وللمجد ، لقد عشت لنفسي ولمنفعتي . لقد عشت ولم استفد فائدةً تذكر لآخرتي ، لقد عشت في دار الفرار ولم اتخذ عملاً فيه الثواب لدار القرار . ولقد أحسن مَن قال :

يا صاحبي ان الزما　　نَ كما علمت وما علمتهُ
يُفني الذي جمَّعتهُ　　بيدي ويحصد ما زرعتهُ
ويخون مَن صافيتهُ　　عمداً ويعشق مَن مقتُّهُ
وجهلتُهُ　　فحمدتهُ　　وذممتهُ لمَّا عرفتهُ
ولطالما　　عاتبتهُ　　حتى على رغمٍ تركتهُ

بغداد　　　　　　سائسنا

﴿ المودَّة ﴾

المودة بين الأخيار سريع اتصالها ، بطيء انقطاعها . ومثلُ ذلك كمثَل كوب الذهب ، هو بطيء الانكسار ، هيّن الاصلاح . والمودَّة بين الاشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها ، كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ، ثم لا وصل له ابداً . والكريم يمنح مودَّته عن لقيةٍ واحدة ، او معرفة يوم ؛ واللئيم لا يصلُ احداً الا عن رغبة او رهبة　　　　(ابن المقفَّع)

في رياض الشعر

حنين الى لبنان

برح عزتلو داود بك عمّون القطر المصري الى باريس للسعي في خدمة جبل لبنان . وقد عثرنا بين اوراقه على الابيات الآتية فاحببنا ان ننشرها بمناسبة ذلك السعي ، وهي تنمّ على ما في نفس الشاعر من الحب لوطنه والحنين اليه ، ولبنان — وهو سويسرا الشرق كما يسمّونه — ما فتئ منذ القِدَم حتى اليوم موحى الشعر وملهَم البيان . قال :

هاج اشواقي الى الدِّمَنِ ... طائرٌ غنَّى على فنَنِ

ايهِ يا قمريُّ انَّ بنا ... فوق ما يبكيكَ من شجَنِ

ولو انَّ الدمعَ منطلقٌ ... لهمى كالعارض الهتِنِ

انما بالرُّغم أحبسهُ ... خشيةَ التلوام واللسَنِ

* * *

حبذا المصطاف في جبلٍ ... ينطحُ الجوزاء بالقنَنِ

موئل الاحرار من قدمٍ ... واباةِ الضيم من زمنِ

ليس لبنانٌ لمكتسحٍ ... بضعيف العزم ممتهنِ

سل ملوكَ الروم كيف غدا ... عرشهم مستوهن الركنِ

علَّم الأهلونَ جيشهمُ ... فنَّ نظم النحر باللُدنِ

فبنو لبنان أسد وغًى ... أُطلقت فيهم يدُ المحَنِ

واختلاف الدين أورثهم ... عِلَلَ الاحقاد والاحَنِ

ليتَ ذا عزمٍ يضمهمُ ... ضمةَ الاعضاء في البدنِ

فيعيدوا السابقات من المجـــدِ والعليـاء للوطنِ

* * *

يا بني أمّي اذا حضرت ساعتي والطبُّ أسلمني
اجعلوا في «الأرز» مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني

داود عمون

﴿ جرى في دمعهِ دمهُ ﴾

بهِ سحرٌ يتيّمـــهُ كلا جفنيك يعلمهُ
هما كادَا لمهجته ومنك الكيد معظمهُ
تعذّبهُ بسحرهـــــا وتوجدُهُ وتُعـــدمهُ
فلا هاروتَ رقَّ لهُ ولا ماروت يرحمـــهُ
وتظلمهُ فلا يشكـــو الى من ليس يظلمهُ
أسرَّ فمـــات كتماناً وباح لخانهُ فمـــهُ
فويح المدنف المعمو د حتى البثُّ يُحرَمهُ
طويل الليل ترحمــهُ هواتفــهُ وأنجمـــهُ
اذا جـــدَّ الغرام بهِ جرى في دمعهِ دمهُ
يكاد لمهـــده ابداً بعادي السقم يسقمهُ
ثنى الأعناقَ عوَّدُهُ وألقى العذرَ لومـــهُ
قضى عشقاً سوى رمقٍ اليك غداً يُقـــدّمهُ
عسى ان قيل مات هوى تقول اللهُ يرحمـــهُ
فتحيا في مراقدهـــا بلفظٍ منك أعظمهُ

شوقي

﴿ وداع وشكوى ﴾

جاءتنا القصيدة التالية من « الولايات المتحدة » وقد قالها شاعرها مودعاً بلاد الشرق شاكياً متألماً ، ومستقبلاً العالم الجديد باسماً مؤملاً . والشاعر قد عرّفته الزهور الى قرّائها (س ٢ : ج ٤ : ص ٢١٤) قال بعد مقدمةٍ وجيزة :

ولقد ركبتُ البحرَ يزأر هائجاً ... كالليث فارق شبله بل أحنقا
والنفسُ جازعةٌ ولستُ ألومُها ... فالبحر أعظم ما يُخاف ويُتقى
فلقد شهدتُ بهِ حكيماً عاقلاً ... ولقد رأيتُ بهِ جهولاً أخرقا
مستوفزٌ ما شاء ان يلهو بنا ... مترفقٌ ما شاء أن يترفقا
متحفزٌ وكأنهُ متوقعٌ ... تحتَ الظلام سفينةً او زورقا
تتنازع الأمواج فيهِ بعضها ... بعضاً على جهلٍ تنازُعَنا البقا
بينا يراها الطرفُ سُوراً قائماً ... فاذا بها حالت فصارت خندقا

* * *

(نويُورك) ياذات البخار بنا اقصدي ... فلعلنا بالغرب ننسى المشرقا
وطنٌ أردناه على حبِّ العلى ... فأبى سوى ان يستكين الى الشقا
كالعبد يخشى – بعدما أفنى الصبى ... يلهو بهِ ساداته – ان يُعتقا
او كلما جاد الزمان بمصلحٍ ... في أهله قالوا طغى وتزندقا
فكأنما لم يكفهِ ما قد جنوا ... وكأنما لم يكفهم أن أخفقا
هذا جزاء ذوي النهى في أمّةٍ ... أخذ الجمود على بنيها مَوثقا
وطنٌ يضيق الحرّ ذرعاً عنده ... وتراه بالاحرار ذرعاً أضيقا
ما ان رأيتُ بهِ أديباً موسراً ... فيما رأيتُ ولا جهولاً مملقا
مشت الجهالة فيهِ تسحب ذيلها ... تيهاً وراح العلمُ يمشي مطرقا
أمسى وأمسى أهله في حالةٍ ... لو أنها تعرو الجماد لأشفقا

شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى متفرقٌ ويكاد ان يتمزقا
مستضعفٌ ان لم يُصِب متملقاً يوماً تملّق ان يُرى متملقا
لا يرتضي دين الاله موفّقاً بين القلوب ويرتضيه مفرّقا
لم يعتقد بالعلم وهو حقائق لكنهُ اعتقد العزائم والرقى
ولربما كره الجمود وانما صعبٌ على الانسان ان يتخلقا
وعصابةٍ ما إن تُزحزح أحمقاً عن رأسها حتى تولّي أحمقا
راحت تناصبنا العداء كأنما جئنا فرياً او ركبنا موبقا
بينا الأجانب يعبثون بها كما عبثَ الصبا سحراً بأغصان النقا
«بغداد» في خطرٍ و«مصر» رهينة وغداً تنال يد المطامع «جلّقا»
قيل أعشقوها قلتُ لم تسلم لنا معنا قلوبٌ كي نُحبَّ ونَعشقا
ان لم تكن ذاتُ البنين شفيقة هيهات تلقى من بنيها مشفقا

* * *

أصبحتُ حيثُ النفس لا تخشى أذى أبداً وحيثُ الفكرُ يغدو مُطلقا
نفسي أخلدي ودعي الحنين فانما جهلٌ بُعيدَ اليوم ان نتشوقا
هذي هي «الدنيا الجديدة» فانظري فيها ضياء العلم كيف تألقا
اني ضمنتُ لكِ الحياة شهيةً في أهلها والعيش أزهر مونقا

(سنسناتي اوهايو) ايليا ظاهر ابو ماضي

﴿ دموع الحبيب ﴾

دموعكَ صنها او فغالِ بمثلها من الدُرِّ الّا عن صوانٍ من الحبِّ
فانْ تغلبِ الأشجان قلبك مرّةً على أمرهِ فاذرفْ دموعكَ في قلبي

خليل مطران

﴿ كرامة المرأة ﴾

يا ربّنا أجرِ العذارى من كيدِ مَن خلَع العِذارا

أجرِ الحسان الساذجا تِ ونجِّ الاحداثَ الصغارا

من كلّ فظّ في السما جة والوقاحةِ لا يبارى

سكران سكرَ جهالةٍ ولربما شرب العقارا

ألِفَ القبيح فما يُبا لي أن يجرّ عليه عارا

يمشي ويثني عطفَهُ وكأنّ في عينيهِ نارا

او يقتدي متقلداً خُلُقاً ووجهاً مستعارا

واذا رأى منهنّ وا حدة تبسَّم أو أشارا

أو راح يتبعُها ويأ ملُ أن يزور وأن تزارا

حتى يطوفَ ببيتها ليلاً ويرصده نهارا

⁂

ما أوفرَ العثراتِ للـ ـغادات وُقِّيت العثارا

من كل سافرة تودُّ لو انها اتخذتْ ستارا

كي لا ترى ثقلاءَ ينـ ـبو عنهمُ الطرفُ احتقارا

وخريدة لولا الخما رُ حياؤها كان الخمارا

تمضي لحاجتها ولا ترنو يميناً او يسارا

لا سمعَ تلقيهِ الى ما قيل سرًّا او جهارا

هي واللواتي مثلها يفعلنَ ذاك ولا فخارا

يحسَبْنَ تطرئة الوجو ه على محاسنها شنارا

أولاء ربّات الفضا ئل قد رفعنَ لها منارا

لكن من الغادات مَن　　لا آسماً يصُنَّ ولا إزارا
أُولعنَ بالأسواق فهـــي لهنَّ ما برحتْ مزارا
يمشينَ فيهـا لا حيـا　　ءً ولا احتشامَ ولا وقارا
متـأودات كالقنـا　　مترنّحات كالسكارى
يُبرزنَ أجيـاداً كأجــياد الظبـاء ولا نفـارا
وترائبـاً لصقَ المشـــدَّ بجانبيهـا واستـدارا
او يرتدينَ ملابسـاً　　شفّافة عمـا توارى
ويُجلنَ في من حولهـــنَّ لواحظاً ترنو حيـارى
خـلاَّبةً في قلب عا　　شقهنَّ يُضرمنَ الأوارا
ولقد يكنَّ عقـائلاً　　يُولين ذا الجهلَ اغترارا
أشكالهنَّ المصبيـا　　تُ تثير في النفس المثارا
تُغري بهنَّ المستها　　مَ فؤادُهُ والمستطارا

٭ ٭ ٭

يا من تليقُ بها الكرا　　مة حاذري ذاك الصَّغارا
صوني جمـالاً طالمـا　　أولاكِ تيهاً وافتخارا
لا كان حسنٌ فيكِ لم　　يكن العفاف له شعـارا

نقولا رزق الله

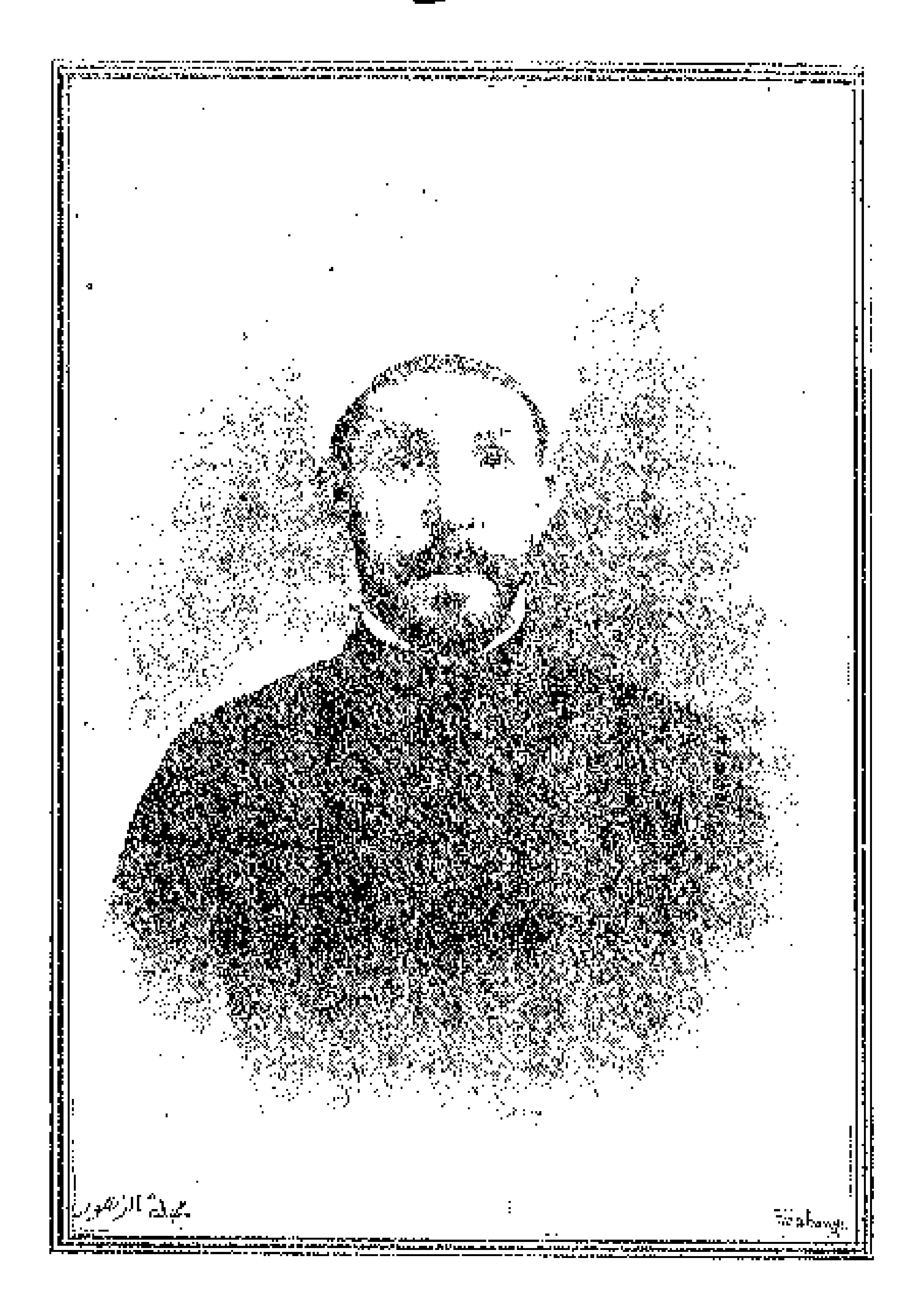
﴿ أنين القوس ﴾

عجباً تلومُ على الجوى دَنِفاً　　أضناهُ بُعدُ حبيبهِ غمّا
فالقوسُ لا قلبٌ ولا كبدٌ　　وتئنُّ عند فراقها السَّهما

وليم غرزوزي

نقيب الأشراف

« وشيخ مشايخ الطرق »



سماحة السيد عبد الحميد البكرى

نشرنا في الزهور (س ٣ : ج ٢ : ص ٩٠) صورة سعادة السيد علي يوسف بمناسبة إسناد منصب مشيخة السادة الوفائية اليهِ . وذكرنا ان سمو الجناب العالي قد ولّى سماحة السيد عبد الحميد افندي البكري منصب نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية ؛ ولكننا لم نتمكن من نشر صورة فضيلتهِ لأننا لم نظفر بها يومئذٍ

السيّد عبد الحميد هو نجل نقيب الأشراف المغفور له السيد عبد الباقي البكري . والبيت البكري « يتتوّجُ بالشرف النبويّ من جهة سيدنا الحسن رضي الله عنهُ ويقبض بيمناه على النسب الأسمى الصدّيقي ، ويسراه على النسب العُمَري الفاروقي ؛ فالشرف محيطٌ بهِ من سائر الأطراف ، متدلٍّ عليهِ من جميع الاكناف(١) »

وُلد سماحتهُ سنة ١٢٩٣ هـ وتلقّى العلم عن جماعةٍ من الفضلاء ، فأخذ اللغة عن العلاّمة الشيخ محمد محمود الشنقيطي حتى برع فيها ؛ وتلقّى النحو والفقه وسائر العلوم على الشيخ حسن السقّا خطيب الازهر ؛ وتعلّم اللغة الفرنسوية فقرأ بها الكتب الرئيسة في علم التاريخ وفلسفته وعلوم العمران حتى أصبح له في كلّ منها ملكةٌ عالية

وقد رأينا ان نذكر شيئاً عن هذين المنصبين الساميين اللذين أُسندا الى سماحتهِ لما في ذلك من الفائدة

مشيخة المشايخ الصوفية(٢)

مشيخة الطرق الصوفية من المناصب الدينية التي حدثت بعد حدوث الصوفية . ولصاحبها التكلم على جميع الطرق . والشأن في هذه الطرق ان لكل طريقة شيخاً ولكل شيخ خلفاء في القرى والأمصار ولكل خليفة مريدين . فالشيخ يدير أمر الخلفاء والخلفاء أمر المريدين من حيث ارشادهم ومراقبتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتربيتهم

(١) كتاب « بيت الصدّيق » (٢) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان

ونحو ذلك . ولشيخ المشايخ الولاية العامــة على الجميع . ولم يكن للصوفية مشيخة عامة ترجع اليها أعمالهم وتتوحّد بها مقاصدهم بل كانت كل طريقة أو زاوية مستقلة بنفسها فكانت الفتن تكثر بسبب ذلك . فلمــا أنشأ السلطان صلاح الدين الايوبي خانقاه سعيد السعداء وسماها دويرة الصوفية جعل لشيخها شبه تقدّم على غيره من المشايخ وكان لا يولّي عليهــا الاّ أعاظم رجال الدولة من الاكابر و الاعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والامارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش . ووليها ذو الرئاستين الوزير الصاحب تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز وغيره . وما زالت الحال كذلك الى ان توحّدت رئاسة الصوفية بمصر في القرن التاسع للهجرة فجعلت الولاية فيهــا للسيد محمد شمس الدين البكري وكان من أعظم رجال عصره علماً وديناً . قال الشعراني عنهُ (ولو قلت انهُ أعلم أهل زمانه لم أبعد عن الصواب) ثم تولّى بعده ابنه الامام شيخ الاسلام العلاّمة الشهير أبو السرور البكري وانتقلت بعده الى ذريته ولا تزال الى الآن في البيت البكري الصديقي بمصر

نقابة الاشراف[1]

الشرف هو بمعنى الرفعة . وكان يطلق في الجاهلية على عظماء العرب . فلما جاء الاسلام خصّه ببيوتات قريش . وجعلهم أكفــاء في النسب وما عداهم ليس بكفؤ لهم . ومن هذه البيوتات بيت هاشم وجاء الاسلام

(١) كتاب « بيت الصدّيق »

ورئيسه العباس بن عبد المطلب . وبيت تيم بن مرة وجاء الاسلام ورئيسه أبو بكر وبيت عدي وجاء الاسلام ورئيسه عمر وهكذا . قال الفرزدق في هذا المعنى

ما حملت ناقة من معشر رجلاً مثلي اذا الريح لفتني على الكورِ
حاشا قريشاً فان الله فضّلهم على البرية بالاحسان والخيرِ

ولهذا نجد في كتب التاريخ والدروج القديمة فلاناً الشريف العباسي وفلاناً الشريف العلويّ ونحو ذلك . وأما حصر الشرف في ذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما فهو بدعة حصلت في زمن الخلفاء الفاطميين . قال الامام ابن الحاج (وتخصيص الشرف بذرية السبطين ليس بشرعي) اه

وقد حرص القوم منذ الصدر الأول على حفظ أنساب تلك البيوتات فأحدثوا وظيفة نقابة الأشراف . وهي وظيفة عامة تشمل التكلم والنظر في أنساب جميع الأشراف من أهل تلك البيوتات . وربما كان تحت ادارتها عند تكاثر ذرية بعض الفروع نقابات أخرى فرعية كنقابة الطالبيين ونقابة العباسيين ونحوهم

أما مركز هذه الوظيفة فكان من الرفعة والجلالة في المكان المكين. وهذا الشريف الرضي نقيب بغداد يخاطب الخليفة بقوله :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي مُعرقُ
الاّ الخلافة ميّزتكَ فانني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّقُ

ولا يزال نقيب الأشراف في الدولة العلية يقدّم في التشريفات

الرسمية على جميع رجال الدولة حتى الصدر الأعظم وشيخ الاسلام

ولم تزل هذه الوظيفة في البيت البكري من القرن الثاني عشر الى الآن لم تخرج منه الا بريهات يسيرة وأول من تولاها من رجاله السيد محمد افندي البكري

تربية الطفل

اوقات الرضاعة

يرضع الطفل في اوقات منتظمة بعد اليوم الثاني او الثالث ، واذا كان نائماً يوقظ بلطف متى جاء وقت الرضاعة . ولا يمضي الا القليل من الوقت حتى يتعود الطفل ان يستيقظ من تلقاء نفسه وقت الرضاعة ؛ وينام بعدها . فاذا رضع الطفل في اوقات منتظمة نما النموّ الاعتيادي ، وحسنت صحته . واما ارضاع الطفل بغير انتظام ، وكلما بكى ، فتلك طريقة رديئة تلبّكُ معدته فتفسد صحته . فاذا بكى الطفل ، او لم ينم وهو في مهده ، وجب على الأم ان تلاطفه قليلاً وان تتحقق من ان بكاءه ليس بناشئ عن ألم او قلق او غير ذلك ، فيهدأ ويرقد مطمئناً

يرضع الطفل ، بعد اليوم الثالث ، مرة كل ساعتين اثناء النهار ، ومرتين اثناء الليل في المواعيد الآتية : الساعة ٥ و ٧ و ٩ و ١١ صباحاً ؛ و ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ١٠ مساء والساعة ١،٣٠ صباحاً . وتراعى هذه المواعيد حتى يبلغ الطفل الاسبوع السادس . ووقتئذٍ يمكن تطويل الفترات بين

الرضعتين حتى تصير الفترة ساعتين ونصفاً ، وبذلك لا يتناول غذاء اكثر مما يحتاج اليهِ ، فلا ترتبك المعدة ولا يعسر الهضم . ولما كان لبن الأم يكثر في الثدي الى الشهر السابع او العاشر وجب الاحتراس من اتخام الطفل بكثرة الرضاعة

وبعض الاطفال ينام من الساعة العاشرة مساء الى الساعة الرابعة او الخامسة صباحاً ومثل هؤلاء الاطفال لا يلزم ازعاجهم اذا حسنت صحتهم وكان وزنهم مناسباً لعمرهم

ويحتاج الطفل عند بلوغه الشهر الثالث الى ٨ رضعات في كل ٢٤ ساعة ، ويكفي البعض ٧ رضعات ، ومتى بلغ الشهر السادس يُرضع سبع مرات

ولحالة الطفل الصحية وكمية لبن الأم ونوعه شأن كبير في تنظيم اوقات الرضاعة . غير اننا نقول بوجه عام انهُ يجب في الأشهر الاولى تكثير عدد الرضعات وتقليل كمية الرضاعة ، وكلما تقدم الطفل في العمر يُقلل عدد الرضعات وتزاد كمية الرضاعة وهكذا تتعود المعدة هضم الغذاء

وفي مراعاة مواعيد الرضاعة أعظم راحة للوالدة واكبر فائدة للولد . فانهُ اذا تعوَّد أخذ غذائهِ في اوقات مقررة لا يعود يشغل والدته في كل ساعة من النهار ويؤرّقها في كل فترة من الليل فيحرمها الراحة ويصرفها عن كل عمل ، بل يصير يكتفي بالمواعيد المخصصة له ويسهل على معدته القيام بوظيفتها . فلتراعِ الامهات هذه القواعد يجدنَ راحة لهنَّ وفائدة لأولادهنَّ

الأم وطفلها

كما ان الطفل قد استمدّ حياته قبل ولادته من أُمه ، فهو كذلك يستمدُّها منها بعد ولادته الى ان تنبت اسنانه ؛ ولذلك يحسن ان تُرضع الأم طفلها بنفسها اذا استطاعت ؛ ولا تتوهم الوالدات ان الرضاعة تضعفهنّ بل هي بالعكس تزيدهنّ صحةً ونشاطاً ، ما لم يجهدنَ أنفسهنّ في أعمال أخرى

تأثير الغذاء والشرب والدواء في لبن الأم

يظن البعض ان الأم يمكنها ان تتناول أي صنف من اصناف الغذاء ، وان تأكل منهُ ما شاءت دون ضرر على الطفل . ذلك رأي فاسد لأن اللبن من الدم ، والدم من الغذاء والشرب ، فهو يتنوّع باختلاف الغذاء . ولا يخفى كيف يكون لبن البقر حلو الطعم لذيذاً اذا اقتصر غذاؤها على البرسيم والتبن ؛ وبالعكس فاللبن يكون رديئاً اذا أكلت من البصل والحشائش المختلفة . وكم تقاسي الأطفال من الأمراض الجلدية وخلافها اذا لم تحتط الأمهات اللائي يرضعنَ أولادهنّ في غذائهنّ . ولذا يلزم ان يكون غذاء الأم كافياً وجيداً خالياً من الخضراوات والبقول التي تنفرز مع اللبن ، فتغيّر طعمه وينفر منه الطفل كالجزر والبصل والجرجير والثوم والخرشوف . كما يلزم ان يكون خالياً من الفواكه غير الناضجة والتوت البلدي والافرنجي (الفريز) لأن هذه الأشياء قد تحدث مغصاً عند الطفل

الدكتور محمد عبد الحميد

مصر وسوريا

انهُ ليلذُّ لنا كلما سنحت الفرصة ان نجمع بين هذين الاسمين العزيزين ، ونذكرهما متدحين في كل مكرمة ومأثرة . وقد عرف القرّاء مساعي « الزهور » المتواصلة في هذا السبيل ، واطّلعوا على كتاباتها الكثيرة في هذا الموضوع . وانهُ ليروقنا وايم الحق ان نرى في هذه الايام الفرص سانحة للشدو بما نشاهده من إحكام روابط الإخاء الادبي بين القطرين الشقيقين ، والتغنّي بما نراه من التضامن بينهما

ان مثل هذا التضامن يظهر عادةً بأبهى مظاهره إبّان النوائب والمحن . وقد كان لنا برهانٌ حسيٌّ على ذلك في هذه السنة ، حيث توالت النكبات على سوريا ، فهبّتْ شقيقتها مصر هبّةً واحدة تعطف عليها ، وتسكب بلسم التعزية والحنان على جراحاتها . أدمت قنابل الطليان قلب بيروت ، فحرّكت المروءة والانسانية قلب الامير النبيل محمد علي باشا ، شقيق الجناب العالي ، فألّف تحت رئاسته لجنةً من سراة مصر وأعيانها ، فأقاموا في « الاوبرا » تلك الحفلة الشائقة التي تُعدّ اجمل صفحةٍ في تاريخ علائق القطرين ، فتجلى فيها الكرم المصري بأشرف مجاليه ، وانهال الذهب مدراراً لمؤاساة المصابين . (وقد خلّدت « الزهور » ذكر تلك الليلة البيضاء في الكُتيّب الذي اصدرته خصيصاً لهذا الموضوع) فقلنا حينئذٍ : ليس لمستزيدٍ من مزيد ! . وكان بعد ذلك أنْ نُكِبَت دمشق بحريقها الهائل ، واصابها من الخسائر ما جعل الناس يحجمون في بداية الامر عن استنداء الأكفّ للتعويض ، اذ ما عسى أن تعوّض المئات والالوف عن الملايين . ثم كتب كاتب « مجهول » على صفحات الجرائد يقول : كنا نودّ ان نعرف مصراً ثانيةً تعطف على دمشق عطف مصر على بيروت . . . فكبر مثل هذا القول على مصر ، وأبتْ ان يكون هناك مصر ثانية تُباريها في المكرمات ، أو ان يكون يَدٌ تسبقُ يدها في تضميد جراح شقيقتها . فهبّت لمساعدة دمشق ، هبّتها لمساعدة بيروت ، وقام مقام الامير محمد علي الموجود الآن في اميركا ، أميرٌ آخر من الاسرة العلويّة ، فالتفت حولهُ لجنةٌ جديدة

من اكابر المصريين لاحياء أربع ليالٍ ينفق ريعها على المصابين من الدمشقيين فلم نتمالك لدى هذا المشهد من ترديد قول القائل

نجومُ سماءٍ كلما غاب كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي اليه كواكبُهْ

وما الامير الجديد إلاّ دولة البرنس عمر باشا طوسون الذي « عدّ نفسه سعيداً في انتهاز هذه الفرصة لخدمة الانسانية » كما قال في التلغراف الذي أرسله من الاسكندرية لسعادتلو سليم بك ايوب ثابت . فهكذا يكون التلطّف بعمل البرّ



عزيز باشا عزت

وقد طلب الينا كثيرون من قرّائنا السوريين أن نزيدهم معرفة بهؤلاء السراة الاماثل بنشر صوَرهم . وهذا واجب فطنّا له يوم زيّنا « الزهور » بصورة دولة رئيس اللجنة . ولكن حال دون رغبتنا تمنّع الكريم عن التباهي بعمله ولو عظيماً .

على اننا ما زلنا بذلك حتى فزنا ببعض المرام

فمن أعضاء هـذه اللجنة الكريمة صاحب السعادة عزيز باشا عزّت ، وكيل نظارة الخارجية سابقاً ؛ وهو من أهل البيوتات ، وله المجد المؤثّل والجاه العريض ، وصلة قربى بالأسرة المالكة في وادي النيل . وقد زان ذلك المجد التالد بأخلاق غُرّ ومناقب عالية تستميل اليهِ كلّ من جالسه ؛ فهو ممن يصدق فيهِ ما يُعبّر عنهُ الانكليز بلفظة « جنتلمن »



محمود باشا رياض

أما سعادة محمود باشا رياض فهو سليل اسرة رفيعة الدعائم وفرع دوحة ليس في أرض النيـل من لا يعرفها ويعرف ما لها على مصر من الآثار الطيبات ؛ ونعني بها اسرة الوزير الخطير ساكن الجنان رياض باشا صاحب المواقف المشهورة في تاريخ

السياسية المصرية . وقد تقلّب صاحب هذا الرسم في عدّة مناصب سامية لم يترك احدها الاَّ وقد ترك فيه آثاراً تبعث على الحاجة اليهِ في ما هو أسمى منها فكان مديراً لأسيوط فمديراً للمنيا فوكيلاً لنظارة الداخلية . وهو اليوم معتزل ميدان السياسة بعد ان خلد له فيها آثاراً غراء ستعيش الى زمن طويل



حسين باشا واصف

اما سعادة حسين باشا واصف فانهُ من الرجال الذين يشهد لهم تاريخهم بالفضل والتفوُّق فانك اذا تتبعت سيرتهُ منذ عودته من فرنسا حاملاً لشهادة الحقوق العليا ، الى تولّيه منصب القضاء في المحاكم المختلطة ثم تدرجّه فيها الى ان أصبح وكيلاً لنظارة الحقانية ، تجد له في جميع تلك المناصب آثاراً غرآء ، ومآثر عديدة في ترقية شأن القضآء الاهلي . ثم دخل في سلك الادارة فتولّى مديرّيتي المنيـا وقنا فمحافظة

السويس . ثم اعتزل المناصب بناء على رغبته ليتفرّغ للمشروعات الادبية المفيدة . ومن آثاره الطيبة المدرسة الواصفية التي يتخرَّج فيها نفرٌ عديد من رجال المستقبل



خليل باشا خياط

وأما سعادة خليل باشا خياط فانهُ من السراة المعدودين في هذه البلاد جاءها منذ عهدٍ بعيد وله من الهمة ما ينزع بهِ الى أسمى الذرى فجعل يعطف على كل المشروعات الكبيرة حتى عُرف ببعد الهمَّة والغيرة الوطنية وأصبح له في كل مشروع يدٌ وفي كل مأثرةٍ باع . ولا نخال أحداً من القراء يجهل ما لهذا الشهم الهمام من الغرر المحمودة في سائر الوقائع التي ظهر فيها سكان هذه البلاد بما يسجل الفخر للشرقي في بطون الأوراق . ومَن ألقى نظرة عمومية على العهد الاخير من تاريخ المشروعات الخيرية النافعة في مصر تجسّمت لمخيّلته همة الخياط السامية وما له من الحسنات



عبد الرحيم باشا صبري

ومن اعضاء هذه اللجنة سعادة الشهم الأبيّ عبد الرحيم باشا صبري المعروف بنزاهة المبدإ ، والجامع بين الوقار والاتضاع والخلق الكريم مما حلّته به التربية الصحيحة ، وا كسبه اياه اختلاطه بالعظماء والكبراء إبّان وجوده في وظيفة تشريفاتي خديوي ، وهي من الوظائف التي يقلّدها سموّ العزيز مَن كان كصبري باشا متحلياً بخير الصفات وغرر المواهب

وقد كان امين صندوق اللجنة شابٌّ في مقتبل العمر عُرف بالجدّ والنشاط والمثابرة على العمل هو حبيب افندي لطف الله نجل حضرة الوجيه الفاضل حبيب بك لطف الله المثري المشهور . ويرى القارئ رسمهُ بالثوب العسكري يوم كان في الجيش المصري في السودان . أو ليس في تجنّدِ هــذا الشاب الذي وُلد وربي في

النعمة والترف دليلٌ على بُعد همته ، وفهمه معنى الحياة الحقيقي ؟ ولقد أبدى من الغيرة على إنجاح مشروع اللجنة ما يخلّد له في بيروت أجمل ذكر

هذا ونحن نأسف لأننا لم نتوفّق الى صوَر سائر من بقي من أعضاء اللجنة كأصحاب السعادة محمد الشواربي باشا منشئ مستشفى قليوب الشهير من ماله الخاص، واسماعيل باشا صبري الشاعر النابغة ، وحسن باشا مدكور سرّ تجار العاصمة ، واسماعيل باشا أباظه الوطني الجريء، ونجيب باشا شكور المهندس والاداري المشهور ، ورفيق بك العظم الكاتب القدير



حبيب أفندي لطف الله

ولا بدّ لنا في هذا المقام من المجاهرة بما كان لسعادة سليم بك أيوب ثابت من المساعي المأثورة في سبيل هذا العمل المبرور ، ومن الهمة في ضمّ اواصر القطرين الشقيقين ، فقد كان بفضل ما أُوتيهِ من الذكاء الوقّاد ، والسياسة الحسنة ، وما عُرف به من المحبة الصادقة لوطنه ، روحَ هذه الحركة المؤدية الى تلك الغاية النبيلة ، وسيذكر له منكوبو حادثة بيروت مأثرته هذه بالشكر الجزيل

نوابغ مصر

كانت « الزهور » قد اقترحت على قرّائها س ٣ : ج ٢ : ص ٨٩ ان يذكروا أسماء العشرة الذين تصحُّ تسميتهم بنوابغ مصر في الأيام الحاضرة فلاقى هذا الاقتراح ارتياحاً عظيماً بدليل كثرة الأجوبة التي وردت من مصر وسوريا وأميريكا من المشتركين وغيرهم من القرّاء، ويظهر ان هؤلاء ليسوا بالنزر اليسير، وقد استكبر البعض لفظة « النابغة » فرأى اننا طلبنا كثيراً بطلب عشرة نوابغ . وفهم البعض الآخر اننا انما نعني في الحقيقة بهذه الكلمة كلّ رجلٍ كبير فاضل يحقُّ لمصر ان تفاخر بهِ فرأى اننا ضيّقنا النطاق بطلب عشرة فقط . ولاحظ علينا فريقٌ انهُ كان الأجدر بنا ان نحصر الجواب على هذا السؤال ببعض الأفاضل الذين يعتدُّ بآرائهم فتجيء النتيجة معبّرة عن رأي الخاصة المفكّرين لا عن رأي العامة بوجه الاطلاق . غير اننا في اقتراحنا لم نرمِ الى كل هذه الأمور، بل أحببنا ان نجسّ نبض الرأي العام فنعرف من هم العشرة الذين يمثّلون في نظر الأمة بوجه عام الفئة الممتازة التي تُعدُّ في طليعة البلاد عقلاً وفضلاً ، ولا نوافق من أنكر علينا وجود النوابغ في بلادنا . فمن جهةٍ كلُّ شيء في هذا العالم يُقاس بالنسبة ويكون الحكم عليه نسبياً . فالرابية الصغيرة تعدُّ في عين الطفل طوداً شامخاً ، والأستاذ في عين تلميذه عالماً نحريراً وقس على ذلك . ومن جهة ثانية فان في البلاد فئة تفرّدت بصفاتها العقلية والأدبية ولو أُتيحت لها أحوال اكثر موافقةً لأعربت عن نبوغها ببراهين حسيّة

ذكرنا ذلك ردًّا على ما علّق بهِ بعض المجاوبين على أجوبتهم . ولا نجزم بأن حكمهم سيكون يوماً حكم التاريخ ؛ فكم من شهير عظيم في حياته ، تضمحلّ شهرته ، ويصبح نسياً منسياً بعد مماتهِ

هذا ما لاحظهُ البعض علينا . ومما لاحظناه نحن انهُ كان للصحف تأثيرٌ كبير في حكم فريقٍ من المجاوبين . فان الجرائد أكسبت قوماً منا شهرةً جعلت لهم مقاماً رفيعاً في أعين العامة . ومما يجدر بالذكر خصوصاً ان رجال القلم هم أرفع من سواهم في النفوس بدليل ان معظم « نوابغنا » ان لم نقل كلّهم من الكتّاب والشعراء كما سترى . ولا يُستغرب ذلك لأن حملة الأقلام هم قادة الأفكار ويسهل عليهم اكثر من سواهم عرض مواهبهم العقلية على ابناء جلدتهم . على ان هذا الحكم في بلادنا أعمّ مما في سواها لعدم وجود نوابغ عندنا في العلوم والفنون والصنائع والتجارة

وها نحن ذاكرون نتيجة الأجوبة التي وردت على اقتراحنا ، وليس في من ستقرأ اسماءهم الاَّ كلٌّ فاضل نجيب

احمد بك شوقي	٣٧٠	صوتاً	سعد باشا زغلول	٢٦٩	صوتاً
السيد علي يوسف	٣٠٧	اصوات	ولي الدين بك يكن	٢٦٧	»
حافظ بك ابرهيم	٣٠٥	»	الدكتور فارس نمر	٢٦٤	»
جرجي افندي زيدان	٢٨٩	صوتاً	احمد زكي باشا	٢٥٩	»
الدكتور يعقوب صرّوف	٢٧١	»	خليل افندي مطران	٢٥٤	»

هؤلاء هم العشرة الذين أحرزوا اصواتاً اكثر من سواهم . ويليهم اسماعيل باشا صبري والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي وفتحي باشا زغلول واحمد بك لطفي السيد وعبد الخالق باشا ثروت وعلي باشا أبو الفتوح

ويوسف باشا سابا والشيخ محمد بخيت . وتوزّعت اصواتٌ على كثيرين غيرهم

وممن ذُكروا بين النوابغ جورج افندي ابيض في فن التمثيل ؛ وسمعان بك صيدناوي في التجارة ؛ ونجيب بك هواويني في الخط ؛ والشيخ سلامه حجازي وعبد الحي افندي حلمي وابرهيم افندي القباني في الغناء والتلحين . وحسبو بك محمد في الصناعة

ولم ينسَ القراء سيداتنا الاديبات . فنالت السيدة لبيبة هاشم والسيدة ملك ناصف (باحثة في البادية) والآنسة مي اصواتاً غير قليلة

وقد ذكر بعض الظرفاء على سبيل الفكاهة مَن يعدّون « نوابغ » في نوعهم ، كحافظ نجيب المحتال الشهير ، و « الحاتي » في شيّ اللحم الخ . .

ومن هذه النتيجة يرى القراء مرآةً للرأي العام في رجال مصر في هذا العصر . فنرجو ان يزداد عدد نوابغنا الأعلام في كل فنٍ وعلم وحرفة حتى يعيدوا للشرق مجده القديم وفخره الغابر

أزهار وأشواك

كان سبب انقطاعي عن محادثة القرّاء على غير ارادة مني . وهـا أنا اليوم عائد اليهم ببعض ما جنيت لهم . كانت «الازهار والاشواك» كثيرة في هذه المدة ، ولا عجب فاننا كنا في فصل الربيع . على ان بقاءها شهرين متواليين في جعبتي قد أفقد الازهار بهجتها ، وكسر من الاشواك حدّتها . فطرحتُ بكثيرٍ منها على الطريق

غرق تيتانيك

هي الباخرة الكبرى التي أقلُّ ما يُقال في وصفها انها كانت مدينة عائمة على

وجه المياه . تفاصيل غرقها — وقد عرفها القرّاء — مما تقشعرّ له الابدان ؛ وتصوُّر الفاجعة التي حدثت في وسط الاوقيانس ، بين الماء والسماء ، مما تنخلع له القلوب . لا احاول اعادة ما رددتهُ الصحف عن عظمة « تيتانيك » وهول نكبتها ؛ بل أنا ذاكرٌ للقراء بعض خواطر دوّنتها لهم : تيتانيك نسبة الى التيتان ، وهم ، في خرافات الأقدمين ، طائفة من الجبابرة تمرّدوا على جوپيتر فصعقهم صعقاً . وكأن الانسان الذي توصل بقوة ذكائه الى تذليل القوى الطبيعية ، فسخّر لخدمته المـاء والهواء وسائر العناصر ، قد غالى بفوزه ، فأحبَّت الطبيعة ان تنتقم لنفسها : جبل من الجليد انفصل عن البحار المتجلدة وصدم تلك الباخرة فذهب بها وبمن عليها ، فيا لله من انتقام الطبيعة ! وقد كان بين ضحايا هذه الفاجعة رجل من ابناء سوريا هو المرحوم ابرهيم المشعلاني . اخصُّهُ بالذكر لأنه كان يتولى ادارة الجريدة التي كانت تصدر في الباخرة يومياً ، وتتلقى اخبار العالم بالتلغراف اللاسلكي . غريبٌ في السوريّ هذا الميل الى الصحافة اينما حلَّ وحيثما وُجد . ولا أُغالي في قولي انهُ اذا كان في العالم الثاني جرائد ومجلات سيكون كتابها في الجنة وفي الجحيم من ابناء سوريا

حافظ بك ابراهيم

هطلت في الاسبوع الماضي على موظفي الحكومة مزنُ الالقاب والرتب السنوية ، فاصابت الرتبة الثانية الشاعر الكبير حافظ ابرهيم ، وكيل الكتبخانة الخديوية . فاصبح حافظ « عزتلو بك » . ولا تسل عن فرح الشعراء وزمرة الادباء ، فانهم استبشروا بهذا الانعام ، وباتوا يؤمّلون من ورائه خيراً وأيقنوا ان ادبهم سيرفعهم يوماً الى اعلى المناصب والرتب ، بعد ما كان عليهم مجلبةً شقاء ونصَب . لا اعتراض لي على هذا الانعام « الذي صادف محله » كما تقول الصحف عادةً . بل اني اثني مع المثنين على حكومتنا الخديوية التي اخذت تقدر الادباء قدرهم . وسألبي الدعوة التي جاءتني من سليم سركيس وداود بركات الى الاحتفال الذي سيقيمه في الكونتيننتال جمهورٌ من ادباء وادي النيل برئاسة شوقي بك اكراماً للشاعر البك . غير انني

لا ارى رأي الذين يرون ان قدر حافظ قد زاد بتبييكه فلهو ، في حكمي وحكم التاريخ ، مجرَّداً عن كل لقب اسمى واشهر منه محلًّى بأعظم الالقاب ، فاذا انت قلت « الشاعر حافظ ابرهيم » عرفه كل الناطقين بالضاد ، واذا قلت عزتلو الوجيه الفاضل حافظ بك ابرهيم » قد لا يعرفه الاَّ بوّاب منزله وفرّاش الكتبخانة . وقد قال لي احد الظرفاء عن الانعام بالرتبة الثانية على شاعرنا « ان شعره رفعه الى الرتبة الاولى ، ولمَّا توظف ، سكت ، فانزله سكوته الى الرتبة الثانية »

الرتب والألقاب

مهما أطنب الانسان بمدح المساواة ، لا يزال في فطرته ميالاً الى علاماتٍ تميّزه عن سائر ابناء جنسهِ ، مشغوفاً بألقابٍ ترفعهُ عن عامة الناس . لأنَّ العامة تُكرم صاحب الرتبة ، وتنظر الى حامل اللقب بغير العين التي تنظر بها الى مَن كان خلواً منه ، حتى رأينا الاميركان أنفسهم ، وقد حظّرت عليهم قوانين بلادهم حمل القاب الشرف ، يسعون في تزويج بناتهم صاحبات الالوف والملايين بحملة الالقاب علّ العدوى تسير اليهم . . . على ان هذه الفئة من الناس قد تكاثر عديدها ، حتى أصبح الامتياز بعدم الحصول على لقب امتياز . يذكّرنا ذلك بكلمة تُروى عن ريشليو الكردينال الوزير على عهد لويس الثالث عشر ، فانهُ لما كان يسعى الى كسر شوكة الأشراف ، اخذ ينعم بالقاب الشرف على عامة الناس حتى يساويهم بغيرهم ، وقد قال مشيراً الى ذلك : « سأجود بالالقاب على معظم الرعية ، حتى يصبح من العار ان يحمل الانسان لقباً ، كما يصبح من العار عليهِ ان يكون بلا لقب . » وقد اتفق في الأيام الاخيرة ان كاتب ادارة « الزهور » أردف في عنوانٍ كتبهُ اسم أحد اعيان البلاد بلقب « بك » فورد على الادارة كتابٌ من الوجيه المذكور يطلب فيهِ استبدال البكوية بالافندية « رجوعاً الى الحقيقة » . ولعمري انها لمأثرة تُذكر في هذه الأيام حيث اصبح متحلو البكوية والبشوية لا يحصرهم عدٌّ

قليلٌ من السياسة

يعلمُ الله أني لا احب السياسة ولا أنا منها ، وقرّائي ايضاً يعرفون ذلك . واذا كان قلمي يخط عنها اليوم كلمةً فلعلاقة بينهـا و بين مشتركي « الزهور » : في بلاد السلطنة العثمانية حزبان سياسيان — الاتحاديون والائتلافيون — ولكليهما خطة ورجال . واذا كنتُ أنا — لجهلي بالسياسة — لا ارى بينهما الاّ الفرق الذي يراه اللغويون بين « اتحد » و « ائتلف » فالظاهر انه يوجد هناك في الواقع فرقٌ عظيم جداً ، بدليل تلك الحرب الطاحنة التي شبت نيرانها إبّان الانتخابات ، فدارت فيها الدائرة على حزب الائتلاف ، وكانت النتيجة اقفال صحفٍ كثيرة ومحاكمة او نفي صحافيين عديدين . أما علاقة هذه الحوادث بهذه المجلة ، فهي أن « للزهور » في بلاد السلطنة مشتركين ، وهم لا يخرجون عن أن يكونوا من رجال أحد الحزبين ، لأنهم والحمد لله من قادة الافكار وزعماء القوم . فرأيناهم ، بعد انجلاء المعمعة ، فريقاً منهم في مجلس النواب متربعين ، وفريقاً آخر في طي السجون معتقلين

قضية قديمة

بين الإله الخلاّق ، وجماعة العشاق ، قضية قديمة : خلق الله لهم من جهةٍ كل حسن مليح ، وخلق لهم من جهة ثانية أعيناً تنظر وقلوباً تخفق . فحدث بين الفريقين نزاع — ويا له من نزاع ، على ما يقول فرسان هذا الميدان — كانت نتيجته دائماً أبداً شؤماً ووبالاً على الفريق الثاني غالباً كان او مغلوباً . فأصبح لسان حاله ينشد :

ما بين معترك الاحداق والمهجِ　　أنا القتيل بلا اثمٍ ولا حرجِ

وقد تطوّع الشعراء منذ القديم للدفاع في هذه القضية ؛ كيف لا وهم من عبّاد الجمال ، وحارق البخور على مذابح الحُسن . أنا لا أحاول التحيّز الى أحد الخصمين بل احافظ على موقف الحياد . فقد عرفتهُ أربح لي وأنفع . ولكني سمعتُ في هذه القضية مرافعات لطيفة دوّنتهـا لقرّائي لأنهم يحبون الشعر الجميل ، وناقلُ الكفرِ ليس بكافر . . . من جبل لبنان جاءنا هذان البيتان لأمين ناصر الدين :

جعلتَ يا ربِّ هذا الحسن واسطةً · نلقى بهـا الهمَّ أشكالاً وألوانا
إن شئتَ فاخلق وجوه الغيد أجمعها · شنعـاء او فاخلقِ الشبَّان عميانا

وفي وادي النيل أنشدنا طانيوس عبده :

لا تطالبي دَنِفاً ذابت حشاشتهُ · فقد عطفتِ عليهِ قبلُ أحيانا
أو كان شأنكِ شأن الله متّمنا · بكلّ ما قد نهى عنهُ وجازانا

بليغٌ والله دفاع الشاعرين ! وهو جديرٌ بأن يُضمَّ الى دفاع من تقدمهما فقال :

إلهي ليسَ للعشّاق ذنبٌ · لأنكَ أنتَ تبلو العاشقينا
فتخلق كلَّ ذي وجه مليح · بهِ تسبي عقول الناظرينـا
وتأمرنا بغضِّ الطرف عنهُ · كأنكَ ما خلقتَ لنا عيونا

وما دام المجال منفسحاً أمامي في هذا الجزء ، لا بأس عليَّ من ايراد أبيات وردت على ادارة « الزهور » من ناظمها محمود أفندي الناظر ، وهي لا تخرج كثيراً عن هذا الموضوع . قال موجّهاً السؤال الى خليل مطران :

أتنجلي في النهـارِ · محجوبة الأقمـارِ
أم تلك سرب ظباء · كرهنَ سكنى القفارِ
جاءت تصولُ علينـا · بأعينٍ كالشفـارِ
بالقدّ كالغصنِ لدناً · والخدِّ كالجلّنارِ
قد كنتُ من قبلُ جلداً · واليومُ عزَّ اصطباري
ان دام واللهِ هـذا · فسوف ألقى تباري
فيا « خليل » أجبني · كيما يقرَّ قراري

وزار خليل ادارة « الزهور » ، فعرضت عليهِ الأبيات ، فكتب للحال تحتها :

« محمودُ صبراً على ما · لقيتَ في الأقمـار
وفي الظبـاء الجوافي · وهنَّ أنسُ الديارِ
لا يكمل الحبُّ ما لم · يَجُزْ مدى الاصطبارِ »

فصبراً اذن أيها المحبُّون حتى يبلغ حبكم حدَّ الكمال . م . ا . صبر

ثمرات المطابع

ليالي الروح الحائر[1] — قرأتُ هذا الكتاب من البسملة الى « تمَّ طبعه » وأنا بين أرقام اعالجها في ديوان ، وصفحاتٍ اسوّدها في عزلة ، فكنت اصل أثناء نهاري بأطراف لياليه ، وأحار مع الروح الحائر حيرة مصطفى كامل في امر مصر ، والشاعر الحرّ في اخلاق العصر

قرأته وملء نفسي السرور والاعجاب بأسلوبه العصري الجديد الموفّق فيه بين سموّ الخيال ودقة الشعور وشدّة اللهجة من حيث المعاني ، وبين حسن الرصف وسلاسة التركيب وانتقاء الالفاظ (الاّ نادراً) من حيث المباني

وما لاح لي فجر الليلة الخامسة عشرة من لياليه وهي الاخيرة الاّ وقد لاح لي انه كتاب سياسي فاجتماعيّ فأخلاقيّ بأغراضه ومراميه ومغازيه ، وديوان شعريّ أشبه بليالي ألفرد دي موسيه على خلوّه من بيتٍ واحد يأوي اليهِ الروح الحائر . فأسلوبه أسلوب النثر الشعري ، او الشعر المنثور ، وهي طريقة جديدة تجري عليها أقلام نفر قليل من كتّابنا العصريين ، وأظن أوّلَ من حببها الينا الشاعر الفيلسوف اللبناني امين الريحاني ، وما « الأجنحة المتكسرة » لجبران جبران الاّ شوط في هذا المضمار بعيد ، أودُّ لو جاراه فيه غير واحد من المتبارين في حلبة الأدب

يقع الكتاب في ١٩٢ صفحة وليلة « شعر الأرواح » واقعة في الصفحة

(١) طبعتهُ مكتبة التأليف

المئة والخامسة اي نحو منتصفه ، وتتلوها ليلة « أناشيد الملا » فليلة « الوداع » وهي مسك الختام . ومن قرأ « بسمة الربيع » ص ١٠٧ و « أغنية الروح الحزين » ص ١١٢ فأغنية النار فمروش الجبابرة لم يشكّ في انه يقرأ شعراً هو كل الشعر لولا انه غير مقفّى وغير موزون — استغفر الله — بل هو كل الشعر لأنهُ طليق من هذه القيود . ولئن كان للشاعر الناظم بحور يجتازها بما عنده من اصول سلك البحار ، فان للشاعر الناثر أجنحة يرفرف بها فوق بحار المعاني حرًّا مطلقاً ، وأخلق بهِ ان يكون أقرب الى ربّة الشعر وأحب اليها . ولنرجع بعد هذا الاستطراد الى « أناشيد العلا » فأقول انها ستة فصول مندمجة في ليلة واحدة وأسلوبها يكاد يكون نثراً مرسلاً ، لأن العبارات في الغالب طويلة وغير متقطعة كما في أناشيد الليلة السابقة ، ولكنهُ يسميها أناشيد وقد أصاب في ذلك

فيظهر مما تقدّم ان نصف الكتاب شعر نثري يجسّ فيهِ الكاتب أوتار النفس فيثير عواطفها بما يُشعرها بجمال الطبيعة فيطربها ، او بحقيقة البشر فيؤلمها

ولنرجع الى صفحة ١٠٥ وما ازاءها ووراءها فننتهي حيث كان يجب ان نبتدئ لولا ان ما يتراءى حول سطور الليلة الأولى ولواحقها من اشواك السياسة وقتاد الانتقاد قد يخنق قلماً رطباً لم يجرِ (ولن يجري الى حين) الاَّ في مثل صفحات « الزهور » . فاذا رجعنا الى تلك الصفحة وهي الى اليسار ونظرنا ذات اليمين وقعت العين على سؤال يلقيهِ صاحب الليالي على الروح الحائر وهو : وهل أحببتَ هذه ؟ سؤال يتوارى

الروح بدون ما جواب عليهِ ، وبتواريهِ تختم الليلة الثانية عشرة وعنوانها « الفاكهة المحرَّمة » وموضوعها الحب . والحب موضوع الليلة السابقة ايضاً وعنوانها « الاخوات الثلاث » اما علاقة هذه الليلة بطريدتها فهي على ما يلوح لي حبية شعرية لأنها تبتدئ بذكر الحب (بمعنى الصداقة هذه المرة) والشعر وعليهما مدار الليلة العاشرة وان كان عنوانها « إشراف النفس على المستقبل » . اما الليلة التاسعة « حيٌّ الاموات بلوزان » فليلة على هولها كم أودّ أن أحياها وأموت فيها أو أُحييها وتميتني ، فهي ليلة في مثلها تتنبَّه نفس الشاعر ويُجهد عقل الفيلسوف . وما الليلة الثامنة الاَّ نذيرها الصادق . وأخلق بمَن سيحزن أن يحزن قبل وقوع البليّة كما جاء حديث « الحزن الانساني » مقدَّماً على حديث المقابر في هذه الليالي . وما قصتا «الصديق علي» و«نرجس العمياء» اللتان يقصهما الروح الحائر في ليلتين متتاليتين الاَّ بسط آراء اخلاقيـة بالاكثر في اسلوب روائي لطيف. وقد خيِّل اليَّ لمح فكرة سياسية خلال أسطر «نرجس العمياء» . اما الليلة الخامسة فعنوانها « حديث الروح المجنون » وهي ليلة سوادهـا من سواد قلب الهيئة الاجتماعية ووجهها . وهي ليلة على قصرهـا من أجمل اخواتها . ولهجة الكاتب فيها شديدة مرّة وعباراتها تشف عن تألم وامتعـاضٍ في النفس . وكذلك الليلة الرابعـة وموضوعها « غرور الناس بالناس »

ولم يبقَ لنا الاَّ ثلاث ليالٍ فنبيت حيث كان يجب ان نغدو . اما الثالثة فقد احياها الكاتب في وصف « علّة الشرق » وهي كما يوحي اليهِ الروح

الحائر « بُغض العظماء » . وقد ذكرني قوله نحو آخرها « واقيمي (يا ام الشرق) لكل كبير تمثالاً » مقالات « الأخبار » وغيره عن تمثال مصطفى باشا كامل

أما الليلة الثانية فهي « حديث بعض الأمم » — امة الهوز — وما أدراك ما أمة الهوز ، ان لم تكن امة خيالية لو تمخضت بها الليالي لوضعتها على ضفاف النيل ؟

وأما الليلة الأولى (وقد كان البدء بها الأولى) فهي رثاء مؤثر لصديق اسمه مصطفى وهو اسم كامل وان نقصه اللقب . . . ومما أعجبني من بنات أفكار صاحب الليالي (والليالي « من المعاني » حبالى) قوله في الهرم : « وأرفع ببصري مرةً الى قمة الهرم فيغلي دمي في عروقي غيظاً من رافع بنيانه وواضع جدرانه لأن صخوره دموع متحجرة أذرفها شعبٌ شقيّ انجازاً لشهوة ملك ظالم ، فانني لا أنظر الى الاهرام الاّ متألماً لا معجباً . . ولكنني اعجب له احتلالاً قديماً كان داخلياً فتحوّل خارجياً . وقد روي لي ان عسكرياً انجليزياً تساق الهرم الاكبر وقد تأبّط زجاجة « وسكي » ولما دارت برأسه انقلب شرّ منقلب ولطّخ تلك الصخور بدمه — وهل تلك الصخور الاّ دماء — لا دموع — متحجرة استنزفها ملك ظالم من شعب شقي ؟

فالكتاب بالاجمال مجموعة آراء الكاتب وخواطره وعواطفه الوطنية والاجتماعية والشخصية جميعاً او جزء اول من هذه المجموعة لأنهُ مختوم بليلة الوداع « الأول » لا الاخير . فعسى ان لا يطول الهجر بين الروح

الحائر وصاحب الليالي ليتحفنا بكتاب آخر على منواله

وديع البستاني

٭٭٭

روميو وجوليت[1] — عُطيل[2] — لويس الحادي عشر[3] —

في مصر اليوم نهضة فعليـة في التمثيل لا يسع محبي هذا الفن الجليل الأ الارتياح اليها والاستبشار بها . فقد توفَّق جورج افندي أبيض — بعد ان درس هذا الفن في باريس على ايمته — الى تأليف جوقٍ عربي متقن لم ترَ مسارحنا العربية له مثيلاً . وشهدت القاهرة والاسكندرية وغيرها من مدن القطر الكبرى تلك الليالي الشائقة التي أحياها جوق أبيض فكان الاقبال عظيماً والرضى تاماً . ولسموّ أمير البلاد يدٌ على هذه النهضة تُذكر بالشكر الجميم لسموّه . وكانت نتيجة هذه النهضة في فنّ التمثيل بروز فئةٍ من كتابنا الى الميدان وإخراجهم لنا سلسلة روايات تشخيصية أدبية تعوّض علينا بعض ما تفقدنا اياه روايات «اللص الشريف» وأمثالها من الحكايات التي تكتب للمتاجرة . . . .

يُعدُّ الروائي الانكليزي شكسبير إماماً في فنّ الروايات التمثيلية ، فلا عجب اذا تبارى كتابنا المجيدون في نقل رواياته الى لغتنا . ومن أشهر تلك الروايات رواية « روميو وجوليت » التي مرّت عليها العصور ، ولم تُبلِ جدّتها ، وبرزت على اكثر مسارح العالم ولم تفقد بهجتها . ولدينـا

(١) طبعت في مطبعة « الروايات الجديدة » بمصر　　(٢ و٣) طبعتا في مطبعة المعارف بمصر

الآن نسخة عربية منها بقلم الشاعر المجيد والكاتب القدير نقولا افندي رزق الله ؛ طالعناها فوجدناها محكمة التركيب ، منسجمة الألفاظ ، محلاّة بأبيات شعرية جميلة من نظم مترجمها المعروف بحسن سبكهِ وسلاسة معانيه ، وانا لننتهز هذه الفرصة لإطراء رزق الله افندي والثناء على همتهِ التي لا تعرف الكلال فهو من أكثر كتّابنا نشاطاً وعملاً ومثابرةً على مداعبة القلم

ومن روايات شكسبير المشهورة أيضاً رواية أوتللو Othello أو « عُطَيْل » وهي التي مثَّلها جوق أبيض ، فنالت استحساناً جزيلاً . وقد ترجمها الى اللغة العربيــة شاعرنا المشهور خليل افندي مطران المذكور في غير هذا المكان من هذا الجزء بين نوابغ العصر في مصر . ولسنا في حاجة الى تعريف القرَّاء بسحر قلم الخليل بل نكتفي بأن نذكر هنـا ما رواه لنا أحد المتضلعين في لغة الانكليز ، قال :

« أخذتُ رواية عطيل وقابلتها بأصلهـا الانكليزي فوجدتُ ترجمة مطران تنطبق على الأصل انطباقاً تاماً فهي كالحسناء وظلها في المرآة » وقد نشرنا مقدمتها في الجزء الماضي من الزهور

ومن الروايات التي مثَّلها جوق ابيض ايضاً رواية « لويس الحادي عشر » للشاعر الفرنسي كازيمير ده لافين ترجمها له بالعربية قلم كاتبٍ متفنن وشاعر رقيق عرفه ادباء القطرين ، عنينا به الياس افندي فياض الذي طالما أتحف مسارحنا العربية بكل رواية جميلة شائقة . وروايته هذه كأخواتها تمتاز بسهولة العبارة مع بلاغتها ، وطلاوة التركيب مع متانته شأن « السهل

المتنع » . وفياض يشتغل الآن بترجمة رواياتٍ شهيرة لجوق ابيض ننتظرها بفروغ صبر

هذا ما يسمح لنا المجال بذكره عن هذه الروايات الثلاث . وانا لنعدّها خير ما جاءنا بهِ موسم الأدب في فصل الربيع

جواهر الأدب من خزائن العرب[1] — لمكتبة صادر في بيروت فضلٌ لا ينكر على الأدب العربي ، فهي منذ نصف قرنٍ دائبة على خدمة لغتنا بجدٍّ واستقامة قد كلَّلهما النجاح . وهي لا تزال تبحث عن كل نقص في كتبنا المدرسية والأدبية فتسدُّه ، حتى أُصبحت الكتب الصادرة من هذه المكتبة الشهيرة ومطبعتها تعدُّ بالمئات . وقد جاءنا منها اخيراً كتاب « جواهر الأدب » وهو يشتمل على خير ما يؤخذ من «خزائن العرب» من مقتطفات ادبية ومقطوعات شعرية . وقد ظهر من هذا الكتاب حتى الآن ثلاثة أجزاء وهو مضبوط بالشكل الكامل . فنثني على همة سليم افندي ويوسف افندي صادر ونغبطهما على توفيقهما في خدمة الأدب والعلم

معنى الحياة[2] — لدينا الطبعة الثانية من هذا الكتاب النفيس لمؤلفهِ اللورد افبري . وقد سبق لنا الكلام مطولاً عن مؤلفات هذا الفيلسوف الجليلة التي ترجمها الى العربية الاديب البارع وديع افندي البستاني فأجاد وأفاد . وان في اقبال القراء على كتبهِ خير تقريظٍ له

(١) يطلب من المكتبة العمومية في بيروت وثمنه ٧ غروش ونصف . وعدد صفحاته ٢٧٢　　(٢) يطلب من مكتبة المعارف بمصر وثمنه خمسة قروش

ديوان منصور شاهين الغريّب[١] — في الشعر العامي روحٌ شعرية قد لا تجدها في دواوين الشعراء . يعرف ذلك من له بعض الإلمام فيما يسمّونهُ « زجلاً » في مصر و « معنّى » في لبنان . فان الزجّالين وقوّالي « المعنّى » شعراء في فطرتهم لا ينظمون الاَّ عن شعور ولا يقيّدون طائر مخيّلتهم بسلاسل القواعد الثقيلة ؛ فتجيء أقوالهم في اكثر الاحيان آخذة بمجامع اللب . ومن الذين اشتهروا بهذا الفن في لبنان منصور شاهين الغريّب . طبع ديوانه حضرة نجله امين افندي الغريّب صاحب جريدة « الحارس » البيروتية . وقد طالعنا في هذا الديوان « مطالع » وقصائد ومحاورات تدلّ على قوة سليقتهِ الشعرية

الحياة القومية[٢] — هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الفائدة كناية عن عشر مقالات كتبها في « الجريدة » حضرة الاديب امين افندي حمدي في مواضيع اجتماعية يخلق بالناشئة الامعان فيها . وقد ختمت بكلمة طيبة من قلم الاستاذ حفني بك ناصف

وعش خالياً — كثر إقبال قرّاء العربية في هذه الايام على القصص الخيالية . وهذه رواية من الروايات التي تستحق التفاتهم . ترجمها الى العربية الاديب الياس افندي منّى الذي سبق ونقل الى العربية اشياء كثيرة عن آداب الافرنج .

الإقدام — جريدة يومية ادبية سياسية بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً في السنة تصدرها في الاسكندرية حضرة السيدة الغيورة على الأدب

(١) مطبعة جدعون بيروت (٢) مطبعة « الجريدة » في مصر ثمنه ٥ قروش

البرنسيسه الكسندره افرينوه ويتولى رئاسة تحريرها صديق « الزهور » الكاتب الشهير ولي الدين بك يكن ويودعها من نفثاته الشائقة ما هو مأثور عنه في فني المنظوم والمنثور ، فلا عجب اذا اكتسبت « الاقدام » على حداثة عهدها مقاماً يُذكر بين الصحف الممتازة

المجلة المصرية La Revue Egyptienne — مجلة جديدة تصدر باللغة الفرنسوية في القاهرة لمديرها الموسيو پول تريبيه Mr. Paul Tribier ورئيس تحريرها الموسيو جاك دوبفر Mr. Jacques Dopffer . جاءنا منها العددان الاول والثاني فألفيناهما حافلين باللطائف الادبية والمباحث العلمية مما يتعلق بمصر وشؤونها المختلفة . ولا شك في ان هذه المجلة ستصادف انتشاراً واسعاً لما عُرف بهِ صاحباها من التفنن في الكتابة والغيرة على الشرق والشغف بالبحث في احواله . وهي تصدر مرتين في الشهر وبدل اشتراكها ٦٠ غرشاً صاغاً

صدى البرق — جريدة اجتماعية ادبية انتقادية تصدر في بيروت . صاحب امتيازها الشيخ اسكندر العازار ، ومديرها المسؤول عزت افندي الجرّاح ، ورئيس تحريرها بشاره افندي الخوري ، صاحب جريدة « البرق » المعروفة في عالم الادب والتي احتجبت عن قرّائها المولعين بها بأمرٍ من المجلس العرفي . فنحن على ثقة من ان الإقبال الذي لاقاه « البرق » سيلاقيه « صداه » بفضل محرره صاحب الجولات الصادقة في ميدان الكتابة

منشئ المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الخامس يوليو (تموز) ١٩١٢ السنة الثالثة

الجنايات والاجتماع

ان للاجتماع أمراضاً كما للجسم الحيّ . وهي كأمراض الجسم الحيّ إما مستوطنة وتسمى جنايات وجرائم ؛ واما وافدة وتسمى قلاقل وثورات . وأسبابها كأسبابها اما متمة واصلة وهي في أحوال الافراد الخاصة . واما مُعدّة مهيئة وهي في نظامات الاجتماع نفسه كما هو الحال في الجسم الحي . فالجنايات كالامراض نفسها لا تقع الا اذا توفر لها هذان العاملان : احوال خاصة في الافراد ، واستعداد في جسم الاجتماع

وسياسة الاجتماع كطبابة الجسم الحي : رادعة توجّه الى الجاني كما يداوي الطب المريض ؛ ومانعة او واقية تمنع أسباب الجناية لوقاية المجتمع منها قبل وقوعها ، كما يمنع الطبّ المرض بمقاومة أسبابه بعلم حفظ الصحة المعروف بعلم الهيجين

فساسة الاجتماع يقاومون الجنايات بالشرائع المسنونة ، وهي كالطب الشافي للأمراض . ويحاولون منعها بالنظامات الموضوعة وهي كالطب المنعي الواقي من الامراض . وكما ان طبابة الاجسام الشافية والواقية

تتوقف على تعرُّف طبائع الجسم الحي وطبائع الامراض التي تفتك بهِ ودرس الوسائل النافعة ، كذلك سياسة الاجتماع الرادعة والواقية تتوقف على تعرّف طبائع المجتمع وطبائع الجناة ودرس الشرائع والنظامات الموافقة ايضاً . وكما ان الطب البشري لم يقلْ كلمته الاخيرة في كل ذلك ، كذلك الطب الاجتماعي لم يقل كلمته الاخيرة ايضاً

غير انا اذا قابلنا بين الطبين نجد ان الطب البشري تقدم اكثر جداً مما تقدم الطب الاجتماعي . فشفاء الامراض صار أسهل مما كان في الماضي وصارت طبائعها معروفة اكثر كذلك . واذا كانت صناعة الطب لم تتقدم كل التقدم المطلوب في شفاء الامراض حتى الساعة ، لكنها تقدمت كثيراً في علم الوقاية منها . فان علم حفظ الصحة يكاد يكون قد ألمَّ بكليات نواميس الامراض وكيفية تولدها ووسائل منعها . وقد تمكن من حصر كثير منها . وفي بعض البلدان تمكن من منعها اصالة لان الطب البشري سار مع العلم سيراً حثيثاً وجنباً لجنب . واذا كان لم يتمكن من منعها بتاتاً فليس من نقص في علمهِ ، بل من صعوبات اخرى تعترضهُ متأتية من نظامات الاجتماع نفسها . فالامراض الوافدة التي كانت تنقضّ في الماضي على اوروبا وتفتك بمئات الالوف من سكانها في زمن قصير كوافدات الطاعون والجدري الاسود والهواء الاصفر والحمّى التيفوئيدية نفسها حتى خانوق الاطفال المعروف بالدفثيريا قد قلّت اليوم جداً وزالت منها في بعض الاماكن طبيعتها الوافدة . فاذا كانت اكثر المدن الكبرى في هذه الجهات بلغت الغاية في النظافة بعد ان كانت

مجمعاً للقاذورات وصار السكان فيها اكثر اعتناء من قبل بنظافة مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم وملابسهم وأجسادهم ، فالفضل في ذلك للطب الذي عرف كيف يستفيد حالاً من العلم . وسوف تخفّ الامراض جداً وتقلّ ويلاتها كلما اصطلحت نظامات الاجتماع ومكّنت الطب من العمل بقواعد علم الصحة كما هي معروفة له اليوم

بخلاف الطب الاجتماعي فانهُ لم يتقدَّم على نسبة تقدُّم العلم اليوم فهو لم يتعرّف طبائع الاجتماع وطبائع الجناة جيداً . وشرائعه الشافية ونظاماتهُ الواقية لا تزال قاصرةً جدًّا عن المقصود وما ذلك الاَّ لأن نظرهُ في طبيعة الاجتماع لم يتغير كثيراً عما كان في الماضي ، ولم يتيسر لهُ حتى اليوم تطبيق نظاماتهِ وشرائعهِ على النواميس الطبيعية التي اكتشفها لهُ العلم . والحق يقال ان هذا التطبيق محفوف بالمصاعب لاسباب كثيرة ناشئة عن غلبة تعاليمهِ الدينية والأدبية في شرائعهِ ونظاماتهِ وتأثيرها في طبائع أفراد المجتمع أنفسهم . فاذا كان الطب قد استفاد كل الفائدة من العلم الطبيعي فلأن موضوعهما واحد فلم يكن يمكن فصل أحدهما عن الآخر بخلاف سياسة الاجتماع فهي حتى الآن لا تزال للاسباب المتقدمة باقية في واد والعلم الطبيعي يسير في وادٍ آخر

ولا يستفاد من ذلك ان الاجتماع لم يستفد من حركة العلم اليوم في سياساتهِ فان انكار ذلك مجازفة . فأمراضه الوافدة قلت جدًّا فقلت حروبه وانكسرت حدّة ثوراتهِ وخفت وطأة قلاقلهِ . ولا شك ان الجرائم والجنايات قد قلت كذلك عما كانت في الماضي البعيد . كل ذلك لسهولة

مراسهِ اليوم أكثر من قبل لاصطلاحهِ نوعاً بفضل ما انتشر عليهِ من ظل العلم الحديث

غير ان القلاقل اذا كانت قد خفت وطأتها فهي لم تقلّ اليوم بل زادت واستوطنت كذلك كقلاقل العمّال . واذا كانت الجنايات قد قلت عما كانت في القديم فهي لم تقلّ قلة مطلقة بل ربما زادت كذلك بالنسبة الى ما كانت عليهِ في الماضي القريب لزيادة انتشار العلم وزيادة الشعور بالحاجة معهُ مع بقاء أسبابها . لان الطب الاجتماعي لم ينظر كثيراً في هذه الاسباب واذا نظر فلم يهتدِ كثيراً الى الوسائل الواقية منها أو انهُ لم يحسن تطبيقها عليها . وأسبابها انما هي في نظامات الاجتماع نفسها التي لا تزال حتى الآن بعيدة جدًّا عن توفير التضامن له بتوفير العمل وتوفير المنفعة المتبادلة

فالشارع لم ينظر في الجنايات الاَّ الى العقاب فكأن الصعوبات التي تعترضهُ في نظامات الاجتماع صرفتهُ عن تعرّف طبائع العمران للبحث في الوسائل الواقية الى تعرّف طبائع الجناة أنفسهم لتحديد العقوبة . وقد هداهُ العلم اليوم في ذلك كثيراً وخدعه أكثر لأن الاعتماد في العلم على جهة واحدة مضرٌّ جدًّا . فنظر في الامر نظرة عامية هي في مصلحة الجاني أكثر منها في مصلحة المجنيّ عليهِ . اذ نظر الى الجاني كنظرهِ الى المريض المستحقّ غالباً للشفقة والحنان بقطع النظر عن تأثير جنايتهِ في الاجتماع . وهو نظرٌ يوافق عليهِ العلم اذا كان الغرض منهُ توفير عضوٍ من أعضاء المجتمع لنفعٍ منهُ لهذا المجتمع . والاّ فالشفقة في الطب كما في الشرائع يجب

أن تشمل الأهم وهو الجسم الاجتماعي نفسهُ . ولو كانت هذه الشفقة في الشرائع اليوم ترمي الى اصلاح الجاني لحمدنا العمل . والحال ليس كذلك غالباً . لأن وسائل اصلاح الجاني لا يعتنى بها كثيراً في الشرائع حتى اليوم . وكل ما تفعله هذه الشرائع لمصلحة الاجتماع هي أن تحبس الجاني وتكفَّ شره عن المجتمع الى حين . وكثيراً ما يضيف الجاني الى عيوبه وهو في السجن عيوباً اخرى يكتسبها من مخالطته لسائر الجناة المحبوسين معه في سجن واحد . فلا يخرج من السجن حتى يعود الى جنايته بجسارة وتفنن لم يكونا له من قبل

فتخفيف العقوبة على الجاني لم تفد الاجتماع بل ذكر بعضهم ان القتل كان يزيد كلما قلَّ القصاص بالقتل . وليس في الامر غرابة والدواء على ما تقدم . حتى ولا القتل نفسه يستطيع بالارهاب أن يقلّل القتل عسى أن يستطيع الجاني ان يستغفل نظام الاجتماع وينجو من عقاب مؤجل . ولذلك رأى بعضهم ان يشغَّل الجاني في سجنه حتى يدفع ثمن جنايته فيكتسب عملاً نافعاً ويعوّض على المجنيّ عليه ويُرهَب لطول الاقامة حينئذٍ في السجن . وهو أقرب الآراء الى العدل مهما قام عليه من الاعتراضات. ويلزم حينئذٍ أن لا يقبل عن شغله عوضاً ولو كان ذا مال ويشمل التعويض حوادث القتل التي كثيراً ما يذهب فيها التعويض المدني هدراً فيفقد الانسان عزيزاً له ويفقد معيِّلاً كذلك

على ان الجاني نفسه مظلوم ، وظالمه نظام الاجتماع نفسهُ سواء عن جهل لقلة انتشار العلم او عن حاجة لقلة توفر العمل او عن مرض لتطرّق

ذلك اليهِ بالوراثة المكسوبة هي نفسها من الاجتماع . والشرائع التي تعاقبهُ كأنها تعاقب بهِ جهلها في تطبيق نظاماتها على حاجة العمران والتي كثيراً ما يكون الجاني المزوم فيها أنبل جداً من الذين يحرجونه ويسترون جناياتهم بالخبث ؛ فما دامت تعاليم الاجتماع لا تمشى على قواعد العلم الحديث فتضع العمران في مقامهِ الطبيعي وتعتبره ُ جسماً حياً كسائر الاحياء وتطلق عليهِ نواميسها الطبيعية فمن المستحيل ان تهتدي الى إحكام الروابط بينهُ . وما دامت نظاماته لا توفر له النفع المتبادل فيصعب جداً ضبطهُ ولقد صدق القائل: « ان توفر اسباب الثروة فى بلاد لمن أفضل اسباب تقليل الجنايات فيها » . فالناس فى كل أمورهم دنيا وآخرة انما هم يقتتلون على رغيف

الدكتور شبلي شميل

الحزم

الرجال ثلاثة : حازمٌ ، وأحزم منهُ ، وعاجز . فالحازم من اذا نزل بهِ الأمر ، لم يدهش له ، ولم يذهب قلبه شعاعا ، ولم تعيَ بهِ حيلتهُ ومكيدته التي يرجو بها المخرج منهُ . وأحزم من هذا ، المقدامُ ذو العدّة ، الذي يعرفُ الابتلاء قبل وقوعهِ فيعظّمهُ إعظاماً ، ويحتال له حيلةً ، حتى كأنهُ قد لزمهُ ؛ فيحسم الداء قبل أن يُبتلى بهِ ويدفع الامر قبل وقوعهِ . وأما العاجز فهو فى تردُّدٍ وتمنٍّ وتوانٍ حتى يهلك ؟

(ابن المقفَّع)

رجل الدم والحديد

« نابوليون بوناپرت »

ذلك الجبار الطاغية ؛ رأيته مضطجعاً ضجعتهُ الأخيرة وقد أخرس الموتُ لسانه وأبطل القبر صوته

جرَّد سيفه فأقلق الكون ، وتمادى في جبرؤته فازعج السموات . وضع قدمه اليمنى على « اهرام » مصر ، واليسرى على « كرملين » القيصر ، ثم صاح باوربّا صيحة مرعبة ، فكان لزئيرهِ دويٌّ ضجَّت له الأرض ، وهلعت له الكائنات

رجل الدم والحديد !

كان يرى العالمَ كما يرى النسرُ النملة من علوهِ الشاهق . هدم « الباستيل » ؛ ليطلق منه الأسرى ؛ ثم بنى على انقاضه باستيلاً آخر ، سجن فيه العالم أجمع . وكان السعد يخدمه ، فنصره في « اوسترلتز » ، وعقد له الظفر في « مارنجو » ، وحالفه في الاهرام . فلما رأى الله طغيانه ؛ قال : ليس حسناً أن يبني هذا النسر عشَّهُ في الجوّ لئلا يقلق السماء ؛ هلمَّ ننزل ونضرب به فلا يُزعج الكائنات !

وكان ظلّ ذلك الجبار يُلقي رعباً على المسكونة ؛ وكلما رفع يده ، تلمَّس اوربا رأسها ، لترى هل هو بعد على عنقها !

لو ولدت فرنسا بونابرتاً آخر لاضطرّ اللهُ ان يتجسَّد مرة أخرى لانقاذ العالم من شرّه وطغيانه . ألم يحفر جهنماً اخرى في الأرض ، ليدفن فيها

اوربا ؛ ألم يستو على عرش مصنوع من عظام القتلى ، ومصبوغ بدمائهم

وكان الفضاء مملوءاً بدويّ مزعج : انين الارامل وبكاء الثواكل ، وعويل النادبات ؛ من ساحة « اوسترلتز » الى براري « موسكو »

ثم حدث بعد ذلك سكوتٌ طويل ، لأنّ الكائنات حبست انفاسها لتنظر الى شبح ذلك الطاغية . ونادى المرّيخ ابنه فقال « تقلدّ سيفك ، أيها الجبار، ولا يغرّك نجم سعدك ؛ فان بعد « اوسترلتز » ، «موسكو» ؛ وبعد « مارنجو » ، « واترلو » !

وكانت « ألبا » تتثاءب ، « والقديسة هيلانة » تفتح ذراعيها ؛ وقد بدأ الشهاب المذنّب بالسقوط من علوّه الشاهق ، فترك وراءه خيطاً ضئيلاً كان يضعف كلما اقترب من الافق

ولاحت في ذلك الافق غمامة سوداء بقدر كف اليد ؛ ثم أخذت تكبر وتعلو ، الى ان صارت تتهدد ذلك النجم اللامع

ولمح « نابوليون » تلك الغمامة ، فأراد ان يموت كما تموت الجبابرة . فصاح بالكائنات صيحة مرعبة من على قمة الاهرام وقال « ايها الجنود ، ان اربعين قرناً تنظر اليكم من قمم هذه الاهرام »

ثم مرّتِ الايامُ ، وذلك النسر يبسط جناحيه على المسكونة ؛ وكان خفوقهما يقلق العمالقة فى قبورها ، ويلقي هلعاً في قلوب البشر

الاّ انّ لكل « جليات » داوداً

فى ذلك اليوم سخر نابوليون من « ولنتون » . فأجابه ولنتن : «غداً نلتقي في واترلو ! »

وكان « نبتون » ، اله البحر ، يُمدّ سفينة لنقل « جليات » الى جزيرة القديسة هيلانة . وتنفّست ارامل اوربا ، لأن الله نهض لينتقم لدماء ازواجهن ، ويلجم ذلك التنّين !

أما ناپوليون فظلّ يحلم . رأى كل شيء ، ما عدا « ألبا » و « واترلو » وضاع عليه في الخارطة موقع القديسة هيلانة . لو درى بها يومئذٍ ، لأخسفها في قعر البحر ، وجعل مَن عليها أكلاً للتنانين العظام . ولكن « لوياثان » كان يحرسها ويدفع عنها صدمات الجبار

ولما سقط ذلك النسر ، أقلته السفينة الى الباستيل المعدّ له واعتقلته بين أزرقين — ماءٍ وسماء . وتنفست أوربّا ، لأن حملاً ثقيلاً أُزيح عن صدرها ؛ واصبحت صروح اللوڤر والتويلري تصفر فيها الريح

***

هوذا اليوم يرقد رقدته الأبدية — عظيماً في موته كما في حياته — والنفس تتهيّب الأسد ولو كان جثة هامدة

ألا نمْ يا صاحب الجبروت ؛ لقد احسنت بموتك الى العالم ، فهل كفّرت عن ذنوبك الى الله ؟ انت تطلب المجد حتى في القبر ؛ لذلك تنام في حفرةٍ عميقة حتى يكون كل من ينظر اليك حاني الرأس

أنت في حفرةٍ ترى القوم حولـ ـها خشوعاً فكيف لو كنت حيّا
ليت شعري وقد نزلت برمسٍ من لُلك الدنيا تركتَ وصيّا
فسلام عليك يوم طواك الـ ـقبر ميتاً ويوم تُبعَث حيّا

سليم عبد الاحد

دمعة الروح

« على المغرد الصامت »

« كان لي كنار صغير أحببته بكل »
« ما في فؤادي من الحب . دنوت من »
« قفصه في صباح ذات يوم فوجدته ميتاً »
« فبكيته وندبته »   — مي —

ما أسرع ما تمزق أثواب الورود ، وما أتعس القلوب الشديدة التأثر !

يمرّ النسيم العليل على الأزهار النضرة فتتمزق بوطئه اللطيف أثوابها وتنتثر وريقاتها . هكذا يكفي لاستمطار العبرات ان يلامس الألم بأطراف بنانه أثير الروح الموحدة . وما الدموع الهاطلة من الاجفان الا حسرات قديمة كامنة في طيات الفؤاد ، أوقدت شعلتها يد سوداء — يد الكذب والافتراء ، وقد زاد الانفراد والتأمل في اشتعالها

من الرجال من يكتفون بالوجاهة والمجد والفخر ، ومن النساء من لا يفهمنَ الحياة الا بالزينة والغنى وارتفاع القدر

اما انا فلا هذه العطايا تغرّني ، ولا تلك المواهب تستهويني . شيء واحد جميل في نظري وهو ما يشترك في تركيبه قسم كبير من الفكر وقسم اكبر من القلب . شيء واحد ينبه اعجابي ، وهو ما كان مترفعاً عن الصغائر والدنايا — هو زهرة نادرة المثال غرستها يد الوفاء في حدائق الاخلاص الصافي، شمس الذكاء والمعرفة تحييها ، ومياه العواطف السامية العذبة تسقيها

ما أتعس القلب الحساس وما ألينه لاستحكام الجروح في ثنياته !!

*
* *

طائر صغير نسجت اشعة الشمس ذهب جناحيه ، وانحنى الليل عليه فترك من سواده قبلة في عينيه . ثم سطت عليه يد الانسان فضيّقت دائرة فضائه وسجنته في قفص كان بيته في حياته ونعشه في مماته

طائر صغير أحببته شهوراً طوالاً . غرّد لكآبتي فاطربها . ناجى وحشتي فآنسها . جاور روحي فآخاها . غنّى لقلبي فأرقصه ، ونادم وحدتي فملأها ألحاناً

امتزج ذكره في دقائق حياتي فأصبح عندي بمنزلة صديق لا تصلني به اللغة ولا يقربني منه التفاهم الروحي ؛ بل يعززه اليّ حضوره الدائم وان لم يبالِ هو بحضوري ، وصوته الرخيم وان لم يغرد الاّ لأن التغريد من طبعه ، وسروره الذي لا يعرف الكآبة ، واصطباره على ضيق الفضاء واقتناعه بما قدّر له من النور والهواء

عندما كانت تبكيني الآلام كنت أريه منديلي مبللاً بالدموع فيعرض عني . ان الدموع تعقب ظلمة الاحزان كما يعقب الندى ظلام الليل ، وروح الطيور نور مغرّد فكيف يفهم النور الظلام ؟

كنت أنظر اليهِ مشيرة بأصبعي الى الاثير البعيد لعلي أرى منهُ زفرة تنبئني عن لوعة في قلبه غير انهُ كان يقمز على قضبان عشه الصغير غير مبالٍ بي كأنهُ يقول : « النور لا ينظر الى الشمس والقلب لا يحدق بالروح لان كليهما واحد . أنا لا أنظر الى الأثير لأني نقطة منهُ . اني أسكنهُ وان بعدت عنهُ ، كالشاعر الذي يظل جوهر نفسه سابحاً في سماء الجمال وان خاله الناس جالساً بينهم مصغياً الى أحاديثهم »

واذ كنت آتيه بالأزهار نازعة عنها وريقاتها فارشة بها أرض القفص لعلي أرضيه كان يدوسها باهمال متابعاً تغريده ، كأنهُ فيلسوف لا يكترث للصغائر وان كانت جميلة المظاهر ، ولا يعمل في حياته الا بما يشغل أفكاره وينبه قوى البحث والتنقيب في فؤاده

في الصباح كنت أفتح عيني فيستقبلني بالغناء وتسيل موسيقى ألحانه على قلبي فتذيبه وتسكره في آن واحد

كنت أجلس للدرس والتحبير فتشمئزّ نفسي أحياناً من عبوسة الكتب ، ويثقل قلمي في يدي كأنهُ صولجان تنازل عن ملكه ، فيأخذ كناري في الزقزقة والتغريد وتأتي جماعة طير من الخارج وتضم تغريدها الى تغريده كما تمتزج الالحان في طيات الامواج . فتبتسم الافكار على صفحات الكتب امام ناظري ، ويترنح اليراع بين أناملي ، ويتمايل تمايل الصفصاف بقرب الغدير ، وتنجلي الغيوم عن فؤادي وتطرب روحي

وفي المساء كان يصمت الكنار اجلالاً لقداسة الظلام فيخفي رأسه بين جناحيه ويجمد جمود المفكّر . اذ ذاك تأتي بنات خيالي محلولة الشعر وورد الابتسام مزهر على شفتيها ، ومصباح الشمر متقد في يمينها . فتعقد حلقة وتدور راقصة حول أحلامي ، وتغني أناشيد على ألحان سرية كأعماق اللجج ، أناشيد غريبة لم يسمعها الا خيال روحي المتموج بين تلك العذارى الراقصات ، ولم أفهمها الا بحاسةٍ سادسة تولد في قلب الشاعر في ساعات الوحدة والكآبة . بينا ملوك الجوزاء تطل من أعالي علاها ناظرة اليَّ من نافذتي ، والكنار يرقبني بعينيه المخفيتين تحت جناحيه الذهبيين

***

والآن انظر الى القفص !

لقد صمت الطائر المغرد ، والشعاع المحيي تجمد ، فلا ترى في القفص الاّ قليلاً من الشمس المائتة !

مات الصغير المغرد ، مات صغير حشاشتي !

مات قبل غروب الشمس وقبل انقضاء الربيع ، ولا يبقى في نفسي الاّ أثر من ذلك اللحن البديع !

شعاع ذهبي اطل حيناً واختفى في كبد الآفاق

ابتسامة نور أشرقت وما لبثت أن تبددت

نور فكر ضاء ثم اضمحل في لجج العدم

وردة أثير تنفست فعطرت واسكرت ثم ذبلت

نغمة حب تموجت ساعة ثم تلاشت في هاوية السكينة

صديق صغير غرد فاطربني وسكن بجوار روحي فآنسني ولما آلم قلبي العالم بدناءته وكذبه غنى طائري فانساني قباحة البشر وغشهم وجعلني أفكر في كل حسن بهي

هذه قيثارتي فقدت أحد أوتارها فناحت بلابل أنغامها

فما أتعس القلوب الشديدة التأثر ! وما أكثر مرارة الجرح الصغير الذي يفتح جراحات كبيرة !!

مي

مشاهير علماء نجد

في النهضة الأخيرة

بيّنا في المقالات السابقة ان الذي انهض العلم والأدب في ديار نجد هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سلمان بن علي بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيّب التميمي النجدي الذي تضاف اليه الوهابية . والنسبة هي الى الشيخ محمد لانهُ هو الذي شيَّد اركان هذا المذهب دون ابيهِ لا بل خالف أباه فنسبت الى عبد الوهاب لاشتهار الابن باسم والدهِ ، ولان المسمّين بمحمد كثيرون ، ولانهُ لو كان سموا بالمحمديين لوقع الالتباس بين المحمديين المسلمين وبين المحمديين الوهابيين فاختار الناس ما يزيل الالتباس

ولما اشتهر الشيخ محمد بعلمهِ وفضله وأدبهِ جاءه عدة رجالٍ ليقرأوا العلوم عليه فاتقنوها وامتازوا بها وألّفوا فيها ثم اصبحوا هم مدرسين لغيرهم من الطلبة فانتشر نور العرفان في ربوع نجد كلها . فمنهم :

١ً الشيخ احمد بن ناصر بن عثمان بن مُعمّر ، قاضي الدرعية في عهد سعود وقد أخذ العلم عن الشيخ محمد

٢ً الشيخ العالم الورع الزاهد عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري قاضي ناحية الوشم في أيام عبد العزيز وابنهِ عبد الله

٣ً الشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجي قاضي حوطة بني تميم في زمن عبد العزيز وابنه سعود

٤ً الشيخ الفاضل محمد بن سويلم قاضي بلد الدّلَم وناحية الخرج في عهد الأمير عبد العزيز

٥ً الشيخ الحبر البحر الزاخر عبد الرحمن بن خُمَيّس قاضي الدرعية

في أيام الامير الخطير عبد العزيز وابنه سعود

٦ً الشيخ الدرّاكة عبدالرحمن بن نامي قاضي بلد العُيَيْنة ، ثم قاضي الأحساء في زمن الأمير سعيد وابنه عبد الله

٧ً الشيخ الوقور محمد بن سلطان العوسجي قاضي المحمل ، ثم قاضي الاحساء في أيام أمارة سعود

٨ً الشيخ الجليل عبد الرحمن بن عبد المحسن قاضي بلدة حريملة و بلدة الزلفي في عهد سعود وابنه عبد الله

٩ً الشيخ الفذّ حسن بن عبد الله بن عيدان قاضي حريملة في زمـان عبد العزيز الأمير العزيز

١٠ً الشيخ الفرد عبد العزيز بن سويلم قاضي ناحية القصيم في أيام عبد العزيز وابنِه سعود وحفيدِه عبدالله . والشيخ العالم حمد بن راشد العريني قاضي ناحية سدير . فهؤلاء كلهم نبغوا في أيامهم لأنهم اخذوا العلم عن الشيخ محمد رأس الوهابيين وقد طووا بساط أيامهم في عهد الامير الذي ذكرنا اسمهُ أو ثاني الاميرين اللذين ذكرنا اسميهما . وقد قرأ عليهِ العلم غير هؤلاء من الافاضل والادباء ممن لم يولّوا القضاء لأنهم اخذوا على انفسهم تدريس العلم والأدب في ديارهم وسائر ديار العرب بدون أن يتقلدوا وظيفة تتعلق بالحكومة أو الامارة

ومن علماء نجد الذين كانوا في ذلك العهد الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب قاضي العُيَيْنَة . له من التصانيف : ١ً زاد المستقنع ٢ً شرح المختصر ٣ً شرح الاقناع ٤ً شرح المنتهى . ٥ً حاشية الاقناع ٦ً حاشية المنتهى ٧ً كتاب العمدة وكل هذه الكتب من المؤلفات الدينية والمذهبية الحنبلية

وقد اخذ العلم صاحب هذه التآليف عن الشيخ منصور البهوتيّ شارح الاقناع والمنتهى ، وعن الشيخ احمد بن محمد بن بَسّام

ومن طبقات اولئك العلماء الشيخ محمد بن احمد بن اسمعيل النجديّ المشهور في بلدة اشَيْقِر . اخذ الفقه عن الشيخ احمد بن مشرف النجديّ ، واخذ عنهُ

كثيرون منهم الشيخ احمد بن محمد بن بَسّام والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان .
وكان الشيخ محمد بن احمد بن اسمعيل المذكور معاصراً للشيخ سليمان جدّ الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الوهاب المذكور

ومن عداد اولئك الفُحول في ذلك الأوان العالم الفقيه القاضي الشيخ سليمان ابن علي بن مشرف جدّ الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب المشهور . وكان سليمان المذكور فقيه عصره على مذهب الامام بن حنبل إليهِ انتهت رئاسة العلم في نجد كما سبقت الاشارة اليهِ . وجميع العلمآء المعاصرين لهُ يرجعون اليهِ في حلّ المعضلات من المسائل الفقهية والتفسيرية والفرائضية وغيرها . ولهُ من التصانيف ١ً و ٢ً كتابان في المناسك ، ٣ً شرح الاقناع . الاَّ انهُ لما وقف على شرح الاقناع للبهوتيّ أتلف شرحهُ على ما قالهُ بن بشر النجديّ

وقد اخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد بن مشرف النجديّ وغيرهِ . وأخذ عنهُ جماعة من أكابر العلمآء منهم : ابناهُ الشيخ عبد الوهاب والشيخ ابراهيم ، والشيخ احمد بن محمد القصير النجديّ المتوفي سنة ١٠٧٩ هـ = ١٦٦٨ م

ومن علمآء نجد الذين يشار اليهم بالبنان الشيخ حسن بن عبد الله المشهور في بلدة أُشَيْقِر . كان لهُ اطلاع وافر على جميع فنون العلم الدينيّ اذ لهُ تعليقات في جميع مواضيعها . أخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد القصير . توفي سنة ١١١٣ هـ = ١٧٠١ م

ومنهم العالم الفقيه الشيخ احمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير المشهور في بلدة أُشَيْقِر . أخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد بن احمد بن اسمعيل . والشيخ الفاضل سليمان بن علي بن مشرف . وأخذ عنهُ عدة من العلمآء كالعالم الفاضل الشيخ عبد الله بن احمد بن محمد بن عضيب الناصريّ النجديّ

هؤلاء هم أشهر علماء ذلك العصر . ثم حدث ما ثبَّط عزائمهم فتقهقر أمر العلم وأصحابهِ وكان ذلك في سنة ١١٣٣ هـ = ١٧٢٠ م اذ ظهر فيها سعدون بن محمد ابن عزيز الاحسائيّ على نجد وحاصر آل كُثَيِّر في العارض وأظهر المدافع من

الاحساء ونزل في عُقْرُبا المعروفة وحاصر بلدة العمارية حتى هزلت مواشيهم وأصابتهم اضرار كثيرة . ثمّ سار الى الدرعية ونهب بيوتها فقتل اهل الدرعية كثيراً من قومهِ وفرّ العلماء الى بلادٍ يجدون فيها راحتهم . ولما مات سعدون المذكور سنة ١١٣٨ هـ = ١٧٢٥ م عُمّرت منازل بني هلال ومنازل بني سعيد وآل بني سلمان في بلدة الروضة المعروفة في ناحية سدير . فتنفس العلماء الصعداء وعاد أغلبهم من مَفَرّهم الى مقرّهم . و بعد ذلك بمدَّة ظهر آل سعود في الدرعية واستولوا على بلاد نجد والاحساء والقطيف وعمان والعسير وجبل شمّر (جبل طيّئ) وانقادت لهم القبائل والبلاد وحصل من أمرهم ما هو مشهور . ورجع العلم الى دياره وانبعث من قبره كما سنذكره بعد ذلك ان شاء الله تعالى

بغداد　　　　　سائل

أيها القمر

الآن وقد أظلم الليل و بدأت النجوم تنضح وجه الطبيعة التي أعيَتْ من طول ما انبعثت في النهار برشاش من النور النديّ ينحدر كأنهُ قطرات من الأمواج المتلاطمة في بحر النسيان الذي تجري فيهِ السفُنُ الكبيرة من قلوب عشاق مهجورين برّحت بهم الآلام ، والزوارق الصغيرة من قلوب أطفال مساكين تنتزعها منهم الأحلام ، تلك تحمل الى الغيب تعَباً وترَحاً ، وهذه لعباً وفرحاً ، والغيب كسجلّ اسماء الموتى تختلف فيهِ الألقاب ، وتتباين الأحساب والأنساب ، وتتنافر معاني الشيب من معاني الشباب ، وهو يعجب من الذين يسمّونهُ بغير اسمهِ ولا يعلمون انهُ كتاب في تاريخ عصر من عصور التراب

والآن وقد بدأت الطبيعة تتنهد كأنها تُنفّس بعض اكدارها ، أو تُملي في الكتاب الأسود أخبار نهارها ، و بدأ قلبي يتنفس معها كأنهُ ليس منها قطعة صغرى ، بل طبيعة أخرى ، ولله ما اكبر قلباً يسع الحب من قبلة اللقاء الى ذكراها ، ومن

حياة الصبي الأولى الى ما يكون من الجنة أو النار في أُخراها ، إن هذا لهو القلب الذي ترى فيه الطبيعة كتاب دينهـا المقدس فاذا لحق العاشق الذي يحمله بربه تناولتهُ وهي جاثية كأنها في صلاة الحزن ثم قبلته ثم قلبته ثم أودعته في مكتبة الابد لأنهُ تاريخ قلب آخر بل هو جزء من الموسوعات الكبرى التي يدوّن فيها الدهر تاريخ النفس الانسانية على ترتيب بعينه تعلّم الناس منهُ أن يبدؤا لغاتهم جميعاً بحرف (الألف) لا لأنهُ من أقصى الحلق . . . بل لأنهُ من أقصى القلب ، بل لأنهُ من أقصى التاريخ ، بل لأنهُ أول اسم (آدم) ذلك العلم الأول في تاريخ الحب

والآن وقد رقَّت صفحة السماء رقة المنديل ، أَبلتهُ قُبَل العـاشق في بعاد طويل ، أو هجر غير جميل ، وتلألأت النجوم كالابتسام الحائر على شفتي الحسناء البخيلة كأنهُ قطرة من الندى تلمع بين ورقتين من الورد . وأقبل الفضاء يُشرق من أحد جوانبهِ كالقلب الحزين حين ينبع فيهِ الأمل ومرَّت النسمات بَليلةً كأنها قِطَع رقيقة تناثرت في الهواء من غمامة ممزقة . وأقبلت كل نفس شجية ترسل آمالها الى نفس أخرى كأنها أحلام اليقظة . ونظر الحزين في نفسهِ والعاشق في قلبهِ ونام قومٌ قد خلت جنوبهم فليس لهم نفوس ولا قلوب . ولبس الكون تاجه العظيم فأشرق عليهِ القمر

والآن وقد طلعتَ أيها القمر لتملأ الدنيا أحلاماً وتشرف على الارض كأنك روح النهار الميت ما ينفكُّ يتلمَّس جوانب السماء حتى يجد منها منفذاً فيغيب . فهلمَّ أبثك نجواي أيها الروح المعذب واطرح من أشعتك على قلبي لعلي أتبيَّن منبع الدمعة التي فيهِ فأنزفها ، إن روحي لا تزال في مذهب الحس كأنها تجهش للبكاء ما دامت هذه الدمعة فيـهِ تجيش وتبتدر . ولكن اذا أنا سفحتها وتعلقت بأشعتك الطويلة كأنها معنى غزلي يحمله النظر الفاتر فلا تلقها على الارض أيهـا القمر فان الارض لا تقدّس البكاء وكل دموع الناس لا تبل ظمأ النسيان ولو انحدرت كالسيل يدفع بعضها بعضاً

أرأيت أيها القمر هذا النهر الصافي الذي يجري كأنهُ دموع السحر من أجفان

هاروت وماروت ويطَّرد بجملته كأنهُ قطعة من السماء هاربة في الارض . وهل ترى في شاطئهِ تلك الشجرة الناضرة الممتلئة بالاوراق كأنها مكتبة يتصفحها الهواء ؛ هذه هي مثال الفلسفة الطبيعية فكل حكيم لا ينبت على شاطئ الدموع الشريفة فهو فيلسوف جافّ كأنهُ مصنوع من جلود الكتب . وما دمعتي الاَّ النهر الذي نبتُّ في شاطئهِ وهي أطهر شيءٍ وأصفاه لأنهـا مخلوقة من ثلاثة عناصر تقابل العناصر السماوية . من الحب الذي يقابل عنصر النار ومن اللين الذي يقابل عنصر الهواء ومن البكاء الذي يقابل عنصر الماء

ليس كل مَن عصر عينيهِ فقد بكى . ان البكاء لأشرف من ذلك . وكما يكون الضحك احياناً حركة في الافواه تبعثها العادة كحركة الحواس الغليظة فيضحك المرء وقلبه صامت كذلك يكون من البكاء ما هو حلم الأسى لأن في العين حاسة لا بد من تمرينها أحياناً تسمى حاسة الدموع

وما إن لقيت باكياً الاَّ رأيت وجهه مقبلاً عليَّ كأنهُ يسألني : تُرى من أين يُذبح الانسان اذا كانت دموعه هي دماء روحه ؟ ذلك لأن الدموع لم تعد على طبيعتها دموعاً بل هي علامات الألم او السخط . الألم من المخلوق والسخط على الخالق فهي ألفاظ من لغة العجز قد تكون أفصح منها كلمات السفاه والغيظ والحنق وما اليها

ولكن الباكي بها لا يجد من الجراءة ما يرفع صوته من حفرة الحلق اضعف إحساسه بالذل السياسي او اضعف قلبه بالتقوى التاريخية فيرفع صوت روحه وهي تتكلم من العين

أريد أن أبكي أيها القمر لأنهُ يخيَّل اليَّ ان حقائق كثيرة تغتسل بدموعي وأني لا اكون في حاجة الى البكاء الاَّ حين تكون هي في حاجة الى الدموع . ولقد شعرت مراراً باهتزاز عقلي في تصفح الأسفار ، واضطراب نفسي في متاحف الآثار ، واختلاج قلبي في معابد الطبيعة التي قامت الجبال في بنائها لأنها أحجار ، فما أفدت من كل ذلك ما أفدته من دمعة تفور في صببها ، كأنهـا روح عاشق

يطاردها الموت بين يدي حبيبها ، فان في هذه الدمعة ثواب آلامي ، ويقظة الحقائق من أحلامي

وما زلت حائراً في أمر مشتبه لا أُصيب الوجه فيهِ فلا أدري اذا كانت هذه الدموع المتساقطة تنقضُّ من بناء الحياة لينهدّ ، او هي تضاف اليهِ ليشتدّ ، فاني أرى أقواماً يحيون بالدموع وآخرين يموتون بها . ولعل عين الانسان ملئت بالدموع من اصل الفطرة لتكونَ منها خنادق مستفيضة حول الروح فلا يقتحمها الفكر ولا يرى أبداً الاَّ ظاهرها .ولولا ذلك ما بقيت الروح من أمر الله

أولسنا نرى الذين يبكون كثيراً يؤملون ان يدركوا من أسرار الروح كثيراً اذ يرون تلك الخنادق قد أخذت تمجُّ ما فيها فكأنهم بالماء قد غِيضَ وكأنهم بالأمر قد قُضي

ولكن الانسان ليس إله نفسه فمتى انكشفت أرض الخنادق الروحية ظهرت فيها حفرة القبر وكانت آخر دمعة تجف منها هي دمعة الموت

بَيد أن الحقائق التي تهيءُ للبائسين ذلك الأمل بكثرة ما تفيض أعينهم من الدمع هي في رأي الناس علم وفلسفة لان الجهل في الانسان لا حد له فكل ما ظفر بهِ عده حداً علمياً . أولا نرى ان أجمل ما في الديانات والشرائع قد تحول الى حجارة البيَع والصوامع والمساجد والأضرحة والمحاكم والسجون وكثير من مثلها حتى صارت هذه الأبنية تُفهم الناس من ضروب المعاني اكثر مما تفهمهم الكتب السماوية في الارض والارضية في السماء

ما لي ولك ايها القمر لا أحب ان أُفيض عليك دمعي فقد ترى فيها أشعة كثيرة من ألوان الأسرار المختلفة . بل أنا أراها في قلبي وقد اشتمل بها الخيال الحزين . خيال هذا الأمل الذي يسميه الناس (الحب) وتسميه الطبيعة (الحياة المعذبة) لان الناس قد مضوا على ان لا يعرفوا الحقيقة الا باوصافها ولا يعرفوا من أوصافها الا ما يتعرف اليهم من ظاهرها الجميل . اما باطن الحقيقة الذي يحتوي السرَّ المحزن فهذا يعرفهُ من يفهم لغة الطبيعة وما لغتها الاَّ أفعالها . وأنت فاذا أردت

ان تدرس علم البلاغة من هذه اللغة فادرس المصائب والآلام والأحزان أنها هي أقانيم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع وانك ان درستها وتدبّرتَ شواهدها الصحيحة التي لم يصنعها رُواتها أصبحتَ أفصح من ينطق عنها في هؤلاء البكم الذين يقرأ احدهم صفحة الزهر بعينين في أنفهِ . . . ولا يستحي الغبيّ أن يقول لك ان في الزهرة معنى جميلاً

فمن أحبَّ ورأى حبيبته من فرط اجلاله إياها كأنها خيال مَلك يتمثّل له في حلم من أحلام الجنــة . ورأى في عينيها صفاء الشريعة السماوية وفي خدّيها توقد الفكر الإلهي العظيم وعلى شفتيها احمرار الشفق الذي يخيل للعاشق دائماً ان شمس روحه تكاد تُمسي . ورآها في جملتها تمثال الفنّ الإلهي الخالد الذي يُدرَس بالفكر والتأمل لا بالحسّ والتلمُّس فأطاعها كأنها ارادته واستند اليها كأنها قوّته وعاش بها كأنها روحه . فذلك هو الذي يشعر بحقيقة الحب وهو الذي يقول لك صادقاً مصدوقاً : ان كل لفظة من لغة الطبيعة في تفسير معنى الحب كأنها صَلْصَلة المَلك الذي يفجأُ الانبياء بالوحي في أول العهد بالرسالة

ليس كل ما يعجبك يرضيك ولكن كل ما يرضيك يعجبك فالجمـال الوصفي الذي يقاس بالنظر ويخرج منهُ الفكر بنسبة هندسية جمال صحيح وحريٌّ أن يكون معجباً ولكنهُ على كل حال بناء جسمي كالقصر المشيد الذي يعجب الفقير المعدَم فيتمناه فان هو صار لهُ خالياً لم يرضه لأنهُ لا يلتحف سقوفه المموَّهة ولا يفترش أرضه الموطأة ولا يلبس جدرانه الموشاة ولا يقتـات من هوائهِ الطلق . أما الجمال الذي يرضي فهو الذي يشفُّ عن صورة روحك بغير ما يخيلها لك ماء الحياة العكر هذا الذي لا يشفُّ عن شيء ولا يزال يضطرب فيجمل شبحك في اختلاطه كأشباح البهائم اذا ضربت في الماء بأرجلها . فترى من ذلك الجمال كأن ملكاً هبط عليك من السماء وفي يده مرآة فنظرتَ فاذا صورتك بعينها ولكنها في يد ملك

وقليل أن يجد الناس مثالاً من ذلك الجمال فكثير منهم يجحدونه ويرونه ضرباً من الوصف الشعري الذي يظهر في خلقهِ وابرازه مقدار ما في الشعراء من روح

الله . وانما يجحد مثال الجمال الكامل من لا يستطيع أن يكون مثال الحب الكامل
واذا كانت المرآة قد علاها الصدأ فكيف يعلوها الوجه الجميل . وكيف تخلص الى
روحك من طين هذه الكأس الزجاجية (المرآة الصدئة) نشوة الجمال ولو سكبت
فيها حور الجنة كل ما في خدودها

ولقد قيل ان قوماً من العرب ترحلوا عن بعض منازلهم فكان من أنسائهم [١]
قطعة مرآة صقيلة كأنها وجه المليحة التي نسيتها فمرت بها ضبع كأشأم ما خلق الله
قبح طلعة وجهامة منظر حتى كأن في وجهها تاريخ الجيف التي اغتذت بها . فوقفت
عليها تعجب من اشراقها وسنائها وما كادت تنظر فيها حتى راعها وجهها ولا عهد لها
برؤيته من قبل لأن الله رحيم ومن رحمته أن لا تعرف الوحوش أنها وحوش وأن
لا تجد أسباب هذه المعرفة . فانقبضت الضبع وزوّت وجهها وقالت : من شرّ ما
اطّرحك أهلك أيها المرآة . . !

فجمال هذه الضبع الذي جحدته المرآة كما يجحد الكافر رحمة الله وحسنها الذي
أحالته قبحاً كما يُحيل الطبع اللئيم كل حسنة تتصل به هما أشبه شيء بالعقل والقلب
في الحب الاخرق الذي يحب بحواسه فتجوع روحه وتشبع وتمتلّ بالتخمة ايضاً ...
وكم في الناس من مثل هذه الضبع وكم في الحسان من مثل تلك المرآة

ما احسب الاحساس الاّ نكتة صافية في القلب تقابل نكتة العين التي يكون
بها البصر فكل ما انطبع في هـذه انطبع في تلك لكي تكون الروح بين مرآتين
فيسهل عليها أن تدرس الحقيقة بالمقابلة فاذا نزل الشاعر الحسّاس بروضة غناء احسّ
بقلبه كأنما يخضرّ بعد يُبس . واذا اطلّ في الغدير الصافي أحسّ بمعنى الماء ينصبّ
في عروقه . واذا نظر الى وجه الجميلة الحسناء فلماذا لا يحس ان قلبه امتلأ جمالاً حتى
كأنهُ لا يعشق الا شيئاً في نفسه

بلى وأكثر من ذلك فان الشاعر ليكتب عمن يحبها فيرى كأنه ينفخ في كل

---

(١) الانساء ما ينساه القوم المترحلون من هنات المتاع وكان العرب اذا
تحملوا قالوا انظروا أنساءكم

كلمة معنى من الحياة لأنهُ لا يكتب كلاماً بل يخط صورة قلبهِ . والعواطف الحية تبقى حية ولو كانت مرسومة لانها لا تجتمع في شكلها الذي تنتهي اليهِ الاَّ بعد أن تمر في أدوار الحياه فتألفها الأرواح وتصير كاللفظ ما هو الاَّ أن يذكر حتى ترى معناه للذهن ماثلاً

بلى ولقد يخيَّل اليَّ أيها القمر الجميل حين أكتب عمن أهواها انك لفظ في ألفاظي تطلع من المداد فاذا قلت « وجهها » فهل تظن هذا اللفظ الذي هو جملة الجمال الا قمراً في الكلام . واذا قلت « ابتسامها » فهل ترى الحروف الاَّ الفجر النديّ واذا قلت « هي » فهل ترى الاَّ « ضمير » الطبيعة التي تأخذ عنهـا الانسانية دينها ؟

آه لو تعلم أيها القمر من « هي » !

مصطفى صادق الرافعي

في رياض الشعر

﴿ رأي مختبر عاقل ﴾

عذيريَ من خُلُقٍ باسلٍ أحدَّ وأمضى من الذابلِ

صليبٍ على القسر لا يلتوي اذا غمزتهُ يد الناقلِ

اذا شاقني الأمر صعب النوال مضيت ولو أنهُ قاتلي

وان حال من دونهِ حائلٌ مشت أخمصاي على الحائلِ

حديد قوى النفس ذو همـة تضايق في جسدٍ ناحلِ

وأورثنيهـا فتًى أمثلٌ وأورثهـا لفتًى ماثلِ

⁂

بلوتُ الزمانَ وأهـل الزمانِ فخذ رأي مختبرٍ عاقلِ

رأيتُ الملوكَ اذا أُطلقوا أضرَّ من الجارف الغائلِ



داود بك عمون

نفوس الرعايا وأعراضها وأرزاقها أكلة الآكلِ

وُعودهمُ برقهـــا خلَّبٌ وأقسامهم ضحكةُ الهازلِ
ولو عقلوا قيّــدوا نفسهم ومن لك بالمطلقِ العاقلِ
فتلك القيودُ ضمان العروشِ توطّدها في المدى القابلِ
حقوقُ الملوك بتقديسها دعاوى على الحقِ للباطلِ
همُ الاجرّاء وانْ توّجوا عليهم لنـا عمل العـاملِ
وما ميّز الله أشخاصهم بشيء ولكنْ رضى الخاملِ

٭٭٭

بني الشرق هبّوا فقد طالما زحفتمُ في الدّرَك السافلِ
الى مَ تنـامون عن حقكم وتعبث فيكم يدُ العـاملِ
ويظلمكم رجلٌ واحــدٌ وأنتم عداد الدّبى النـازلِ
فدونكمُ العلم فهو الحرّ ر والرّق لازمـة الجاهلِ
وخلّوا الديانات طيّ القلوب وكونوا عن الخلف في شاغلِ
ألم تنظروها غدتْ آلةً لتفريقِ جمعكُم الحـافلِ
ولا ترهبوا الموت فالموت لا يؤخرُهُ وَجَلَ الواجلِ

داود عمون

ان في هذه الأبيات لصورةً معنويةً لشاعرها الكبير . ولئن كنا قد اخترناها لهذا الجزء فلأنهـا اشبه شيء بمرآةٍ تتجلى فيها نفس داود بك عمون . ففي الجزء الأوّل منها وصفٌ ينطبق على الشاعر انطباقاً تاماً ، وفي سائرها أفكار ومبادىء عرفها الناس في هذا الرجل المتقد ذكاء وعزماً . فهي لمن عرفوا داود عمون ولمن لم يعرفوه صورة عنهُ وعن افكاره « طبق الأصل » وانما نشرناها مع صورتهِ لتكون متممة لها

﴿ زهرة بنفسج ﴾

الدكتور نقولا فياض أشهر من ان يُعرَّف ، فهو الشاعر الذي يسحر القلوب، والخطيب الذي يسترقّ الألباب . وستتحف « الزهور » قرّاءها تباعاً بما ستجود بهِ قريحة هذا الأديب الكبير . وهذه القصيدة الرقيقة باكورة ما تقدّمهُ اليهم

أهوى البنفسج آية الزَّهرِ　　في الشكل والتصوير والعطرِ
وأحبّــهُ في الأرض مختبئاً　　وأحبُّهُ في بارزِ الصدرِ
ولكل عـذراء أقدّمهُ　　ما دام فيـهِ حياؤه العذري
لكن شجاني منـهُ حادثة　　أجرتْ دموع عرائس الشعرِ
هي زهرة بجوار ساقيـةٍ　　نبتت وعاشت عيشة الطهرِ
لم تدرِ غيرَ العشب مُتَّكأً　　وسوى عناق الماء لم تدرِ
فاستيقظت يوماً كأن بهـا　　سكراً وقد شربت ندى الفجرِ
تبكي جوًى وتقول « ما أملي　　لو عشتُ خالدةً بذا القفرِ
حسناء لكن لا عيون ترى　　حسني ولا من عارفٍ قدري
هلاَّ صعدتُ الى ذُرى جبلٍ　　وبدلتُ هذا الكوخ بالقصرِ
فأرى الجديد من الوجود وما　　تحوي معاني الكون من سحرِ
وأشارف الدنيـا وأجملها　　تطوي مناظرها على نشري »
قالت وقام بها الهوى فمشتْ　　في القفر مثل ظبـائهِ العُفرِ
والريح تحملهـا وتقعدهـا　　وتموج بين الشعر والخصرِ
حتى اذا صعدتْ وما ابتعدتْ　　وقفتْ تجيل الطرفَ عن كِبْرِ
فرأت بساط العشب منتشراً　　تلوي عليـهِ معاطف النهرِ
جاراتهـا في الحيّ نائمـة　　حمراً على أعلامهـا الخضرِ

فاستبشرت بالفوز وانطلقت تعدو ولا تلوي على أمرِ
وحلا لها السفَرُ البعيـد وما حسبت حساب الحلو والمرِّ
الأرضُ موعرةٌ ومحرقةٌ فكأنهـا تمشي على جمرِ
ورفيقها هُوج الرياح وقد ثارت عليهـا ثورة الغدرِ
ترمي بهـا كل الجهات فلا ترتاح من كرٍّ الى فرِّ
حتى أصابت هضبةً فاذا فيهـا نعيم العين والفكرِ
من تحتها الجنات مشرقةٌ بالزَّهر كالأفلاك بالزُّهرِ
والناس والاشيـاء مائجةٌ كالبحر في مدٍّ وفي جزرِ
قالت « بدأتُ أرى فواطري لو كنت أبلغ موطىء النَسرِ
أعلو الى قمم تحجّبهـا تلك الغيوم بحالك الستر
فأرى بديع الكون تحت يدي وأفضُّ منهُ غامض السرِّ »

٭٭٭

يا للبنفسجة الجميـلة من أهوال ما قاسـتهُ لو تدري
عزَّ السبيل الى مطامحها في مصعد الاشواك والوعرِ
وأصاب أرجلهـا الضعيفة ما يُمني الحديدَ الصلبَ بالكسرِ
فتأوّهتْ ندماً ولو قدرتْ رجعتْ على أعقابهـا تجري
لكنهـا داخت وصيَّرها خوفُ السقوط كراكب البحرِ
فتشبثتْ بالأرض مفرغةً جهد القوى وبقيَّـة الصبرِ
حتى تسنَّمتِ الذُرى وغدتْ في الأوج تتلو آية الشكرِ

٭٭٭

لكنها لم تلقَ وا أسفي في الأوج غير جلامد الصخرِ
لا عشبٍ ينبت في جوانبـهِ أبداً ولا أثرٌ لمخضرِّ

والعاصفات كأنها اسدٌ　في الجوّ تزأر أيما زأرِ
والغيم ساوى في تلبّدهِ　ما بين نصف الليل والظهرِ
فجثت لأوّل مرّة وبكتْ　كالطفل من تعب ومن ذُعرِ
والبردُ أفسد لونها كمداً　من كلّ مزرقّ ومحمرّ
فاصفرَّ ذياك الجبين كما　ذهبتْ نضارة ذلك الثغرِ
من قهرها أنّتْ وقد سُمعتْ　وسط الزوابع أنّةُ القهرِ :
« يا ليتني لم أصبُ نحو عُلًى　وبقيتُ بين عرائس الزهرِ »
ثم ارتمتْ ضعفاً وأخرسها　شبحٌ بدا من جانب القبرِ
وتصلّبتْ أعصابُها ومضتْ　بالموت هاويةً الى القعرِ

٭ ٭ ٭

مسكينةٌ قد غرّها شرفٌ　هو كالسراب لكل مُغترّ
ظنت بأن لها العلاء غنى　فاذا بهِ فقرٌ على فقرِ
ما كان أهناها وأسعدها　لو لم تفارق ضفة النهرِ

الدكتور نقولا فياض

﴿ بين فؤادي والجوى ﴾

نشرنا للسيد عبد الحميد بك الرافعي شاعر الفيحاء مقاطيع شعريّة دلّت على مقدرته في هذا الفن . ونحن ننشر اليوم قياماً بوعدنا صورته ومقدمة قصيدة شائقة له نظمها في مديح آل الرفاعي . وقد أعادت علينا هذه الأبيات الطيبة ذكرى شعراء البداوة المجيدين

أيُّ قلبٍ يا غريبَ المنحنى　ضلَّ مني ويحكم يومَ النوى
هل له يا هل ترى من ناشدٍ　هل له من ناشدٍ يا هل تُرى

أحرقَ البينُ بقاياه فمن | لي بهِ وهو رمادٌ بالغضا
كلّما هبّت ريـاح الملتقى | خلتُ في ادراجها منهُ هبا
لا أبيتُ الليلَ الاّ شاكياً | كرّة الـهـد على جيش الكرى



السيد عبد الحميد الرافعي

واذا مرَّ خيال طارقــاً | منك يا ميُّ بوهمي وانثنى
قامت الحرب لكِ الله على | سوقها بين فؤادي والجوى
والاسى ويلاه من نيرانـه | قوَّم الأضلاع مني وبرى
ولقد كانت لعمري قفصاً | لفؤادٍ طار في جوّ الهوى

ما درى ان الهوى اشراكه ... تقنص الاسدَ ومَن لي لو درى
يا مهاةَ العُرب يحمي خدرها ... في صدور البيد أطراف القنا
أنا مَن تدرين لم يخطر على ... قلبهِ السلوان او حبّ السوى
غير أني يا ابنـة القوم فتىً ... يبذل النفس بتطلاب العلى
حملتـه هذه الدنيـا على ... غارب الغربة يجتاب الفلا
في ضواحي الارض أياماً وفي ... حاجرٍ يوماً ويوماً بالنقـا
صيَّر الأنجاد أغواراً بمـا ... قد برى منها بتكرار السُرى
تتشاكى النوق من أسفاره ... وتملّ الارض من ضرب البرا
ولحكم الدّور أضحى مثلا ... ما انتهى بالسير الاّ وابتدى
فكأني خاطرٌ ما وسعت ... دركه يا سعد أفكارُ الدُّنا
فغدت تجهد في ترديده ... فتى يا دهر ينزاح الغطا
كم ليالٍ يفرق الليل بها ... حار في اطباقها بدر الدجى
خضتها كالنجم في غلوائه ... اذرع البيد بأخفاف المطا
تتهادى بيَ تيهاً ناقـة ... تسبق السهم عن القوس انبرى
قد عراها بعض ما بي فغدت ... تملأُ الدنيـا دويًّا بالرغا
كلما أزعجهـا طول الونى ... نهَّضتها عزماتي بالحـدا

عبد الحميد الرافعي

﴿ الحجاب ﴾

احجبي وجنتيكِ عن أعين النا ... س فسرُّ الغرام خلف الحجاب
وانظري مثلما يلوح المنارا ... نِ اذِ الشمس غُيِّبتْ في الحجاب

خليل مطران

في بلاد الاندلس

الرحلة الثانية [1]

قصدت عاصمة الاسبان هذه المرة عن طريق غير الطريق التي اتّبعتها السنة الماضية . فبعد ان زرنا نابولي قامت بنا الباخرة الى جنوى ، فوجدناها اكثر جمالاً ونظافة من نابولي ، وهي تمتاز عنها بمحاسن شواطئها ، وكثرة متنزهاتها ، وجمال حدائقها الغنآء ، وأهمها حديقة المركيز دي بلاقتشيني وفيها كل اصناف الزهور والاشجار الموجودة في العالم ، وكثير من التماثيل البديعة والرموز التاريخية . وقد شاهدنا فيها اشجاراً كبيرة من ارز لبنان الجميل . وهذه هي المرة الثانية التي اشاهد فيها ارز لبنان العزيز بعد ان شاهدته للمرة الأولى في حديقة القصر الملكي في بلدة الجرانخا في اسبانيا كما سيجيء الكلام عن ذلك . وانهُ ليعزّ عليّ أنه لم يتيسر لي حتى الآن مشاهدة اشجارنا التاريخية نفسها في أعلى تلك القمم الجميلة التي يفتخر لبنان بمحاسنها . وبالقرب من هذه الحديقة التي يقولون عنها انها اكبر وأجمل حديقة في اوربا يوجد قصر جميل وروضة غنآء للشاعر الكبير « ادمون روستان » ولكنهما أقل جمالاً وعظمة من قصره الشهير وغياضهِ ورياضهِ الفسيحة الكائنة في مسقط رأسهِ « كامبو » التي أتينا على ذكرها في مقالتنا السابقة لدى زيارتنا لهذا النابغة في الصيف الماضي

---

(١) راجع « الزهور » السنة الثانية ص ٢٩٩

ومما تفاخر بهِ جنوى ايضاً جميع مدن اوربا مقبرتهـا الشهيرة التي تستحق الزيارة لكونها آية في الترتيب والعظمة والجلال وفيها تماثيل وصور بغاية الاتقان والجمال . وهذه المقبرة هي لأهل البلد من جميع الطوائف والملل . ولكل فئة ترتيب خاص بغاية الاتقان والكمال . ومما يجعل لجنوى أهمية كبرى حسن موقعها الجغرافي وجمال شواطئها البحرية التي خصتهـا بهِ الطبيعة . وهي بلدة عامرة آهلة بالسكان كثيرة المصانع والمعامل أخص منها بالذكر معمل «أنسلدو» الشهير بصنع السفن الحربية

والطريق بين نابولي وجنوى من أجمل الطرق التي يقطعها الانسان في البحار لأن الجزر الآهلة بالسكان ، والجبال الكثيرة الأحراج والغياض تخللها عن قرب على طول المسافة تقريباً

وبعد ان قضينا نحو ٣٦ ساعة في جنوى زرنا في اثنائها بالاوتوموبيل شواطئها الجميلة التي يقصدها السائحون والسائحات من كل جهات العالم للتمتع بجمال مواقعها الطبيعية وطيب هوائهـا وصفاء سمائها ، قامت بنا الباخرة الى مدينـة الجزائر (Alger) ، حيث شاهدنا بمزيد الاعجاب والسرور آثار العمران الحديث وآيات المدنية الفرنسية التي جعلت هـذه المدينة الافريقية من أجمل المدن الحديثة . وهي تشبه كثيراً بيروت بموقعها الطبيعي وشكل بناء منازلها ومبانيها على علوّ متتابع . ولكن أنّى لبيروت تلك الشوارع الجميلة التي تسير فيها العربات والسيّارات دون ان يشعر الانسان بأقل ارتجاج او انزعاج . ولكل منزل في هذه المدينة تقريباً حديقة لطيفة تحيط بهِ وتحتوي على أجمل الازهار وأحسن

الاشجار . اما الفنادق الفاخرة التي فيها ، فهي ، وان تكن أقل عظمةً وغنىً من لوكندات شبرد وسافواي وهليوبوليس في مصر ، اكثر جمالاً ورونقاً لحسن مواقعها العالية التي تطل على أحسن المناظر براً وبحراً ولاتساع الحدائق النضرة التي تحيط بها وتساعد كثيراً على انشراح الزائرين الذين يقضون بين اشجارها الكثيفة وأزاهرها الفائحة العبير أطيب الأوقات وألذّ الساعات

وبعد ان تمتعنا بمحاسن ما في هذه المدينة من آثار المدنية والعمران التي قامت بفضل واجتهاد الامة الفرنساوية قصدت بنا الباخرة رأساً الى جبل طارق ، ذلك المضيق المنيع الذي لا يعرف اهميته ومناعة تحصينه الاَّ من يُسعِدُهُ الحظ بزيارته . وقد اتفق اننا وصلنا الى جبل طارق في آن واحد تقريباً مع الباخرة كرباثيا (Carpathia) وهي التي أنقذت بعض ركاب الباخرة تيتانيك في تلك الفاجعة المؤلمة المعروفة . وعند تقابلنا حيّتها باخرتنا بانغام الموسيقى . وفي سفح ذلك الجبل يوجد بلدة آهلة بالسكان يقطنها اكثر من ٢٥ الف نفس . ولولا ممانعة الحكومة الانكليزية وعدم تصريحها لكل اجنبي بالاقامة اكثر من اسبوع واحد فقط في تلك البلدة ، لكان عدد سكانها ازداد كثيراً . اما البلدة فهي بغاية النظافة والترتيب . والعادات الانكليزية متأصلة فيها تماماً بحيث ان الانسان يحسب نفسه في انكلترا . ومعظم الدكاكين والمخازن يقفل يوم الأحد ، وبعضها يقفل يومي الجمعة والسبت ايضاً . والعربات لا تقدر ان تسير الاَّ خطوة خطوة امام الكنائس ، خصوصاً

عند اقامة الصلاة . والرقص ممنوع تماماً في الملاهي والقهوات ، بحيث انه لا يوجد في البلدة الاّ محلات للسينماتوغراف فقط . اما القلاع والطوابي والاستحكامات التي تحيط بذلك الجبل ، وخصوصاً المدافع العديدة المحكمة الوضع من داخل تلك الصخور الهائلة ، فحدث عنها ولا حرج . ولا يدلُّ على وجود تلك المدافع في داخل الجبل الاّ الثقوب العديدة المحفورة في تلك الصخور وأغلب تلك الثقوب مغطى ببعض الأشجار والأزهار ، ولكن عند ما تعكس الشمس أشعتها عليها في بعض ساعات النهار يتلألأ فولاذ تلك المدافع من فوهات تلك الخروق ومن تحت ظلال الاشجار والأزهار . وهنالك مرقاة (ascenseur) حربية تصل بين البلد وأعلى قمة ذلك الجبل وتلك الحصون المنيعة لسهولة التواصل وسرعة مناولة الاشياء عند لزومها . وبعد ان زرنا ما أمكننا زيارته من جبل طارق ، وتمتعنا بمحاسن حديقتها الغناء التي تعزف فيها الموسيقى العسكرية كل يوم مساء ، ركبنا باخرة صغيرة أوصلتنا الى « الجزيرة البيضاء » الشهيرة بمؤتمرها الدولي المغربي الاخير ؛ وهي أول الحدود الاسبانية ، بعد ان تنازلت اسبانيا لانكلترا عن حقوقها في جبل طارق سنة ١٨٨٢ . ولهذا الحادث التاريخي تذكارٌ في منتصف بلدة جبل طارق ، وهو عبارة عن بابين كبيرين بشكل قنطرتين ، يمثل أحدهما الحكم الاسباني القديم ، وعليه الرموز الملكية الاسبانية ، ويمثل الثاني الحكم الانكليزي مع رموزه وشعاره المعروف « فليخسأ من يسيء الظن (Honni soit qui mal y pense)

ولم تطل مدة اقامتنا في الجزيرة لأنها بلدة صغيرة ليس فيها من

الملاهي والآثار المهمة ما يستوقف المسافر، لا سيما اننا كنا في شوق عظيم الى مشاهدة الاندلس الجميلة التي يتحدث بجمالها الركبان، ويتوق للتمتع بمحاسن آثارها العربية كل شرقي

والأندلس أجمل وأخصب جهات اسبانيا، واكثرها آثاراً وأجلّها تذكاراً، وهي بلاد كثيرة السهول والروابي، قليلة الصخور والجبال. والسير في أرجائها الفسيحة يشرح الخاطر ويسرّ النواظر، لكثرة مايشاهد الانسان من المروج الخضراء، وجنائن الفاكهة المتنوّعة الأصناف، وسهول الزيتون المترامية الأطراف، وهي تشبه كثيراً بتنسيق مزروعاتها وألوان خضرتها سهول البقاع في سوريا

ولأهل الأندلس عادات خاصة بهم، ومزايا وأخلاق قومية يمتازون بها عن سواهم. فرجالهم من أشد الرجال، واكثرهم نشاطاً واقداماً؛ ولذلك يكثر بينهم عدد مصارعي الثيران الذين يمتازون على أقرانهم في ساحة المصارعة. أما نساؤهم فمن أجمل نساء اسبانيا، وللجمال الأندلسي شهرة عظيمة في العالم. فهنّ على الغالب طوال القامة، يقرب لونهنّ الى السمرة اكثر منهُ الى البياض. ومع ذلك فقد شاهدت منهنّ من يُخجل بياض وجوههنّ نورَ الصباح. وللنساء ولعٌ شديد في حب التزين بالزهور ورصفها على الصدور والرؤوس. وللفلّ الأندلسي الجميل الحظّ الأكبر في ذلك مما جعلني أتذكر عفواً حين مشاهدة بعضهنّ قول «خليلنا» العزيز شاعر بعلبك

زانت الرأس بفلٍّ هو بالرأس تحلّى

ما رأت قبلكِ عيني　　وردة تحمل فُلاّ

أما تلك العيون التي ان رَمت قتلت، فبسوادهنّ تفاخر الاندلسيات كلّ حسان العالم، وقد خطر على بالي بعض أبيات للمرحوم الشيخ خليل اليازجي بعد ان كنت قد هجرت ونسيت الشعر وأهله. أما الابيات فهي

بيض الصوارم تفدي الأعين السودا　　فتلك لا تبتغي للضرب تجريدا
وأسمرُ الرمح يفدي العطفَ منثنياً　　فذاك لا يبتغي للطعن تسديدا

وأما ذلك الفمُ الصغير الجميل الذي يفترُّ عن درر، ويبسمُ عن أقحوان، فقد نطقت جوارحي عند رؤيته، قبل أن ينطق فمي بقول بعضهم

وفم كصدري ضيّق لكنَّ ذا　　يحوي اللهيب وذاك يحوي الكوثرا

وأما تلك الأيدي والزنود الجميلة فلا أجد في وصفها قولاً أوفق وأتم مما قال الشاعر:

وزندين لو لم يمسكا بدمالج　　لسالا من الأكمام سيل الجداول

والاندلسيون أهل كرم وأنس. وقد اقتبسوا من العرب الانفة والمرؤة واكرام الغرباء. ولم تزل الى الآن مآكلهم تشبه كثيراً المآكل العربية، ودورهم حافظة أيضاً شكلها الشرقي الجميل القديم فكل دار لا تخلو من فسحتين عند مدخل الباب الكبير، تفصل بينهما قنطرة شرقية الشكل، وفي وسط الساحة الثانية بركة مياه، والأزهار مرصوفة من حولها، مما يجعل للبيت رونقاً جميلاً ويزيد أهله استعداداً حسناً للانشراح وتعاطي كؤوس الراح

والنساء مثل رجالهنّ أهل طرب وأنس. ويمتزن عن باقي النساء

بسلامة القلب وشدّة التأثير . ولكن اذا علق قلبهنّ بأحد فمن الصعب أن يخلص من أيديهنّ لشدة مفعول الغرام والانتقام في قلوبهنّ السليمة

ومن العادات الخاصة بأهل الاندلس ، والمنقولة طبعاً عن العرب ، ان الشاب لا يقدر أن يقابل خطيبته ولا يكلمها مباشرة الا بعد مرور بضعة أشهر على عقد الخطبة ويجب أن يتردّد في تلك الاثناء الى منزل والدها دون أن يصعد الى الدور الأعلى حيث تكون خطيبته فيضعون له كرسياً في أول المدخل وعروستهُ تكلمهُ قليلاً من نافذة البيت

وفي أيام الآحاد والاعياد — وما اكثر الأعياد في هذه البلاد — عند ذهاب الخطيبة الى الكنيسة يجب على الخاطب أن يتتبع خطواتها ، وعليها أن تحاول الإعراض عنهُ وتتظاهر بعدم الرغبة فيهِ . وفي أثناء الخطبة يجب على الفتاة أن تظهر اكثر من ألف مرة عدم رغبتها في الاقتران ، ومع ذلك عند مجيء خطيبها في الساعة المحددة الى البيت يجب عليها ان تطل من الشباك وتكلمه

وسنجيء في مقالٍ آتٍ على ذكر ما نشاهده من احوال الاندلس

(مدريد) نجيب زلزل

من ادارة « الزهور »

هذا هو الجزء الاخير الذي يصدر من « الزهور » قبل عطلة الصيف السنوية . وموعدنا والقرّاء الادباء أول اكتوبر (تشرين الاول) القادم

تربية الطفل

قد يستعمل فريق من الأمهات بعض المشروبات كالجعة لزيادة اللبن . ولكن اللبن الذي تزداد كميته بمثل هذه الوسيلة يصبح رديئاً ويعرّض الطفل لجملة أمراض ؛ ولا يغترّ الانسان بالنمو الذي قد يظهر على الطفل عند ابتداء استعمال هذه المشروبات لأنهُ يكون وقتياً . وكل المشروبات الروحية تفرز ايضاً مع اللبن وتحدث تأثيراً رديئاً كالصراخ والبكاء بدون سبب والقلق في النوم والتشنجات العصبية والضعف العمومي

وعلى كل مرضع ان تتحاشى الدواء بقدر الامكان فلطالما انطلقت امعاء الطفل بالمسهل الذي تأخذه الأم ، دون ان تتأثر هي به ، وطالما كان للمسكنات والمخدرات تأثير أقوى في الاطفال منهُ في الأمهات ، وكم من دواء قوي تناولتهُ الأم فأتلف صحة الطفل ، فيجب على كل مرضع ان تسأل طبيبها الذي يصف لها الدواء اذا كان مؤثراً في الطفل أم لا

الرضاعة والطمث — ينقطع الحيض غالباً اثناء الرضاعة . ولوحظ ان الحيض يظهر عند المرضع في الشهر الثاني الى الرابع في ١٥ في المائة ومن الشهر الرابع الى الثامن في ٣٠ في المائة ومن الشهر الثامن الى الثاني عشر في ٣٠ في المائة ايضاً ، وفي السنة الثانية في ٢٥ في المائة . وعند ظهوره يلاحظ تغيّر في صفة اللبن وكميتهُ يضعف معهُ الطفل ويحتاج الحال الى استعمال الرضاعة المختلطة حتى يفطم الطفل . وقد لا يكون لظهور الحيض تأثير في اللبن في بعض النساء ، وذلك نادرٌ

الرضاعة والحمل — لا تحمل النساء الاَّ بعد انقطاع الرضاعة وظهور الحيض ؛ ولكن بعضهن يحملنَ اثناء الرضاعة . ذكر رمفري (Remfrey) ان النساء اللواتي يحملنَ اثنـاء الرضاعة بدون ظهور الحيض لا يتجاوزنَ ٦ في المائة بيد ان النساء اللواتي يحملنَ اثناء الرضاعة وبعد ظهور الحيض يبلغنَ ٦٠ في المائة . ولا بأس من ارضاع الحامل طفلها اذا لم يبلغ السنَّ المناسبة للفطام واستطاعت هي ذلك دون ان يطرأ عليها او على ولدها ضعف

المراضع — اكمل غذاء للطفل هو لبن امهِ ، وان لمن واجب كل أمّ ٍ قوية البنية جيدة الصحة ارضاع طفلها . وأما اذا لم يكفِ لبن الأم أو كان لبنها رديئاً ، أو كانت صحتها غير جيدة لإصابتها بالسلّ او بمرض قلبي أو بحمى شديدة أو بخرَّاج في الثدي ، فيجب ان يمنع الطفل عن لبن الأم ويستبدل الغذاء الذي هيأتهُ له الطبيعـة . لأنه من الخطإِ ان نسمح للأم المصابة بتدرُّنٍ رئوي مثلاً ان ترضع طفلها فتنتقل العدوى اليهِ بطريق اللبن ، وأفضل طريقة حينئذٍ هي احضار مرضع سليمة البنية لأنهـا خيرٌ من الرضاعة الصناعية . ويجب عرض المرضع وطفلهـا على الطبيب كما انه ينبغي ان لا يقلّ عمرها عن العشرين ولا يزيد عن الخامسة والثلاثين ، وان يكون عمر طفلهـا مساوياً بالتقريب لعمر الطفل المراد ارضاعهُ ؛ ولا بدَّ من الاعتناء بهِ ايضاً خشية ان تتكدر حزناً عليهِ فيتكدر لبنها . ويجب الاهتمام بالمرضع من وجهة الغذاء والشرب والنظافة والرياضة البدنية والمعيشة الأدبية لأن لـكل ذلك تأثيراً في الطفل كما تقدَّم

وزن الطفل — يحسن وزن الطفل مرة او مرتين في كل اسبوع ،

لأن ذلك يعرّفنا درجة نموّه وبالتالي حالة غذائه . وهناك انواع مختلفة من الموازين لهذا الغرض . ومن البديهي ان في زيادة وزن الطفل دلالة على صحته . ويكون وزن الطفل عند الولادة نحو سبعة ارطال انجليزية ، ولا ينتظر ان يزيد في الاسبوع الاول بل ربما نقص في الأيام الثلاثة الأولى عما كان عند الولادة . ويسترجع هذا النقص في اليوم العاشر تقريباً ، ولا بد ان يزداد بعد ذلك بالتدريج وتتراوح الزيادة بين ٤ أواق الى ٨ في الاسبوع . ومتوسط الزيادة هو ٦ أواق تقريباً . فالطفل الذي يزن سبعة ارطال انجليزية وقت الولادة يزداد وزنه الى تسعة تقريباً في نهاية الاسبوع السادس ، ويكون ١١ رطلاً في نهاية الشهر الثالث ، و ١٦ رطلاً في نهاية الشهر السادس ، و ٢٠ رطلاً في نهاية الشهر التاسع ، و ٢٢ رطلاً في نهاية السنة الأولى . ويمكن أن يقال على وجه العموم ان الوزن يبلغ الضعفين في آخر الشهر الخامس وثلاثة اضعاف في آخر السنة الأولى. ومتى نقص وزن الطفل عما ذكر يجب الالتفات الى أوقات الرضاعة وتنظيمها ، او الى زيادة كمية اللبن اذا كانت لا تكفي الطفل ، او الى صفة اللبن فانهُ قد يكون رديئاً ولا يكفي للتغذية كما يحسن عرض الطفل على الطبيب حتى تتحقق الأم من سلامتهِ من الأمراض

نزهة الطفل — يصحّ اخراج الطفل للنزهة ، اذا كان سليماً ، بعد انتهاء الأسبوع الأول في زمن الصيف ، وبعد انتهاء الاسبوع الثاني في الربيع والخريف ، وبعد انتهاء الشهر الأول في الشتاء . والنزهة في الهواء الطلق تزيد الشهية وتحسّن الصحة وتساعد على النموّ . ويجمل ان لا تتجاوز

النزهة ربع ساعة او عشرين دقيقة وتكون في أنسب وقت من النهار ، فيلزم ان تتقي الأمّ ساعة البرد في زمن الشتاء ، وساعة الحرّ في وقت الصيف . كما يلزم ان تحذر التيارات الهوائية ولتكن الخادمة نفسها على استعداد قبل ان تهيء الطفل للخروج بالباسه طاقية على رأسه وتغطية وجهه بقطعة من الشاش ، ولفه برداء من الصوف فوق الملابس الاعتيادية ويحمل الطفل على الذراعين في الشهر الاول ، واما بعد ذلك فيمكن اخراجه في مركبة صغيرة . واذا لم يشعر الطفل براحة وجب ارجاعه سريعاً . وعند رجوعه لا بد من خلع الملابس الزائدة التي استعملت في النزهة . ويكفي الطفل ان يتنزه مرة في اليوم في الشهر الاول ويمكن اخراجه بعد ذلك مرة في الصباح وأخرى في المساء ، دون ان تتجاوز المرة الواحدة ثلاثين دقيقة

مركبة الطفل — أفضل مركبة للطفل ما كانت متينة التركيب بعجل فيه منطقة من المطاط حتى يكون اهتزازها ليناً ، وبغطاء اي (كبوت) يقي الطفل حرارة الشمس وتأثير المطر . ولا بد من وضع الطفل بحيث يكون وجهه أمام الخادمة او المرضع فيسهل عليها ملاحظته . وعلى الخادمة ان تسير بتأنٍّ في طريق سهلة غير وعرة ، وان لا تقف في الطريق للكلام مع فرد من الافراد لئلا يشغلها هذا الكلام عن ملاحظة الطفل وهو واجبها المهم وعليها ان تحترس فلا تعبر الطريق حتى تتأكد من خلوّها من السيارات وعربات الترام وخلافها

الدكتور
محمد عبد الحميد

شؤون لبنانية

اتجهت الانظار في الآونة الحاضرة الى جبل لبنان لمناسبة انتهاء مدة حاكمه العام واجتماع السفراء بالباب العالي في الاستانة لتقرير التعديل المرغوب في ادخاله على النظام الاساسي . ولما كانت مثل هذه الشؤون السياسية لا تدخل في دائرة ابحاث « الزهور » لم نشأ ان نتعرض لها من هذه الوجهة بل اكتفينا بايراد كلمة من الوجهة الاجتماعية التاريخية سنردفها ببحث وافٍ في وقت قريب

كان الامراء في لبنان اصحاب السلطة المطلقة شأن معظم حكام ذلك الزمان . فكانت البلاد تسعد او تشقى لمجرد استعداد أميرها ورغبته في اسعادها او ظلمها . وقد تولى الحكم في لبنان امراء كثيرون اشهرهم الامير فخر الدين المعني والامير بشير الشهابي والامير حيدر اللمعي . ثم كان ان أخذت الرعية تفهم حقوقها وتدرك ان الحاكم انما هو منها وبها ، فشرعت تعمل على تقييد سلطته . وأخذ افرادها يجدّون ويجتهدون ، فاثروا علماً ومالاً واكتسبوا نفوذاً بعيداً ، فحدثت في البلاد « حركات » سياسية واجتماعية أفضت منذ نصف قرن الى تغيير الهيأة الحاكمة ونزع السلطة من الامراء والزعماء وتأليف الحكومة اللبنانية على شكلها الحاضر . وكانت قاعدتها الأساسية المساواة بين افراد الرعية بالغاء امتيازات الأسَر وأصحاب المقاطعات . فكان لهذا الانقلاب اكبر تأثير في ذوي المقامات وهم لم يتعوّدوا الا توّلي الاحكام فتضعضعت أحوالهم وساء مصيرهم ، وهذه

سنّة الاجتماع في سيره . على أن فريقاً منهم لم يستسلموا الى هذا الانقلاب بل شمروا عن ساعد الجدّ لينالوا بالاجتهاد ما لم يكن بقي في الامكان نيله بفضل الآباء والاجداد . ولنعم ما فعلوا . ومن هؤلاء «العظاميين العصاميين» الامير يوسف ابي اللمع .

وقد جاءنا بمناسبة وفاته في الشهر الماضي مقالة ضافيـة من أحد كبراء كتّاب لبنان ضمّنها كاتبها نظرة في تاريخ لبنان الاجتماعي منذ عهد ابرهيم باشا المصري ونبذة من ترجمة حياة الامير المتوفى ضاق نطاق هذا الجزء عن استيعاب هذه وتلك ، فاكتفينا بما تقدم مرجئين الافاضة في البحث التاريخي الى فرصة أخرى

اما الامير المتوفى فهو ابن الامير اسماعيل

الامير يوسف ابي اللمع

PÉRIODIQUES - IMA
Bibliothèque
مكتبة
دوريات - معهد العالم العربي

ابن الامير حسن سليل امراء قيدبيه . وأمه السيدة اسماء وحيدة الامير حيدر اللمعيّ الشهير ، وللاسرة اللمعية شأن كبير في تاريخ لبنان . ولد رحمهُ الله في بيت شباب سنة ١٨٤٨ . وبعد ان أحرز نصيباً وافراً من العلوم واللغات دخل في سلك الحكومة وهو لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره ، فعيّن وكيلاً لقائمقامية المتن على عهد الامير بشير عساف وأخذ بعد ذلك يتقلب في وظائف الادارة مدة ثلاثين سنة فأسندت اليهِ قائمقاميات مختلفة ترك فيها آثاراً طيبة تشهد له برغبة حقيقية في نفع بلاده وتحسين شؤونها الاقتصادية . وهذه ميزة حياته الكبرى ، فان له فضلاً يذكر في تمهيد سبل المواصلات ، وانشاء المجالس البلدية ، واحياء التجارة والصناعة والزراعة ولا سيما زراعة التبغ التي اعتنى بها مدة خمس عشرة سنة حتى أحيا مواتها وأعاد الى البلاد ما كانت تجني قديماً من المنافع من هذا الصنف . فأصبح اليوم الألوف من اللبنانيين يستدرّون الارباح الطائلة من زراعة التبغ والمتاجرة بهِ . وقد عرفت الحكومة له فضله فكافأته بالأوسمة والرتب العالية . وكان رضيّ الاخلاق سليم الطوية ناهض الهمة ، أحب وطنه حباً جماً وخدمهُ خدمة صادقة . وبالاجمال فانه عرف ان يحفظ بسعيه مقام أسرته الكريمة فجمع بين طارف المجد وتالده ، فعاش حميداً ومات فقيداً . ووقف شبلي بك ملاّط شاعر لبنان على قبره باكياً :

على الركنِ الذي كانت لديهِ تهونُ المثقلاتُ من الأمورِ
على الرجلِ الذي رمتِ المنايا بهِ القطبين من حسَبٍ ونورِ

مس كايل

على الجانب الأيمن من الخط الحديدي الواصل بين مصر ومصر الجديدة ، في المكان المعروف بكبري غمرة ، بناء فخم متسع الأرجاء ، ممتـد الاطراف ، في منبسط مخضرّ الأديم ، طلق الهواء ، يحيط بهِ شبه سهـل يتمشى فيهِ شارع عباس حتى أقصاه ، وهو مطلٌّ عليه يستأنس بحركةٍ غير منقطعة فيهِ من دون ان يبلغ اليهِ ضجيجها فيزعجهُ في راحته وسكونه . . ذلك البناء الجميل هو دار علم وفضيلة ؛ هو نتيجة الاجتهاد والثبات ؛ هو منشأ امهات المستقبل في مصر ؛ هو الكليـة الأميركية للبنات في هذا القطر ؛ هو الأثر الطيب الخالد للمرحومة مِسْ كايل التي اغتالها الموت في أوائل الشهر الماضي

وددنا ان نكتب تاريخ هـذه المرأة الفاضلة فاذا بنا أمام تاريخ النهضة الادبية النسائية في مصر في الثلاثين السنة الاخيرة ؛ ولا غرو فان مس كايل رافقت تلك النهضة منذ استهلالها حتى عهدها الحاضر فكانت تنشئُ المدارس للبنات وتدبرها بحكمة واجتهاد يوم لم تكن دُورُ العلم آهلةً بغير النزر القليل من الطلبة فضلاً عن الطالبات ؛ ومشت معها آخذة بيدها ، ومتدرجة بها في مرقاة النجاح حتى لقد ارتبط تاريخ حياتها بتاريخ نشوء وارتقاء هذه النهضة ، وما عمل ثلاثين سنة مملوءة بالنشاط والثبات والاخلاص بالعمل اليسير الذي لا يكترث له

قدمت مِسْ كايل القطر المصري فبدأت عملها في اسيوط حيث اقامت زهاء ثماني سنوات رئيسة لمدرسة البنات التي انشأتها الرسالة الاميركية في تلك المدينة . ثم رأست مدرسة الاميركان الكبرى بالازبكية في القاهرة تسع عشرة سنة متوالية بذلت لها في خلالها كل مواهبها الفطرية ، وخبرتها المكتسبـة ، فما برحت تلك المدرسة تنمو وتزهو حتى رأيناها في هذا العهد من خيرة معاهد التربية والعلم

ولما رأت ثمرات اعمالها يانعة في هذا القطر وعلّمتها خبرتها وكثرة احتكاكها بالمصريات ان الفتـاة المصرية لا يعوزها غير الوسائل لادراك الترقي الحقيقي ،

رأت ان تنشئ في مصر كلّيةً كبرى للبنات تجعل تنشئتهنّ فيها امكن في العلم ، وأعمّ في الفائدة . ولم يكن في وسعها ، وهي امرأة لا ثروة لها غير اجتهادها واخلاصها، أن تنفق على تشييد هذا المعهد ، وتهيئته لغرضهـا المقصود . ولكن ذلك لم يحل بين همّها و بين تحقيق هذه الأمنية فقصدت الى الولايات المتحدة الاميركية



مس كايل

تستدرّ المال بالخطَب عن الشرق وحاجته الى العلم ، وتستجدي قومها باسم الانسانية فجمعت نحواً من اثني عشر ألف جنيه وحملتها الى مصر راضية عن نفسهـا لقيامها

بالواجب ، وعن سعيها لتكلله بالنجاح . وجاد لها المحسنون في مصر ايضاً بمبلغ غير يسير فأنشأت ذلك البناء الفخم الذي أشرنا اليهِ في فاتحة هذا المقال ، وجعلته كلّية للبنات يتعلمنَ فيهِ العلوم على أنواعها ، ويتربَّينَ فيهِ التربية الفضلى

ومن المأثور عن هذه المرأة انها كانت فاضلة بكل قوة هـذه الكلمة . فقد حدثتنا عنهـا حضرة الآنسة اميليا بدر — والآنسة بدر رفيقة مس كايل ويدها اليمنى في عملها المجيد خلال خمسة عشر عاماً — انها كانت متصفة بكل الاخلاق الطيبة التي كانت تحببها الى تلميذاتها اللواتي كنَّ يحترمنَ فيها الرئيسة المرشدة ، والأم الحنون العاقلة معاً . وبلغ من حب تلميذاتها لها انهنَّ كنَّ يتسابقنَ الى خدمتها وفاءً لسابق جميلها عليهنَّ فكانت اذا انتدبت احداهنَّ لعمل ما لا تجد منها الا اندفاعاً لاتمام ذلك العمل . وقد طالما أحوجتها مساعدة في التعليم لسبب من الاسباب فكانت السيدة هند عمون ، والآنسة سلمى خشف — وكلتاهما من متخرجات مدرستها — تلبيانها الى ما تريد حباً وكرامة . ولو ان مس كايل اضطرت الى معونة كل تلميذاتها لرأتهنَّ جميعهنَّ هند عمون وسلمى خشف . ذلك هو بلا ريب عنوان التربية المثلى والأدب الصحيح . اما هي فكانت تعامل الطالبات معاملة الأم لبناتها فلم تكن تميز نفسها عنهنَّ بشيء ولا تفرق بينهنَّ لأمر من الامور . ولما أنشأت الكلية كان في الفرقة الاولى خمس أوانس انقطعت أربع منهنَّ عن المدرسة لأسباب عائلية فجعلت مس كايل من الخامسة وحدها — وهي الآنسة نجلا داغر — فرقةً لذاتها تعطى حقها من العلم اعتباراً للأسبقية التي كانت لها على سائر التلميذات وفي ذلك ما فيهِ من الانصاف والعدل

وخلاصة ما يقال ان النهضة الادبية النسائية في مصر قد فقدت ، بفقد مس كايل ، يداً نشيطة كانت تدفعها أبداً الى الامام ، وعاملاً قوياً كان يساعدها على الترقي والانتشار . وما أجمل الفكرة التي رآها بعض ذوي الفضل اذ اقترحوا نصب تمثال هذه السيدة في باحة كليتها بغمرة تخليداً لفضلها واعترافاً بجميلهـا ، وان تكن تلك الكلية نفسها أثراً خالداً يذكّر أبداً بحسناتها وأياديها الغرّاء

صوَر الشعر

ان للنفس لنزعاتٍ تختلف باختلاف عواملها ، وكأنها امام تلك العوامل لوحة الصوَر المتحركة تنطبع عليها صوَر تمحى بما تتلوها وهكذا

فهي مسرح تتعاقب عليهِ روايتا السرور والابتهاج والوحشة واليأس ، فبينا ترى المرء يهتزّ اليوم طرباً اذ تراه في الغد ينقبض غماً ، وما الحياة التي حارت في تكييفها الافهام الا مجموعة لمختلف تلك المظاهر

اما تذكارات اويقات البشر والايناس فانها تبدد عن النفس المحزونة غياهب الكرب وتقشع سحب الاكدار ، اذ هي فجر السرور يطرد ليل الهموم فيجعل للانسان من ضيقه فرجاً ومن وحشته انساً . وأحسن تلك التذكارات لغة للفؤاد في اويقات الفرح يرنّ صداها في الوجدان فتلقي على مشاعر النفس معنى السعادة

السعادة خيال ما تحقق لانسان ، وسراب قصده الناس فتقطعت بهم الاسباب فرضوا من الغنيمة بالاياب ، وعندي انها في وادي الحقيقة اسم لغير مسمى

وما السعادة الحقة الا في جولان خاطر الشاعر في مسارح الخيال حيث يكون بطلاً لروايات مختلفة ، فطوراً يرى نفسه كأنهُ المحب وافاه حبيبه في غفلة العيون ، وطوراً يهيم بالطبيعة فتتجلى له في أبهى حللها ، وطوراً يترقب طلعة البدر فيظهر له قوسه من وراء خط الأفق المرئي تعلوه طبقة من ذهب ابريز فيستعطفهُ ليملي عليهِ كثيراً من معاني الخيال ، وطوراً يرى من ظلام الليل شريكاً له في وجده ، وفي هاطل المطر تقديراً لكمية مسكوب دمعه ، وفي وميض البرق شبهاً لخلب أمانيه ، وفي طرف النجم ذكرى ليل الأماني ، وفي أشعة الصباح صورة الأمل الوفر ، وفي مجرى الغدير جلال الخيال ؛ وطوراً يحب الجمال حقيقة ؛ وطوراً يحبهُ خيالاً

لا شيء أروح للنفس المحزونة من ان ينشر أمامها مطويّ صفحات رقصت عليها ريشة الخيال فجاءت صوَراً ما وُجد أبدع منها في معرض الحياة . تلك صوَر الشعر

امين محمدي

كالّلي

وهو موشح للغناء نشرناه اجابة لطلب الكثيرين من القراء

كالّلي يا سحب تيجان الربى بالحلي	يعدلِ الأَّ لحاظ الرشأ الأكحلِ
واجعلي سوارهـا منعطف الجدولِ	***
***	لا أريمْ عن شرب صهباء وعن عشق ريمْ
يا سما فيكِ وفي الارض نجوم وما	فالنعيم عيش جديـد ومدام قديم
كلّما غيَّبتِ نجماً أطلعت أنجما	لا أهيم الا بهـذين فقم يا نديم
وهي ما تهطـل الا بالطـلا والدما	وانهلِ من أكؤسٍ صوّرنَ من صندلِ
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي	أفضل من نكهة العنبر والمندلِ
وانقلي للدنّ طعم الشهـد والفوفلِ	***
***	هل يعودْ عيش قطعناه بوادي زرودْ
تتقـدْ كالكوكب الدريّ للمرتصد	والجنودْ في حضرتي تضرب جنكا وعودْ
يعتقـد فيها المجوسيُّ بما يعتقـد	والحسودْ في معزل عنا غدا لا يـودْ
فاتئـد يا ساقيَ الراح بهـا واعتمد	عذّلي لا تعـذلوني فالهوى لذَّ لي
واملِ لي حتى تراني عنك في معزلِ	ما الخلي في الحب مثل العاشق المبتلي
قلّـلِ فالراح كالعشق فزد يقتلِ	***
***	أسفرتْ ليلتنـا بالأنس مذ أقمرت
من ظلمْ في دولة الحسن اذا ما حكم	بشرتْ بملتقى المحبوب واستبشرت
فالسدمْ يجول في باطنـه والنـدم	شمّرتْ فقلت للظلماء مذ قصَّرت :
والقلمْ يكتب ما سطر فوق القمم	طوّلي يا ليلةَ الوصـل ولا تنجلي
من ولي في دولة الحسن ولم يعدلِ	واسبلي ستركِ فالحبيب في منزلي

ثمرات المطابع

٥ شرح الهاشميات [١] — « الهاشميات » من أهمّ ما قيل في مدح بني هاشم وآل البيت النبوي . وناظمها الكُمَيت بن زيد الاسدي . نشرها بالطبع وضبطها بالشكل التام وشرحها شرحاً وافياً حضرة الكاتب البليغ السيد محمد محمود الرافعي . وقد صدّرها بنبذة شائقة عن الشيعة وتاريخ التشيع وأخباره وأسبابه ونتائجه ، و بترجمة حياة الكميت وهو من أشعر شعراء الاسلاميين وأسماهم بياناً وأعلاهم كعباً ، وُلد ايام مقتل الحسين سنة ٦٠ ومات سنة ١٢٦ هـ . في خلافة مروان بن محمد . وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم . قال أبو عكرمة الضبّيّ : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان . وقد سئل أبو معاذ الهرّاء : مَن أشعرُ الناس ؟ — قال : أمن الجاهليين أم من الاسلاميين ؟ — قالوا : بل من الجاهليين . قال : امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص . قالوا : فمَن الاسلاميين ؟ قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعي . فقيل له : ما رأيناك ذكرت الكميت في مَن ذكرت . قال : « ذاك أشعر الاولين والآخرين » . فكان حرياً بمن هـذا مقامه في دولة الشعر والأدب ان يُنشر ديوانه وتُدوَّن أشعاره . وقد تنبـه لهذا الواجب السيد محمود الرافعي ، فخدم الأدب والأدباء خدمةً جلّى بنشره هذا السفر النفيس . وقد أردف « الهاشميات » بمجموعة اختارها من بليغ شعر الكميت في شؤون مختلفة ، ومن أجود كلام الفحول من شعراء الصدر الأول الذين أدركوا اللغة أيام مجدها وشبابها . فعسى ان يقدّر الادباء هذا العمل الجليل قدره فيقبلوا على اقتناء ذلك الكتاب . ولا نشك في ان جماعة علماء المشرقيات سيحلونهُ عندهم محلاً رفيعاً

٭ كلمات نابوليون — إياك [٢] — كتابان جليلا الفائدة نقلهما الى العربيـة حضرة الكاتب الاديب ابرهيم افندي رمزي ، فاحسن نقلاً وعمـلاً . موضوع

(١) طبع بمطبعة شركة التمدن الصناعية في مصر ثمنه خمسة غروش صاغ (٢) طبعا بمطبعة الهداية في مصر عدد صفحات الاول ١٣٥ والثاني ٥٦

الكتاب الاول يدل عليه عنوانه . وهو مختارات من الاقوال المأثورة عن الرجل النابغة الكبير نابوليون بونابرت في شؤون مختلفة كالعائلة والتربيـة والحب والنساء والحياة والصفات القومية والسياسة والدين والحرب والشجاعة الخ . واذا صح ان « كلام الملوك ملوك الكلام » فان هذا ينطبق أتم الانطباق على أقوال ذلك الرجل العظيم صاحب الفكر الثاقب والرأي السديد . وان هذه الكلمات المأخوذة من كتاباته وخطبه ورسائله او التي آثرها عنهُ معاصروه تشفُّ عن حقيقة نفس الرجل وأخلاقه . فهي خير درس لمن يريد ان يفقه تاريخ نابوليون وسرّ نجاحه العجيب ، فضلاً عن ان فيها ما يبعث على المروءة والاقدام والجد . وقد أحسن رمزي افندي بتصدير هذه « الكلمات » بحياة قائلها الواقعة في ثلاثين صفحة فان ذلك يساعد على تفهمها . والكتاب مزين باشهر صوَر نابوليون

اما الكتاب الثاني فهو مجموعة نصائح مفيدة تتعلق بما يجب اجتنابه او عمله على المائدة وفي اللباس والعادات وغرفة الاستقبال والمكاتبة والزيارة وغير هذا من مظاهر حياتنا اليومية فيجدر بفتياننا وفتياتنا ان يتدبروا ما فيهِ لانهُ مقوّم للعادات مهذّب للأخلاق يرشد الى ما يجب ان يتحلى بهِ المتأدبون

٭ النخبة الراغبية في الأفعال العربية — اذا جمع الرجل بين الثروة الأدبية والثروة الماديَّة ، وعرف كيف يستخدم هذه في سبيل تلك كان منهُ لبلاده النفع الأتم والخير الوافر . وهاتان المزيتان قد اجتمعتا للرجل الفاضل صاحب العطوفة ادريس راغب بك . فقد عرفهُ الخاص والعام بنصرته للأدب وتفانيهِ في خدمتهِ بما له من المآثر الطيّبة في هذا السبيل . وكأنهُ لم يكتفِ بمـا يبذله لتنشيط الادباء والعلماء فأراد ان تكون له يدٌ على اللغة العربية فعني بتأليف كتاب سمَّاه « النخبة الراغبية في الأفعال العربية » شهد فيهِ حضرة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر شهادة طيبـة جاء فيها قوله : « وجدتهُ لطيف العبارة ، سهل المأخذ ، كبير الفائدة ؛ قد جمع من مقدمات التصريف ومقاصده ما فيـهِ كفاية الراغبين ورغبة المستكفين وقد رتبهُ المؤلف حفظهُ الله ترتيباً جميلاً فصل فيه أقسام

العلم وأجزاءه وأنواعه تفصيلاً حتى لا يتشوش مستفيده ولا يضلّ طالبه» . والكتاب مخطوط بخط جميل متقن ومنقول بالزنكوغراف نقلاً بديعاً جاء معهُ تحفة في فن الطباعة

* مصر وسوريا — عنوان بحث سياسي انتقادي في تاريخ علائق القطرين المصري والسوري قديماً وحديثاً . وضعهُ حضرة الكاتب البارع الشيخ بولس مسعد صاحب «لبنان والدستور» و «دليل سوريا» ، وأهداه الى اللجنة المؤلفة لمساعدة المنكوبين في حريق دمشق ، فاستحق الثناء الجمّ على عمله . ومن عرف ميل الكاتب الى المباحث التاريخية ولا سيما ما كان يتعلق منها بمصر وسوريا عرف قيمة هذا الكتاب الكثير الفوائد على صغر حجمه

* الخيل وفرسانها [١] — للدكتور نجيب بك الخوري الطبيب الأول لحكومة جبل لبنان ولع شديد بالخيل وتربية الافراس الجياد . وقد دفعهُ هذا الولع الى وضع كتاب قال عنهُ انهُ « ثمرة أتعاب ثلاثين سنة قضاها بين الخيل وفرسانها والبحث عن الجواد العربي والفروسية عند القبائل البدوية » ولم يكتفِ حضرته بخبرته في هذا البحث بل زار من أجل التوسع والتدقيق فيهِ مدارس اوروبا العليا ونقّب في تعاليم الافرنج في هذا الفن ثم أودع كل تلك الفوائد في كتاب سماه «الخيل وفرسانها» فتصفحناه فوجدناه وافياً بالغرض الموضوع له وجديراً بعناية المولعين بالخيل والمتاجرة بها ولا سيما أندية السباق في مصر وفي سوريا . فنثني على المؤلف أطيب الثناء لعنايته بهذا الموضوع الذي طالما عني بهِ فرسان العرب وأفاضل الكتاب

* الرقيّ والاعتدال [٢] — هو هذا الكتاب الذي سبقنا الى درسه بعض الكتاب المجيدين في بعض الصحف والمجلات الأدبية . أهداه الينا مؤلفه الفاضل اسكندر افندي قزمان فالفيناه سلسلة مباحث في ما يجب تناوله بالاعتدال من المسائل الاجتماعية ووسائل الترقي . وهذا الكتاب هو الحلقة الاولى من تلك السلسلة

---

(١) طبع في المطبعة الانطونية في بعبدا (لبنان) ويطلب من جميع المكاتب (٢) طبع في مطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها وثمنه عشرة قروش

ومداره على الفتاة وعلاقتها بالتمدن والحرية وما يتفرع عن هذا الموضوع ، مع آراء طائفة من مشاهير الكتاب فيه . وقد ختمه بارجوزة في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً ونيف موضوعها الفتاة العصرية . والكتاب في مجمله مفيد لمحبي هذه المواضيع التي يسرنا ان يكثر عدد الباحثين فيها والمولعين بقراءتها لأنها أنفع من معظم الأقاصيص الرائجة تجارتها في هذه البلاد . فجذا العمل الذي قام به اسكندر افندي وعسى ان يجد من الاقبال على كتابه ما يشجعهُ على اتمام هذه السلسلة

• شهيدة شهر العسل [1] — رواية تقع في ٣٠ صفحة وضعها الأديب فيليب افندي داود فرحات . ومدارها على غرق الباخرة «تيتانيك» وهي اجتماعية تاريخية غرامية تمثلت وقائعها في تلك الحادثة الهائلة

• طرق البناء في مصر — خطاب فني تاريخي يبحث في أساليب البناء القديم والحديث في هذا القطر ألقاه جناب المستر ريتشموند المدير العام السابق للمدن والمباني الاميرية وترجمهُ حضرة الكاتب الفاضل وديع افندي البستاني

• آراء الدكتور شبلي شميّل [2] — آخر ثمرة من ثمرات المطابع في هذا الشهر رسالة كتبها الدكتور شميّل وقد جاء في اولها :

نشرت جريدة الاخبار منذ مدة للكاتب ا . ش . انتقاداً على كتاب « خالد » للريحاني جاء فيهِ تعريض بآرائي وانها آراء غريبة . ولما كان هذا القول يشبه ان يكون صدى رأي الجمهور اكثر من ان يكون رأي الناقد الخاص ، ولئلا يرسخ في الاذهان ان الغرابة هي دائماً في مخالفة الشائع المشهور ، رأيت ان أنشر هذه الكلمة في رسالة على حدة جلاءً للحقيقة عملاً بقولي : « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم » فقط

---

(١) طبعت بمطبعة جدعون وتطلب من مكتبة التوفيق في بيروت

(٢) طبع بمطبعة المعارف بمصر

أزهار وأشواك

من بحمدون الى الرافعي

نشر السيد مصطفى صادق الرافعي في الجزء الثالث من هذه المجلة قصيدة لطيفة عنوانها « الى بحمدون » — وبحمدون قرية جميلة في جبل لبنان — تأوَّه فيها من النوى وسكب « عبرات البين » على فراق ليلى . فوصل صدى زفراتهِ الى تلك الربوع ، وجاءه جواب « ليلى » منظوماً بقلم حبيب افندي ثابت . نسمةٌ لطيفة هبَّت من قمم لبنان فأحببتُ ان تسري الى القرَّاء من نافذتي ، لا سيما وقد حُرِم الكثيرون في هذا الصيف من نسيم لبنان البليل ؛ واليك بعض ما في الجواب :

«ليلى» تحيِّيكَ من أعلى « بحمدون » ... والبينُ فاعلمْ كما يُشجيك يشجيني

إن كنتُ قد متُّ بعد البين من شجني ... « فبعض ما كان قبل البين » يُحييني

او كان للمرء دينٌ يستعزُّ بهِ ... فمنتهى عزَّتي أنَّ الهوى ديني

« والصادق » الحبّ يبقى في مودَّتهِ ... ان حالَ من دونهِ بينٌ ومن دوني

لهُ بمصر مقامٌ طابَ مرتعُهُ ... تصوُّر الفكر يدنيهِ ويدنيني . . .

وينبض القلب في طيّ الضلوع كما ... يرفُّ نحلٌ على خضرِ الرياحينِ

وان عينيَ من وجدي تُمثّل لي ... « أهرامَ » مصر تناغي طودَ «صنّين»

اني لأذكر مصراً لا لبهجتها ... لكنْ لمن هو من مصرٍ يحيّيني

وأذكرُ الحرَّ والحرُّ الشديد بها ... كنارِ قلبي لا تعنو لتسكينِ

الاَّ اذا « صادقٌ » وافى وأدركني ... محمومةً فهو من يأسو فيشفيني

ثم شاركت ليلى الرافعي في شكواه ، وتمنت لقياه في الجبل

حيثُ النسيمُ عليلٌ في خمائلهِ ... اذا سرى لم ينبه طرف نسرينِ

والماء يجرى على الحصباء في غُدُر مثـل اللجين على درٍّ يحلّيني
والكرم يبدو لنا كالدرّ ناضجه لوناً فيعنيك معنـاه ويعنيني

* *
*

اليَّ يا « صادقاً » في الحبِّ مرتهناً قلبي فما أنا من يحيا الى حينِ . . .
وان ضَننتَ ففي الخالين ما برحتْ ليلى تحيّيك من أعلى بحمدونِ

بقي سؤالٌ لي أوجّههُ الى الرافعي وهو : هل ليلاكَ يا أبا السامي « أخيلية » ام « خيالية . . . ؟ »

سوق عُكاظ

عُقدت هذه السوق في مصر في فندق الكونتنتال منذ شهر من الزمن على طرزٍ حديث واسلوب شائق جميل ترأسها امير الشعر في مصر ، احمد شوقي بك ، وتصدّرها ناظر المعارف العمومية ، احمد حشمت باشا ، وحضرها كل ذي مقامٍ في دولة الأدب ، وتبارى في ميدانها نثراً ونظماً ، أشهر من نثر وأبلغ من نظم . لم يكن موضوعها المفاخرة بين قبيلتين ولا التحكيم بين شاعرين ، بل إكرام حافظ ابرهيم الشاعر وتهنئته «ببكويته» . في الجزء الفائت قلتُ كلمتي في الرتب والالقاب ، وفي لقب حافظ على الأخص . وكلمتي اليوم قاصرة على هـذه الحفلة او بالأحرى على الاشارة اليها فقط . لأني كنت قد جمعت لقرّائي أهم ما قيل فيها من طيب الشعر وجيد الخطب . ثم نظرت الى الاتعاب والمشقات التي كابدها سليم سركيس فقدّرتها قدرها ، وأبيت ان أحرمهُ الانتفاع بتعبه كما فعل بعض الصحف بسبقه الى نشر ما نُظم وكتب خصيصاً له . ولهذا أكتفي بتوجيه أنظار القراء الى العدد الأخير من مجلته وقد دوّن فيه جميع القصائد والخطب التي قيلت في حافظ . فاهنئه واهنئ شريكه في العمل داود بركات فانهما أقاما هذه الحفلة فاكرما الأدب ورفعا شأن الادباء وحملا فريقاً من كتّابنا على شحذ قريحتهم بعد ان كادت تصدأ فسمعنا نغمات مطربة كانت قد خمدت حيناً من الزمن

شارع الفجالة

لاحظ القرّاء منذ مدة تغييراً في عنوان مجلة « الزهور » فبعد ان كانت الادارة في أول شارع الفجالة أصبحت في نمرة ٧٢ منهُ . مع ذلك فهي لم تبرح مكانها ولم تنقل منهُ قيد شبر . والسرّ في هذا الأمر ان محافظتنا — حفظها الله — رأت من الحكمة ان تغيّر اسماء بعض الشوارع . وتقلب نمر البعض الآخر رأساً على عقب ، فأصبح الأولون آخرين والآخرون أولين . وهذا بعض ما أصاب شارع الفجالة فصار أوله الآخر وآخره الأول باعتبار النمر . وفي هذه المناسبة أقترح على اللجنة التي غيّرت اسماء بعض الشوارع ان تبدل اسم شارع الفجالة **بشارع الادب** وذلك لأنهُ لم يبقَ في هذا الشارع من أثر للفجل والفجالين . وهو من جهةٍ ثانية شارع الجرائد والمجلات والمطابع والمكاتب . ففي أوله — أو في آخره حسب الترتيب الجديد — مكتبة ومطبعة المعارف ، ومجلة الزهور ، ومكتبة الهلال ، ومطبعة ومجلة الروايات الجديدة ، ومجلة سركيس ، ومجلة فتاة الشرق ومجلة الجنس اللطيف ، وجريدة الوطن ، ومطبعة وجريدة الأخبار وجريدة مصر وجريدة الرقيب ومجلة المحيط ومجلة رعمسيس ومجلة فرعون وجريدة العمران ومطبعة العرب ، وادارة الهلال ومطبعتها حيث تطبع أيضاً مجلة طبيب العائلة ، ومطبعة السلام ، ومكتبة الاخبار ، ومكتبة الطلبة ، ومطبعة الجوهر الساطع وجريدتها . فترى مما تقدّم أي عددٍ من المطبوعات والنشرات يصدر من هذه البقعة الصغيرة في أرض العاصمة ، ويُنشر في أربعة أقطار العالم . أفلا يجدر ان يسمى مثل هذا الشارع الذي ضمّ بين جنبيه جميع هذه الصحف والمجلات والمطابع « بشارع الأدب » ؟

ماصر

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس — اكتوبر (ت ١) ١٩١٢ — السنة الثالثة

القنصل الروماني والوالي العثماني

أتيليوس ريجلوس وصبحي بك

لما احتلّ الايطاليون جزيرة رودس منذ بضعة أشهر أسروا واليها صبحي بك ، وظل عندهم معتقلاً مدة من الزمن ، حتى وافتنا الصحف في الشهر الغابر بخبر الافراج عنه . وذلك ان الايطاليين أطلقوا سراحه ليعود الى الاستانة فيفاوض حكومته العثمانية بأمر تبادل الأسرى الذين وقعوا في أيدي كلتا الدولتين المتحاربتين . وأعطت حكومة رومة صبحي بك مهلة شهر ليقوم بهذه المهمة ، فاذا لم تفضِ المفاوضة الى نتيجة ترضي الفريقين عاد الى الأسر

قرأنا هذا الخبر في جرائدنا اليومية فذكّرنا حادثة من هذا القبيل جرت منذ اثنين وعشرين قرناً تقريباً في حرب التحمت مواقعها ، كحرب اليوم ، على سواحل افريقيا ، وكان بطلها ، القائد الروماني ماركوس اتيليوس ريجلوس (Marcus-Atilius Regulus) وهو أحد أبناء رومة

القديمة الذين لا يزال التاريخ يردد أعمالهم العظيمة وأقوالهم المأثورة . وقد بلغ حب الوطن عندهم مبلغاً لم يبلغ اليهِ سواهم حتى انهم جعلوا هذه الفضيلة في مقدمة الفضائل التي يتحلى بها المرء وبها يفاخر . وما هذه الحادثة التي نرويها اليوم الا واحدة من تلك الحوادث المدهشة التي يتألف منها تاريخ رومة الجمهورية ورومة القياصرة

* * *

كان ريجلوس هذا قنصلاً لرومة سنة ٢٥٣ ق م . وكان زمام الجمهورية الرومانية في ذلك العهد في يد قنصلين يديران شؤونها . وكانت رومة على ايام قنصلية ريجلوس في حربها الأولى مع قرطجنة . فتولَّى ريجلوس قيادة الجيوش . وبعد ان انتصر على الاعداء في موقعة «إكنوم» البحرية تمكن من النزول بجنوده الى ساحل افريقيا حيث ظلَّ النصر محالفه حتى افتتح مدن الشاطئ ووصل الى مدينة تونس فشدَّد عليها الحصار . ولما أنس من الأعداء ميلاً الى عقد الصلح وضع لهم من الشروط القاسية ما لم يسعهم معهُ قبول السلم . وكان ان أتتهم من بلاد اليونان نجدة بقيادة القائد كسانتيبوس . فخرجوا على الرومانيين واشتبك القتال بين الفريقين فوقع ريجلوس اسيراً بين أيديهم . وظل في الأسر سنتين كاملتين

ثمَّ ان القرطجنيين أفرجوا عنهُ ، وأرسلوه الى رومة ليفاوض حكومتها بشروط الصلح وبأمر تبادل الأسرى ، بعد ان أخذوا عليهِ الأيمان المحرّجة انهُ يعود الى أسره اذا هو لم ينجح في ما هو مطلق لأجله .

— وهذا ما فعله الايطاليون اليوم مع صبحي بك — فوصل ريجلوس الى رومة ، وبلّغ مجلس الشيوخ (السناتو) المهمة الموكولة اليهِ . فتضاربت الآراء واختلف القوم في الأمر . فسُئل حينئذٍ ريجلوس عن رأيهِ ، فتكلم بجنانٍ ثابت عن وجوب رفض الصلح ، لأن في استمرار الحرب دمار قرطجنة ، وارتفاع شأن رومة على مناوئيها . اما بشأن تبادل الأسرى فأشار ايضاً بعدم القبول . لأن معظم الرومانيين المأسورين من الشيوخ الطاعنين في السن فاذا أُطلق سراحهم لا يجني الوطن منهم فائدة في القتال . اما القرطجنيون المأسورون في رومة فمعظمهم في مقتبل العمر فاذا أفرج عنهم عادوا الى بلادهم وكانوا عوناً كبيراً لها على رومة

أعرب ريجولوس عن هذا الرأي وهو عارف انهُ بهذا الكلام يقضي بنفسه على حريتهِ . لكن منفعة الوطن كانت فوق كل منفعةٍ سواها . فوافق المجلس على رأيهِ ورفضت رومة مطالب قرطجنة

وللحال أخذ ريجولوس أهبتهُ للسفر ليقفل راجعاً الى محل أسره ، فأحاط بهِ الشعب الروماني — وقد أُعجب ببسالته وتفانيه — وطلب اليهِ بالحاح ان لا يعود الى الأسر والعذاب المنتظر له ، فأبى . وأقبلت أمهُ وزوجتهُ تذرفان الدموع السخينة وتستحلفانهِ بالبقاء في وطنه لأن الموت الأكيد ينتظره عند الأعداء ، فأبى وقال : « حلفتُ أنْ أعود الى قرطجنة اذا لم تقبل رومة بمطالبها ، فلن أحنث بيميني مهما أصابني » . ثم ودَّع ذويه وسافر لا يلوي على شيء

فلما وصل الى القرطجنيين — وكان قد اتصل بهم حضّه لمواطنيه

على مواصلة القتال — حنقوا عليـهِ حنقاً شديداً وأذاقوه العذاب ألواناً . فكانوا يضعونهُ في برميل محشوٍّ بالمسامير ويدحرجونهُ من أعلى الجبل حتى يتخدَّش جسمه ، ثم يطلونهُ بالعسل ويعرضونهُ في أشعة الشمس فتحوم حوله الزنابير والحشرات فتذيقهُ من لسعاتها أشد الآلام . وظلوا بهِ على هذه الحالة حتى مات

هذه حكاية مثال الوفاء والبرّ باليمين عند قدماء الرومانيين. وقد تغنى بهـا الشعراء في قصائدهم وسبكها الكتّاب في روايات تمثيليـة ، وخلّد المصوّرون والنحاتون ذكرها في صوَرٍ وتماثيل بديعة

وهي تذكرنا بحكاية السموأل المعروفة ، وحكاية الطـائي وقراد مع النعمان [1]

***

رأى القارئ شدة المشابهة بين ارسال القرطجنيين القائد ريجولوس الى رومه وارسال الايطاليين الوالي صبحي بك الى الاستانة . فعسى ان يكتب الوالي العثماني في تاريخ قومه صفحةً مجيدة كما فعل القائد الروماني ، وان كان لا ينتظر صبحي ما انتظر ريجولوس من العذاب في الأسر

---

(١)　وقد جاء تفصيل ذلك في الزهور (سنة ٢ ص ١٢٤)

مقالات باكون

باكون أشهر مشاهير فلاسفة الانكليز ، كان له تأثير كبير في عصره ، وهو يُعدُّ مؤسس الفلسفة الحديثة المبنية على الاختبار والاستقراء . وقد شاء صديقنا محمد لطفي جمعه الكاتب الالمعي والأصولي الضليع أن يتحف قرّاء « الزهور » بمختارات من مقالات هذا الفيلسوف . واليك النبذه الأولى منها :

١ — أصحاب السلطة وأهل المكانة العالية

وإنّا أُناسٌ لا توسُّطَ بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ

إن من ولي أمراً كبيراً يكون عبداً ذليلاً لثلاث : أمته وصنعته وسمعته . فيطيع وليَّ أمره طاعةً عمياء ، ويردعه صيتهُ عما تميل اليهِ نفسهُ ، وتستغرق أعماله كل أوقاتهِ . وأيُّ رجل يشتري بحريته قوةً ، ويسعى لنيل الحول على غيره فيفقد سلطانه على نفسه ؟

وان أحد الناس يجهد نفسهُ لينال سمعةً . وما السمعة الاَّ أم المتاعب ؛ فقد يدفع حبُّها الرجل الى اقتراف الذنوب ، فيصل الى المكانة السامية بعد ان ينال شرفه الاذى

والسبيل الى العلى غير ميسر ، والدرب الى الصيت زلِق لا تؤمن عاقبة السير عليهِ . وان من تزلُّ قدمهُ فقد هوى ، او عاد ذليلاً محسوراً . وأذكر قول شيشرون « اذا أفل نجمُ سعدك ، وضعك سواد حظك وأمسيت وضيعاً بعد ان كنت رفيعاً ، فخليقٌ بك أن لا تعيش »

واذا شاء من حصل على السلطة والسطوة أن يتخلى عنهما لا يستطيع

الى ذلك سبيلاً . فاذا استطاع ذلك قلّت رغبته في التخلي ولو اشابه كرّ الغداة ومرّ العشيّ . ومثله كمثل العجوز من النساء ، فانها تفتأ تتبرّج وتتزين كأنها تهزأ بالدهر والدهر منها هازئ

واذا تاقت نفوس ذوي الصيت والسمعة الى السعادة يوماً ، فيكفيهم أن يسمعوا بها ممن يتطلب مكانتهم ويسعى في الحصول على ما لهم من السطوة والسلطان . لأنهُ لا يحبّب الصيت للانسان سوى ان مئين من الناس يتمنون ولو بجدع الأنف أن ينالوا مناله

ولو علم الناس بما يلاقيه أصحاب المكانة السامية من المتاعب ، لاكتفوا بما لديهم . ولكن

لا يعرف الشوق الاَّ من يكابده   ولا الصبابة الاَّ من يعانيها

وأحدنا أول من يشعر بهمومه ومتاعبه وآخر من يحس بعيوبه ومثالبه

وقد لا يستطيع من يقوم بشأن الناس أن يقوم بشأن نفسه ، فيكون أجهل الناس بحاله ويكون الناس أعرف بهِ منهُ

وان المكانة السامية تمكّن صاحبها من صنع الخير وعمل الشر . وخير ما ينجي من عمل الشر هو النية الصالحة وعدم القدرة على اتيانهِ . واما صنع الخير فهو أسمى المقاصد وخير ما تطمح له النفس الفاضلة . ومن كانت نيته صالحة فان له عند الله ثواباً وأجراً . اما الناس فلا يؤمنون الاَّ بما يرونهُ امامهم من الأعمال الصالحة . وليس في طاقة أحد الناس ان يصنع ما ينويهِ من خير، الاَّ اذا كان قادراً ذا سطوة ونفوذ . ولم يكن لله في خلق الانسان من غرض سوى أن يكون الانسان مخلوقاً خيراً ،

يعمل الخير ويقابل الخير بالخير. وليس يهدأ قلب الرجل في صدره ، الاَّ اذا صنع الخير أو نواه

وكن اذا وليت منصباً مقتدياً بمن سبقك اليهِ ممن كانوا مفلحين . ولا تنسَ أمر من أفسد قبلك لأن لك في أمره عبرة . واذا رأيت خللاً في ما بين يديك من العمل فاجهد نفسك في إصلاحه ، ولا تعجب بنفسك ولا ترمِ من سبقك بالعجز والتقصير

ولا تعمل عملاً الاَّ اذا كان النظام رائدك ؛ ولا تكن متشبثاً في أمورك . ولا تخفِ أمراً لا يخشى على عملك من افشائهِ

ولا تمكّن أحداً من سلب حقوقك . ولا تدع غيرك ينال مما لك من النفوذ منالاً . وكن عليماً بشؤون من وليت امورهم ، وكن منهم بمثابة العقل المدبر من الجسم المطيع

ولا تحجب نفسك عمن له شكوى يبثها . واسمع ما يبلغك من النصح والارشاد واعلم ان كل كلمة تطرق اذنك لها نفع في الحال او في المآل

وقد يجبر صاحب المنصب الرفيع على ذنوب يأتيها رغم أنفه . منها المهلة في انجاز الاعمال ، والتدني الى الرشوة ، والشدة واللين . ولئلا يتمكن منك حب المهلة في اداء ما يجب ، لا تحجب عنك من له شكوى يبثها ، ولا تخلف ميعاداً ، ولا تبدأ بعمل قبل ان تفرغ مما قبله ، ولا تمزج أمرين لا علاقة للواحد بالآخر ان استطعت ذلك سبيلاً

ولأجل ان تكون ذا عفة اربط يديك وأيدي غيرك ممن يأتمرون

بأمرك برباط القناعة . ومر نفسك ومرهم بأن لا يقللوا من مقدار نفوسهم ليكثروا من قدر ثروتهم . وكن غليظاً شديداً على من يهبك هبة لتعمل له عملاً . واذا كنت كاملاً عفوفاً فقد أمنت نفسك ومن يلوذ بك . ولا يرتدع من يحاول ان يرشوك الاَّ اذا أظهرت له الكمال والعفة ، وأبيت عليهِ التمليق والاكرام

ولا تجعل لأحد سبيلاً يمكنهُ من اساءة الظن بك . فان الشك اول مراتب اليقين . ومن شك في أمانتك لا يلبث ان يؤمن بخيانتك

واعلم ان من تناءى عن مشربه قد يحرّك نفوس أهل الشر والعدوان فيرتابون من أمره . فاذا شئت ان تحول عن مبدإ كنت بهِ معروفاً ، فلا تدع الناس يقولون ما لا يعلمون ، ولا تخفِ عليهم من أمرك شيئاً . ولا تقرّب اليك من هو أقل في المقدار فقد يظن أهل الشر انه واسطة في الشر وان المال يأتيك على يديه

واعلم ان الحدة والخشونة تولدان الكراهية والبغضاء . اما الصرامة والجفاء فتولدان الخوف والتبجيل . وكن اذا شئت ان تلوم من يستحق اللوم مهاباً وقوراً ولا تكن قادحاً مهيناً . ولا تكن ليناً فتعصر فان اللين يورث الذل والهوان . ومن يسرف في تبجيل الناس فقد أودع نفسه في أيديهم أسيراً

وللشهرة تأثيرٌ في خلق الرجل . وكان أحد الحكماء يقول : إنَّ أكابر الرجال صناديق مقفلة مفاتيحها الارتقاء الى ذروة المجد . فاذا بلغ أحدهم غايته ، فتح وبان ما فيهِ ان خيراً فخيرٌ وان شرّاً فشرٌّ

وبلوغ ذروة المجد يصلح النفوس الخيّرة ويفسد نفوس أهل الشرّ. وأنتَ ترى شبيه الشيء منجذباً اليهِ . فان كانت نفس الرجل كريمة جذبها الخير ، وان كانت شريرة جذبت اليها الشرّ . وليس للفضيلة الكامنة في النفوس مكان سوى المجد والشرف . ولذا ترى النفوس الكريمة وهي قبل ان تصل الى ما تعلل بهِ نفسها متقدة مشتعلة ، فاذا بلغتهُ اطمأنت وسكنت اليهِ كما يسكن الطفل الى صدر أمهِ

واعلم ان سبيل المجد وعرٌ . فارتكن فيهِ الى من يعضدك حتى تصل الى غايتك ، فتستطيع ان تقف آمناً شرّ السقوط . واذا جاء ذكر من سبقك فاذكره بالخير فان في ذلك خيراً لك ولهُ

واذا كان لك رفاق في عملك ، فكن معهم رقيق الجانب ، ليّن الخلق حسن العشرة . ولا تأنف من ان تشاورهم في الأمور ، ولا تكن في كل حال مستقلاً برأيك . واذا كنتَ مع قوم في حديث لا دخل له بعملك فاطرح العظمة جانباً وابدُ لهم كما يبدو الرجل الكريم

***

٢ — جمال الوجوه

جمال الوجهِ مع قبحِ النفوسِ كقنديلٍ على قبرِ المجوسِ

إنَّ النفوس الجميلة كالجواهر الكريمة ، لا يبدو بهاؤها الاَّ اذا رُصِّعت في قالب خلوٍ من التزيين والتحسين. وان طلعةً ترى فيها الهيبة والجلال خيرٌ من محيا ترى فيهِ البهاء والجمال

ولقد يندر ان ترى رجلاً ذا جمال فائق قد نال المكرمات وحاز الفضائل . وكأن الطبيعة شاءت ان يكون ذو الجمال خلواً من العيوب الظاهرة ، ولكنها لم تشأ ان يكون جميلاً كاملاً . ولذا أنتَ لا ترى بين أهل الجمال رجلاً ذا نفس كبيرة او عقل عظيم . وانهم يفضلون التأدّب والاحتشام على السموّ والعظمة . ويتمنى أحدهم ان يكون مكان الاجلال والاكرام . ولا يرجو ان يكون قابضاً على صولجان دولة الأقلام

ولقد حفظ لنا التاريخ ذكر كثيرين ممن جمعوا بين جمال الوجوه وكرم النفوس . فقد كان القيصر اوغسطس قيصر الرومان أجمل أهل زمانه . وكان اليونان يفاخرون الأمم بجمال السيباديس . وكانت أمة الفرس تضرب بجمال سلطانها اسماعيل الأمثال

وليس لون الوجه وحسن تقاطيعه ورقة الانسان ورشاقته تكفي لأن يكون جميلاً ؛ لأن الجمال معنى لا يستطاع التعبير عنهُ ، وليس في في قدرة المصوّر البارع ان يظهره في صورته . وقد لا يبدو ذلك المعنى الاَّ بطول المشاهدة

وليس الاحكام في الخلق جمالاً . وانك لا تجد الجمال النادر المثال الاَّ في شيء لم يبلغ فيهِ الاتقان حدَّه

ولقد زعم (أبلس) المصوّر أنهُ يصوّر أبدعَ الوجوه اذا ما أضاف الى عيون المهى أنفاً كالسيف أو أدقّ وثغراً كالدرّ والمرجان

وخطر ببال (ألبرت دورو) ان يخلق انساناً كامل الجمال اذا اعتمد في خلقهِ على التناسب في قياس الأعضاء

على ان مثل تلك الصورة لا تنال رضى غير مبدعها

وليس من المحال ان يصوّر مصوّرٌ وجهاً فيهِ من الجمال ما لم نرَه من قبل. على ان مثل ذلك الوجه لا تكون للفن او للصنعة فيهِ يد ، انما يكون خالقه قد أُلهم إلهاماً إلاهيًّا كما يوحى الى الشاعر بالمعاني والى المغني بالأنغام وانك ترى وجوهاً ليس للإحكام فيها أثرٌ واذا نظرتَ اليها وجدتَ بها من الجمال ما لا تجده في سواها

وليس للشباب يد في الجمال . وان صدق قول القائلين بأن رشاقة الحركات أصل كل جمال لكانت المرأة البالغة من العمر عتياً أجمل من الفتاة اليافعة لأنها نالت من الرقة والرشاقة حظاً أوفر

وقد جاء في المثل السائر ان الشباب جمال وقد يحق ذلك القول على الشباب اذا عُدّ جمالاً ، لأنهُ ستار للعيوب والجمال كثمر الغيظ لا يلبث ان ينضج حتى يبلغهُ الفساد . وقد يكون الجمال والشباب مفسدة للمرء أي مفسدة

ولو كان الجميل فاضلاً بانت فضائله كالشمس التي تكامل ضوؤها . ولو كان ناقصاً بدا نقصه كالغيم في السماء الصافية

نقله عن الانجليزية

محمد لطفي جمعه المحامي

في رياض الشعر

الشامية

اشرنا في سنة « الزهور » الثانية ص ٩٠ رسم الأخوين الشاعرين تامر بك وشبلي بك ملاَّط . وأشرنا الى مرض الاكبر منهما الذي أصيب بذهول في عقله . وهو لا يزال في دائهِ يُنشد الشعر المطرب من حينٍ الى حين عندما يفيق من ذهوله . وقد جاءتنا هذه القصيدة البديعة قالها شاعرها العبقري في مرضهِ :

روحي فِدى ظبياتِ الشامِ والشامِ　　ولو كلفنَ ولوعاتٍ بإعدامي
بين البريد وجابيها على كثبٍ　　أضعتُ قلباً معنًّى نضوَ أسقامِ
ما أنسَ لا أنسَ اذ بالجزع من بردَى　　صوبُ اللجين يساري مدمعي الهامي
تمرُّ ريحُ الصبا بالروضِ حاملةً　　للكوثر العذبِ ريّا عرفهِ النامي
وزاجل الماء يروي للنسيم ضحىً　　بردَ الجنانِ بتلحين وأنغامِ
واشٍ ينمُّ ونمّام يشي أبداً　　أحببْ بذينك من واشٍ ونمّامِ

⁂

يا ظبيةً زوّدتني نظرةً تركت　　روحي تسيلُ على أطرافِ أقدامي
ما ضرَّ بالشامِ لو ثنّيتِها فمضت　　بمهجتي وانقضى تبريحُ آلامي
أنتِ المكسّرة الأسيافَ صائلةً　　بمرهف النصل ماضي الحدّ صمصامِ
وما تخذتِ شعار السيف في لقبٍ[1]　　الاّ بجامع فتك الصارم الظامي
مكسور جفنكِ لو جرّدتِ باترَهُ　　يبري صحاحَ المواضي بريَ أقلامِ
لو تعرضين لذي مسحٍ بصومعةٍ　　في القدسِ منقطعٍ بالنسك قوّامِ

(١) اسم الحبيبة هند

أعطاكِ أجمع ما صلّى مناجزةً بنظرةٍ من صبيحٍ منكِ بسّامِ
وراح يمسح عثنوناً وعنفقةً تيه المقامرِ لاقى نجحَ أزلامِ
ولو سموتِ لذات الرملِ سافرةً بسفح دُمّرَ أو في هامة الهامي
ظنّتكِ جؤذرَها الوسنانَ فابتدرتْ تدعوهُ بين يعافيرٍ وآرامِ

☆☆☆

ما الروض باكره طلٌّ فرتّله كاللؤلؤ الغضّ من زهرٍ وأكمامِ
أبهى وأطرب نشراً منكِ ناضيةً بكلةِ الخدر ذا وشيٍ وأعلامِ
لو في الملاحةِ عن شمس النهار غنى كفيتِ رمضاءها مستوطن الشامِ

☆☆☆

يا ظبية الشام ردّي قلبَ مكتئبٍ أو شاركيه بوجدٍ جارحٍ دامِ
ولستُ أطمع في قربٍ بخلتِ بهِ خوف احتراقكِ في مستوقد حامِ
أصبحتُ جذوة نارٍ تلتظي لهباً ستبصرينَ رمادي بعد أيامِ

(لبنان) ناصر مهلوظ

﴿ الأسد الباكي ﴾

نظم الشاعر هذه القصيدة منذ سنتين ، وهو معتزلٌ في « عين شمس » للاستشفاء من داءٍ ألمّ بهِ ، وسألناه يومئذٍ نشرها في « الزهور » فاعتذر بأنها من الخصوصيات التي ينظمها لنفسه . وكان بعد ذلك ان امتدّت اليها احدى الأيدي على غير علمٍ من الشاعر وتلاعب بها النسّاخ ، فنشرت في بعض صحف سوريا وأميريكا مبتورة مغلوطة ، ونُسب فيها الى ناظمها أغراضٌ لم تخطر له ببال . فلم يسع الشاعر والحالة هذه الاّ ارسالها الينا لنشرها على حقيقتها

دعوتُك استشفي اليكَ فوافني على غير علمٍ منك أنكَ لي آسي

فإن ترني والحزن ملء جوانحي　　اداريه فليغررك بشري وايناسي
وكم في فؤادي من جراحٍ ثخينةٍ　　يحجّبها برداي عن أعين الناسِ
تخذت لهمّي «عين شمس» مباءةً　　فثمّت إضحائي فريداً واغلاسي
يخالون أني في متاعٍ حيالها　　وبئس متاع الحيّ جيرة ديماسِ
أرى روضةً لكنها روضةُ الرّدى　　وأصغي وما في مسمعي غير وسواسِ
وأنظرُ من حولي مشاةً وركّباً　　على مُرجَيَاتٍ من دخانٍ وأفراسِ
كأني في رؤيا يزفُّ الأسى بها　　طوائفَ جنٍّ في مواكبِ أعراسِ

* * *

وما «عين شمس» غير ما ارتجل النهى　　بقفرٍ جديبٍ من مبانٍ وأغراسِ
بنوها فأعلوها وما هو غير أن　　جرتْ أحرفٌ مرسومة فوق قرطاسِ
بدت إرمٌ ذات العماد كأنها　　من القاعِ شدَّتها النجومُ بأمراسِ
كفتها ليالٍ نزرةٌ فتجدّدت　　ثوابت أركانٍ رواسخ آماسِ
وغالط فيها البحثَ ما خالط الحلى　　بها من ضروبٍ محدثاتٍ وأجناسِ

* * *

هناك أبيحُ الشجوَ نفساً منيعةً　　على الضيم مهما يفللِ الضيم من باسي
يمرُّ بيَ الأخوانُ في خطراتهم　　أولئك عوّادي وليسوا بجلّاسي
أهشُّ اليهم ما أهشُّ تلطفاً　　وفي النفس ما فيها من الحزن والياسِ
ذروني وآنجوا من شظايا تصيبكم　　اذا لم أطقْ صبراً فأطلقتُ أنفاسي
فاني على ما نالني من مساءةٍ　　لأرحمُ صحبي ان يلمَّ بهم باسي
ذروني لا يملكْ وجيبي قلوبكم　　اذا مرَّ ذاك الطيف وادّكر الناسي
فتالله لولا ذلك الطيفُ والهوى　　لهُ مُسعدٌ لم يملكِ الدهرُ اتعاسي
ذروني أحسُ الخمر غير مُنفّرٍ　　عن الوردِ منها نفرةَ الطائر الحاسي

فرَّبتَ كاسٍ عن شفاهي رددتُها   وقد قتلَ الدمع السُلافة في الكاسِ
ذروني أنكسْ هامتي غير متقٍ   ملامة رُوَّادٍ وشبهة جُوَّاس
فبي حرَّةٌ بكرٌ ضلوعي سياجها   أراشَ عليها سهمهُ معتدٍ قاس
أُعيدُ اليها كلَّ حينٍ نواظري   وأخفضُ من عطفٍ على جرحها راسي

☆☆☆

يكادُ يبثُّ الجدَ ما لا أبثُّهُ   من السَقَمِ العَوَّادِ والسأمِ الراسي
أنا الألمُ الساجي لبُعد مزافري   أنا الأملُ الداجي ولم يخبُ نبراسي
أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسى   أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماس
فيا منتهى حبّي الى منتهى المنى   ونعمةَ فكري فوق شقوة احساسي
دعوتُك أستشفي اليكَ فوافني   على غيرِ علمٍ منك أنك لي آسي

خليل مطران

﴿ النيل السعيد ﴾

صفت مرآتهُ وجلاهُ جالٍ   فلاح كأنهُ ذوبُ اللآلي
وغازلتِ الحدائقِ شاطئيهِ   وألقت فوقهُ خضرَ الظلالِ
فكم غصنٍ قد ارتسمت حلاهُ   عليهِ تهزُّه ريحُ الشمالِ
كما ارتسمت على المرآة خود   يرنّح عطفها خمرُ الدلالِ
وناحيةٍ برمانٍ أظلّت   وناحيةٍ بأعراش الدوالي
ونخلٍ باسقاتٍ كالعذارى   تثنّى في غدائرها الطوالِ
خلعنَ الحسنَ منعكساً عليهِ   فآنسنَ الحقيقة بالخيالِ
وحلّى ألسنَ الأطيار منهُ   وقال لها اذكري باري جمالي
فجنَّ الطيرُ باسم الله حتى   تدانى الله والسبع العوالي

فآمن بالبديعِ الصنعِ قلبي وفاض الطرف بالدررِ الغوالي
وسار النيل يطلبُ وصل مصرٍ وهل يُرضي المحبَّ سوى الوصالِ
تُضاحكه الغزالة في علاهـا وبدرُ التمِّ في أوج الكمالِ
عذارى الغربِ قد سحتنَّ شرقاً وغرباً للجنـوب وللشمالِ
أمثل النيلِ شاهدتنَّ نهراً تفرَّد بالمحاسن والجلالِ
لئن كان الألى عبدوهُ ضلّوا فربَّ هدايةٍ تحت الضلالِ
أحبُّ النيلَ حبَّ أبي وأمي وأهوى مصرَ فوق دمي ومالي
وبي عن كلّ مشروب حرامٍ غنى برضـابهِ العذب الحلالِ
رضعتُ هواه في مهدي صغيراً وحينَ أشابت الدنيا قذالي
بلادي لا أروم بهـا بديلاً ولو أُسكنت في روض المآلِ
وما فكّرت في الأهرام الاَّ بكيتُ مفاخرَ الحجج الخوالي
فلولا يمسك التوحيدُ ركني سجدتُ لتلكم الرمم البوالي
بودّي لو قرعتُ صفـاة همي بأمثال الجبالِ من الرجالِ
فبي وخزٌ من الأيام جافٍ على جرحٍ قريب الاندمالِ
أيمضي الدهر لا ميت فأنسى ولا أشفى من الداء العضالِ
وما لي لا أرى الاَّ ظلاماً يكاد يغضُّ من نور الهلالِ
وما بالي أهمُّ بمـا أُرجّي فتقعدَ بي على نضو رحالي
بني يا نيـل أرمي مَن رمانا وقد خلتِ الكنانةُ من نبالِ

(حلفا) **محمد توفيق علي**

يوزباشي بالجيش المصري

نجيب وامين الحداد



الشيخ نجيب الحداد

قد كان لي جسمٌ رسمتُ خياله　　حرصاً عليهِ قبل يوم زوالهِ
واليوم أوشك ان يزولَ من الضنى　　فأنا لكم أهدي خيالَ خيالهِ

في التاسع من شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ ، أصيب الأدب العربي بركن من أركانه ، وبكى الشعر العصريّ أميراً من اكبر أمراء ديوانه ، بوفاة الشيخ نجيب الحدّاد من لا يزال الأدباء حتى اليوم يلقبونهُ بفقيد النظم والنثر ، لأنهُ أحيا موات كلتا الصناعتين وترك لنا من آثار منظومه ومنثوره ما يخلّد له اكبر ذكر

لم تتجاوز سنو حياة النجيب الاثنتي والثلاثين ، لكنهُ وضع فيها من

الروايات والمقالات والقصائد ما لا نعرف ما يوازيه قدراً ومقداراً من مؤلفات كتّاب العصر

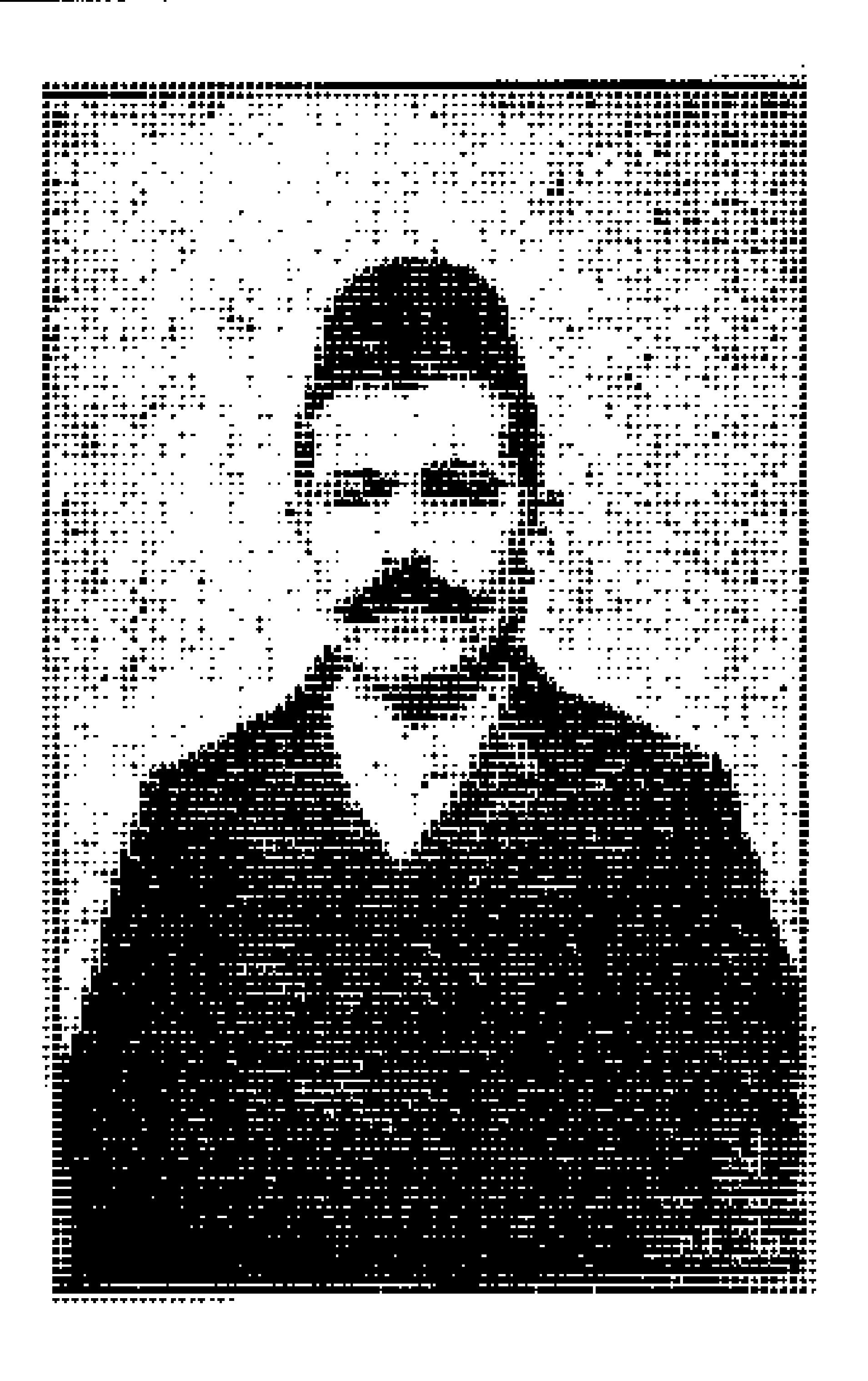
لم يمضِ على وفاتهِ الا ثلاثة عشر عاماً وبضعة أشهر ، حتى راشت المنية سهماً جديداً ورشقتهُ الى تلك الأسرة فأصابت كبد شقيقه الشيخ امين ، وقد اغتالت في هذه الفترة ، بين موت الشقيقين ، خالهما اديب العصر الأكبر ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، آخر أنجال الشيخ ناصيف ، فكانت خسارة الأدب بالثلاثة فادحة ، وكانت صفقة الموت بهم رابحة

شعرَ الشيخ امين في السنة الغابرة باشتداد التعب عليهِ ، فسافر في أوائل هذا الصيف الى جبل لبنان للراحة والاستشفاء ، فما ردَّ وطنه عنه مقدوراً ، ولا أكسبهُ راحة ، ولا جاد عليهِ بالشفاء من الداء ، فمات في عين قني من قضاء الشوف ، بعد ان ارتوت نفسه من مرأى وطنه ، وشبعت عيناه عن مناظر جباله ووهاده . الشيء الذي مات اخوه نجيب متشوقاً اليهِ ، متحسراً عليهِ ، فقال وهو محتضَر :

مات النجيب فأرّخوا قبراً له   قد مات مشتاقاً الى لبنانِ

* * *

وُلد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ بعد ميلاد شقيقه الشيخ نجيب بثلاثة اعوام ، ومات وهو في الثانية والاربعين من عمره ، فكان نصيبه من هذه الحياة عشر سنوات اكثر من نصيب أخيهِ . وقد تلقى دروسه الأولية في مدارس سوريا ، وأخذ العربية كشقيقهِ عن خاليهِ المشهورين ابرهيم وخليل اليازجي



الشيخ امين الحداد

تمتّعتُ من دهري بما هو حاصلٌ	سواء لديَّ الغرمُ فيهِ أو الغنمُ
وما كنتُ من أهل اليسار وانما	لقد كان همي انني ليس لي همُّ
أتيتَ ولا تدري وها أنتَ سائرٌ	الى حيث لا تدري فحسبك تهتمُّ
وخذْ فرَص اللذاتِ قبل فواتها	ألم ترَ ان الجسم يخلفهُ رسمُ

نظم طانيوس عبده

وكان أول عهده بالصحافة في جريدة « الاهرام » التي ظلّ أخوه يحرّر فيها عشر سنوات على أيام المغفور لهما سليم بك وبشاره باشا تقلا . ثم انفصل الأخوان عن الجريدة المذكورة ، واشتركا في انشاء جريدة

«لسان العرب» الشهيرة سنة ١٨٩٤ . فأصبحت حياتهما الادبية مشتركة .
وهما في ذلك العهد ، يذكرانا بمعيشة الأخوين الشاعرين بطرس وتوما
كورنيل ، اذ كانا ينظمان وهما في منزل واحد ، فينادي الواحد الثاني
عندما تعصاه القافية . « يا أخي أعرني قافيةً »

وقد كتب الشيخ امين فصولاً شائقة على صفحات «الجامعة العثمانية»
وجريدة « السلام » ومجلة « أنيس الجليس » . ثمّ دخل في جريدة
« البصير » لصاحبها رشيد بك شميّل ؛ وظلّ ثلاثة عشر عاماً يدبّج فيها
من المقالات الرنانة ، والملح الأدبية المستظرفة ، ما حمل البعيد والقريب
على الشهادة له بسرعة الخاطر ، والرشاقة في التعبير ، والسهولة في التفنن
بأساليب الانشاء والشاعرية الحقيقية ، ومضاء القريحة

وقد اتفق كلّ من عرف الأمين على وصفهِ بكرم الأخلاق ، ولطف
العشرة ، وخفة الروح ، ورعاية الذمام ، والقناعة والتواضع والبعد عن
كل تظاهر . وقد سألنا حضرة الشاعر طانيوس افندي عبده — وقد
كان رفيق الاخوين الشاعرين وثالث هذين القمرين — عن رأيه في
الشيخ امين ، فأجابنا بالابيات الاربعة التي تراها تحت صورة الفقيد ،
وقال: هذا هو الشيخ امين وهذه هي حياته وليس لي من الابيات الا نظمها

ولئن بكى فيهِ الأدب كاتباً بليغاً وشاعراً رقيقاً ، فان اصدقاءه
يبكون فيهِ فوق ذلك ، خلاً وفياً وصديقاً صدوقاً

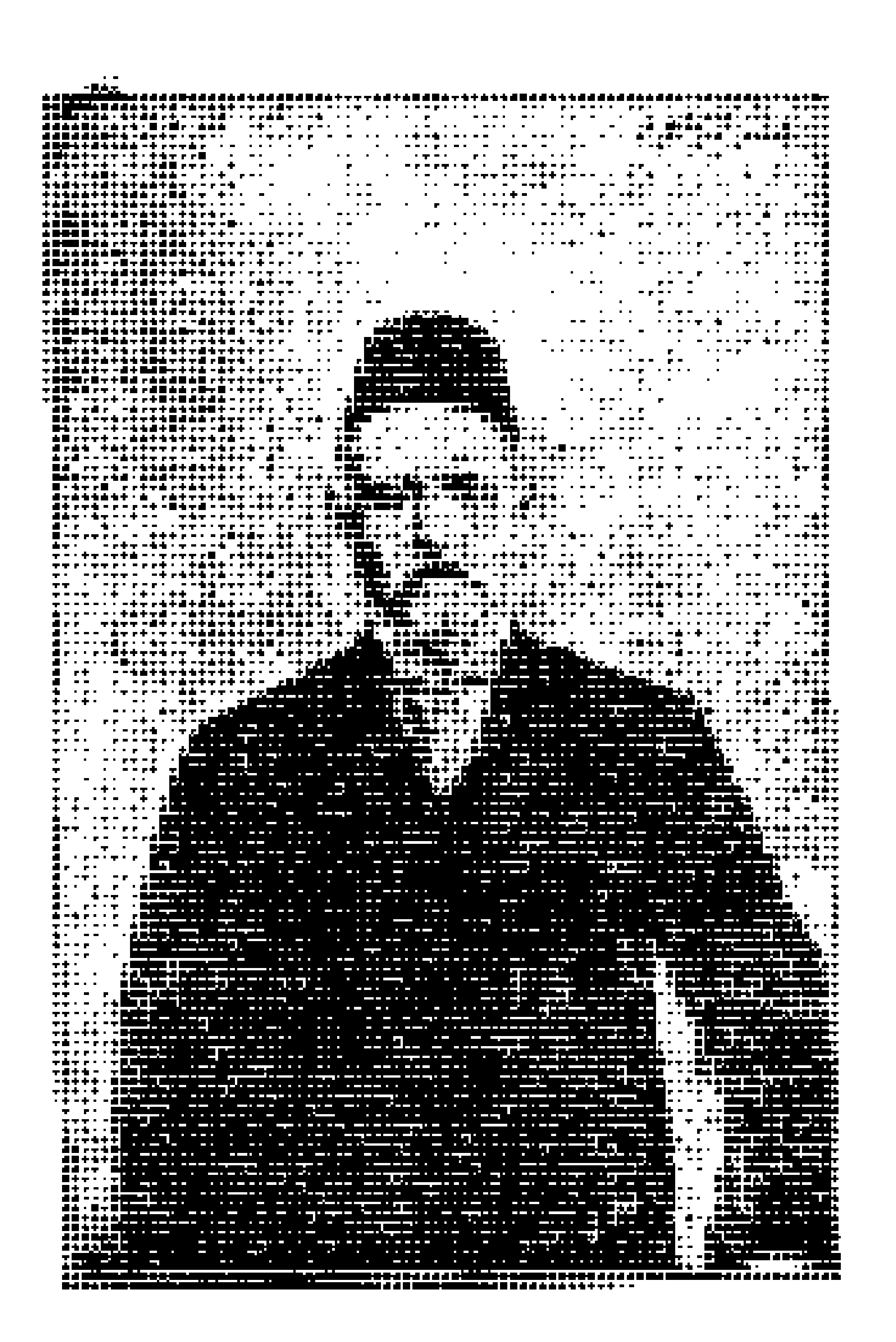
في اول سنة ١٩١١ اقترح الأديب محمود افندي ابرهيم ، صاحب
« الاكسبرس » الاسكندري ، على فريق من الكتّاب أن يعربوا عن أمانيهم في

مطلع العام الجديد ، فكتب المرحوم الشيخ امين الحداد نبذةً في هذا الموضوع أحببنا نشرها للقراء لأنها تنمّ ، من وراء ستار الهزل ، عن مللٍ من الحياة وتعبٍ من العمل ، كأن صاحبها كان يشعر بدنو أجله ، وقد تحققت امنيته لسوء الحظ ، ورقد رقاده الأخير مستريحاً راحة ابدية ، قال رحمات الله عليهِ :

أنت تعلم أنني منذ عشرين سنة وأنا خادم في دولتين عظيمتين خدمة لم تنقطع يوماً واحداً ، وهما دولتا الصحافة والكأس . بل اذا سامحتني دولة منهما يوماً أو بعض يوم ، كان ذلك مخصصاً لخدمة الدولة الأخرى . ولقد ترى حصان المركبة يُحلُّ لجامه ، ويُطلق الى المراتع ليستأنف حياته ونشاطه ، بل لقد ترى أمواس الحلاّق ، وهي جماد ، تُراح من العمل لتستعيد حدتها ورهفها . اما خادم هاتين الدولتين فلا يُسمح له بشيءٍ من ذلك ، بل لقد اكون أنا المخصوص دون سائر الزملاء بهذه المهنة (التي تبِعَتها عليَّ وليس لي منفعتها) . فلطيور السماء أوكار ، ولثعالب الأرض أوجار ، وأما هذا الخادم فليس له مكان يضع فيهِ رأسه ليستريح الا ان يكون ذلك الموضع الاخير ، وربما يكون في احدى زوايا «البصير» لذلك تراني لا أتمنى في سنة ١٩١١ الا ان أُحال على المعاش في احدى هاتين الدولتين ، ولكنني أتمنى معاش الصحافة ، فقد خدمت دولتها اكثر جداً من دولة الكاس التي لا يزال لها عليَّ ديون وحقوق . فهل « للاكسبريس » ان « يسرع » في تحقيق هذه الامنية لهذا «المتأخر» الذي طال انحباسه ، وضاقت أنفاسه ، وملّت من الانتظار كاسه

امين الحداد

حياة الأخوين



١ — سعيد الشرتوني

ويراعةٍ فُجعت بفقد وحيدها　　كالأُم قد فُجعت بفقدِ وحيدِ
كلُّ المصائبِ هيّناتٌ عندَها　　إلاَّ المصيبةُ بالإِمام سعيدِ

في التاسع عشر من شهر آب الفائت فجعت اللغة العربية بعلَمٍ من أعلامها العالية ، الامام الكبير المغفور له الشيخ سعيد الخوري الشرتوني ، رافع لواء الفصاحة والبيان في الربوع السورية ، ومعزّز فن التأليف بما انشأه من الكتب الجمة الغزيرة الفوائد على المدارس العلمية

وهو أحد الافراد الذين تجود بهم فلتات الزمان حيناً بعد حين ، فيحدثون انقلاباً في ما تركه الأولون للآخرين

« حياته » — وُلد صاحب الترجمة في بلدة شرتون نحو سنة ١٨٤٧ ؛ وأبوه عبد الله بن ميخائيل بن الياس ابن الخوري شاهين الرامي . كان وهو صبي كثير الزيغان فساقهُ زيغانهُ الى قتل احدى قريباتي . وحديث الأمر انهُ كان لنا بين بيتنا وبيت عبد الله بلوطة جاءتها مرّة الصغيرة ياسمين ابنة عمّ أبي ، وصعدت اليها تقطف البلوط ؛ فبصر بها سعيد فانتهرها ، فأبت النزول بحجة ان البلوطة مُلك عمها ، فكان انهُ أسرع الى البيت وأتى بالبندقية المحشوّة وأطلقها على الابنة فسقطت من علُ لا حراك بها ... تراوحتُ متردّداً في ايراد هذه الحكاية ، فرأيت أنّ من الوفاء بالتاريخ ايرادها على حين انها ليست غباراً على حياة الفقيد لصغر سنّه حينذاك . فأرسله أبوه الى مدرسة عبيه ، حيث تلقن مبادئ العربية فقط ، ثم شرع بالمطالعة لنفسهِ بما فيهِ من الميل الى العلم . ودرّس برهة في مدرسة عين تراز للروم الكاثوليك ، ثم عقد وأبي العزيمة على غشيان بغداد للتدريس فيها ، فجاءت الانباء بانتشار الوباء فيها فانثنيا ، وارتحل سعيد الى الشام حيث درّس زماناً ، ثم هبط بيروت واشتغل عند اليسوعيين في العلوم العربية ، ونبغ وأجاد . فألّف عندهم ونقّح وصحّح طائفة من الكتب المفيدة . ولبث عندهم زماناً طويلاً ثم بعد ذلك درّس بعض السنين الصف الأول العربي في مدرسة الحكمة المارونية فأتاح لي الحظ ان اكون من بعض تلاميذه . ثم استسلم الى الراحة متنكباً منابر

التدريس دون التأليف ، فانشأ وهو منزوٍ في بيتهِ عدة تآليف ناضجة سيأتي الكلام عليها . وقد اشترى منذ عام بيتاً في « فرن الشباك » تحوطه قطعة من الرزق كان يدير زراعتها بيده . وما هي الأ ايام حتى ألمّت بهِ حمى في المعدة انجلت تاركة وراءها ألماً شديداً في رقبتهِ من جهة الكتفين ، فأضعف الألم المستديم جسمه وهدّ سلامة بنيانه

« من صفاتهِ وأحاديثهِ » — من صفاتهِ الرزانة والتروّي واعتزال ضوضاء العالمين والتواضع والأنس ولطف الحديث ، ومن صفاتهِ الاقتصاد ولهُ أحاديث مأثورة يضيق المجال عن سردها ولا بأس بحديث منها . حدثني مرة قال : زارني المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وكان الانكليز قد احتلوا مصر جديداً ، فسألتهُ عن الخطة التي ينوي انتهاجها مع المحتلين ؛ فأجاب بالرغبة في معاكستهم فأشرتُ عليهِ بالاتهم لما هم عليهِ من بسطة البأس والسلطان فتستفيد مصر من الموالاة ولا تستفيد من المعاكسة : قال فأجابني الشيخ : أصبت واني فاعل كذلك

« علومه » — يمتاز صاحب الترجمة بعلوم الصرف والنحو وعلوم المعاني والبيان والبديع وبعلم اللغة وأساليب الانشاء ، وهو في كل ذلك صاحب الإمامة يؤخذ بقوله ويركن اليهِ وله في ذلك التآليف الجمة الجليلة التي طافت المدارس وتصدّرت في مكاتب الأدباء ، ولم يكن يعرف من اللغات أولاً سوى العربية وقد لجّ بهِ الشوق الى تفهُّم الافرنسية وهو أبيض الناصية ، فأكبّ عليها ودرسها درساً يصل بهِ الى الترجمة منها ، فوصل ، وترجم قوانين يوستينيانوس ونشرها في مجلة المقتطف . وقد نظم

الشعر رغماً عن عدم انطباعه عليهِ فأجاد في بعضهِ من ذلك أبيات كتبها تحت صورته مع عائلتهِ امرأته وبناته الثلاث قال :

رسمٌ يمثّلنا والشملُ مجتمعٌ ... والعيشُ صافٍ وظلُّ الخير ممدودُ
وهذه الحالُ أقصى ما يؤمّلهُ ... حيٌّ من الخلق بالآفات مقصودُ
لكنَّ فرقتنا لا بدَّ واقعةٌ ... يوماً فيُفصلُ عن أثمارهِ العودُ
فنسأل الله جمعاً بعد تفرقةٍ ... في جنّةٍ وجميلُ العَود محمودُ

وقد ازدادت هذه الأبيات اليوم مسحة من الجمال لانفراط الشمل بموت اثنتين من بناتهِ الصبيَّات وبلحاقه بهما

ومن نظمهِ قوله من قصيدة وداعٍ

وداع لذيذاتِ الحياة وداعكم ... فليسَ على شاكي التفرّق من عتْب
يجرّعنا هذا البعاد مرارة ... على قدر ما ذقنا الحلاوة في القربِ

« مؤلفاته والحكم عليها » — ان الدهر الآتي حكمٌ عدل في كتابات المنشئين ، يطرح الغث ويبقي السمين ، فقد ينال زيد مثلاً في الكتابة والنظم صيتاً طنَّاناً لجاهٍ عريض فيهِ أو لمال كثير عنده ، لا لبلاغةٍ في كلامه ؛ حتى اذا مات ومات جيله ، أنصف الدهر في كتاباته العارية من سياج الجاه والمال ، فتناولها ومحاها . وقد يموت كاتب فقير فتبقى كتاباته على هام الدهر لبلاغتها وعلوّ طبقتها . أما سعيدٌ رحمهُ الله فأرى ان كتاباته من الخالدات . ومؤلفاته عديدة منها كتاب (الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب) وهو عبارة عن رسائل في جميع أبواب المراسلة ، انشأها والنفوس الى مثلها ظمأى ، ولم يتحدّ فيها طريقة التصنّع

والتكلّف والسجع والكلام الكثير في المعنى القليل ، بل تحدّى الانشاء المرسل من السهل الممتنع . وله رسالة انتقد بها كتاب النحو الذي وضعهُ يومذاك المرحوم احمد فارس الشدياق . وهو المصحح كتاب بحث المطالب في النحو ومعلّق حواشيه ، والمصحح ديوان المطران جرمانوس فرحات وشارحه . ولم أرَ الشيخ مجيداً في تصحيح هذا الديوان لما فيهِ من المغالط الشعرية المتعددة والجوازات القبيحة

ومن مؤلفاتهِ كتاب « المعين » للتلميذ وللمعلم وقد أحسن في وضع هذا الكتاب لما فيهِ من الطرق الرحيبة الموصلة الى مواطن الانشاء ؛ وقد اردف (المعين) بكتاب (نجدة اليراع) وهو كتاب جمع فيهِ الجمل المترادفة في وصف أمر أو شيء . وله كتاب (حدائق المنثور والمنظوم) وهو مجموعة من أطايب الشعر والنثر على نحو ما هو عليهِ مجاني الأدب وهو جزءان . ومن قلمهِ تصحيح أغلاط كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وتصحيح ديوان ابن معتوق ، وترجمة قوانين يوستينيانوس ، ومقالات جمة من أحاسن الكتابات في المقتطف خصوصاً وسواه من المجلاَّت والجرائد . وفي آخر المدة وضع كتاب (مطالع الأضواء في مناهج الكتَّاب والشعراء) وهو كتاب مدرسيّ في علوم المعاني والبيان والبديع ، وقد تبّسط في هذه العلوم تبسُّطاً يكاد يكون مملاًّ . غير انهُ فاق على سواه من المؤلفين في هذا الفن بأنهُ أردف هذه العلوم الثلاثة بقوانين الانشاء من مثل الذوق وانتقاء اللفظ والمعنى والمطالعة والتمرين الى غير ذلك من الأبواب الجميلة التي لم يطرقها مؤلف عربي سواه ، فجاء

كتاباً جليلاً للتعليم في المدارس ، وأردفه بكتاب في علم الخطاب ولم اقرأ بعد هذا الكتاب

يتضح مما تقدّم أن جميع الكتب التي ألّفها صاحب الترجمة وصححها مدرسية يستغني عنها المترسّلون في العلوم العربيـة الاّ معجمه المشهور واسمه « أقرب الموارد » . وهو حتى الآن أكل معجمٍ يصل بنـاشد الألفاظ الى ضالتهِ عن أقرب سبيل وفي أسرع آن ، على حين اننا في عصر أصبحت بهِ الكتاب تخطف الأوقات . وقد قرّظه له أجمل تقريظ صاحب السـعادة عبد الله باشا فكري وزير المعـارف في مصر سابقاً والمغفور له العلامة الشيخ محمد عبده

هذه حياة الشرتوني . فهي حافلة بالآثار العلمية الطيبة دالّة على ان الرجل استعمل الزمن الذي جازه بالعمل المتواصل ، ولم يكن لسعيدٍ من نظير في ذلك الاّ المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس الذي كان يعمل كل يوم سبع ساعات رغماً عن شيخوختهِ ومرَض بصره.

وان حياة كتلك الحياة لقمينة بأن تكون مثالاً وضّاحاً لشبيبة هذا العصر، فتعلم أن العلم لا يعطينا بعضه حتى نعطيه كلنا

والآن ألقي عليك أيها الراحل الكريم كلمات الوداع الممزوجة بعواطف الاحترام ؛ وثق أن لك من سلامة بيانك ، ونصاعة برهانك ، ونقاء فصاحتك ، ومضاء بلاغتك حارساً أميناً على كتاباتك من نقد الناقدين ، وكفيلاً ضميناً على بقائها زاهيةً الى انقضاء العالمين



٢ — رشيد الشرتوني

ان رشيداً أخو سعيدٍ لأبيه ؛ وُلد في بلدنا شرتون سنة ١٨٦٤ ، وأفضى الى ربهِ سنة ١٩٠٧ أي في روعة العمر وعنفوان النشاط اذ لم يكن له من العمر سوى ثلاث وأربعين سنة

تلقّن مبادىء العربيــة والافرنسية في مدرسة مار عبده هرهريّا ، ودرّس حيناً في مدرسة عين تراز ومدرسة عينطوره ، ثم انقطع لخدمة العلم عند اليسوعيين في بيروت ، فكان يدرّس صف الخطابة في كليتهم ، ويحرّر جريدة « البشير » وكان في خلال ذلك يؤلف ويترجم ويصحح الكتب المفيدة ، حتى كانت أواخر سنة ١٩٠٥ فهبط مصر لخدمة العلم

فقضى فيها سنة جاء بعدها للاصطياف في لبنان ، فأدركه المرض في منتصف الليل ، وفي صباح اليوم أجرى له الدكتور هاش عملية جراحية فلم تنجح ، وقضى بين قلوب تتفطَّر ودموع تتقطَّر . وكان جميل الصورة غضّ الإهاب كثير اللطف جميل العشرة وفير المحبة لمسقط رأسهِ وأوطانه ، وكان كأخيه نشيطاً ، يصرف أوقاته بالعمل . فانهُ مع انصرافهِ الى التدريس والصحافة طول حياته ، تمكَّن من تأليف بعض الكتب ، ولو أمدَّ الله بحياته ، لكان من اكبر خدمة العربية ومن أقطاب العلم والأدب ، وله فضل كبير على فئة كبرى من الناشئة التي أخذت عنهُ ونهجت منهجه في طلاوة العبارة وتحدّي الذوق فيها

وكان ضليعاً في اللغة ، علاَّماً في علوم الصرف والنحو والمعاني والبديع والبيان والخطابة . وكان شديد النفرة من الكتب القديمة لهذه العلوم لما فيها من التفاصيل الفارغة التي تذهب بوقت التلميذ وتحت من جلَدهِ وعزمه ، فشنَّ على ذلك غارةً شعواء وشمَّر عن ساعد الكدّ لتأليف سلسلة كتبٍ في العلوم المذكورة على السياق الافرنسي . فوضع للصرف وللنحو سلاسل هي اليوم عمدة التدريس في المدارس الكبرى والصغرى في سوريا ، ولعلها في مصر أيضاً ، ولو استطالت حياته لأتى بالكتب المنوية لعلوم البيان على الطراز المُعلَم ، وهذه السلاسل المذكورة خير ما ألف ويؤلف النحاة للتدريس

ومن تأليفه كتاب المراسلات نحا فيهِ نحو اخيهِ سعيد في انشاء الرسائل المتنوّعة ، ولكنهُ دون كتاب أخيهِ حجماً وجمالاً . اما الكتب

التي ترجمها عن الافرنسية فكثيرة جداً منها تاريخ لبنان القديم ، ورواية بحيرة قدس . وهو الذي صحح ونشر الكتب التاريخية التي وضعها مؤرخ عصره المغفور له البطريرك اسطفان الدويهي ؛ وله كتاب (تمرين الطلاّب) وهو مجموع تمارين لابناء التحصيل في الصرف والنحو وقد شاع استعمال هذا الكتاب لكثرة فوائده ، وله كتاب في المنطق لم ينشره

وقد أفاضت صحف البلاد في الكلام عنهُ بعد وفاتهِ ، وقد رثاه الصديق الأديب الشاعر احمد افندي تقي الدين بقصيدة منها :

أبنات الهديل لا تَذري　　بيكاء الرشيد منسكبا
واندبي حظّه وحظّ فتىً　　عشق الكتب واصطفى الأربا
شاحذاً للرقيّ عزمتــه　　في بلادٍ لا تُكرِمُ الأدبا

ورثاه هذا العاجز بأبيات منها :

صُحفُ البلاد وكان مهيع هديهــا　　صدعت بطاحن خطبهِ تبيينــا
نبأٌ تطاير في البلاد فهزَّهــا　　حسبتهُ ملبوساً وكان يقينا
أخذتهُ أعلامُ الجبال بصيحةٍ　　سمعت لها في الهابطات رنينا . . .
لم تزدحم من حولِ نعشك ألسنٌ　　ألفت بغير مماتك التأبينــا
وتراجع الادباء عنك لأنهم　　رهبوك يا أسد العرين طعينــا
خافوا سماعك ضعف قولهم وقد　　كان الكلام اذا نطقت سمينــا
مسكينٌ ألقلم الذي أيتمتهُ　　مَن سوف يرحم ذلك المسكينــا

أفاض الله عليهِ سجال رحمتهِ وأحصاه بين أصحاب اليمين

(لبنان)　　محبوب الخوري الشرتوني

أزهار وأشواك

خليل بعد حافظ

النعَم على ادبائنا تتوالى تترى من حكومة أفندينا العباس . في العامين السابقين عيّن فريق منهم في نظارات الداخلية والمالية والمعارف والحقانية والأوقاف وسائر دواوين الحكومة ؛ وقد قلتُ كلمتي بهذا الشأن في حينها . وجاء في هذا العام دور الرتب والنياشين فكانت فاتحتهُ رتبة حافظ ، وقد تلاها الآن نيشان خليل مطران . والآتي للآتي ان شاء الله . . . مثل هذه الرتب والأوسمة لا تحلّي مثل تلك الصدور وفيها من درر المعاني ، وجواهر الافكار ما يزري بقلائد النحور . بل هي تكتسب من الرونق والبهاء ، ما لا يكون لها وهي على غير صدر الفضلاء والأدباء . فان أوسمة الشرف على صدر من لا يستحقّها كالطغراء السلطانية على النقود الزائفة ، أو كالتمثال البديع على قبرٍ يضمُّ عظاماً نخرة . أما الوسام المجيدي وقد عُلّق على صدر الخليل فكأنهُ رُصع بأغلى الجواهر وأثمن الأحجار . فليهنأ النيشان باستوائهِ على صدر المطران

تذكار الأدباء

اذا كنتُ قد ضفرت من أزهاري باقاتٍ وأكاليل قدَّمتها الى من بسم لهم ثغر التوفيق من أدبائنا . فقد حفظت من تلك الازهار أبهجها وأنضرها لأنثرَها مُرطَّبة بدموع الذكرى على ضريح من اغتالهم غائلُ المنية ممن سالت أرواحهم الزكية من شق تلك القصبة . . . تُقام الحفلات تباعاً ، شائقةً رائقة ، لاكرام كبار ادبائنا وتهنئتهم بظهور فضلهم ، ولنِعم العمل عمل القائمين بهذه الأعياد الأدبية . على ان لأدبائنا الأموات كذلك حقًّا علينا يجب ان لا نتغاضى عنهُ . وهل الى التغاضي من سبيل وقد كان لنا بمن فقدنا في هذا الصيف تذكير شديد : مات الشيخ أمين الحداد فذكّرنا فاجعة الأدب بأخيه « النجيب » فوجب على أدباء وادي النيل ان يخلّدوا ذكرى الأخوين الشاعرين . وحملت الينا أنباء لبنان نعي الشيخ سعيد

الشرتوني ، فأعادت لاعج الأسف على شقيقهِ « الرشيد » فتحتم على أدباء الشام ان يحيوا اسم الشقيقين العالمين اللغويين . وهذا عثمان بك جلال ، كاد يكون نسيًا منسيًّا لولا ان همة جوق أبيض أبرزت لنا على مسرح عباس طائفة من رواياتهِ التمثيلية هي كالخرائد جمالاً وجدةً بأن تحيي اسم صاحبها الأديب . وهذا الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب الأيادي البيضاء على لغة الاعراب ، سيحتفَل قريباً بنقل رفاتهِ من مصر الى لبنان ، لترقد بقاياه مع بقايا أبيه واخوتهِ في لحد واحد . . . . فالفرصة اذن موافقة لإحياء ذكر ادبائنا الذين غيَّبهم القبر ، كما هي موافقة لتهنئة الذين افترَّ لهم ثغر الدهر

ولئن سرَّني تأليف اللجان في بيروت ولبنان برئاسة الآنسة الذكية سلمى أبي راشد مديرة جريدة « النصير » للقيام باستقبال رفات اليازجي بما يليق ، فقد ساءني ان أرى الشرتوني الكبير والصغير يذهبان ، ولا أرى كلمةً فيهما لأساتذتنا الأعلام كعبد الله البستاني او جبر ضومط ، كما انهُ عزَّ عليَّ ان نفقد الأمين بعد النجيب ، ولا يقوم من بين أصدقائهما — ولا أسمّي — من يتحفنا ببحث تاريخي أدبي انتقادي عن آثارهما الكتابية

التمثيل العربي

من الكرسي الخاص بمجلة « الزهور » في « تياترو عباس » حضرت كل الروايات التي مثّلها « جوق أبيض » فشاهدتُ : الأحدب Le Bossu لفيڤال ، ومضحك الملك Le Roi s'amuse لڤيكتور هوغو وقد ترجمهما الياس فياض ، والساحرة La Sorcière لڤيكتوريان ساردو ، وترجمتها لفرح أنطون ؛ والشيخ متلوف Tartuffe ، والنساء العالمات Les Femmes Savantes ، ومدرسة الأزواج ومدرسة النساء L'Ecole des Maris, et L'Ecole des Femmes من وضع موليير الشهير وترجمة المرحوم عثمان بك جلال . . ليلات ستّ رأيتُ وسمعت فيها أبهج ما ترى عين الأديب ، وأطرب ما تسمع أذنه : مناظر بهية ،

ومجتمع راقٍ ، حِكم بليغة ، وملاحظات دقيقة مسبوكة في ألطف قالب وأبلغ اسلوب فاجتمعت لذة البصر والسمع والعقل . كلّ روايةٍ من تلك الروايات ترمي الى تمجيد احدى الفضائل ، أو شجب بعض الرذائل بطرق متنوعة تتراوح بين الهزل والجد : فهذا يهذّب نفسك والابتسامة على ثغرك ، وذاك يرقي عواطفك والدمعة في عينيك فلكلّ مؤلفٍ أسلوب ، ولكلّ أسلوب طريق الى القلوب . هذا ما شعرنا بهِ في ليالي أبيض ، وهذا ما رأيناه بأم العين بعد ما سمعنا بهِ من تأثير الروايات في رقيّ الشعوب . ومقابل ما وجدنا من اللذة ، وجنينا من الفائدة في تلك الليالي الغرّ ، أزفُّ كلمة تهنئةٍ وكلمة شكر الى جورج أبيض على الخطوة الكبيرة التي خطاها في هذا الفن[1] ، وأشرك معهُ من التفَّ حولهُ من الممثلين والممثلات ، ولا مجال لديَّ اليوم لأذكرَ كلّ من يستحقُّ الذكر . كلمة التهنئة والثناء واجبة أيضاً لمن ألبس تلك الروايات الافرنجية حلةً عربيـة قشيبة . فقد عرفنا قلم الفيّاض كاسمه فيّاضاً يتدفق بالمعاني كسلسبيل الماء ، ويتفجر منهُ الكلام وكله عذوبة وسهولة وصفاء . ورأينا من بيان منشيء الجامعة في « الساحرة » سحراً يفتن الألباب . أما المرحوم عثمان بك جلال الذي نقل روايات موليير « بالزَجَل » وجعل موضوعها بلديًّا ، فقد دلّنا الى ما يمكن استخراجه لمسارحنا من تلك اللغة العامية المملوءة جزالة وعذوبة والى ما فيها من النكات والتلاعب بالألفاظ مع سهولة فهمها وطبَعية التخاطب بها . وان في نجاح الممثلين الباهر في تلك الروايات وتصفيق الحاضرين المتواصل لأكبر دليل على ما أقول . ويا حبذا لو جاد الزمان بزجّال من طبقة عثمان جلال ، فانهُ ولا شك قادر على ادخال نوع الكوميدي الذي كنا نقنط من وجوده في لغتنا

ولا تنسيني كلمات التهنئة التي أصوغها للمثلين والمترجمين كلمة شكر خصوصية أوجهها الى رجل يدير كل هذه الحركة كالزنبلك ويكاد لا تراه عين عنيت عبد الرزاق بك

(١) في الجزء الثاني من السنة الاولى من الزهور ص ٦٥ تجد تاريخ أبيض ونشأته في التمثيل

وقصارى الكلام ان من بات يقول اليوم ان الفنّ التمثيلي لم يترقّ لا يكون حضر ليالي تياترو عباس ، واذا قال ذلك وكان قد حضرها فانهُ يكون من المتعنتين الذين يرومون ادراك الكمال بين عشية وضحاها ، ولا أريد ان أكون من أولئك

ثم ان كل ما شاهدناه في ليالي أبيض كان جميلاً ، ولكن كل ذلك يكلف مالاً جزيلاً . ومهما كان اقبال الشعب عظيماً فانهُ لا يفي بما هنالك من النفقة . وهنا يبتدئ واجب الحكومة . . .　　حاصد

من كل حديقة زهرة

* اقترح أحد الكتاب على سبيل الفكاهة تأليف وزارة عامة من دول العالم على الشكل الآتي : هولاندا لرئاسة الوزاة . انكلترا لوزاة البحرية . الولايات المتحدة لوزاة الحربية . فرنسا لوزارة المالية . المانيا لوزارة الداخلية . تركيا لوزارة الخارجية . النمسا لوزارة المعارف . ايطاليا لوزارة الاشغال والصناعة . روسيا لوزارة الزراعة . بلجيكا لوزارة البريد . اليابان لوزارة المعادن والغابات . واسبانيا لرئاسة مجلس الأعيان . والبرتغال لرئاسة مجلس النواب . واليونان لكتابة الأسرار في الوزارة الداخلية — وقد ذكر الكاتب على هذه الطريقة ما امتازت بهِ كل دولة من الدول في الشؤون الاجتماعية

* لنا في كل يوم برهان جديد على توقد الذكاء الشرقي ، وتفوّقهِ في الفنون والصنائع ، متى انفسح له المجال ، وساعدتهُ الأحوال . وقد قرأنا في صحف أميركا ان حكومة الولايات المتحدة أقرَّت على وضع نشيد وطني رسمي . فتبارى رجال الموسيقى في هذا الباب وأخذوا يضعون الأناشيد ، وفي جملتهم الموسيقي الشهير اسكندر افندي معلوف أحد المهاجرين السوريين . فوضع نشيداً دعاه « لأجلكِ يا أميركا » ثم عرضهُ على دوائر المعارف في نيويرك وبوسطن ، فلاقى استحسان الجميع . وسنّت دوائر المعارف في جميع المدن الأميركية الكبرى استعمال هذا

النشيد البديع في تمرينات التلاميذ اليومية ، ولم يبقَ لاتخاذه نشيداً رسمياً للبلاد الاّ موافقة مجلس النواب عليهِ . وروت الصحف أيضاً ان المستر تفت رئيس الولايات المتحدة سمع تلحين هذا النشيد فأعجب بهِ كل الاعجاب

٭ مثّل سعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف الحكومة المصرية في مؤتمر التربية الدولي الذي عُقد في هذا الصيف في مدينة لاهاي . وقد ألقى خطبة تناول فيها مجمل تاريخ التربية الدينية والفلسفية في مصر معلناً ان التربية في وادي النيل الآن أوسع مما كانت عليهِ لامتزاجها بكثيرٍ من مبادىء التربية المدنية الحرَّة في أوروبا وان التسامح الديني بلغ مبلغاً يضمن التأليف بين العناصر المختلفة في البلاد

٭ زاد دخل شركة قناة السويس في الستة الأشهر الأولى من هذه السنة ٨٥،٨٤٠ جنيهاً عن دخلها في مثل هذه المدة من السنة الماضية . ويُنتظر ان تبلغ الزيادة في السنة ١٢٠ ألف جنيه أو ثلاثة ملايين فرنك . وذلك رغم الاعتصابات العديدة والعراقيل الجمة التي عطلت الملاحة في هذا العام ورغم تخفيض الشركة للرسوم التي تتقاضاها

٭ من أخبار الصين ان يوانشيكاي رئيس الجمهورية الصينية أصدر أمره بتعطيل جريدة «كنغ ياو» التي كانت تنشر من نحو ألف وخمسمائة سنة أي من قبل وجود المطابع في أوروبا . وكانت الأحرف مركبة من الرصاص والفضة ، والورق من الحرير الأصفر . وقد برهن مديرو هذه الجريدة في كل آن عن استقلال في الرأي والنزوع الى التمدُّن الحديث ؛ وحدث ان أحدهم تجرَّأ في القرن الثاني عشر واقترح على الحكومة ارسال بعثة الى اوروبا لدرس عاداتها واتخاذ ما يوافق الصين منها فكان جزاؤه الاعدام . ومنذ سنة ١٨٠٠ أخذت الجريدة المذكورة تصدر يومياً وفي سنة ١٩٠٧ أمرت الامبراطورة بتعطيلها لأنها أذاعت المساعي التي كانت تُبذل أوانئذٍ في القصر لاختيار وليّ للعهد . فاستأنفت الجريدة الظهور بعدئذٍ باسم آخر، وربما فعلت هكذا هذه المرة أيضاً واستأنفت الظهور رغماً عن الأمر الصادر بتعطيلها

ثمرات المطابع

كتاب آداب العرب[1] — عرف قراء العربية شاعراً تعوّد توقيع منظوماتهِ في الصحف والمجلاَّت بامضاء « العرب » . وكان هذا التوقيع يلتبس أحياناً على بعض صحفنا في اميركا وسوريا فتتوهم تلك المنظومات من المنقولات عن العرب . اما هنا فقد عرفناها لحضرة الالمعي ابرهيم بك العرب ، وعرفنا شاعرها اديباً غيوراً على لغتنا ، صديقاً صدوقاً لمعظم ادبائنا . بين يدينا الآن كتابٌ من قلم حضرتهِ جمع فيهِ ما امتاز بنظمهِ من الحِكَم والأمثال على ألسنة الحيوانات ، فجاء فيهِ ما ينيف على المئة عظة قال ناظمها

عن الطيرِ في جوّ السماء أخذتها — وفي القفرِ عن ظبيٍ وذئبٍ ورئبالِ

وقد ضمنها حكماً ومواعظ : — لتهذيب أخلاقٍ واصلاح أحوالِ

وقد قدرتها نظارة المعارف قدرها فقررت طبع كتاب العرب على نفقتها ، كما قرّرت تدريسه في المدارس الابتدائية وفي مدارس المعلمات السنية ومدارس معلمي الكتاتيب ؛ وهذا أجمل تقريظ لكتاب صديقنا ابرهيم بك

اما طريقة الارشاد وتلقين الفضائل بواسطة الأمثال فهي قديمة العهد ، فقد ورد شيءٌ من ذلك في التوراة والانجيل . واشتهر بالأمثال عند القدماء ايزوب الرومي ، وعند الافرنج لافونتين وهو أبلغ من كتب في هذا الباب . ونالت الأمثال المنسوبة الى لقمان الحكيم شهرةً بعيدة

(١) المطبعة الأميرية في مصر

عند العرب . ومن الأئمة في هذا الفن ابن المقفع ، وكتابه « كليلة ودمنة » أشهر من أن يُعرّف . ومن كُتُب الأمثال كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » لابن عربشاه الدمشقي . وقد ورد شيءٌ من هذا النوع في كتاب « سلوان المطاع » لحجة الدين بن ظفر ، وفي كتاب « عنوان البيان » للشبراوي ، وكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتاب « الاذكياء » لأبي الفرج بن الجوزي ، وفي مصنَّفات السيوطي . وأشهر من كتب في هذا الفن من المحدثين رزق الله حسُّون وقد طبع كتابه « النفثات » في لندرا ، ومحمد عثمان جلال ، وطبع كتابه « الأمثال والمواعظ » في مصر . ونحن اليوم نسجل اسم « العرب » الى جانب أسماء هؤلاء الائمة

* العائلة المصرية [١] — جميلة ومعزّية النهضة الادبية التي نشاهد آثارها بين نسائنا وفتياتنا . فقد قام فريق منهنّ يعاون رجالنا في ترقية مجتمعنا الشرقي ، آخذات على عاتقهنّ تنبيه أخواتهنّ الى واجب المرأة ، والدفاع عن حقوقها . وقد انضم الى هذه الفئة العاملة كاتبة جديدة ، عرّفتنا بها الجرائد في هذه المدة ، وقد زدنا بها معرفةً من كتاب جليل الفائدة أهدته الينا في الشهر الماضي ، فرأينا فيها نفساً تتلهب غيرةً على مجد قومها ، وعقلاً يقدح زناد الفكر في معرفة دائنا ودوائنا . فبحثت في موضوع « العائلة » وهي اساس العمران وركن الاجتماع ، وتتبعت بنوع خاص العائلة المصرية في جميع ادوارها ومظاهرها وطبقاتها ، وانتقدت

(١) مطبعة التقدم في مصر . عدد صفحاته ٢٥٦ وثمنه ٨ غروش

بعض عاداتنا في التربية والمعيشة الزوجية، وهي « كتبت ما كتبت بعد ان تأملت فتألمت، وفكّرت فتحسرت على مجدٍ آفل وعزٍ غابر » وقد قرنت هذا الشعور الرقيق بخيالٍ واسع يساعدها على تصوير الحقائق والمناظر بصورٍ تمثلها لك أبلغ تمثيل . والشعور والخيال من أهمّ صفات الكاتب ، فلا يعد ان تنال هذه الكاتبة الجديدة مقاماً رفيعاً بين اديباتنا ، وقد مهد لها كتابها « العائلة المصرية » الطريق لذلك

* وصايا الوطن العشر[1] — واضع هذا الكتاب ، أميل فاكه Emile Faguet أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسوية ، من الكتّاب المفكّرين والمنشئين البعيدي الصيت . وقد بحث في كتابه هذا بحثاً وافياً في ماهية الوطن وأقسامه ، والوطنية ورسوخها في قلب الانسان والبواعث العاملة على تقويتها في النفوس كاللغة والدين ، وتاريخ البلاد وفنونها وآدابها وعلومها ، الى غير ذلك من الابحاث النفيسة المبنية على التحليل البسيكولوجي والأدلة التاريخية . وقد استنتج الكاتب من بحثهِ — وهذا ما يجدر بالشرقيين ، حكامهم ومحكوميهم ، تفهّمهُ — انه يجب على الحكومات التي توجد فيها اليوم مذاهب سياسية وأديان متعددة ان تعتقد : أن المذاهب ليست عاملاً من عوامل الوطنية ، وان في مقاومة هذه المذاهب والاديان إضعاف الوطنية ؛ وان الوسيلة الوحيدة لجعل كل هذه المذاهب والاديان وطنيةً هي اطلاق حريتها كلها ومساواتها كلها في المعاملة . أما ناقل هذا

(١) طبع في مطبعة قره بت في الاستانة . ويطلب في مصر من ادارة المقطم ومكتبة الهلال وثمنه ٥ غروش صاغ

السفر النفيس الى العربية فهو الكاتب المشهور ابرهيم افندي سليم نجار مراسل المقطم من العاصمة العثمانية ، وهي خدمة جديدة له تضاف الى خدماته السابقة في سبيل ابناء جلدته . فنسأل له التوفيق ولكتابه الرواج

* أمثال الشرق والغرب[١] — عنوان كتابٍ ضمَّ بين دفتيهِ زبدة ما دار على ألسنة الفلاسفة والحكماء من الأقوال المأثورة والأمثال المشهورة ، جمعها ورتبها حسب مواضيعها حضرة الاديب الفاضل يوسف افندي توما البستاني ؛ فأجاد وأفاد . لأن مثل هذه الأقوال هي نتاج الادمغة المفكّرة ، وخلاصة الحكمة في كل مكان وزمان ؛ فان كثيراً ما تكون الجملة الواحدة نتيجة اختبارٍ طويل وملاحظات عديدة ، فتجيء بالمعنى الكبير . وسننشر في عدد قادم طائفة من هذه الأقوال لما فيها من جزيل الفائدة

* الصديق — عنوان مجلة جديدة أصدرها في الاسكندرية الفاضل عبد الحميد افندي سالم ، وهي أدبية تاريخية روائية . جاءنا العدد الأول منها وهو يتضمن بعد المقدمة مقالة عن الشاعر البرتغالي كامو ينس ، وبحثاً مستفيضاً في الروايات ومطالعتها وكتابتها والأسلوب الروائي . وقيمة الاشتراك ٣٠ غرشاً صحيحاً في مصر و ١٠ فرنكات في الخارج . فنتمنى ان يكون للصديق أصدقاء كثيرون

---

(١) المطبعة اليوسفية في مصر

يوليوس قيصر

رواية تمثيلية من أشهر الروايات ، وأحكمها وضعاً ، وأعظمها وقعاً في النفوس
لمؤلفها نابغة هذا الفن « شكسبير » الروائي الانكليزي الشهير

نقلها الى العربية بعبارة بليغة مطابقة تماماً للأصل الانكليزي حضرة الكاتب المجيد

سامي الجريديني المحامي

وسننشرها تباعاً ابتداء من هذا الجزء بمناسبة النهضة التمثيلية الحديثة

اشخاص الرواية

الاسم	الصفة	الاسم	الصفة
يوليوس قيصر		منجم	
اوكتافيوس قيصر	حكام الدولة الرومانيـة بعد موت قيصر	سنّا الشاعر — وشاعر آخر	
ماركوس انطونيوس		لوسيليوس	اصدقاء بروتوس وكاسيوس
اميليوس ليبدوس		تيتينوس	
پوبليوس	من اعضاء مجلس الشيوخ	مسالا	
پبليوس		كاتو الصغير	
شيشرون		ڤولومنيوس	
بروتوس . كاسيوس .	المتآمرون على قيصر	ڤارو . كليتوس .	خُدّام بروتوس
كاسكا . ليجاريوس .		كاوديوس . ستراتو .	
تريبونيوس . سمبر .		لوسيوس . درداتيوس	
ديسيوس . سنّا		بنداروس	خادم كاسيوس
فلافيوس		كالبورنيا	امرأة قيصر
مارولوس		بورسيا	امرأة بروتوس
ارتيميدوروس		اعضاء مجلس الشيوخ. اهالي. حرس وخدم	

الفصل الاول

« المشهد الأول »

شارعٌ في رومه

(يدخل فلافيوس ومارو ليوس و بعض عامة الناس)

فلافيوس – الى بيوتكم ! اذهبوا الى بيوتكم أيتها المخلوقات الكسلى . أتظنون اليومَ يومَ عيد ؟ أو لا تعلمون أنهُ لا يجوز لكم وأنتم من الصنّاع ان تسيروا في الأسواق في غير أيام البطالة بدون ان تحملوا شارات صناعاتكم ؟ أنت يا هذا تكلم . ما حرفتك ؟

العامي الأول – نجّار يا سيدي

مارو ليوس – أين وزرتك وأين مسطرتك ؟ وما تصنع جائلاً مرتدياً أحسن ملابسك ؟ [1] وأنتَ يا هذا من أيّ الحرف أنت ؟

العامي الثاني – اذا عُدَّ الصناع الحاذقون فما أنا يا سيدي الاّ عامل مرقّع

مارو ليوس – ولكن ما صنعتك ؟ قلْ بلا موارَبة

العامي الثاني – اني أحترف حرفة أرجو ان أواظب عليها بالأمانة والاخلاص ألا وهي ترقيع القديم

مارو ليوس – (غاضباً) ما صنعتك يا دنيء ؟ أيها الدنيء المنافق ما صنعتك ؟

العامي الثاني – لا تغضب يا سيدي . لا تغضب عليَّ . فاني قد أصلحك

مارو ليوس – ما تعني بهذا أيها الوقِح ؟

---

(١) من عادات الرومانيين ان يحمل الصناع شارات صناعاتهم في كل وقت فلا يخرج صانع الا وهو حامل شارة صناعته

العامي الثاني — أي اني ارقّعُك يا سيدي

فلافيوس — آه . أنتَ سكاف . أليس كذلك ؟

العامي الثاني — حقاً يا سيدي ان الخرَز آلة معيشتي . فقد اصطفيتهُ لي خليلاً دون جميع الرجال والنساء . نعم . أنا جرّاح الأحذية القديمة آسوها عند إشرافهـا على الهلاك . ان خيرَ مَن مشى على الأرض مرّت رجلاه بين يديّ

فلافيوس — ولماذا تركت حانوتك اليوم وخرجت تقود هؤلاء الناس في الاسواق ؟

العامي الثاني — حتى يقطّعوا أحذيتهم مشياً فيزداد كسبي. على اني لا اكتمك يا سيدي اننا تركنا اشغالنا لنرى قيصر ونفرح لانتصاراته [1]

مارولبوس — ولمَ تفرحون ؟ أين النصرُ المبين الذي جاءنا به ؟ وأين الأسارى الذين أتى بهم الى رومة يحفّون بركبـاته ؟ أي بني رومة قساة القلوب غلاظ الرقاب . كونوا حجارةً ! كونوا خُشُباً مسندةً ! ان الجماد لخيرٌ منكم . أنسيتم بومباي ؟ يوم كنتم تتسلقون الاسوار والمباني وتصعدون الى النوافذ والأبراج — بل الى المداخن — حاملين اطفالكم ، واقفين صابرين منتظرين اليوم كله لتختلسوا نظرةً من بومباي وهو مارٌ في شوارع رومه . حتى اذا لاحت لكم مركبته هتفتم له هتافاً اهتزّت له اعماق التيبير كأنه يتطالُ ليسمع صدى اصواتكم المالئة شاطئيه ! .. والآن ؟ ماذا تفعلون الآن ؟ أترتدون أحسن ملابسكم وتخلقون لأنفسكم عيداً وتنثرون الازهار في طريق رجل جاءكم بنصرٍ مخضّب بدم بومباي ؟ اليكم عني ! تفرّقوا . اركضوا الى قعر بيوتكم وخرّوا سجّداً وادعوا الالهة علّها تحوّل عنكم

---

(١) المحاورة بين الصانعين وبين فلافيوس وماروليوس صعب نقلها الى العربية نقلا حقيقياً دقيقاً لأن معظمها تلاعب في الالفاظ من نوع الجناس اللفظي . وشكسبير مغرم بهذا النوع من الكلام يجعله يدور دائماً أبداً على ألسنة صغار القوم وادنيائهم من اشخاص رواياته

طاعوناً واقعاً لا محالة عليكم يا ناكري الجميل [1]

فلافيوس — يا ابناء وطني الصالحين . اذهبوا . اذهبوا واجمعوا جموعكم الذين على شاكلتكم الى ضفاف التيبير ، واذرفوا الدمع حتى يفيض منهُ النهر و يملأ عبريه عسى أن نُغفر لكم اوزاركم (يخرج جميع الاهالي) أنظرْ . انَّ أدنى عواطفهم قد تحرَّكت . ألا ترى كيف خرسوا في ذنوبهم وذابوا ؟ اقصد انت الى الكابيتول من هذه الناحية ، وانا من هنا ، واذا رأيت صوراً مزدانة بزينة قيصر فانزع زينتها

ماروليوس — أيليق أن نفعل ذلك واليوم عيد لوباركال ؟ [2]

فلافيوس — لا بأس . يجب ان لا ندع الصور مزدانة بزينات قيصر . انا ذاهب لاطرد العامة من الشوارع فافعل انت فعلي وفرّقهم حيث تراهم متكاثفين . فإنّا اذا نزعنا الآن هذه الريشات المتنامية من جناح قيصر ما استطاع ان يطير فوق الطيران العادي . اما اذا لم نفعل فانهُ يحلّق الى حيث لا تراه العين ، ونبقى نحن خاضعين خائفين (يخرجان)

« المشهد الثاني »

محلٌّ عام . هتاف

(يدخل قيصر وأنطونيوس وكالبورنيا امرأة قيصر، وبورسيا امرأة بروتوس،

(١) يشير شكسبير الى رجوع قيصر من اسبانيا منتصراً على اولاد بومباي القائد الروماني الشهير وكان لبومباي هذا حزب كبير في رومه فلم يكونوا ليسروا بانتصار روماني على روماني آخر عظيم . ولكن شكسبير جعل يوم رجوع قيصر منتصراً هذا النصر موافقاً لعيد لوباركال والتاريخ لا يصدقه في ذلك . فعيد لوباركال يقع في ١٥ فبراير ورجوع قيصر كان في اكتوبر من سنة ٤٥ قبل الميلاد المسيحي

(٢) لوباركال اسم محل في رومة يعتقد مؤرخو الرومان الأقدمون انه المحل الذي وجدوا فيه الأخوين روميلوس وريموس ومعهما عنزة ترضعهما (وروميلوس مؤسس رومة) فصار الرومانيون يعيدون في ١٥ فبراير من كل سنة هذا العيد اكراماً لمؤسس رومة . وكان من عاداتهم في هذا العيد ان يزينوا جميع التماثيل والصور بزينات ابطالهم

وديسيوس وشيشرون وبروتوس وكاسيوس وكاسكا . وجمع كثير يتبع ، وبينهم منجّم ، لمشاهدة السباق[1])

قيصر — كالبورنيا ! [2]

كاسكا — يا هو ! اسكتوا ! ان قيصر يتكلم

قيصر — كالبورنيا !

كالبورنيا — هانذا سيدي

قيصر — قفي واعترضي أنطونيوس في طريقهِ حين يمرُّ بكِ جارياً ! أنطونيوس !

أنطونيوس — سيدي قيصر

قيصر — لا تنسَ وأنت تجري في السباق ان تلمسَ كالبورنيا . فان شيوخنا يقولون انهُ اذا لمس أحد المتسابقين عاقراً في مثل هذا اليوم زالت عنها لعنة عقرتها

أنطونيوس — سأذكر ذلك ولا أنساه . ان قيصر اذا قال لشيءٍ كن فيكون

قيصر — ابدأوا . والعبوا لعبكم (هتاف واختلاط)

المنجم — أي قيصر !

قيصر — ها . من يناديني ؟

كاسكا — قولوا للناس تسكت ! اسكتوا !

قيصر — من يناديني في مثل هذا الزحام ؟ فاني أسمع صوتاً أرفع من صوت الموسيقى ينادي قيصر . تكلم . ان قيصر مصغٍ يسمع

---

(١) كان الرومانيون يتسابقون جرياً على الاقدام في أعيادهم وكان من عاداتهم ان تقف النساء العاقرات ويمددن أيديهنّ في سبيل الراكضين فيضربهنّ أحد المتسابقين . وكانوا يعتقدون ان في ذلك ازالة لعقرتهنّ (٢) كالبورنيا امرأة قيصر الرابعة فانه كان قد تزوج ثلاثاً قبل ان يتزوج بها وهي ابنة كالبورنيوس بيزو

المنجم — إحذر خامس عشر مارس !

قيصر — مَن الرجل ؟

بروتوس — ان منجماً يحذرك خامس عشر مارس

قيصر — إيتوني بهِ . دعني أرَ وجهه

كاسيوس — (يخاطب المنجم) تقدَّم من بين الجمع وانظرْ الى قيصر

قيصر — ماذا قلتَ لي ؟ قلْ مرةً اخرى

المنجم — احذر خامس عشر مارس !

قيصر — انهُ لحالِمٌ . لندعه وشأنه . هيّوا بنا

(يخرج الجميع و يبقى بروتوس وكاسيوس)

كاسيوس — أتأتي معي لمشاهدة السباق ؟

بروتوس — ما أنا بالذاهب

كاسيوس — رجوتك . افعلْ

بروتوس — ما أنا باللعَّاب . انهُ لينقصني بعض ما عند أنطونيوس من الميل الى اللهو . ولكن لا يقفنَّ امتناعي في سبيل ذهابك أنت . ها أنا منصرف

كاسيوس — اني ألحظُ اليك منذ زمن يسير فلا أرى في عينيك تلك المودة التي عوَّدتنيها . ولا تُظهر لي من الحبِّ ما كنتُ أنتظره منك . ولا تمدّ يدك السمحاء مدًّا برقبة صديقك الصدوق

بروتوس — لا تخدعنَّك الظواهر يا كاسيوس . فما حوَّلتُ وجهي عنك بل عن نفسي . . . عواطف متباينة تتقاذفني . إنْ هي الاَّ أفكار خاصة بي قد تصطبغ بها أعمالي . فلا يحزن أصدقائي لأمري — وأنتَ يا كاسيوس في عدادهم — وليعلموا ان بروتوس قد اشتغل بمحاربة نفسه عن اظهار المودّة لهم

كاسيوس — اذن عفوَكَ عن الخطأي حسن مقصدك . بل عفواً عن خطاءٍ

جعلني أخفي عنك في طيّ قلبي أفكاراً وتأملات ذات شأن وقيمة قلْ يا بروتوس!
هل تستطيع ان ترى وجهك ؟

بروتوس — كلاّ . فان العين لا ترى نفسها الاّ اذا انعكست صورتها اليها بشيء آخر

كاسيوس — هذا أكيد . أسفي ان لا يكون لديك مرآةٌ تعكس لك فضائلك المخباة فتريك ظلك . اني سمعتُ كثيرين من أعلى الناس مقاماً في رومه — عدا قيصر — يئنون تحت نير هــذا الزمان . يذكرون بروتوس ويتمنون لو ينظر الى نفسهِ بأعينهم

بروتوس — الى أيّ الأخطار تدفعني يا كاسيوس فتجعلني أفتش في نفسي عما ليس فيّ

كاسيوس — اذن تهيأ للسمع . وما دمتَ تعلم انك لا تستطيع النظر الى نفسك فأنا أقفُ لك مرآةً صغيرة تعكس ما خفي عليك منك . لا تسيء الظنّ بي . لو كنتُ ضَحِكة بين الناس او من الذين يطرحون صداقتهم طرحاً على أول قادم . او كنتُ ممن ينقلب على الصديق عدوًّا أغتابهُ بعد ان أكون قد مدحتــهُ . او كنتُ أحفلُ باسترضاء عامة الناس لحقّ لك الحذرُ مني (هتاف في الخارج)

بروتوس — ما هذا الهتاف ؟ اني أخشى ان يكون الشعب قد اختار قيصر ملكاً

كاسيوس — آه . أتخشى الأمر ؟ اذن أنت لا ترغبُ فيهِ ؟

بروتوس — أي كاسيوس . اني لا أريد ذلك ولكني أُحبّ قيصر . . . . ولمَ تمسكني عن الذهاب ؟ ما الذي تودُّ ان تبوح لي بهِ ؟ ان كان هناك ما يعود بالنفع على بلادي فدونك عينيَّ ! ضعْ الموتَ أمام احداهما والشرف أمام الأخرى فتراني أنظرُ الى الأمرين نظراً واحداً وأسيرُ في طريقي إما الى الموت واما الى الشرف. لتعجّل الآلهة بالقضاء عليّ إن كنت لا أحبُّ الشرف اكثر مما أخاف الموت

كاسيوس — أعرف بكَ هذه الفضيلة كما أعرفك . خفّف عنك . اني أسوقُ اليك حديثاً موضوعه الشرف . ما الحياة ؟ اني أجهل رأيك ورأي الناس في قيمة هذه الحياة الدنيا . أما أنا فسيَّان عندي الموت والحياة اذا كان لابدَّ لي من العيش خائفاً من نفسي... لقد ولدتُ حرًّا مثل قيصر . او لستَ أنت حرًّا أيضاً ؟ تغذَّينا كلانا من غذائهِ . وكلانا يتحمل برد الشتاء كاحتماله . فاني كنت مرة مع قيصر على شاطئ نهر التيبير في يوم مطير ذي ريح عاصفة. وأمواج النهر تودُّ لو استطاعت التملص من شاطئيه فتلطمها حَنِقةً غضبى . فقال لي قيصر أتجسر يا كاسيوس ان تقفز معي الى هذا النهر الشرس فنسبح الى الضفة الأخرى . فامتثلتُ الأمر حالاً ووثبتُ الى الماء وقلتُ له اتبعني . فتبعني . وتدفق السيلُ وعلا خريره فأخذنا نكافحه بأعصاب كَلِبَةٍ ندفع الأمواج غير هيابين فتندفع . وما كدنا نصل الى هدَفِنا حتى سمعتُ قيصر ينادي « اليَّ يا كاسيوس أو أغرق » فانتشلتهُ من ماء التيبير مضنوكاً كما انتشل جدُّنا الأعلى اينياس العجوزَ أنشيزيس من نيران تروادة الملتهبة . وها قد صار هذا الرجل الهاً وبقي كاسيوس رجلاً تعساً ، عليهِ ان ينحني خاشعاً اذا تكرَّم قيصر ورمقهُ شزراً . انهُ اصيب بالحمى في اسبانيا فكان يرتجف ارتجافاً عند ما تأتيه النوبة . لقد شاهدت ارتجافه . نعم لقد رأيتُ هذا الإله يرتجف ورأيت شفتيه وقد جَبُنتا ففرَّتا هاربتين من لونهما الطبيعي . وتلك العين التي يرتعب العالم من نظرتها رأيتها وقد زال عنها لمعانها . لقد سمعتهُ يئن . ان لسانه الذي أمر الرومانيين ان يكرموه ويدوّنوا خطَبَهُ في كتبهم كان يصرخ طالباً كأساً من الماء كما تصرخ امرأة على سرير المرض . إيهٍ أيتها الآلهة ! اني أعجب كيف يتسنى لرجلٍ بهِ من ضعف الخُلق ما بهِ ان يحوز قصب السبق وحده على هذا العالم العظيم (هتاف في الخارج)

بروتوس — انهم يهتفون أيضاً . وما أظنُّ هذا الهتاف الاَّ تكريماً يضاف الى حساب قيصر

كاسيوس — ويلك يا رجل . انهُ مثل صنم رودس يضمُّ بين ساقيه هذا العالم الضيق ولا يُبقي لنا نحن صغار الخلق الاّ ان نمشي بين رجليه الضخمتين ثمَّ نتطال لنجدَ لأنفسنا قبوراً ندفن بها عارنا . الناس يملكون في بعض الأحيان آجالهم اننا نعيبُ زماننا والعيب فينا . بروتوس — قيصر — ما الفرق بين الاسمين وبمَ يفضل قيصر بروتوس ؟ ولمَ ينادى باسمهِ اكثر مما ينادى باسمك ؟ اكتب الاسمين معاً . ليس اسمه بأجمل من اسمك . تحن في قراءتهما . ان اسمك عذب اللفظ كاسمهِ . ضعهما في كفتي ميزان فلا يرجح اسمهُ اسمك . عزّم بهما فسرعان ما تخرج الأرواح من بروتوس خروجها من قيصر . وأيم الالهة جميعها ! على أي طعامٍ يقتات قيصر هذا حتى ينمو ويصير عظيماً ؟ خزياً لهذا الزمان ! لقد أضعتِ الدم الشريف من عروقك يا رومه . وانهُ ما مرَّ منذ الطوفان زمن احتكر شهرته رجل واحد فقط . وما استطاع رجل ان يقول قبل الآن ان جدران رومه الواسعة ضاقت عن ان تسع اكثر من واحد . وها نحن ، ورومه رومه ، ولا مكان لاكثر من رجل فرد فيها . اني سمعتُ آباءنا تقول ان قد كان فيما مضى رجل يُدعى بروتوس ودَّ لو خضع لحكم الشيطان الأبدي ولا يرى ملكاً على رومه

بروتوس — لا اشكُّ في حبّك لي . واظنني قد حذرت بعض ما تدفعني اليهِ . سانبئك بما يستقرُّ عليهِ رأيي في هذه الأمور . اما الآن فأرجوك أن لا تزيد في تحريك شجوني . اني سأمعن النظر فيما قلت وسأصغي الى كل ما ستقول ثمَّ لي جواب على هذه المهام . واعلم اني أوثر ان اكون قروياً حقيراً على ان اكون ابناً لرومه ينوء تحت أحمالٍ قد يحمّلنا اياها هذا الزمان . فامضغ هذا الكلام جيداً حتى نلتقي مرةً أخرى

كاسيوس — أنا فرحٌ لأن كلماتي الضعيفة قد أذكت مثل هذه النار في صدرك

بروتوس — قد انتهت الألعاب وعاد قيصر .

كاسيوس — عند ما يمرّ القوم اجذب كاسكا من كُمّ ثوبه اليك فيروي لنا باسلوبه الساخر ما يستأهل الرواية من حوادث اليوم (يدخل قيصر واتباعه)

بروتوس — سأفعل . انما تعالَ وانظر . ها علامة الغضب تلمع على جبهة قيصر . واتباعه يمشون كاسفين . ان الاصفرار يعلو خدي كلبورنيا . وشيشرون ينظر بأعين من نار تذكرنا مواقفه في الكابتول حين يعارضه في الكلام أحد اعضاء المجلس

كاسيوس — سيقص كاسكا الخبر علينا

قيصر — انطونيوس !

انطونيوس — قيصر ؟

قيصر — أبغني رجالاً يحيطون بي . رجالاً سماناً ذوي رؤوس ناعمة ينامون الليل كله . ان لكاسيوس الواقف هناك نظرات جائعة مهزولة . انهُ كثير التفكير ومثل جانبه لا يؤمن

انطونيوس — لا تخفهُ ، ليس منهُ خطر . انهُ روماني نبيل يميل اليك

قيصر — ليتهُ كان سميناً . ولكني لا أخافه . على انهُ لو أُعطي لي ان أخاف ، لما تجنبتُ رجلاً تجنبي كاسيوس الناحل . انهُ يقرأ كثيراً ، وهو شديد الملاحظة ، يحدق بنظره فيخترق اعمال الناس . لا يلهو ولا يلعب نظيرك يا انطونيوس ، ولا يسمع الغناء ، يتبسم قليلاً ، واذا تبسم فكأنهُ يهزأ من نفسه او يحتقر قلباً يجد ما يستأهل التبسم . ان امثاله قلقون أبداً ، لا يهدأ لهم بال اذا رأوا من هو أعظم منهم . فهو خَطِر . على اني انبئك عما يجب ان تخاف وليس عما أخافهُ انا . لأن قيصر لا يزال قيصر . تعالَ الى يميني ، فان هذه الأذن ثقيلة السمع وأبدِ لي رأيك فيهِ بالحق . (يخرج قيصر واتباعه ما عدا كاسكا)

كاسكا — انك جذبت كمّ ثوبي . هل تبغي محادثتي ؟

بروتوس — نعم ، انبئنا ما الذي اساء قيصر اليوم

كاسكا — انك كنت معهُ . . ألم تكن معهُ ؟

بروتوس — لو كنت معهُ ما سألتك شيئاً

كاسكا — لقد قدّموا له تاجاً ، وبعد ان قدّموه ردّه بيده هكذا . فهتف له الشعب

بروتوس — وما كان سبب الهتاف الثاني ؟

كاسكا — الأمر نفسه

كاسيوس — ولكنهم هتفوا ثلاثاً

بروتوس — هل أهدوا التاج اليهِ ثلاث مرات ؟

كاسكا — نعم . ثلاث مرات ، وقد ردّه ثلاثاً ايضاً . لكنه تمهّل في الثانية اكثر مما في الأولى ، وفي الثالثة اكثر مما في الثانية . وكان الذين حواليّ يهتفون له المرة بعد الأخرى

كاسيوس — من قدّم له التاج ؟

كاسكا — انطونيوس

بروتوس — كيف كان ذلك ؟

كاسكا — أما كيف كان ذلك فصعب عليّ وصفه . ما اكترثتُ . ظننت الأمر ألعوبة . رأيت ماركوس انطونيوس يقدّم له شيئاً ليس بالتاج حقيقة بل اكليلاً صغيراً . وقد قلت لك انهُ رفضهُ . على اني أظنهُ كان يود لو أبقاه . فقدّم الاكليل ثانية ، فردّه قيصر ايضاً . على اني أظنهُ استثقل ان يعيد يده خاليةً منه . فعاد انطونيوس وقدم الاكليل مرة ثالثة ، فردّه بين هتاف الجمهور وتصفيقهم . وأخذوا يرمون قبعاتهم القذِرة في الهواء فتختلط رائحتها برائحة أنفاسهم المنتنة حتى كاد يُقضى على قيصر . فقد اعتراه الاغماء وسقط الى الأرض . اما

أنا فلم أجسر ان أضحك مخافة ان أفتح فمي فيمتلئ ريحاً خبيثة

كاسيوس — مهلاً . مهلاً . هل أغمي على قيصر ؟

كاسكا — انهُ سقط على قارعة الطريق ، وأزبد فمه ولم يتكلم

بروتوس — والأمر معقول . فان قيصر مصاب بداء الصرع

كاسيوس — ليس قيصر المصاب بالصرع ! بل أنت ، وأنا ، وهذا الأمين كاسكا . نحن المصابون بالصرع !

كاسكا — لا أفهم ما تقول . ولكني أعلم ان قيصر وقع الى الأرض وكان قد لحظ قبل ان يقع سرور الشعب لرفضه التاج فجذبني اليهِ لأنزع الرداء عن عنقه ، والتفت الى جمهور الواقفين وقال « تعالوا اضربوا عنقي » . اما أنا فلو كنت أحد هؤلاء الصنّاع لصدقته حالاً . وعند ما رجع الى نفسه ، اعتذر عما بدر منهُ ونسب السبب الى مرضه ، فصاحت ثلاث او اربع نساء كنَّ بجانبي «يا له من ملك كريم» وغفرنَ له من كل قلوبهنَّ . انما لا عبرة باعمالهنَّ فلو طعنَ قيصر امهاتهنَّ ما فعلنَ خلاف ذلك

بروتوس — وبعد ذلك خرج كئيباً ؟

كاسكا — نعم

كاسيوس — هل تكلم شيشرون ؟

كاسكا — نعم . تكلم باليونانية

كاسيوس — ماذا قال ؟

كاسكا — لو كنت أعلم ما قال لما نظرت الى وجهك بعد الآن . اما الذين فهموه فكان ينظر بعضهم الى بعض ويتبسمون ويهزّون الرؤوس . اما انا فلم افهم شيئاً . كان الكلام يونانياً — دونك خبراً آخر : انهم قبضوا على ماروليوس وفلافيوس لأنهما نزعا الزينات من صور قيصر . وهناك مساخر أخرى قد نسيتها . (مودّعاً) طيبا نفساً

كاسيوس — تعالَ تعشَّ في بيتي هذا المساء

كاسكا – لا . فان لي موعداً آخر

كاسيوس – فليكن الأمر غداً

كاسكا – لا بأس . ان عشتُ ، وكان غذاؤك طيباً ، وان أنت لم تنسَ

كاسيوس – سأكون بانتظارك　(يخرج كاسكا)

بروتوس – غريب أمر هذا ! وكيف صار بطيءَ الفهم . فقد كان رفيقي في المدرسة وعرفته على جانب عظيم من الذكاء وسرعة الخاطر

كاسيوس – انهُ لا يزال سريعاً في التنفيذ سبّاقاً الى غايات الشرف والشجاعة رغم ظاهره البطيءِ . وليست هذه الخشونة البادية عليهِ الاَّ مرقاً في صحن ذكائهِ يذيقهُ الناس فيحسنون هضم كلامه بشهية

بروتوس – وهو كذلك . سأتركك الآن . فاذا أحببتَ ان تراني غداً أجيئك . أو تعالَ انت الى منزلي . اني أكون بانتظارك

كاسيوس – سأفعل . استودعكَ التفكير في شؤون هذا الزمان (يخرج بروتوس) . انك شريف يا بروتوس . على اني أرى معدنك الشريف قد يُصلتُ ويحوَّل الى غير وجهتهِ . ولذلك وجب ان لا يخالط الشريف الاَّ الشريف ، فالعصمة ليست لأحد ، وأي الرجال لا يُستغوى . ان قيصر حاقدٌ عليَّ ولكنهُ يحب بروتوس . فلو كنتُ أنا بروتوس وكان بروتوس كاسيوس لما استطاع ان يثير مكامنَ عواطفي . فلأذهبنَّ الليلة وأكتبُ رسائل أرميها اليهِ من نوافذ بيته — رسائل مختلفة الخطوط تشيرُ الى ما له من عظيم المكانة في قلوب أهل رومه وتلمّح الى اطماع قيصر ومآربه – وبعد ذلك ليطمئن قيصر في مقعده ان استطاع للاطمئنان سبيلاً . فإنّا سنهزهُ تهزيزاً أو نخضع للنحس طويلاً　(يخرج)

« المشهد الثالث »

رعد وبرق . (يدخل كاسكا من جهة شاهراً سيفه ، وشيشرون من جهة أخرى)

شيشرون – السلام يا كاسكا . أكنتَ في ركاب قيصر حتى منزله ؟ مالك

تكاد تختنق ؟ الى أيّ شيء تحدّق

كاسكا — وأنتَ مالكَ ساكناً لا تتحرّك والأرض تكاد تميد بما فيها كورقة يهزّها الريح . أي شيشرون ! اني رأيت أعاصير اقتلعت الاشجار ذات العقد ؛ وشاهدتُ البحر ينتفخُ ويرغي ويُزبد طامعاً بأن يرتفع الى السحب الغضبى ولكنني لم أرَ قبل اليوم عاصفة تمطرُ ناراً . فقد يكون أهل السماء قام بعضهم على بعض عدوًّا . أو ان الأرض تطاولت على الآلهة فاستفزتها الى ارسال صواعق الهلاك

شيشرون — ماذا رأيتَ من الغرائب ؟

كاسكا — رأيت عبداً رافعاً يده اليسرى تلتهب ناراً كأنها تضمُّ عشرين مشعالاً ولكنها سليمة لا تحترق . والتقيتُ بأسدٍ سالتُ له سيفي فكان يحلق فيَّ ثم سار بسلام . وثَمَّ نساء بدّلهنّ الخوف أشباحاً حلفنَ لي انهنّ رأينَ رجالاً من نارٍ يسيرون في الشوارع . والبارحة جثمت البومة طائرُ الليل تنعبُ في رابعة النهار . . أفإذا اتفقت هذه الخوارق على الوقوع يعللها الناس بأنها طبيعية ويخلقون لها أسباباً ؟ أما أنا فأراها نُذُرَ سوءٍ للبلاد التي تحلُّ عليها !

شيشرون — لا ريب انهُ زمنٌ غريب الأطوار . انما الناس يؤوّلون على هواهم أموراً ليست مقاصدها مقاصدهم . أيجيء قيصر الى الكابيتول غداً ؟

كاسكا — يجيءُ . فقد أمرَ أنطونيوس بأن ينقل اليك نبأ عزمه على الذهاب

شيشرون — مُسيّتَ بالخير . ليس هذا الطقس بلائق للسُرى

كاسكا — يحفظ الله يا شيشرون (يخرج شيشرون)

(يدخل كاسيوس من ناحية أخرى)

كاسيوس — مَن هنا

كاسكا — رومانيّ

كاسيوس — أنتَ كاسكا . عرفتك بصوتك

كاسكا – أُذنك سمّاعة ! أي كاسيوس ما هذا الليل ؟

كاسيوس – انها ليلةٌ تسرُّ المخلصين الأمناء

كاسكا – مَن رأى السماء تزمجرُ هكذا

كاسيوس – الذين رأوا الأرض مملوءة ذنوباً . أنظر يا كاسكا ! اني كما تراني قد خرجتُ أجول في الأسواق معرّضاً نفسي لأخطار هذا الليل ، مفكوك الازار معرّياً صدري للصواعق حتى اذا ما أرعدت وشقّت صدر السماء كنت أتعرَّض لها مستقبلاً انقضاضها هكذا ؟

كاسكا – ولمَ تستفزُّ السماء هذا الاستفزاز ؟ ان علينا نحن البشر ان نخاف ونرتجف عندما ترسل الآلهة البطّاشة مثل هذه النذر الهائلة لترهبنا

كاسيوس – انك بليد يا كاسكا ! فإما انه يعوزك شررُ الحياة اللازم لكلّ روماني واما ان يكون مخبوءاً فيك لا تقدح بهِ . تلبس لباس الخوف والدهشة ، ويعلو وجهك الاصفرار ، وتحدّق لترى علة ملل السماء . ولو استقصيتَ السبب الحقّ لوجدتَ ان هذه النيران وهذه الأشباح الزاحفة وهذا الطير والحيوان وهذه الاشياء جميعها لم تخرج عن مألوفِ سليقتها وأصل كيانها ولم يستعصِ سرُّ انقلابها على الرجال عاقلهم ومجنونهم وطفلهم، فضاعَ منهم سبب تحوّلها هذا التحوُّل الرهيب الاّ لأمرٍ جللٍ خارق ؛ وان السماء قد نفخت فيهم هذه الأرواح لتجعلهم آلةَ رعبٍ وانذار ! أي كاسكا ! هل أُسمي لك رجلاً هو أشبه الاشياء بهذا الليل – رجلاً يرعد ويبرق وينبش القبورَ ويزأر كالأسد في الكابيتول – رجلاً لا يفضلك ولا يفضلني في الاعمال ولكنهُ نما فصار مخيفاً هائلاً كهول ما نشاهد من الخوارق

كاسكا – قيصر عنيت . ألم تعنِهِ يا كاسيوس ؟

كاسيوس – ليكن من يكون . تعساً لهذا الزمان ! فان للرومانيين الآن أعصاب أجدادهم وعضلاتهم. أما عقول آبائنا فقد ماتت و بقيت لنا عقول الامهات.

ان نيرنا وصبرَنا عليهِ لمظهرٌ من مظاهر تخنّثنا

كاسكا — يقال ان الاعيان ينوون المناداة بقيصر ملكاً يحمل التاج في البرّ والبحر وفي كل مكان خلا ايطاليا

كاسيوس — اذن فانا أعرف أين أغمد هذا الخنجر وأحرر نفسي من هذا الرق ! إيهٍ أيتها الآلهة ! انكم في هذا تجعلون الضعيف قوياً وتقهرون المستبدين !.. لا تستطيع الحصون الحجرية ولا الاسوار المصفحة بالنحاس ، ولا السجون المختنقة ، ولا سلاسل الحديد ان تقف حاجزاً في سبيل عزم نفس ا كيد . انما قد تملُّ الحياة هذه القيود الأرضية فلا تعدم قوة تعينها على الفرار . فاذا كنتُ أعلم ذلك — وهو ما يعلمه الناس كلهم — فاني أستطيع ان أنزع عني متى شئت هذا الاستبداد الذي أحمله

كاسكا — هكذا أنا . وهكذا كل عبد يحمل في يده قوة تزيل عنهُ عبوديته

كاسيوس — اذن لماذا يكون قيصر السيد المستبد ؟ مسكين هو — الذنب ليس ذنبه . انهُ لا يودّ ان يكون ذئباً لو لم يرَ الرومانيين حملاناً ؛ ولا ان يصير أسداً لو لم يكن الرومانيون ظباء . ان أعظم النار التهاباً تبدأ بشرر في العشب الصغير البائد . يا لرومة . ما ازراها وما أشبهها بالحثالة والنفاية حيث هي اداة هوان تُحرق مشكاةً لشيء سافلٍ اسمهُ قيصر ! رويدكِ نفسي لقد أضلتني شجوني ، فقد أكون مخاطباً رجلاً راضياً بالرق . على أني أتحمل مسؤولية كلامي ، فلا أخشى الخطر بعد ان سلحت لملاقاته عزيمتي

كاسكا — انك تخاطب كاسكا . وليس كاسكا بالثرثارة المهذار . ضع يدك في يدي ! كن في عصبة تقوم في وجه هذه المساوئ ، فأصبح واحداً منكم لا يسبقهُ الى العمل سابق

كاسيوس — هذا عهد بيننا . (يتصافحان) فليكن في معلومك الآن اني قد أثرت بعضاً من أشرف رؤوس رومه ليكونوا عوناً لي على أمر جلل نبيل ؛ وهم

بانتظاري الآن في رواق بومباي في هذا المزيع من الليل حيث لا سار في الاسواق . . . ما أشبه وجه الطبيعة بعمل دموي مخيف سوف نقدم عليهِ (يدخل سنّا)

كاسكا — اختبئ هنيهةً ! انسان قادم على عجل

كاسيوس — هو سنّا . اعرفه بمشيته . انهُ صديق . ما لك تسرع يا سنّا ؟

سنّا — لأراك . من هذا ؟ أسمبر هو ؟

كاسيوس — لا . هو كاسكا ، أحد المتفقين حول غرضنا

سنّا — اهلاً بك وفرحاً ! يا لهول هذا الليل ! ان بعضاً من قومنا رأى مناظر غريبة

كاسيوس — أينتظرني القوم ؟ قل !

سنّا — نعم ، هم بانتظارك . ايه كاسيوس لو تستطيع ان تجعل بروتوس منا

كاسيوس — اطمأن بالاً . خذ هذه الورقة للمجلس ، وضعها في كرسي بروتوس الخاص بهِ بحيث لا يراها سواه ، وارمِ بهذه الى نافذة بيتهِ ، علّق هذه على تمثال جدّه بروتوس ؛ ثم تعالَ والحق بنا في رواق بومباي . أهناك داسيوس وتريبونيوس ؟

سنّا — الكل عدا سمبر الذي خرج وراءك الى بيتك . ها أنا أُسرع لأوزع هذه الأوراق حسب قولك

كاسيوس — ثم ارجع بعد ذلك الى رواق بومباي . (يخرج سنّا) (مخاطباً كاسكا) كاسكا . هلمَّ بنا الى منزل بروتوس قبل ان يفاجئنا النهار . ثلاثة ارباعه لنا الآن ، وسنأخذه كله بعد هذا الاجتماع

كاسكا — ان منزلته رفيعة المقـام في قلوب الشعب وما يرونهُ تهجماً اذا صدر منا ينقلب بسحر هيبتهِ فضيلةً واحساناً

كاسيوس — لقد قدرته وفضله وحاجتنا اليهِ حق القدر . هيا بنا فقد آذن الليل بالانصراف ، وسوف نكون واثقين منهُ قبل ان يلوح الفجر (يذهبان)

(تمّ الفصل الاول)

منشئ المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السابع — نوفمبر (ت ٢) ١٩١٢ — السنة الثالثة

الرتب والنياشين

الانسان بطبيعته ميال الى الزهو، توّاق بفطرته الى التفوّق على ابناء جلدتهِ، شغفٌ بكل ما يميزه على الغير. تلك غريزة ملاصقة للنفس البشرية كيفما تكيفت وحيثما وُجدت. ولذلك ترى منح الرتب والنياشين من العادات القديمة المنتشرة بين جميع الأمم والشعوب، اياً كان شكل حكومتها. ولطالما استخدمها الرؤساء والحكام لاستمالة أصحاب النفوذ من المرؤوسين والمحكومين، لانهُ اذا كان للرعية ألف وسيلة تتزلف بها الى عاهلها، فللعاهل فيما تجود به يده من نعم الالقاب والاوسمة أحسن ذريعة للتزلف بدوره الى تلك الرعية. ولإن روى لنا التاريخ حادثة ذلك الكونت الذي مننه ملكه بقوله «من جعلك كونتاً؟» فأجابهُ، ويده على قائم سيفه «أنت. ولكنني صيّرتك ملكاً» فلكم روى لنا عن استكانة أصحاب الألقاب الى الذل والخنوع لمانحيهم ذلك اللقب الذي يخوّلهم حق التشامخ على من كان عطلاً منه. ولإن كان قانون الولايات

المتحدة يمنع الاميركيين من حمل الالقاب وعلامات الشرف ، فلكم رأينا من أغنيائهم يسعون زحفاً لتزويج بناتهم صاحبات الملايين من ذي لقب وان كان معدماً لا يملك شروى نقير

البحث في الرتب والنياشين من الابحاث التي كثر خوض الكتاب فيها . فمن محبّذ ومن مسفّه . وأدلة الفريقين مشهورة ، والحجج لها وعليها معروفة . يمكن ان تقابل وتقارن بينها دون ان تتوصل الى اقناع صاحب رأي فيها . هذا يسميها زينة فارغة ، ومجداً باطلاً ، وبهرجة كذابة . وذاك يقول عنها : علامة شرف ، وشهادة نبل ، ودليل مروؤة ورفعة

تقول هذا مجاج النحل تمدحهُ　　وان ذممتَ تقُل قيءُ الزنابيرِ

يسعى الآن فريق لالغاء الرتب وإبطال النياشين وسائر علامات الامتياز . وحجتهم في ذلك نشر المساواة بين الوطنيين . ولا سيما انهذه الامتيازات لا تزيد في قدر الرجل وليست دائماً في الواقع علامة امتياز حقيقي ، بل كثيراً ما تكون موضوع تجارة سافلة من مانحيها ، وذريعة للاعجاب والغطرسة من نائليها . ولطالما كانت موضوع الدسائس والمساعي الدنيئة في جميع أنواع الحكومات من امبراطوريات وملكيات وامارات وجمهوريات . وقد تبادر فكر الغاء النياشين والرتب الى ذهن رجال الثورة الفرنسوية الكبيرة فألغوا كل ما خلّفه عهد الملوك من الرتب والالقاب والنياشين ، ولكنهم لم يلبثوا ان اضطروا الى انشاء غيرها ليجعلوها علالة لكبرياء الناس . فأوجدوا اولاً ما سمّوه «أسلحة الشرف» وذلك مكافأةً للابطال الذين امتازوا في حملة ايطاليا . ثم لما قبض نابوليون

بونابرت على أزمة الاحكام أخذ يمطر ألقاب الامتياز على قواده ، مضيفاً الى أسمائهم الاصلية أسماء الانتصارات التي أحرزوها في المواقع الحربية . وكان قد أنشأ وسام فرقة الشرف (لجيون دونور) وجعل عدد حاملي هذا الوسام ٦٠٠٠ فقط . فجاءت الامبراطورية الثانية وزادت على هذا الرقم أصفاراً فجعلته ٦٠٫٠٠٠ . ولا يزال التاريخ يذكر ذلك الاحتفال الباهر الذي أقيم يوم وزّع بونابرت هذا النيشان على مستحقيه

ولا ينكر ان من الخدمات الجلّى ما لا يمكن اثابة من يقوم بها بالدراهم . وهذا ما يدّعيه مريدو الرتب والنياشين . فيرونها والحالة هذه أسمى ثواب وخير جزاء ، فضلاً عن أنهم ينظرون فيها باعثاً للنشاط ، معززاً للجدّ في سبيل الخير العام ، مثيراً للعواطف النبيلة في النفوس واذا كانت احياناً تُنال عن طريق الثروة ، فكثيراً ما تكون ايضاً جزاء عمل جليل يؤول الى ترقية البلاد مادياً أو أدبياً أو علمياً أو فنياً ، فأصبحنا نراها على صدر الجندي والشاعر والعالم والمخترع وصاحب الفن ، وصار عدد حاملي النياشين من هذه الطبقات يزداد يوماً فيوماً . وقد قال الشاعر الفرنسوي روستان عن لسان ابن نابوليون : «كان بودّ أبي ان يجعل الشاعر كورنيل اميراً فسأجعلنّ فكتور هوغو دوقاً» ... وعلى كل فيجب التحفظ والاعتدال في توزيعها حتى تبقى علامة امتياز حقيقي لا تبتذل فتفقد قيمتها في أعين الناس . ولا بأس في هذا المقام من ايراد نكتة للملك فيكتور عمانوئيل الايطالي فانه كان يقول « شيئان لا يمكني ان ان أرفضهما لأي رجل فرنسوي يطلبهما مني بتأدب : عود كبريت ليولع

سيجارته ، ونيشان القديسين موريس ولازار ليزين صدره » . . .

ولقد اشتهر أمر كثيرين من مشاهير العلماء وكبار الرجال الذين رفضوا بتاتاً الرتب والنياشين ، وكان رفضهم عن اخلاص في الاعتقاد ورسوخ في المبدإ . غير ان رفض البعض كان ينمّ عن كبرياء حقيقية وعجرفة فعلية . وما الرتب والنياشين في الحقيقة الاّ كمصباح يحمله الانسان ، فيبدي عيوبه اذا كان ناقصاً ، ويُظهر محاسنهُ اذا كان كاملاً

قال أحد كتّاب الغربيين : « يجب ان نعجب لا ان نضحك من هذا الاختراع الكبير — اختراع الاوسمة والنياشين — فهو اختراع قوة أدبية هائلة تفوق أهمّ الاختراعات اذ يحمل الناس على اقتحام غمرات الردى لنيل قطعة من المعدن يرون فيها أمجد مجدٍ وأشرف شرفٍ وأعظم جزاء . هذا جنون ولكنهُ جنون جميل »

وكأن الناس خافوا على هذه الامتيازات من الطامعين فيها يدّعونها كذباً وزوراً فجعلوا في القانون مادة تعاقب بالسجن من ستة أشهر الى سنتين من يحمل نيشاناً لم ينعم عليهِ بهِ ، كما انهم يغرّمون من ينتحل لنفسهِ لقباً من ألقاب الشرف جزاءً نقدياً من ٥٠٠ الى ١٠٠٠٠ فرنك

وأحسن ما يختم بهِ هذا المقال كلمة جامعة شاملة على ايجازها ، لأحمد فارس الشدياق عن الالقاب قال : « هي خرقة تستر عورة الاسم الذي أُطلق على المسمى . . . بل هي كالبطاقة شُدَّت الى لابسها ليُعرف بها سعره . الاَّ انه كثيراً ما يقع الغلط في إلصاقها بمن ليس بينهُ وبينها علاقة . . . »

***

بعد أن تكلمنا عن الرتب والنياشين من الوجهة الادبية الاجتماعية ، يجدر بنا ان نقول عنها كلمة من الوجهة التاريخية

تقدم ان منح النياشين وعلامات الشرف والامتياز عادة قديمة . وكان أبطال الرومانيين عدا ما يصيبهم من الغنيمة على العدو يُثابون بأسلحة شرف يوزعها عليهم القائد في مجمع من الجيش ويطري بسالتهم وإقدامهم . وكان يُنعم عليهم بنياشين وعلامات يتزينون بها في الحفلات العمومية ، كما هي العادة اليوم ، وأشهرها الاكاليل :

فكان « اكليل المعسكر » يُمنح لاول جندي يدخل معسكر الاعداء ، و « اكليل الحصن » لأول جندي يهاجم قامتهم . وكان يُنعم « باكليل البحر » على القائد البحري الذي يكسر اسطولاً أو على النوتي الذي يسبق رفاقه بالصعود الى مركب العدو . اما « اكليل الزيتون » فكان للعساكر والضباط الذين امتازوا في معركة حربية ، و « الاكليل المدني » للذي ينقذ حياة احد الرومانيين . وكان الجيش يقدّم « اكليل الكلإ » للقائد الذي ينجيه من أيدي العدو . أما « اكليل الآس » و « اكليل الغار » فكانا للقائد الذي يخرج شعب رومة لملاقاته بعد العودة من فتح كبير او انتصار باهر

وعلى عهد الامبراطورية الرومانية ، وُضع حدٌّ فاصل بين هذه الانعامات . فكانوا يسمون الاكاليل « الانعامات الكبرى » . أما « الانعامات الصغرى » فمنها « السوار » في الذراع و « القلادة » في

العنق و « الدائرة » على الصدر و « القرون » على الخوذة . وكانت هذه الشارات من الذهب أو الفضة . وكان منح الانعامات الكبرى من حق مجلس الشيوخ (السناتو) أو الجيش ، ومنح الانعامات الصغرى من حق قواد العساكر . وكان يجوز للروماني ان يُحرز كل هذه الامتيازات معاً وعدداً كبيراً منها . فان سكسيوس دنطاطوس نال ٢٢ رمح شرف و ٢٥ اسطوانة و ٨٣ قلادة و ١٦٠ سواراً و ٢٦ اكليلاً

أما قدماء اليونان فلم يكن عندهم كل هذه الانواع الكثيرة من علامات الشرف . وأشهرها عندهم « الاكليل » ولخطيبهم الاكبر ذيموستينوس خطبة معروفة في هذا الموضوع

وكانت علامات الامتياز في ما مضى عسكرية على الغالب للتمييز بين القواد وطبقات الضباط والعساكر . على أن الملوك أخذوا يوجدون الاوسمة الخاصة ينعمون بها على كل من خدم بلاده . فأنشأ شارلمان وسام « التاج الملكي » والملك لويس التاسع وسام « كوز اللزّان » والملك جان وسام « النجمة » والملك هنري الثالث وسام « الروح القدس » وانشأ لويس الرابع عشر وساماً باسم جده الاكبر « القديس لويس » واتخذ لويس الخامس عشر من هذا الوسام طبقةً ثانية سماها وسام « الاستحقاق العسكري » للانعام به على غير الكاثوليك من رعاياه . ولما جاءت الثورة الفرنسوية ألغت جميع الألقاب والنياشين . على ان نابليون أعادها فانشأ نيشان اللجيون دونور كما تقدم[1]

(١) سنأتي في الجزء القادم على ذكر الالقاب والنياشين الموجودة في كل دولة من الدول

مقالات باكون

٣ — الانتقام

وما مات منا سيّدٌ حتفَ أنفهِ　　ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ

الانتقام عدالة الوحشيين . واذا امتزج حبهُ بالنفوس يكون كالسُّم خالط الشراب ؛ لأن من يقترف ذنباً يضرُّ بنظام الشرائع ؛ وأما من حقد على عدوّ له ، وأخذ بثأر قتيلٍ ، أو شرفٍ ناله أذى ، فانهُ ينتزع سلطة الشرائع ويعبث بها

على أن من قابل السيئة بالحسنة ، وعفا عمن أذنب ، فقد أمسى كريماً ، لأن العفو من شيم الكرام . وأما من استكبر ، وقابل الاساءة باختها ، فقد حطَّ من مقدار نفسهِ ، ووضعها ونفسَ المسيء على بساط المساواة . وقد كان سليمان الحكيم يقول : ان الجنة مأوى الغفور

وما الانتقام الا تمرّد في النفس قد أنبته ذنب انقضى عهده . فما لنا وذلك الماضي الذي فات ، وخير لنا أن نعني بيومنا وغدنا من أن ننظر في شأن أمور كانت بالأمس

وليس الظلم من شيم النفوس ، انما حب النفس يدفع الناس الى الظلم والشر . فكل يظلم لمغنم يستجلبه ، أو لحاجة في نفسه يقضيها ، او لنيل شرفٍ يسعى ليدركه . فماذا علينا من رجل يحب الخير لنفسهِ ، ويكرههُ لغيره . أما من يظلم الناس ليشفي غليلاً في الفؤاد ، لان الشرّ

كامن في نفسهِ كمون الكهرباء في الاجساد ، فهو خليق بالرحمة والغفران ، لانهُ كالافعى ليس لديها الأ سمها

ولقد يُزكى الانتقام ، اذا كان لذنبٍ لا ينال المذنبَ عليهِ عقاب سوى الأخذ بالثأر . على ان الانتقام في مثل هذه الحال جدير بأن لا يكون ذنباً يقع آتيه تحت طائلة العقاب والا يكون المنتقم قد ألقى بنفسه في التهلكة وأصابه الشر مرتين

وأشرف أنواع الانتقام ما كان على مرأى من الناس ومسمع . فليس الغرض من الانتقام ان ترد الاساءة الى من أساء اليك ، انما الغرض ان يتوب المسيء عن الاساءة ، ويعلم ان هذه بتلك والبادئ أظلم . وقد ينتقم الجبان لنفسه تحت طي الخفاء ، فيكون كالسهم أرسلته القوس تحت جنح الظلام

وقد يعفو الناس عن المسيء ان كان عدواً لدوداً ، ولكنهم لا يلتمسون للصديق عذراً ، اذا نقض عهداً ، او خان وداً

ومن الناس من يفتأ يذكر الثار والانتقام ، فيبقى جرح نفسه غير ملتئم أمداً فيقضي عمره بين الهم والكدر . ولو أنه نسي ما فات لالتأمت جراحه

وقد يقوم المنتقم للانتقام وهو آمن شر العاقبة ، لأن الله يعضده والناس ، وذلك اذا كان المأخوذ بثأره كبيراً بين قومه ، قد غدره اعداؤه وأوقعوا بهِ ظلماً . فقد هبّ اغسطس قيصر للانتقام ممن أراقوا دم يوليوس قيصر ، فعضده أهل رومة وأخذوا بيده وحكموه فيهم

٤ — الدرس والمطالعة

ان للدرس والمطالعة نفعاً كبيراً : فان الخلوة بالكتاب تشرح الصدر وتحسن الحديث وتزيد القارئ علماً وعرفاناً . وأيُّ شيءٍ أحبُّ الى من هجر الدنيا ومن عليها من كتاب يجلس اليهِ ؟ وأيُّ شيءٍ أنفع الى رجلٍ يحبّ اذا ما فاه ان يفوه بالقول البليغ من كتاب يحسّن لفظه ؟ وأيُّ شيءٍ يعلم رجل الدنيا كيف يسير في الدنيا غير كتاب مفيد ؟ وانك لا تجد رجلاً يدبر أمور غيره وينظر بشؤون أمته ويأخذ على عاتقه عبئاً ثقيلاً ، الاّ وهو على بيّنة من العلم ، ونصيبه من المعرفة وافر

على ان لكل نافع ضرًّا . وليس ضرُّ العلم بناشئٍ منه . انما يعاب صاحبه اذا لم يسلم من ثلاث : الافراط فيهِ والاعجاب ومزج العلم بالعمل . فان الاكثار من الدرس والمطالعة والعلم يورث الخمول . وانك ان حاولت إظهار معرفتك في حديثك فقد عرَّضت نفسك للنقد واللوم . وانك ان شئت ان تسير في عملك وفقاً لغرض علمك فانك لا تستطيع

وليس الغرض من العلم ان يكون كل بضاعتك ؛ انما هو كالصقل للبماني ، فانه يشحذ القرائح ويخرج القوى الكامنة في النفس فتبدو كالأحجار الكريمة اذا أخرجها العامل من جوف الارض او قاع البحر وصقلها فبدت محاسنها وخفيت عيوبها . على ان العلم في حاجة الى التدريب وليس يكفيك ان تكون ذا علم واسع ان لم تكن قد هذبتك الأيام وأمسيت لمعول الحوادث صفاً صلداً . لأن العلم كالأسد الهصور لا تستطيع أسره الاّ اذا كبلته بقيود من اختبار

وقد يكون أحدنا ماكراً ختلاً مخادعاً ، فيسخر بالعلم ويسكن الى خداعه ومكره لأنهما يمكنانه مما يريد . وقد يندهش الجاهل منه . انما لا يستطيع ان ينتفع به الاّ العاقل الحكيم . فانهُ يعلم علم اليقين أنّ العلم ليس الاّ مشكاةً يستضيءُ بها في ديجور هذه الحياة الدنيا فعليها النور وعليهِ المسير

وليس الغرض من المطالعة ان تنتقد قول المؤلف او تنقض آراءه ، او لتأخذ كلامه قضية مسلمة لا نزاع فيها ، او لتتمشدق بما قرأته على رؤوس الاشهاد ، لتُظهر للملأ أنك تقرأُ الكتب ؛ انما الغرض ان تزن أبحاث الكاتب وتمعن النظر في مقدماته ونتائجه

على ان الكتب كالطعام : بعضه تذوقه ولا تأكله ، وبعضه تلتهمه التهاماً ، وبعضه تلوكه وتهضمه هضماً . فبعضها تقرأُ زبده ، وبعضها تطالعه بلا امعان كثير ، وبعضها تطالعه وتدرسه درساً دقيقاً وتمحصه تمحيصاً

وفي مطالعة الكتب منافع غير التي ذكرت ثلاث . فالدرس يدّخر منهُ العقل حكمة . فالدرس يمدّ العقل بالحكمة فيدّخرها ، والجدل يشحذ الذهن ويوقد القريحة ، والاقتباس يورث الدقة والاتقان . فاذا كنت ممن لا يطالعون كثيراً ، فانت في حاجة الى ذكاء تخفي به جهلك ؛ وان كنت ممن يفضلون راحة البال على الجدل والمناقشة ، فانت أحوج الناس الى ذهن حادّ يدلك على كلام تلقي به حجة خصمك ؛ وان كنت قليل الاقتباس فانت في حاجة الى حافظة شديدة تتقي بها شرّ النسيان

وكل فرع من شجرة الحكمة يوسع دائرة من دوائر العقل . فالتاريخ

يعلّم الناس فنّ السياسة ، والشعر يولّد الآراء السامية ، وفنّ الرياضيات يعلّم الدقة ، والعلوم الطبيعية تكون واسطة للتبحر في العلم ، والفلسفة الأدبية تورث الحزم والثبات ، والمنطق والبلاغة يقرّبان المرء من المقدرة على الخطابة والمناظرة

وليس في المقول نقص لا يكمله العلم ، او عاهة لا تشفيها الحكمة . وكما ان لكل داء من ادواء الجسم دواءً يشفيه فالمشي ذهاباً وجيئة ينفع الامعاء ، وركوب الخيل يشفي المخ ، والرماية تصلح الرئتين . فمن كان قليل الانتباه فدعه يدرس الرياضيات فانهُ ان سها او نسي او أخطأ فيها مرةً ، تكبد مشقة العمل ثانياً ، وان آنس من نفسه عجزاً في الاستنتاج فدعه يصرف قليل وقت في مطالعة المناظرات الدينية . وان أحس من نفسه بضعف في ضرب الامثال فدعه يقرأ كتب الشرائع والقوانين

محمد لطفي جمعه المحامي

المودّة الكاذبة

ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ، ويتواصلون عليهما ؛ وهما ذات النفس ، وذات اليد . فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء . وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض . ومن كان يصنع المعروف ببعض منافع الدنيا ، فانما مثلُه فيما يبذل ويُعطي كمثل الصياد والقائهِ الحبّ للطير ، لا يريد بذلك نفعَ الطير وانما يريد نفع نفسه　　　(ابن المقفّع)

النساء الرجال

اطلعنا على الفصل التالي في احدى المجلّات الفرنساوية فرأينا ان نترجمه لما فيه من بيان فضل المرأة الغربية ، وفوزها على الرجل في كثير من الاعمال الجلّى التي قلما يقدم عليها غير الشجاع الباسل. وهو مكتوب بقلم السيدة «ريموند دلاروش» « الطيّارة » الفرنساوية التي أدهشت بطيرانها المتفرجين في حفلة « عين شمس » بمصر في شتاء سنة ١٩١٠ . وقد أرادت بنشره أن تردَّ على جمهور من الكتّاب قام ينتقدها على أثر سقوطها من الجوّ في حفلة الطيران في مدينة « ريمس » ويعنّف من أجلها سائر النساء بدعوى ان المرأة لا تستطيع ما يستطيعه الرجل

قالت الكاتبة :

تعجب بعضهم من إقدامي على الطيران ، وأدهشتهم جرأتي ومخاطرتي أحياناً كثيرة بدعوى ان الطيران خاص بالرجال لا يتعداهم الى النساء . ثم انقلب تعجّبهم ودهشتهم الى انتقاد وتأنيب يوم وقعتْ بي طيارتي في مدينة « ريمس » فأصبتُ ببعض الجراح والرضوض ؛ ولو أسعدني الحظ فلم أقع لحوّل اولئك الناس تعجبهم ودهشتهم الى اعجاب بفضلي ، واقرار بعلمي ، وكان مديحهم لي وثناؤهم على جراءتي وخبرتي بدلاً من الانتقاد والتأنيب اللذين وجهوهما اليّ ! او لم يقولوا علناً على أثر إصابتي تلك انني حصدت ما زرعت ، ولقيت ما سعيت اليه ؟ ؟

قلت مراراً عديدة من قبل ، وأنا اكرّر اليوم ما قلتهُ بالأمس ان الطيران ليس بأعظم خطراً من سواه بين أنواع الرياضات البدنية والاختراعات المعدة لها . واذا جاز لي أن أتباهى بكوني أول امرأة لامست

الغيوم ، وصعدت الى عالم النجوم فأشرفت من أعالي الفضاء على هذه الأرض ، وقسم لها شؤم حظها ان تقع مرة من شاهق فتصاب بالجراح والرضوض ، فاني لست المرأة الاولى التي قارعت الرجال في كثير من أنواع الرياضة ، وركبت من الاخطار كل مركب صعب ، فدلَّت على جلد ثابت ، وشجاعة فائقة

ان نساء كثيرات وأخص الانكليزيات والاسوجيات والدانماركيات بلغنَ حداً قاصياً في اتقان بعض الرياضات كالجنستيك ، وكرة القدم بجميع أنواعها ، والسباحة ، ولعب السيف، وركوب السيارات والدرّاجات وهلمَّ جرًّا من أمثال هذه الفنون المروّضة التي اختصَّ بها الرجال دون النساء !

ولقد وددت لو تمكنت من ذكر جميع الشهيرات في العالم في مثل هذه الاعمال غير اني سأقصر كلامي على بعضهن مخافة أن يطول المجال . وسيرى القاري، من خلال حديثي هذا ان في وسع المرأة ان تسير الى جانب الرجل وترفع رأسها تباهياً وكبراً

***

جرَّب كثيرون أن يقطعوا خليج « المانش » سباحة فلم يُفلح منهم سوى القبطان « وب » في سنة ١٨٧٥ على انهُ كان بين أولئك المجرّبين امرأتان اشتهرتا بإقدامهما ، احداهما البارونة « فالبوكا دساسكو » والثانية الآنسة « كلارمن »

أما الأولى وهي نمسوية اشتهرت بالسباحة في نهر الدانوب (الطونه)

ومصادمة التيار فيهِ ، فانها نزلت البحر في « كاله » في الساعة السابعة من صباح اليوم الخامس من سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ فعاكسها التيار وتقاذفتها الامواج واللجج نحواً من ست ساعات متوالية حتى خارت قواها فأقرَّت بفشلها باديء ذي بدءٍ حتى اذا أراد المركب الذي كان يرافقها أن ينقلها اليهِ أبت عليها كبرياؤها الاقرار بالعجز فعادت تعارك الامواج وتغالب اللجج حتى كانت الساعة الخامسة مساءً فتلاشت قواها تماماً ولم يعد في وسعها الثبات فأعلنت عجزها بعد مكافحة عشر ساعات . وكانت المسافة التي قطعتها ثلاثين كيلومتراً

وأما الثانية فنزلت الى البحر من « دوفر » في صباح اليوم السادس والعشرين من أغسطس سنة ١٩٠٥ فسبحت ست ساعات متوالية وكاد يسعدها الحظ ببلوغ أمنيتها لولا ان عاكستها الريح بعد ذلك وغالبها التيار فلم تمكن من قطع ما كان قد بقي أمامها من المسافة الى البرّ الفرنساوي . ومما يؤثر عن هذه المرأة انها قطعت سباحة مسافة ٣٧ كيلومتراً في ثلاث ساعات واحدى عشرة دقيقة

وبين النساء السبَّاحات كثيرات اشتهرنَ بجلدهنَّ وقوتهنَّ وإقدامهنَّ على منازعة الرجال الجوائز في السباقات المتنوعة ، وأشهرهنَّ الاختان الشقيقتان « مارث وسيسل روبرت » السويسريتان ، والآنسة « مارفنت » الفرنساوية ، والآنسة « فردندوفر » النمساوية ، والآنسة « جونسون » الانكليزية

وقد طالما وضعت أندية الألعاب المروّضة في الدانمارك جوائز كبيرة

للسابقين في السباحة فنال كثيرات من النساء عدداً منها بعد أن زاحمن أشهر السباحين في سبيلها فتغلبن عليهم ، وعرف الجميع مقدرتهن وسبقهن في هذه الرياضة الخطرة المتعبة فأقرّوا لهن بالفضل

ومن الاعمال التي اختص بها الجنس القويّ دون الجنس الضعيف التصعيد في الجبال العالية المغطاة قممها بالثلوج ، والمحفوفة سبلها بالاخطار والمكاره كجبال « الألب » في أواسط أوروبا

كل من زار سويسرا في الصيف عرف ان كثيرين من الاجانب عنها انما يؤمونها بغية التصعيد في جبالها فيسير الواحد منهم متوكئاً على عصا طويلة صلبة يغرزها قدامه في الثلج وينتقل وراءها بحذر وانتباه شديدين مرتقياً قمة فقمة ، وهو لا يأمن ان تزلّ بهِ القدم فيهوي من شاهق الى أسفل حيث لا ينجو من الهلاك الا باعجوبة بالغة . وكثيراً ما تتدحرج عليهِ القطع العظيمة من الثلوج فيموت شرّ ميتة . فلهذا كله كان التصعيد في تلك الجبال عملاً شاقاً خطراً لم يقدم عليهِ الا الشجاع الباسل واذا أقدم فمجازفة بحياته طلباً للشهرة . على ان كثيرات من النساء قد صعّدنَ في جبال « الالب » وفزنَ بالغاية القصوى منها . فان مسز « سايرس » الانكليزية فازت مرتين ، والآنسة « كرونبرجر » مرتين ايضاً . ومدام هو بلر مرتين ايضاً وكان زوجها رفيقها فيهما . وفازت مدام « رهاتش » مرة برفقة زوجها ايضاً ، ومدام «فون شرايو» مرتين ايضاً وكان رفيقها فيهما مسيو « اولو » . فكان فوز اولئك النساء مدعاة لاعجاب الناس واكبارهم هذه الاعمال الشاقة تأتيها المرأة المنسوب

جنسها الى الضعف والوهن

واشتهر عن الرجال دون المرأة ايضاً اطلاق المسدسات ، واتقان الاصابة بها . غير ان بعض النساء اللواتي جرّبنَ هذا العمل برعنَ فيه براعة أقرّ بفضلها الرجال أنفسهم . فان ساره برنار الممثلة المشهورة معروفة بأنها قلما صوّبت فأخطأت . ومثل ساره برنار الآنسة « لويزا بايعا » فان شهرتها في ذلك لا تقلّ عن شهرة زميلتها الممثلة الطائرة الصيت

ومما يؤثر عن براعة النساء في الاصابة بالرصاص ان الماركيزة « دي نسل » غارت من الكونتس « پولينياك » وكلتاهما كانت تحب الدوق ريشيليو ، فتبارزتا واختارتا الرصاص دون السيف وقد كانتا مشهورتين باتقان الرمي ولا تخطئان المرمى الا نادراً . فلما تقابلتا في ساحة البراز أطلقت المركيزة رصاصها أولاً فأخطأت مرماها عمداً غير ان الكونتس اكتفت يومئذٍ بان تقطع برصاصها اذن ضرّتها عقاباً لها . وممن اشتهر بهذا الفن البرنسيس تشيكا الرومانية فانها كسرت ١٥ لعبة بخمس عشرة رصاصة بعد التصويب ، وحطمت تسعاً أخرى باثنتي عشرة رصاصة أطلقتها متتابعة بدون تصويب بل تبعاً لاشارة المشاهدين

أما المبارزة بالسيف فقد اشتهرت بها نساء كثيرات ايضاً لأن في هذه المبارزة مجالاً للمرأة لأن تستخدم نظراتها الحادة الصائبة ، ورشاقة قدها ، ولين أعضائها ، وخباثتها الفطرية . وان في تاريخ انكلترا شاهداً بليغاً يصحُّ ان يتخذ دليلاً على براعة النساء بالمبارزة . فقد حدث في اليوم التاسع من اڤريل سنة ١٧٨٧ ان الشڤاليه « سان جورج » وهو أعظم

من اشتهر بضرب السيف واتقان المبارزة به بارز السيدة « ديون »
الانكليزية في منزل لورد « بروكهام » بحضرة ولي عهد انكلترا يومئذ
وعدد غفير من لوردة الانكليز ، وكبار رجالهم . فأسفرت المبارزة عن
اصابة السيدة « ديون » للشڤاليه سان جورج سبع مرات متوالية بدون
ان تمكنهُ من اصابتها مرة واحدة . اما اليوم فان انكلترا وفرنسا تتباهيان
بوجود نساء عارفات بهذا الفن كمسز سندرسون ومدام فيني في لندن ،
ومدام اميل مارينياك ، والآنسة كاميل ليففر في باريس »

وانتقلت مدام دلاروش من هذا الحديث في مقالها الى ذكر
الشهيرات في ركوب الدرّاجات والسيّارات ، فسمّت النساء الشهيرات
فيها وذكرت عدداً من اللواتي ربحنَ الجوائز وفزنَ بها على الرجال
وذلك في حديث يطول ، حتى انتهى بها البحث الى الطيران فقالت انها
أول امرأة طارت . ولكنها ليست بالطيّارة الوحيدة الموجودة اليوم بين
جماعة الطيّارين

ثم قالت انها ذكرت يسيراً من كثير عن شجاعة المرأة وإقدامها
وتفوّقها في هذه الاعمال المختصة بالرجال دون النساء . وتقول — ونحن
قد اختصرنا أقوالها كثيراً ايضاً وصرفنا النظر عن أعمال وألعاب جلّى
فلم نذكرها — هل يصح بعد ذلك ان يقال « الجنس القوي » و « الجنس
الضعيف » على تعميم واطلاق هاتين الصفتين ؟ ؟

في رياض الشعر

الثلاثون عاماً

ظلُّ الثلاثين عنكَ اليومَ منتقلُ　　هل أنتَ من بعدها بالعيش محتفلُ
بعد السنين التي كانت محبّبةً　　ثم انقضتْ فتقضّى الأنسُ والجذلُ
تلك الليالي التي قضّيتها حلماً　　ما كان أقصر حلماً كلهُ غزلُ
ماذا لقيتُ من الدنيا وما علِقت　　منها يداي وما إن عشتُ أقتبلُ
لاحتْ كواكب ليل الشعر تُنذرني　　بأنني عن مغاني اللهوِ مرتحلُ
ان أنكرتني العيونُ السودُ رانيةً　　فطالما عرفتني تلكم المقلُ
أيامَ أخطرُ في روضِ الصبا مَرِحاً　　تميلُ بي نشوةُ الدنيا وتعتدلُ
والغيد تبسم لي من كل ناعمةٍ　　في خدّها ويديها تصدقُ القُبَلُ
حريرُها جسمها . فوها جواهرها　　فحسنها حسنها . لا الحليُ والحللُ

* * *

ما لي تروّعني الذكرى وتفتنني الـــدنيا وما لي في معروفها أملُ
ألا يخفّف عني أنني رجلٌ　　قد أنقضتْ ظهرَهُ أيامهُ الأُوَلُ
لعلَّ شيبي الذي راعت بوادرُهُ　　نورٌ تضيء به للتائه السُّبلُ
أسرفتُ في حبّ دنيا لا بقاء لها　　وعشق ملك وشيكاً عنهُ أنتقلُ
فالناس قد خلقوا لا للبقاء بها　　بل للترحّل لولا أنهم غفلوا
أين الألى نحن نمشي في منازلهم　　أين المواكب والأقيال والدولُ
العقلُ يستهجنُ الدنيا ويمقتها　　والقلبُ مستغرَق فيها ومختبلُ
فليس من راغبٍ عنها وان رغبت　　عنهُ وكلٌّ لهُ في جذبها حيلُ

لا راهبٌ ساكنٌ في الدير منصرفاً عنهـا ولا عابدٌ في الغار معتزلُ

* * *

فاكدح الى الله كدحاً غير ملتفتٍ لزينة الأرض وآلحق بالأُلى وصلوا

وابرأ الى الله ليس العصر مرتقياً ما دام يزري بما جاءت بهِ الرّسلُ

أين التمدُّن والأهواء غالبـةٌ والناس مثل وحوش الغاب تقتتلُ

(حلفا) محمد توفيق علي

يوزباشي بالجيش المصري

﴿ التمدُّن العصري ﴾

ننشر الأبيات الآتية من قصيدة عصماء جاءتنا من شاعر من أكبر شعراء العراق :

يقولون أحيى المغربانِ حضارةً وهل حييَت الاّ لمصلحة الذاتِ

يعيش سعيدٌ مفردٌ بين معشرٍ شقيٍّ وحيٌّ واحدٌ بين أمواتِ

وكم جائعٍ يرنو الى مُتفكهٍ وعادم قوتٍ حول واجد أقواتِ

وكم جسدٍ فوق الأخادع شاخصٍ الى جثةٍ تحت الأخامص مُلقاةِ

وما الزمن المـاضي بأعظمَ محنـةً من الحاضر الموصول بالزمن الآتي

ولم أرَ كالانسان ربَّ شرائعٍ حديثات وضعٍ او شرائع موحاةِ

ولكنهُ لم يطوِ ليلَ ضلالهِ هدى شارع في الارض او في السموات

يظنون هـذا العصر عصر هدايةٍ وأجدر أن ندعوه عصر ضلالاتِ

فان خرافاتٍ مضت قد تبدَّلتْ حقائقَ الاّ انهـا كالخرافاتِ

وأكذبُ عصرٍ ما تشدَّق أهلهُ على ظلمهم بالعدل أو بالمساواة

ذئابٌ وشاءٌ لا الذئاب رواجعٌ عن الغيّ او تعدو على زُمر الشاةِ

ألا سل يعود الدين وهو مُشَتّتٌ جماعاتِ هـذا العصر جامع اشتاتِ
ولكن أبوا الاّ التنازُعَ فالتقت أدلةُ نفيٍ في أدلة اثبـاتِ

(النجف) محمد رضا الشبيبي

الكريم

قامت تُعنفني على تبديدي مالي لفعلِ المكرمات وجودي
وتقول « ماذا قد حفظتَ لصبيةٍ يبكون بعدك ربَّهم وعميـدي
هل ذكرُك المحمود يُشبع جوعهم أو فخرُك الموهومُ يستر جيدي
أكرمتَ حتى حاسديك فهل ترى ان الحسود يسرّ بالمحسودِ
هم يحمدونك في الرخاء فان بدتْ لك شدةٌ عمدوا الى التنديد . . »

* * *

فأجبتها « كفّي ملامكِ انني لابنُ المكارم عن أبي وجدودي
أُعطي اذا منعوا وأمدح ان هجوا شتان بين طريقهم وتليدي
وأنا ابنُ بجدتها اذا قلمٌ جرى فوق الطروس أكرُّ كرَّ الصيدِ
فأزيّن القرطاس لا فحشاً ولا فُجراً وكلُّ القارئين شهودي »

(أتبره) السودان محمد فاضل
بالجيش المصري

السلطان الغازي

أقول لظبي راعني زهرُ حسنهِ حنانيك قلبي فيك يرجو الأمانيـا
غزوتَ قلوبَ الناس حتى ملكتها تباركت «سلطاناً» وحييّتَ «غازيا»

(صيدا) محمد على حامد مشيمشو

﴿ الفكاهة في الشعر ﴾

« اسبوع فلورة أو تكريم الكلاب »

لا أعني تكريم كلاب المجاز؛ فليس تكريمُ هذه الكلاب بالأمر الطارىء أو البدع الغريب؛ وما خلا زمانٌ ولا مكان من كلبٍ من كلاب الأنس علا بهِ الجدُّ الى حيث باتت تتزلف اليهِ الأسود، وتمشي بين يديه السباع. وان المرء ليجد كيف سار انساناً له خسةُ الكلب ونذالته، وليست له نظرته وأمانته. والناس تظلم الكلاب بحشره في زمرتها، ويرون نهاية الزراية وصفهُ بصفتها. وان الكلابية لتبرأ براءة الانسانية منهُ . . . ولكني عنيتُ الكلاب ذات الاذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها، ولكنهم لم يسبقونا الى الاحتفاء بها، والاحتفال بولادتها وتسميتها، وان حقًّا على الناس ان يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت، فهل نُلام اذا نحن مجدناها في مخلوق من مخلوقات الله ؟ ؟

اجتمعنا في رهط من الادباء ليلة من الليالي، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضيّ اسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا. فقلتُ أبارك للنفساء وأحيي المولود :

أعلني « يا فلورة » الافراحا	واملأي الارض والسماء نباحا
ما حبا الدهر بنتَ كلبٍ بأعلى	من ذراريكِ عنصراً ولقاحا
ابشري دولةَ الكلاب بجروٍ	سوف ينفي عن قومهِ الاتراحا
ما تقضّى الاسبوعُ الاّ وأمسى	يذرع الدار جيئة ورواحا
خلع الليلُ والنهار عليهِ	فتوارى عن العيونِ ولاحا
حرّك الدهرُ ذيلهُ حين وافى	وعرى الكون بهجةً وانشراحا
سوف يغدو على الكلاب أميراً	يُفزِع الاسدَ وثبةً وصياحا
بل سيمحو عن الفصيلة ضيماً	بات عاراً لنسلها فضّاحا
بل أراه يُقيم ما اعوجَّ منها	من ذيولٍ فتستقيم صحاحا

بل أراه يُعيد سيرة قطمير[1] وقاراً وفطنةً وصلاحا
لا أصابتْ عصا لئيم قفاه أو ثوى في الطريقِ ليل صباحا
لا ولا عضّهُ من الجوع نابٌ يُثخنُ الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً يرقبُ العظمَ سائلاً ملحاحا
أو براه داء الكلاب وأخفى بين جنبيهِ عسجداً لمّاحا
كان ايواؤها حراماً فلما جاء أضحى لنا حلالاً مباحا
قد فرحنا في عيده وطربنا وشربنا في نخبهِ الأقداحا
يا كليباً ازرى بذكر « كليبٍ » لا تظننّ ما نقول مزاحا
ما مدحتُ الأنام يوماً وإني لست آلوك يا كليب امتداحا
أعجم الناس في المودّة بكماً وتلا عهدها الكلاب فصاحا
انّ عيّ اللسان خيرٌ من النطـق اذا كان للأذاة سلاحا
وسعار الكلاب أهون شرّاً من سعار يمزّق الارواحا

عباس محمود العقاد
بالأوقاف بمصر

﴿ حافظ بك المنشاوي ﴾

ان صحّ في رجل ان ينعت بالسريّ النبيل ، فان حافظاً من أجدر كبراء القطر المصري بهذا النعت . وقد فزنا برسالة وقصيدة أهديتا اليه في هذا الشهر بمناسبة انعام الحضرة الفخيمة الخديوية عليه بالوسام العثماني الرابع بصفته احد اعضاء الجمعية العمومية . فآثرنا نشرها لبلاغتها وللدلالة على ما لسليل اسرة المنشاوي من المكانة في نفوس الادباء . أما الرسالة فهي من قلم الذكي النجيب محمد بك البابلي ، وهذا نصها البليغ بعد الديباجه :

« تالله ، لو صاغوا لك من الثريا وساماً ، وجعلوا فوق السما كين لك مقاماً ، ما حلّوا صدرك بأحلى وأشرف مما انطوى عليه من كرم ، ولا زادوا مكانك رفعةً

(١) كلب أهل الكهف

عما أوصله اليك علوُّ الهمم ، وحسبك صدرٌ ضلّت الفضيلة حتى اهتدت اليـه ، فاستقرّت عليه ؛ ومقام بناه خيرة الآباء الامجاد ، وأعلاه صفوة الابناء الأجواد . .

البابلي

أما القصيدة فهي لشاعرنا الكبير خليل مطران ، وهذا نصّها :

هل لشعري وأنتَ منـهُ مرادي ... وصف حاليك من علي وانفرادِ

كلُّ مدحٍ أراهُ فيكَ قليـلاً ... وكثيرٌ ما يقتضيني فؤادي

خطـةٌ غيرُ بالغٍ كلُّ جهدي ... بعضَ شيء من شوطها المتمادي

فليكنْ من تمام جودك عذري ... فقبولُ الأعذارِ شأنُ الجوادِ

أيهـا الحـافظُ الأمينُ بحقٍّ ... للمعـالي من طـارفٍ وتلادِ

قد وفدنا حجيج أكرم بيتٍ ... واعتمدنا نوءٌ أشرفَ نادِ

لا بقصدِ البنـاء فخماً ولا الـــزينةِ أبهى ما جوّدتها الايادي

لا ولا المجدِ باقيـاً عن كبارٍ ... من كرام الآباء والاجدادِ

انمـا شاقنـا لقاء المعـالي ... والمروآتِ والنـدى والأيادي

في فتى حازمٍ جريء همـامٍ ... ثابتِ العهد صادق الميعـاد

ثقفٍ ان يهزّه الخطبُ يوماً ... هزَّ لدناً من القنـا الميّـاد

راسخِ العزم في كفاح الليـالي ... باسم الوجه في قطوب العوادي

موئلِ المستجير كهفِ اليتـامى ... والأيامى منـارة الروّادِ

حيثما تدعهُ الذمار يجبهـا ... صوتُ حقٍّ منـهُ وسيف جلادِ

ويجبهـا رأيٌ مذلٌّ عداهـا ... ربَّ رأيٍ أغزى من الاجنـادِ

أي كفيل الحمى اذا قيل من في الـــقوم يومَ الندى ويوم التنادي

بعضُ تلك الخلالِ في نفرٍ مهـــما يقلّوا كفايةٌ للبـلادِ

تلك حسبُ الفتى مقاماً وبيتـاً ... وحديثـاً يبقى على الآبادِ

وبها يُدرِك المقام المعلّى　　من بك آتمٌّ عن هدى ورشادِ
عِشْ طويلاً في غبطة وصفاء　　سالماً ناعماً رفيعَ العمادِ
وليزنْ صدرَك الرحيبَ وسامٌ　　بات فيهِ وقدرُهُ في ازديادِ
نعَمُ المالكين لا فرقَ فيها　　غير أن الفروقَ في الأندادِ

خليل مطران

﴿ السعادة ﴾

قالوا السعادة في الغرا　　مِ وفي الملاهي والشبابْ
فأنا فتىً ذقتُ الغرا　　مَ فلم أجد غيرَ العذابْ

(زحلة)　　حليم ابرهيم دموس

حول النياشين

في احدى معارك الحرب المشهورة بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ أسر الالمان جندياً فرنساوياً اسمه « فوكه » وقادوه الى مكان الاسرى ولكنهُ لم يلبث ان آنس غفلة من حراسه فهرب وعاد الى المعسكر الفرنساوي فقاتل في اليوم التالي قتالاً شديداً وأظهر شجاعة واقداماً فائقين فوعده ضابط فرقته بالمداليا الحربية وقدم اسمه بين اسماء اخوانه المستحقين تلك المكافأة . . . ثم مرّت الايام وتوالت السنون ولم تلمع على صدر فوكه المداليا الفضية حتى تقدمت لناظر الحربية في هذه السنة قائمة بأسماء المعدة صدورهم للمداليات والنياشين لهذا العام وبينها اسم فوكه وتاريخ استحقاقه للمداليا فبحثت الحكومة عنهُ حتى وجدته لا يزال حياً يرزق فقلدته النيشان . . . بعد اربعين سنة

جريمة الرجل

﴿ وجريمة المرأة ﴾

فتاةٌ في ربيع حياتها ، تلوح على وجهها امارات الطهر والعفاف ، أطلّت ذات ليلة من نافذة منزلها ، وكانت الطبيعة هادئة ، والناس نياماً والسكون باسطاً جناحيه تكاد لا تسمع سوى حفيف الاشجار وتغريد الطيور وخرير المياه . . .

نظرت الى ما فوقها فرأت النجوم تنير القبة الزرقاء ، والقمر يتهادى كالعروس مبدّداً جيوش الظلام باسطاً ضوءه على العالم فيزيد الطبيعة بهاءً وجمالاً ، ثم حانت منها التفاتة الى ما تحتها فرأت منظراً رائعاً مهيباً رأت منحدراً تغطيه أشجار الصنوبر والأعشاب الجبلية ينتهي الى وادٍ جميل تكسوه المروج الخضراء . . .

راقتها تلك المناظر البديعة التي طالما سمت بالشعراء الى عالم الخيال وانتعش فؤادها من نسيم الليل العليل ، فغادرت منزلها في سكون الليل وسحر القمر ، وجعلت تسير بين الكروم بخفة الغزال ، وهي تمتع نظرها بمحاسن الطبيعة وجمالها حتى وصلت الى مكان تظلله شجرة فتقدمت اليها وجلست على غصن من أغصانها لتستسلم الى سرورها وهنائها . . .

ما كادت الفتاة تجلس حتى مال بها الغصن فوق هوة عميقة تنتهي الى ذلك الواد ، فتماسكت به وصاحت بأعلى صوتها : أدركوني ! ولكن ما من مجيب

رأت الهوة الفاغرة فاها تحاول ان تبتلعها ، وفوقها سماء وتحتها فضاء فأيقنت بالهلاك .. ظلت معلقة في الفضاء حتى ضعفت قواها ، وكلت يداها ، فهوت الى الحضيض ، فتهشمت اعضاؤها ، وذهبت ضحية غواية الجمال . . كانت سعيدة بحياتها هنيئة بماحولها فانت أشنع ميتة ، وذهبت طعاماً للوحوش . فوا أسفي على شبابها الزائل ! أما الغصن الذي كان سبباً في هلاكها فعاد الى ما كان عليه قبلاً ، وقد يورد غيرها مورد الهلاك . . .

تلك هي حال المرأة الساقطة . تولد الفتاة طاهرة عفيفة ، وتشبّ ساذجةً وديعــةً ، ترى الحياة لذيذةً وتبني لنفسها قصوراً من الآمال ، حتى يعترض هناءهـا رجل تحسبه نجم حياتها وقبلة رجائها ، فتركن اليه وهو يخادعها حتى اذا ما نال بغيته منها تخلى عنها ، فترى هول سقطتها ، فتضيق بها الدنيا على رحبها فتتمسك به مستغيثة بالعدل وما من سميع ، وبناصر الضعفاء وما من مجيب ، الى ان يستولي عليها اليأس فتسقط فى وادي الشقاء مستنجدة بالانسانية فلا تجد الا وحوشاً يأتون اليها منتهزين فرصة ضعفها ليسلبوها البقية الباقية من عفافها ، ويعصرون جمالها عصراً ويقضون القضاء الاخير على كل وسيلة لها الى العيش الى ان تصير عالة على الانسانية . . أما الرجل الذي كان سبباً في وقوع هذا البلاء فيتجاوزون عن هفوته ولا يناله شئ من الضرّ كأنه لم يأتِ أمراً فرياً ، ويظل راتعاً في بحبوحة الصفو والهناء ، وقد يوقع غيرها في شرك خداعه . ولا يتحمل عاقبة تلك الجنايات سوى الفتيات الضعيفات

اني اذا بكيت حزناً على شباب الاولى فاني هنا أصبح نادباً تلك

الانفس التي تفسد يوماً بعد يوم واقول ، ان العالم يفسد شيئاً فشيئاً وسياتي يوم لا نرى فيه للشرف والعفاف اثراً . وما ذلك الأ لأن الرجل لا يجد رادعاً اذ لا عقوبة تحلُّ بهِ من جرَّاء عمله فتراه مندفعاً في سبيل خداع المرأة . الا ان ذلك ظلم وعدوان وتلك حال لا تدعو الى الطمأنينة والأمن . . . انا احترم القانون ولكني أقول ان ما جاء به من محللات تلك الجريمة (جريمة افساد الفتيات) كالرضا مثلاً الذي يعتبر مسوغاً لما يقدم عليه الشبان والفتيات . أقول ان هذا الرضا لا يصح الأخذ به فانه محاط بوعود طويلة عريضة من جهة الشاب واعتقاد راسخ من جهة الفتاة بصحة ما يقوله مغويها . ولست أظن هذا الرضا يخرج عن حدود الضعف المسبب عن الحيلة الشريرة . نعم فان تلك الغواية من جهة الشاب حيلة وأكثر من الحيلة للوصول الى غرض مقصود فهي شبيهة من كل الوجوه بجريمة النصب والاحتيال من أجل المال التي جعل لها القانون بين بنوده عقاباً . وأقول ان العرض أثمن قيمة من المال ، فلم لا يفرض القانون عقاباً للمحتال على العرض كما فرضه للمحتال على المال . من ذلك يظهر ان هذا الامر جريمة تستحق العقاب ، والرأي العام يطلب ذلك والقانون الذي لا يسير مع الرأي العام في مستوى واحد ، من جهة ما يعتبر جريمة وما لا يعتبر جريمة ، قانونٌ ناقصٌ أو متجاوز ، وأعيذ قانوناً ان يلحق به النقص أو التجاوز .

ولقد يرى البعض اني أبالغ في وصف جريمة الرجل دون الفتاة ؛ على ان قليلاً من الامعان يكفي المتامل في الحوادث التي تمرّ أمامه من هذا

القبيل ان يرى ان مصيبة الفتاة بسقوطها هائلة تودي بنفسها الى الهلاك فتصير طريدة شريدة تحمل أنواع البؤس والشقاء ، فضلاً عن انها تصير سماً زعافاً يسري في عروق الهيئة الاجتماعية . أما الرجل فانه كما ذكرنا لايناله شيء من الضرر مع انه جانٍ على المرأة والمجتمع الانساني في وقت معاً

ليست الحالة تتوقف على خداع شاب لفتاة بل هنالك قطيع من سفلة الاغنياء يساعدهم على تحقيق أمانيهم قوم هم وتجار الرقيق سواء ... ان الفضيلة تتعذّب لضياع العفاف ، والانسانية تتألم لأن الكمال يفر مدبراً أمام جيوش الفساد التي تزداد انتشاراً . فيا ليت السماء تمطر صواعقها على هؤلاء الناس الذين يقوّضون دعائم الفضيلة ويهدمون أركان العمران والرقي الادبي . ولكن مضى زمن الصواعق والمعجزات . فيا أصحاب الشرائع ويا أيها الحكماء تعالوا واندبوا هذا العصر الذي يدعونهُ بعصر الماديات فان حالتنا تستدعي الندب والبكاء . ولعلّ تلك الدموع تغسل شرورنا وتطهّر آثامنا . . .

. . . لقد تعب فلاسفة الاخلاق فكتبوا المقالات ، وألّفوا الكتب وألقوا الخُطَبَ ضمنوها نصحاً خالصاً وحضّاً على الكمال ، ولكني أرى انها لا تؤثر الاّ في من كانت نفسه في استعداد لقبولها . فان من فسدت أخلاقه ومات ضميره تعذّر علينا ارجاعه الى السبيل المستقيم بكلمات عذبة رقيقة . ولله در سليمان الحكيم حيث قال « ان من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً ؛ ومن ينذر شريراً يكسب عيباً » . ومثل هؤلاء قد اجتمعت فيهم الصفتان وانبعثت فيهم روح الاستهزاء ، وامتزجت في

نفوسهم روح الشرّ ، فلا يرجى اصلاحهم بالنصح والارشاد . وقد خطرت على بالنا كلمة لشكسبير نابغة الانكليز وشاعرهم قال « دع المتشرّد يقترف الجنايات كل يوم ، ويتوغل في شروره صباح مساء ، دعهُ ولا تنصحهُ الى يوم قريب يسقط فيهِ الى الهاوية على عنقهِ ، فالقانون له بالمرصاد ولا تفوته الفرص ، وهو يستطيع ان يربيه ويقوّم أخلاقه فان مادة أو مادتين في القانون تقوم مقام عشرين من ألفاظك العذبة الرقيقة » نعم يجب ان يكون القانون واقفاً بالمرصاد للمجرمين الاشرار . وهو أعظم رادع يقف في سبيل هؤلاء الفاسقين . ولو جاء فيهِ بندٌ يقضي بعقوبة من يخدع الفتاة ويجرّها الى الهلاك سواء كانت بالغة سنّ الرشد أو لا لخفت وطأة هذه المصيبة شيئاً عن الهيئة الاجتماعية . واذا عُدَّ حكم قدماء المصريين بقتل الزاني وقطع أنف الزانية في منتهى القساوة فان التجاوز عن تلك الجريمة يُعَدُّ منتهى التساهل الذي يكون سبباً لانتشار الفساد في الاخلاق وعلةً لخراب العمران　　　　فيليب . م . ايليا

أمثال وأقوال [١]

— القلم شجرة ، ثمرها المعاني ؛ والفكر بحرٌ ، لؤلؤه الحكمة . (عبد الحميد بن يحيى)

— الرجل القليل العلم ينمو نموّ الثور : يزداد لحمه لا عقله

(١) من كتاب « أمثال الشرق والغرب » الذي جاء الكلام عنه في « ثمرات المطابع » من الجزء الفائت

— لو صوّر العقل لأضاء منه الليل ، ولو صوّر الجهل لأظلم منه النهار

— سئل أحد القدماء : ماذا تعلمت من الفلسفة ؟ قال : تعلمت ان أعيش بالسلام مع جميع الناس

— مرّن نفسك حتى على الاشياء التي تيأس من عملها ، وخذ مثالاً على ذلك اليد اليسرى فانها اقدر على ضبط العنان من اليمنى بسبب التمرين

— لا يصلح للصدر الاّ واسع الصدر (ابن سهل)

— لو وُضعت مصائب الناس كلها في كومة واحدة ، وأبيح لكل واحد ان يختار منها ما شاء ، لأختار كلّ مصيبته واستردّها (سقراط)

— الجاهل يُسأم ، أما مدّعي العلم ادّعاءً فلا يُطاق (نابوليون)

— كن المشتوم لا الشاتم ، وكن من الذين يُجار عليهم لا من الجائرين . (بولانو)

— المرأة الجميلة تبهج العيون ، والمرأة الصالحة تبهج القلب ، الاولى حلية والثانية كنز . (نابوليون)

— يجب علينا ان ننتحل أعذاراً للجميع : للاولاد لأنهم صغار ، وللنساء لأنهنّ ضعيفات ، وللحكام لأن مهامهم عظيمة فلا بدّ لهم من الخطإ ، وللصالحين لأنهم لا يقصدون الاساءة ، وللاشرار لانهم يستحقون الشفقة لأن الشقاء مستقبلهم . (سنيكا)

— عمل الخير اختياري ولكن رده إلزامي . (شيشرون)

— الشحّ أضرُّ على الانسان من الفقر ، لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع وان وجد . (الامام علي)

— من يأكل وهو شبعٌ يحفر قبره بأسنانه . (مثل تركي)

— ما من انسان تكشفُ أفكاره وأفعاله الا يستحق الشنق عشر مرّات . (مونتاين)

— ابكِ على العاقل يوم يموت ، وابكِ على الاحمق حتى يموت . (افلاطون)

— اني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول هل له حرفة ؟ فان قالو لا ، سقط من عيني . (عمر بن الخطاب)

— اذا لم تكن سعيداً ، فذلك لانك تطلب ما ليس لك ، وتنسى ما عندك . (شكسبير)

— تحتاج لثلاثة لتكون سعيداً : عافية الجسد ، وصحة العقل ، وسلامة القلب . (من أقوال العرب)

— العبد له سيد فرد ، والرجل الطماع عبد لكل فرد يساعده على سد مطامعه . (لابروبير)

ومن أمثال الانكليز :

— من كان ضميره مطمئناً نام والرعود تقصف

— ارقب عدوّك كأنه أسد ولو كان فأرة

— يجب ان نهتمّ للمستقبل اهتماماً لا يحرمنا لذة الحاضر لأنه ليس من الحكمة ان نشقى اليوم مخافة ان نشقى غداً

— درهم الفقير اذا غُصب كان جمرة في كيس الغنيّ

ازهار واشواك

﴿ حول الرتب والنياشين ﴾

عيّن بوالو الشاعر الفرنسوي الشهير في القرن السابع عشر مؤرخاً للملك الكبير لويس الرابع عشر يدوّن أهم أخبار البلاط وحوادث المملكة على عهده . ولما عاد الملك الى باريس من احدى حروبه ، وقد أحرز النصر تلو النصر ، رفع اليهِ الشاعر قصيدةً اشتهرت بمطلعها حيث قال ما معناه : « أيها الملك العظيم كفَّ عن الانتصار او أكفَّ أنا عن الكتابة » يعني بذلك ان الملك ينتصر في كل حرب بأسرع مما يقدر المؤرخ على تدوين خبر الانتصار . . . وأنا ، وليس لي مقدرة بوالو في الكتابة ، أكاد أقول لسموّ افندينا العباس : « يا اميري كفَّ عن الانعام على الادباء ، او أكفّ أنا عاجزاً عن تهنئتهم وشكر آلائك » اذ انني ما كدت أفرغ من تهنئة حافظ برتبته ، وتهنئة خليل بنيشانه ، حتى وافتني الجريدة الرسمية زاهيةً بخبر الانعام على جرجي زيدان بالرتبة المتمايزة . ومع ذلك فقد قابلتُ هـذا الخبر كما قابله جميع قرّاء العربية بالارتياح التام ، لأن جميع قرّاء العربية يعرفون ما لصاحب « الهلال » من الفضل الجمّ والأدب الغزير فكانت هذه الرتبة مكافأة عن ربع قرن قضاه في التأليف والتصنيف . واذا سعى البعض الى الرتب والنياشين بمأثرةٍ باهرة أو بثروة طائلة ، فان الرتبة سعت الى زيدان بك اعترافاً بأنهُ لم يعش الا ليكتب ، ولم يكتب الا ليفيد . وليس مثل هؤلاء الادباء بالعدد المديد

أقتطف من الرسائل الواردة باسمي الى ادارة مجلة « الزهور » شيئاً عن الرتب والنياشين ، لأن هذا الموضوع حديث الناس في هذه الايام .

كتب لي أحد القراء من مصر يقول « ما كان أصدقك يا حاصد في تعليقك على رتبة حافظ حيث كتبت : فاذا نحن قلنا الشاعر حافظ ابرهيم عرفهُ كل ناطق بالضاد . ولكننا اذا قلنا عزتلو الوجيه حافظ بك ابراهيم لا يعرفهُ الأبواب منزله وفرّاش الكتبخانة . وقولك هذا يصح في كل اديب كبير ، فقد حدث منذ ايام في نظارة المعارف ما أثبت ذلك : كان صاحب الهلال ، بعد الانعام عليهِ بالرتبة ، في النظارة ، وكان هناك احد كبار علماء الهند . فعرّف الناظر الواحد الى الثاني ، قائلاً « زيدان بك » فلم يُعره العالم الهندي كبير التفات لظنهِ انهُ احد البكوات — والبكوات في مصر اكثر من الهمّ على القلب — فأدرك الناظر الامر ، وأراد ان يستدرك ما فات فما لبث ان ذكر « جرجي زيدان منشيء الهلال » فقام الهندي اليهِ وصافحهُ مصافحة الاعتبار والاجلال مثنياً على تآليفهِ واعماله الادبية » . . . فما أجمل مغزى هذه الحادثة وما أبلغ . . .

وكتب اليّ قارىء من الارياف يقول : « كثرت المؤامرات في هذا الصيف واني لأكاد أرى في رتب أدبائنا واحدة منها ، وما المتآمرون الأَ عصبة من الباشاوات والبكوات . فان حافظاً وخليلاً وزيدان كانوا بصفتهم الادبية يُعدّون في طليعة أهل البلاد قبل هؤلاء الباشاوات والبكوات . فدبّر لهم المتآمرون هذه المكيدة ، وقد انطلت عليهم الحيلة فأصبح حافظ برتبتهِ الثانية ، وخليل بنيشانهِ الثالث ، وزيدان برتبتـهِ

المتمايزة بعد فلان باشا ، ودون هذا الذي يحمل العثماني او المجيدي الاول ، وذاك الذي يرفل في كسوة الميرميران او الاولى صنف أول

وبهذه المناسبة اقترح على الحكومة — وهي مهتمة الآن لاعداد ميزانية مصالحها وايجاد المال اللازم لانفاذ المشروعات النافعة للبلاد — ان تضع رسماً على حاملي الرتب والنياشين . ومهما كان هذا الرسم زهيداً فانه يعود على الحكومة بايراد وافر يسد شيئاً كثيراً من حاجاتها بسبب كثرة الذين ستتناولهم هذه الضريبة . ولكان هذا الايراد يزيد أضعاف الاضعاف ، لو ضوعف الرسم على « البهوات التقليد » . فانك لو مررت حوالى الساعة الحادية عشرة مساء في ميدان باب الحديد او في ميدان الاوبرا ، لتمزقت اذناك من ترديد « حمار يا بك ؟ أجي يا بك ؟ » ولو كان بينك وبين البكوية مراحل . . .

وفي الختام أورد لقرائي الحادثة الآتية وقد روتها الجرائد الفرنسوية في الشهر الفائت قالت : لقي بوليس باريس قرب « الشانزليزه » شاباً متقلداً شارة « اللجيون دونور » ، فرابه أمره لاعتقاده ان مثل هذا الوسام لا يحمله الا الشيوخ الذين أتوا في حياتهم أعمالاً جليلة . فأخذه الى أقرب مخفر هناك . فسئل الشاب عن اسمه ولقبه وسبب تقلده شارة هذا النيشان العظيم الشأن ، فأجاب بكل بساطة « أنا عمانوئيل ملك البرتغال السابق » فانحنى سائله أمامه باحترام ، واعتذر له بما حضره من الكلام

ماصر

صوَر هذا الجزء

كنا قد أعددنا لهذا الجزء من الزهور صوَر أسرة اليازجي ، لننشرها بمناسبة الاحتفال بنقل رفات المرحوم الشيخ ابرهيم من مصر الى لبنـان . فكان تأجيل الاحتفال سبباً في تأخير نشر الصوَر

موت الكنار

في الجزء الخامس من الزهور ص٢٤٢ نشرنا مقالة للكاتبة « مي » ترثي فيها كناراً لها . وقد نقلت جريدة « الزمان » هذه المقالة وأردفتها بالأبيات الآتية :

بكتِ الكنارَ فهيَّجتْ بي لوعةً　نفسي بها امتلأت لموت كناري

ان تُشجِ « ميٌّ » وفاة عصفورٍ لها　فتقول فيـهِ النثرَ كالأشعـارِ

فبما تُراني في الرثاء أجودُ من　بعـد الحبيبِ ونكبةِ الاقدارِ ؟

ذيَّالكَ عصفورٌ بكتهُ بلهفةٍ　فإذا بكيتُ بمدمعٍ مِدرارِ

ومثيرُ أشجاني ملاكٌ ، هل أكو　نُ موفياً حقَّ الغرامَ شعاري ؟

شتَّانَ بين مصيبـةٍ ومصيبةٍ　يا ميُّ . من يُنهي اليكِ سراري ؟

مَن همتُ فيهِ لا كلامَ يفيهِ حقَّ　الوصفِ . والهفي من التذكارِ !

قد كان أجمل زهرةٍ في روضةِ　الآمالِ لي ومحجّةَ الأوطـارِ

حاولتُ ما اسطاعتُ المطار بهِ فلم　أُفلح فاتَ ولم نفز بمطـارِ

فتحسَّري أضنى الكنارَ أصابنـا　وكمثلما قد بتِّ بتُّ بنـارِ

اسطفانُ غلبوني

صاحب جريدة « الميزان » البرازيلية

جرائدهم وجرائدنا

نشر مسيو ارثور ماير مدير جريدة « الغولوى » الفرنسوية كتاباً بعنوان « الذي رأيتهُ بعيني » فلما بلغ الى وصف الجرائد قال عن جريدة « الماتان » :

« يصحّ القول في جريدة « الماتان » انها الجريدة العصرية الراقية . فهي اذا قالت « أقول كلّ شيء » جاز لها هذا الادعاء . فان لها أسلاكاً تلغرافية خصوصية تربطها ، وهي في باريس ، بلندن ونيويرك وبرلين ؛ ولها مراسلون في كل مكان . وهي متحدة بجريدة « التيمس » الانكليزية المشهورة فتنقل أخبارها الخاصة في كل صباح . أما صبغتها السياسية فجمهورية بحتة ولكنها لا ترفض نشر أفكار وآراء رجال السياسة على تباين أغراضهم وسياساتهم . فهي والحالة هذه أنموذج الجرائد الحرة ذات المقام السامي في عالم الاعمال والاشغال من كل نوع ، وهي أشبه بمنبر عال مباح لكل خطيب من كل مبدأ ومن كل غاية ولست أظن انهُ توجد بين الصحف صحيفة اكثر منها اقداماً وشجاعة . وتشغل ادارتها بنايات كل واحدة منها كبيرة على حدة . وتبلغ المساحة التي أقيمت فيها هذه الادارة ثلاثة آلاف وأربعمائة متر مربع . أما عمالها المأجورون فيعدون تسعمائة عامل ، عدا المراسلين . وفيها ست ماكنات اميركية كبرى تطبع في الساعة الواحدة مئة ألف عدد ولها مستودع كهربائي خصوصي يغنيها من المستودع العمومي ولا سيما ابان الاعتصابات . وفيها معمل لحفر الصوَر وقد كانت الجريدة الاولى في فرنسا التي استعملت هذه الطريقة لنشر الصوَر فهي تكتب وتطبع وتنشر لنفسها بنفسها ولا تشتري من المعامل الاَّ الورق والحبر . أما ايرادها اليومي فيبلغ ثمانين ألف فرنك ولكنها تنفق على الورق يومياً عشرة آلاف فرنك . وقد كان مجموع ما أنفقتهُ على أخبارها التلغرافية الخارجية في سنة ١٩٠٩ نصف مليون فرنك وأما دائرة تحريرها فمؤلفة من مئة كاتب ينقسمون تحت ادارة رئيس التحرير الى ثلاث فئات فئة المخبرين المحليين وفئة الساسة وفئة المخبرين الاجانب

ثمرات المطابع

عجائب غرائب

لما سألنا قراءنا هذه السنة عن النوابغ في مصر ، أجابنا كثيرون منهم ذاكرين حافظ نجيب النابغة في الاحتيال . والحق يُقال انهُ لنابغةٌ فذٌّ في بابه ، يُعدّ أرسين لوبين واللص الشريف وسائر أبطال روايات البوليس السري عيالاً عليهِ . كانت المحاكم قد حكمت عليهِ ثلاثة أحكام غيابية لاتهامهِ بالنصب والاحتيال في حوادث غريبة الوقائع ، وحكمت عليهِ مرة حكماً حضوريًّا ، ولكنهُ تمكن من الفرار من سجنهِ في ٢٧ دسمبر سنة ١٩٠٧ ، وظلَّ خمس سنوات يتنقل في القطر المصري والبوليس ينقّب عنهُ وهو يواصل أعماله الغريبة . ذهب إثر هربه من السجن الى الوجه البحري ؛ ودخل في دير ابشواي ، وادَّعى انهُ راهب واسمهُ غبريال جرجس وبقي هناك بضعة شهور اكتسب في خلالها ثقة الجميع ، حتى أصبح صاحب الكلمة المسموعة وحينئذٍ احتال على رئيس الدير وأخذ مبلغ ستمئة جنيه واختفى . ثمَّ قصد دير المحرّق متخذاً اسم الراهب غالي جرجس ، وراسل من هناك بعض صحف العاصمة ، وكان له كتابات تُذكر في موضوع الخلاف الذي كان قائماً في ذلك العهد بين الجرائد الاسلامية والجرائد القبطية . ولما افتضح أمره ، غادر الدير واختفى أثرهُ ، الى ان كان اليوم العاشر من شهر اكتوبر الماضي . فقد بلغ البوليس ان حافظاً موجود في دائرة قسم مصر القديمة وهو متنكرٌ يحترف حرفة درويش « يعطي عهوداً » فهاجمتهُ قوة من رجال البوليس فوجدوه محاطاً بعدد كبير من الدراويش في حلقة ذكر ، ولما رآهم مقبلين اليهِ ، أخذ يكبر بصوتٍ عالٍ « الله ! الله ! » ولما قبضوا عليهِ ، ادَّعى انهُ الشيخ عبدالله ابرهيم من المنوفية وانَّ الله يخلقُ من الشبه أربعين . على ان ادعاءه هذا لم يجده نفعاً ، وسيق الى السجن . وكان مدة اقامته في مصر العتيقة قد اقترن باحدى جاراتهِ — وهي تجهل

حقيقة أمره — ورزق منها ابنة سماها عزيزة وهي الآن في حولها الثاني

هذا شيء قليل من نوادر هذا الرجل الغريبة . وما كنا لنشغل بهـا قرّاء « ثمرات المطابع » لولا ان الرجل كاتب بليغ وله مصنّفات نفيسة واليك تحرير الخبر : قصدت مطبعة المعارف منذ مدةٍ سيدة وطنية اسمها وسيله محمد وعرضت على نجيب افندي متري صاحب المطبعـة نشر كتاب عنوانه « روح الاعتدال » لواضعه شارل وانير . فارتاح متري افندي الى موضوع الكتاب الجليل ورآه جديراً بالنشر باللغة العربية لما فيهِ من الفائدة للبلاد فطبعه ؛ وتناولت الصحف الكتاب بكلمات الاطراء ، وأقبل عليهِ القراء أيّما اقبال ، وقرَّرت مدارس كثيرة تدريسه . وبعد مدة وجيزة عادت وسيله محمد الى مطبعة المعارف وبيدها نسخة من كتاب آخر ، عنوانه « غاية الانسان » فلم يتردَّد نجيب افندي متري في قبوله اذ رآه لا يقلُّ فائدةً عن الكتاب المتقدم ذكره . فطبعهُ ونشره في الشهر الماضي وكان له نصيب كبير من إقبال القراء . وفي أوائل اكتوبر عادت وسيلة محمد الى المطبعة ومعهـا القسم الأول من ترجمة كتاب « الناشئـة » وفي ١٠ اكتوبر قبض البوليس على حافظ نجيب ، فحال دون انجاز الكتاب الثالث من هذه الكتب التي كان ينشرها حافظ باسم زوجتهِ — وهي لا تدري من سرّ زوجها شيئاً . . . .

أهدت وسيلة محمد كتابها الأول الى ابنتها « العزيزة » فقالت ، — أو قال حافظ نجيب : « أنتِ اليوم طفلة في المهد ، تسرّكِ ابتسامتي ، ويكفيكِ حنوي . وطفلة اليوم أم الغد . . . والزمان قلَّب ، والغد مجهول ، فقد لا أكون الى جانبكِ اذ ذاك ، فترجعين الىهذا الكتاب . . فتؤثرين العمل بما فيهِ من الآراء السديدة على ما يحدو اليـهِ نزق الشباب ، أو جنون الصبا ، وطيش الرعونة . . . واذا ما أعوزتكِ النصيحة فان في آراء الكتاب الاجتماعيين ما قد ينوب عن نصيحة أمٍ توَت ، أو والدٍ قُبر ، هذه هديتي . فان تعلمتِ علماً صحيحاً وكنتِ رقيقة العواطف ، عرفتِ منها كم كنتُ أحبكِ وأرغب في نفعكِ »

والكتاب الثاني أيضاً مهدى الى « الابنة العزيزة » وقد جاء في كلمة الاهداء :

« الدهر عبر ، والحياة سير ، والنفس بينهما لا تستقرّ ، فمن تتقي الأيام تأمن عِبَرها ومن تعرف الحياة تتحمل سيرها . والحوادث جائية ذاهبة ، والاعمار فانية ناضبة ، فالحال لا تدوم أسعدتْ أم أشقتْ ، والذكرى لا تفنى قبحت أم حسنت . فاتقي بنيتي العاقبة الأخرى ، فانما الحياة هي الذكرى »

نكتفي بهذه النتف للدلالة على مقدرة حافظ نجيب الكتابية ، لأن المجال غير متسع لزيادة البحث في كتبهِ وآرائهِ[1] . على انهُ لا يسعنا قبل الختام الاّ ابداء الاسف لضياع مثل هـذا الذكاء النادر . ولو عرفت الحكومة الآن ان تقوده في الطريق المستقيم لنفعت وأفادت كثيراً

* الهدية الفهمية[2] — أتحفنا بهذه الهدية حضرة الفاضل محمد افندي فهمي المغربي أحد موظفي نظارة الحربية . وهو عنوان لكتاب وضعه « لتذليل صعوبات اللغة الانكليزية » فاذا بهِ ثمرة مطالعات كثيرة ، وخبرة كبيرة . والكتاب مقسوم الى قسمين : يتضمن القسم الاول الاصطلاحات اللغوية والافعال المختلفة المعاني باختلاف الحروف التي تليها مع جمل تدل على كيفية استعمالها ؛ والقسم الثاني يتضمن الاصطلاحات الادارية والعلمية والفنية ، وتجاه كل عبارة ترجمتها العربية . فجاء هذا الكتاب المفيد أشبه شيء بقاموس مرتب حسب المعاني . فنوجّه اليهِ أنظار طلاّب اللغة الانجليزية فيجدون فيهِ فائدة عظيمة

* الاسلام والاصلاح[3] — هو عنوان « تقرير رسمي رفعهُ جناب السر ريشارد وود قنصل دولة انكلترا الجنرال ووكيلها السياسي في تونس الى جناب ناظر خارجيتها » وقد نشرتهُ الحكومة الانكليزية في الكتاب الازرق الذي أصدرتهُ سنــة ١٨٧٨ عقب وقوع الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا . وأعاد طبعه بالعربية حضرة الاديب محب الدين افندي الخطيب أحد محرري جريدة المؤيد . وأردفهُ

(١) تطلب هذه الكتب من مكتبة المعارف بالفجالة بمصر وثمن الكتاب ٥ غروش صاغ
(٢) طبع في مطبعة مدرسة أم عباس عدد صفحاته ٤٩٠
(٣) طبع في مطبعة « المؤيد » ويطلب من مكتبة « المنار » بمصر

بلمحة في « تاريخ الجندية العثمانية » ترجمها عن الكاتب التركي رفيق بك مانياسي وزير العدلية العثماني المتوفى . وهو من الكتب التي يحسن الاطلاع عليها في الآونة الحاضرة

* سوريا ومصر[1] — كثرت هذه المدة الابحاث في موضوع القطرين الشقيقين لشدة صلة الروابط الادبية بينهما . وآخر ما جاءنا بهذا المعنى كتيّب بالعنوان المتقدم أرسله الينا حضرة الاديب نسيم افندي ملول ، وقد جمع فيهِ سلسلة مقالات كان قد نشرها في جريدة « النصير » البيروتية ، ثم جمعها « خدمة للدولة والوطن العثماني »

* الشعب — جريدة جامعة أنشئت لخدمة الشعب الشوفي ، يُصدرها في عين زحلتا حضرة الكاتب الشاعر رشيد بك نخله الاديب المعروف لدى قراء « الزهور » ويودعها ما اشتهر عن قلمهِ من النفثات الشائقة . فنرجو لها النجاح في الخدمة القومية التي تتوخاها

* الصحة [2] — كلّ يوم يأتينا دليل جديد على نهضة اللغة العربيـة في العالم الجديد على يد المهاجرين النشيطين . وقد حمل الينا البريد الاخير العدد الأول من مجلة صحية طبية اسمها « الصحة » يُصدرها في نيويرك الصيدلي الكيماوي يوسف افندي يبرودي ، فاذا بها حافلة بالموضوعات العلمية والفوائد الطبيـة والابحاث الصحية المفيدة

مكتبة المنـار — أهدت الينا هذه المكتبة الزاهرة لأصحابها رضا وخطيب وقتلان قائمة كتبها عن السنة الجارية ، وهي طافحة بالكتب الادبية المفيدة . والمكتبة ترسلها مجاناً الى كل من يطلبها منها

---

* ننشر في هذا الجزء الفصل الثاني من رواية « يوليوس قيصر » لشكسبير ترجمة سامي افندي الجريديني المحامي :

---

(١) طبع في مطبعة « النصير » في بيروت

(٢) Al-Sahhat, 53 Washington St., New-York

الفصل الثانى

« المشهد الأول »

(رومه — منزل بروتوس)

بروتوس — (منادياً الخادم) لوسيوس ! يا لوسيوس ! (لنفسه) لا أقدر ان أحزر من النظر الى النجوم مقدار قرب النهــار منا . (منادياً الخادم) لوسيوس ! · أنت يا هذا ! (لنفسه) ليت لي ذنبه واستغرق في مثل نومه . (منادياً الخــادم) لوسيوس ! لقد آن لك ان تستفيق . قم . انهض . (يدخل لوسيوس الخادم)

لوسيوس — هل نادى مولاي ؟

بروتوس — خذ شمعةً الى غرفة قراءتي . أضئها وتعالَ ادعني اليها

لوسيوس — سأفعل يا مولاي . (يخرج)

بروتوس — (لنفسه) فلتنجونَّ رومه بموته ! اني لا أجاهده ابتغاء مصلحة نفسي بل لمصلحة الأمة . يودُّ لو يُتوَّج . تُرى كيف يكون تأثير التاج فيه ؟ تلكم المسألة . لا يخرج الصل من وكره الاّ على نور النهار [1] عند ذلك يجب المشي باحتراس . اذا نحن ألبسناه التاج ابسنا الخطر ، فنكون قد أخرجنا الصلّ من وكره فلا نأمن . بل نكون قد حدّدنا نابه يعطبنا به حين يشاء . شرُّ ما تكون العظمة عليــه عند ما تفرّق بين القوة والرحمة . ان قيصر — والحق يقال — لم يدع عواطفه تتغلب على عقله قط . انما من يضمن المستقبل ؟ ان الطمع يتخذ في بدء أمره التواضع سلماً له . فتراه محولاً اليه وجهه عند ما يكون واقفاً في أسفله . فاذا ما اعتلا قنه ولاّه ظهره ناظراً الى السحب فوقه ناسياً تلك الدرجات الواطئة التى تسلّقهــا . هذا مثل سائر

(١) اشارة الى ان الانسان لا يظهر بمظهره الحقيقي الا عند النجاح

وبرهان معروف . . . قد يفعل قيصر هذا الفعل . فلنمنعه قبل ان يأتيه[1] لا حجة لنا عليه الآن . فلنغيّر شكل دعوانا ولنقدّر انهُ اذا نما عما هو عليهِ أضرَّ وكان ضرره عظيماً . لنحسبنّه بيضة الحية نقتلها في قشرتها مخافة ان تفرّخ فتسعى لضرّ الناس .

(يرجع الخادم لوسيوس)

لوسيوس – مولاي . أضأت الشموع في غرفتك . وقد رأيت هـذه الورقة مطوية طيّها في النافذة ، ولم تكن هناك عند ما رقدت . (يعطيه الورقة)

بروتوس – اذهب ونم . لم يطلع النهار بعد . في أي الأيام نحن يا غلام ؟

لوسيوس – لا أعلم يا مولاي

بروتوس – أنظر في التقويم وهات الخبر

لوسيوس – أمرك . (يخرج)

بروتوس – يمكنني ان اقرأ على نور هذه النيازك المتساقطة في الهواء (يفتح الورقة ويقرأ) « بروتوس انت نائم ؛ تنبّه وانظر الى نفسك ! ان رومه الخ الخ . تكلم . أضرب . أفدِ ! بروتوس أنت نائم ! استيقظ ! » (لنفسه) قد عثرت على كثير من هذه الكتب المحرّضة . (يقرأ) « رومه الخ الخ » (لنفسه) تُرى ما معنى هذا ؟ هكذا يجب ان تكون : أتستعبد رومه خوفاً من انسان فرد ؟ أرومه ؟ ان آبائي طردوا تاركوين من أزقة رومه عند ما طمع بالملك. (يقرأ) « تكلم . اضرب » (لنفسه) أكلاماً وضرباً يرجون مني ؟ ايه رومه ! لكِ عليَّ العهد ان تنالي مبتغاكِ[2] على يدي ان كان العدل ينجم عن ذلك . (يرجع الخادم لوسيوس)

لوسيوس – مولاي قد انسلخ اربعة عشر يوماً من شهر مارس

بروتوس – حسناً . اذهب وانظر من بالباب فاني اسمع قرعاً . (يخرج لوسيوس)

---

(١) يشعر بروتوس ان قيصر لم يأت أمراً اداً يستاهل القتل ، ولكنه يحتاط للمستقبل مخافة ان يكون تفوّق قيصر مدعاة للاستبداد　　(٢) أي الكلام والضرب

(لنفسه) طالت لياليَّ ولم أنم من يوم ما حرّضني كاسيوس على قيصر . ان المسافة بين تنفيذ عملٍ فظيع و بين أول دافع يدفع اليهِ لخيال أو حلم مخيف . العقل والجسد يتشاوران ، وتصبح حالة الانسان كمملكة صغيرة تتناوبها الثورات (يرجع لوسيوس)

لوسيوس — ان أخاك كاسيوس في الباب يودّ ان يراك

بروتوس — هل هو وحده ؟

لوسيوس — كلاّ مولاي ! بل معهُ أكثر من واحد

بروتوس — أتعرفهم ؟

لوسيوس — لا . فان قُبعاتهم مشدودةٌ الى آذانهم وأرديتهم تغطي نصف وجوههم ، فلم أتمكن من معرفة واحدٍ منهم

بروتوس — دعهم يدخلون (يخرج لوسيوس) . (لنفسه) هم العُصبة . ايهٍ أيتها الفتنة ! أتخجلين من إظهار وجهكِ المخيف في سوادِ الليل وهو مباءة الشرور ؟ اذنْ أنّى لكِ ان تجدي كهفاً في رابعة النهار يسدُل ستر ظلامهِ على فظاعة وجهك ؟ لا تطلبي محالاً . خبإي وجهكِ تحت ستار التبسّم والمخادعة فانكِ لو خرجتِ الى الناس بلا ستار لعجزتْ ظلمةُ جهنم الخامسة [1] عن اخفاء فضيحتكِ !

(يدخل المتآمرون كاسيوس وكاسكا وداسيوس وسِنّا وسمبر وتريبونيوس)

كاسيوس — طاب صباحك يا بروتوس . لقد تجاسرنا على إقلاقك . أليسَ كذلك ؟

بروتوس — لم أنمْ ليلي . هل أعرفُ هؤلاء القادمين معك ؟

كاسيوس — نعم ، كلاًّ منهم . وليس منهمْ الاّ من يُكرمك ويَودُّ لو كان لك في نفسك مثلما للرومانيين فيها من حسن الثقة . هذا تريبونيوس .

بروتوس — أهلاً بهِ

---

(١) واسمها في اللاتينية ايربوس

كاسيوس – وهذا داسيوس

بروتوس – مرحباً بهِ

كاسيوس – وهذا كاسكا . وهذا سنّا . وهذا سمبر

بروتوس – أهلاً بهم جميعاً وسهلاً . أيُّ الهموم حالت بين عيونكم وبين الليل فمنعتها من النوم ؟

كاسيوس – أتأذن لي في كلمة ؟　　(بروتوس وكاسيوس يتهامسان)

داسيوس[1] – هنا الشرق . أو ليس هذا مطلعُ الشمس ؟ (يشير الى جهة الشرق)

كاسكا – كلاّ

سنّا – عفوكَ . بلى . وليست هذه الحبائل البيضاء التي تقاطِعُ السحب الاّ رسلَ النهار

كاسكا – انكما على ضلال . وستعترفان بهِ . ان الشمس تشرقُ من هنا حيث يتجه سيفي وهي جهة قريبة للجنوب . والسنة تكون في أولها في مثل هذه الأيام . ثم تتجه بعد شهرين تقريباً الى الشمال وترمينا بحرارتها . أما الشرق فهذه وجهته . هنا حيث الكابيتول

بروتوس – هذه يدي . هاتوا أيديكم

كاسيوس – ولنحلفنَّ متفقين

بروتوس – لا . لا حلفَ ولا يمين . ان لم تكن اماراتُ وجوهنا وآلام نفوسنا وجور الزمان علينا بالأسباب الكافية لنا ، فلنتفرّق الآن وليذهب كلٌّ الى فراشهِ ولندع نسرَ الاستبداد في تحليقهِ يتخطفنا الواحد إثر الآخر . أما اذا كانت هذه الأسباب نفسها ناراً تنفخُ في الجبان شجاعةً وتجعلُ نفوس الأطفال والنساء

---

(١) الحديث بين داسيوس وكاسكا وسنا لا شأن له في المؤامرة بل ليشغلوا أنفسهم اثناء مهامسة كاسيوس وبروتوس

مفلوذةً ، فماذا تزيدنا اليمين في إقدامنا ؟ وأيُّ الروابط تفضلُ رابطة كلمة خرجتْ من أفواه رومانيين يكتمون السرَّ ولا يمارون ؟ وما اليمين لقوم كرام تعاهدوا على تنفيذ أمرهم أو تركه ملطخاً بدمائهم ؟ دعوا الاقسام للكهنة ، للجبناء ، للمنافقين ، للجثث الزائلة ولنفوسٍ تقبلُ الضيمَ وتصبرُ على الأذى . ان الذين يُشكُّ في أقوالهم يُقسمون ، ليحملوا الناس على تصديق أغراضهم الباطلة . أما أنتم فأعيذكم من ان تدنّسوا عِرضَ غرضنا أو تكبحوا جماح نفوسنا بقَسَم تظنونهُ لازماً . ان دماءكم التي تجري في عروقكم — على شرف محتدها — لتصبح أسفل من دم اللقطاء ان حنث أحدكم بحرف من كلمة خرجت من أفواهكم

كاسيوس — ما قولك بشيشرون . أنعجمُ عودَه ؟ أظنهُ يؤيدنا بقوّة

كاسكا — لا نتركه

سنّا — لا نتركه أبداً

متلّوس — لنشركنّهُ معنا . ان شعره الفضي لأكبرُ مبرّرٍ لعملنا في أعين الناس ولأعظم داعٍ لثقتهم بنا ، فيقولون ان حكمةُ الصائبَ قد سدَّد أيدينا . ولا يظهرُ علينا شيء من مظاهر نَزَق الشباب بل تُدفن كلها في عظيم رصانتهِ ورزانتهِ

بروتوس — لا تذكروا اسمهُ . اننا لن نطارحهُ الأمر . فهو لا يتبع أحداً ابتدأ عملاً قبلهُ

كاسيوس — فلندعهُ وشأنهُ

كاسكا — حقاً انهُ لا يصلح لشيء

ديسيوس — ألا يُمسُّ أحد بسوءٍ خلاف قيصر ؟

كاسيوس — أصبتَ الحزَّ يا ديسيوس . فلا يليق بأنطونيوس محبوب قيصر ان يعيش بعده . ان تركناه نلقَ منهُ محرّكاً للفتنة يَقِظاً . وقد تمتدُّ يده الى الاساءة الينا ان هو أحسنَ إدارة ما لديهِ من الواسطة السيئة . فلنمنعنّهُ من ذلك ، وليسقط مع قيصر !

بروتوس — اذا نحن قطعنا الرأسَ وألحقنا بهِ الأعضاء ظهرت أعمالنا بمظهر دمويّ لايليق . ويكون مثلُنا مثلَ المتشفّي يشوّه فريسته بعد قتلها. فان أنطونيوس ليس الاّ عضواً من اعضاء قيصر . . . أي كاسيوس ! لنكن فدائيين لا جزارين . اننا نناهض روح قيصر ، ولا دم للأرواح . ليتنا نستطيع ان نبطش بروح قيصر ولا نمس جسده . يا للأسف ! لا بدَّ لدم قيصر ان يسيل . اذن فلنقتله شجعان لا حاقدين ولا منتقمين . لنجعله ذبيحةً تليق بالآلهة ، لا جثةً تُقطع وتُرمى للكلاب . ليكن عملنا عمل السادة الدهاة يدفعون عبيدهم الى الغضب ثم يعنفونهم على ذاك الاندفاع . بمثل هذا تظهر فعلتنا للجمهور لازمة لازبة ، لا حاقدة غائرة ، فندعى مطهّرين لا سفّاحين . دع انطونيوس من فكرك . انهُ لا يستطيع ان يعمل اكثر مما تعمله يد قيصر بعد ان يقع رأسه عنه

كاسيوس — ولكنني أخافهُ . فان محبته لقيصر . . . .

بروتوس — (مقاطعاً) دعه من فكرك ايها الطيب كاسيوس . ان كان يحب قيصر فما له الاَّ ان يموت حزناً عليه . وليس الأمر بالهين فانهُ مغرم بالتنزه والطيش والمغازلة

تريبونيوس — لا خوف منه . لا تقتلوه فانهُ سيعيش ويضحك من هذا الأمر

(تدق الساعة)

بروتوس — اسكتوا عدّوا دقات الساعة

كاسيوس — دقت الساعة ثلاثاً

تريبونيوس — حان وقت الذهاب

كاسيوس — على اننا لا نزال في شك من خروج قيصر من بيته اليوم . فلقد أصبح متطيراً متشائماً ، اذا سمعته لا تظنهُ ذلك الرجل الذي لم يكن ليعبأ بالأوهام والأحلام والتقاليد الدينية . فقد لا يأتي اليوم الى الكابيتول لسبب مظاهر هذا الليل غير العادية ولأقوال المنجمين الذين يحيطون بهِ

ديسيوس — لا تخشَ هذا الأمر . فأنا أثنيه عن عزمه اذا صمَّم على البقآء في منزله . انه يبتهج اذ يسمعني أقول له : « ان الشجر يُسلِّمُ وحيد القرن الى الهلاك كذلك الدبة فانهم يصطادونها بالزجاج [1] ، والفيلةُ بحفر الأحافير ، والشباك تنصبُ لاقتناص الأسود ، أمّا ابن آدم فيؤخذ بالتملّق » . فاذا قلتُ له انك تكره المملقين ، يجيبني نعم أكرههم. وهو بهذا القول يكون قد خضع للتملق كل الخضوع . دعوني أتم عملي فاني أعرف كيف استميله وآتي بهِ الى الكابيتول

كاسيوس — لا . اننا نذهب كلنا ونأتي به

بروتوس — ولكن الساعة الثامنة غاية موعدنا

سنّا — نعم ولا تتأخروا

سمبر — ان ليجاريوس يكرهُ قيصرَ ، فقد وبّخه هذا مرة اذ سمعه يطري بومباي . أعجبُ كيف لم تفتكروا به

بروتوس — اذهبْ اليه الان. اني قد أحسنتُ اليه فهو يحبني . أرسله اليّ فأكيفه

كاسيوس — لقد هجمَ علينا الصباح . بروتوس ، ها نحن تاركوك . تفرقوا ايها الاخوان . أذكروا ما قلتموه ، وكونوا أبنآء رومه الصادقين

بروتوس — ايها السادة الأخيار . إبسموا واطربوا . ولتخفِ وجوهكم نيّاتكم . ولنظهر بمظهر الممثلين الرومانيين مالكين قياد انفسنا وواثقين منها . طاب ليلكم جميعاً . (يخرج الجميع عدا بروتوس) . (ينادي الخادم) أي لوسيوس . يا غلام ! (لنفسه) نومه عميق . لا بأس . تمتع بندى النوم اللذيذ . انك لا تحلم ولا ترى أشباحاً وخيالاتٍ تملأ رؤوس الرجال بعيدي الهمّ ، لذلك تنام نوماً عميقاً (تدخل امرأته بورسيا)

---

(١) يقولون ان وحيد القرن اذا رأى شجرة ينطحها فترديه ، وكذلك الدبة اذا رأى صورته انعكست اليه بمرآة او زجاجة هجم عليها ووقع في الفخّ الذي يكون ورآها

بورسيا — بروتوس! مولاي!

بروتوس — بورسيا! ما هذا؟ ولمَ تبكرين في القيام. ليس لمزاجكِ الضعيف ان يتعرّض لبرد الصباح ورطوبته

بورسيا — ولا لمزاجك أنت ايضاً، انكَ قد انسلاتَ من فراشي انسلالاً. والبارحة على العشاء نهضت فجأةً وأخذت تمشي ويداك وراء ظهرك تتنهدُ وتشكو. عندما سألتك السببَ نظرتَ اليّ مغضباً، فأعدتُ السؤال عليك فحككت رأسك وضربت الأرض برجلك، فألححتُ ولم تنثنِ عزيمتي، فأشرت بيدك اليّ ان انصرفي، فانصرفت طائعة مخافة ان أزيد في قلقك المتقد راجيةً ان يكون الأمر انزعاجاً خفيفاً قد يطرأ على جميع الناس، ولكنه قد حرمك الأكل والكلام والنوم وتمكن منك حتى لو كان أثره في جسمك مثلما هو في عقلك لغابتْ عني معرفتك. أي مولاي دعني أعرف سبب حزنك

بروتوس — اني منحرف المزاج قليلاً. هذا كل ما في الأمر

بورسيا — ان بروتوس لعاقل حكيم. لو كان يشكو الداء في صحته لتوقّى اسبابه

بروتوس — هذا ما أفعله. اذهبي الى فراشكِ ايتها العزيزة

بورسيا — أمريض بروتوس؟ أمن دواعي الاستشفاء ان تنهضَ مفكوك الازار تمتصُّ رطوبة الصباح؟ أمريضٌ بروتوس اذ يهربُ خلسة من فراشه الطيب لملاقاة عدوى الليل ولاستفزاز برد الهواء وفساده الى زيادة مرضه؟ لا يا بروتوس! ان علتك هنا في الرأس، لي بحقّ الزوجيـة ان اعرفَ ماهيتها. اني أجثو لديك واستنجدُ ماضي جمالي علّـهُ يستهويك. بل أستعين عليك بعهود حبّـك وبميثاقٍ عظيمٍ جعلنا جسداً واحداً الاّ كشفت لي ضميرك وقلت لي — لمن هي مقام النصف منك — في مقام نفسك — ما سبب وجومك؟ ومن الذي لجأ اليك هذه الليلة. فاني رأيت رهطاً يخفون وجوههم حتى عن الظلام

بروتوس — لا تركي يا بورسيا اللطيفة !

بورسيا — ما كنت لاركم لو كنتَ بروتوس اللطيف . أي بروتوس . أمحظور عليَّ في عرف عهود الزوجية ان اطّلع على سرّك ؟ أأكون واياك واحداً في بعض الأمور ولا اكونه في الأخرى ؟ أقُسمَ لي الاكتفاء بمنادمتك على الطعام وتسليتك عند المنام والتحدّث معك في بعض الأحايين ؟ أأسكن في ضواحي كيفك أم في وسط قلبهِ ؟ ان كانت تلك قسمتي منك فما انا بحليلتك بل خليلتك

بروتوس — أنتِ زوجتي الشريفة الصادقة ، أعزُّ اليَّ من تلك النقط الحمراء التي تطرق قلبي الحزين

بورسيا — ان كان حقاً ما تقول فقد حقَّ لي ان أعرف سرّك . نعم انا امرأة ولكني امرأة اختارها بروتوس زوجةً له[1] . نعم انا امرأة ولكني أرضيك عند الحسب فانا ابنة كاتو أوَ لا تظنني أقوى بنات جنسي وقد انتسبت لمثل ذاك الأب واقترنت بمثل هذا الزوج ؟ اطلعني على افكارك . اني لا أبوح بها . أما علمت مقدار ثباتي اذ طعنت نفسي مرةً بخنجر في فخذي ؟ أأحتمل بصبرٍ تلك الطعنة ولا احتمل اسرار بعلي ؟

بروتوس — ايه ايتها الآلهة . اجعليني كفوءاً لهذه المرأة النبيلة (يُقرع الباب) اسمعي اسمعي . الباب يُقرع . اذهبي الآن وستعلمين عما قليل ما انطوى عليهِ قلبي . سأقرأ لكِ كتاب حزن وجهي فتطّلعين على كل دخائلي واسراري . عجلي بالخروج (تخرج بورسيا) لوسيوس ! من الطارق ؟ (يدخل لوسيوس ومعه ليجاريوس)

لوسيوس — هنا رجلٌ مريض يودُّ ان يشافهك

بروتوس — (لنفسه) هذا ليجاريوس الذي أشار اليهِ سمبر . (للخادم) قف

---

(١) هي ابنة كاتو الروماني المشهور وكانت من اذكى وأجمل بنات رومه . يظهرها شكسبير بمظهر المرأة الحقيقية أي المرأة الطامعة في معرفة السر

ناحية يا غلام . كيفَ أنتَ يا ليجاريوس ؟

ليجاريوس — تقبّل تحيةً طيبة من لسان ضعيف

بروتوس — تعساً لميعاد ضربتهُ للاعتصاب بهذه العمّة . ليتك لم تكن مريضاً

ليجاريوس — لستُ بالمريض اذا دعاني بروتوس الى مواقف النُبل

بروتوس — لو كنتَ صحيح الاذن لأسمعتك دعوةً الى مثل هذه المواقف

ليجاريوس — وأيم جميع الآلهة التي تثنى لها ركبُ الرومانيين ! ها قد اقتلعتُ مرضي مني (ينزع عصبته عن رأسهِ) أيْ حيـاة رومه . أيها الأسد الخارج من صُلب الشرف انك كالساحر عزّمتَ فأخرجتَ شيطان مرضي مني . اني الآن أسابق المستحيل فأسبقهُ ان أنتَ أمرتني . ما العمل ؟

بروتوس — عملٌ يجعل المرضى أصحاء

ليجاريوس — أو لا نجعل بعض الأصحاء مرضى ؟

بروتوس — نعم . سنفعل ذلك . سأكشف لك الأمر في الطريق وأنبئك عمن أشير اليه :

ليجاريوس — أُخطُ أمامي فأثب وراءك بقلبٍ من نار أجري الى ما لستُ أعلمهُ راضياً بانك قائدي . أنا سهمٌ من سهامك ، ارمِ بي حيث تشاء

بروتوس — اذن اتبعني (يخرجان)

« المشهد الثاني »

بيت قيصر . برقٌ ورعد . (يدخل قيصر بثياب النوم)

قيصر — ما سكنت السماء ولا استراحت الأرض في هذا الليل . لقد صاحت كالبورنيا في نومها ثلاثاً « اليَّ . هوّاه . انهم يقتلون قيصر » . مَن بالباب ؟

(يدخل الخادم)

الخادم – مولاي !

قيصر – اذهب الى الكهنة ، وابلغهم أمري ، يذبحون في الحال قرابينهم ويتكهنون

الخادم – سأفعل يا مولاي (تدخل كالبورنيا)

كالبورنيا – ما قصدك قيصر؟ أتفكر في الخروج من منزلك ؟ ما أنت بخارج منهُ اليوم

قيصر – أما قيصر فيخرج . لا تقدر الاشياء التي تهددني ان تنظر اليَّ وجهاً لوجه بل تدور من ورائي . فاذا ما لفتُّ اليها وجهي اضمحلّت

كالبورنيا – قيصر ! اني لم أهتمّ بالخرافات والأوهام قط . أما الآن فانها تخيفني . . . . في الدار رجل روى لنا عن أحد حرّاس البلد ما تقشعر منهُ الأبدان هذا فضلاً عما سمعناه ورأيناه نحن : لبوةٌ تزأر في الأسواق . قبورٌ انشقت وقذفت بموتاها خارجاً . جنودٌ نارية مرعبة تصفُّ صفوفها صفَّ القتال تتحارب بين السحب ودماؤها تتساقط على الكابيتول . صوت القتال يبوّق في الهواء . الخيل تصهل . الجرحى يئنون . والاشباح تمرُّ في الازقة تولولُ وتعوّلُ تعويلاً . ايهِ قيصر . ليست هذه الأمور بالعادية . انها لتخيفني [1]

قيصر – لا مردَّ لما قدَّرته الآلهة تقديراً . ان قيصر لذاهب اليوم . فما هذه النذُر برسالةٍ له بل قد تكون مرسلةً للعالم كله

كالبورنيا – لا نيازك تُرى عند موت السوقة . اما الامراء فالسموات تسطع موتهم تسطيعاً

قيصر – الجبان يموت مراراً قبل موته اما الشجاع فميتة واحدة . أغرب ما سمعت من الغرائب خوف الانسان من أجله وهو ضربة لازب تجيء عند ما تجيء .

(١) في التاريخ ان مقتل قيصر كان يوماً عصيباً كثير العواصف كيوم موت نابوليون

(يرجع الخادم فيخاطبه قيصر قائلاً :) ما قال الكهنة المنجمون ؟

الخادم — انهم يتمنون لك ألاَّ تبرح منزلك اليوم . فقد شقّوا احشاء الذبيحة فلم يجدوا فيها قلباً

قيصر — ان الآلهة تفعل هذا حياءً من الجبن . لو أقام قيصر اليوم في صحن بيته خوفاً لكان بالحق وحشاً لا قلب له . لا . قيصر لا يقيم . الأخطار تعلم حق العلم ان قيصر أشدُّ منها خطراً . نحن اسدان وُلدنا في يوم واحد . انا اكبرهما وأشدهما رعباً . ان قيصر لذاهب

كالبورنيا — وأسفاه يا مولاي . ان حسن ظنك يبتلع حكمتك وتعقلك . لا تخرج اليوم . قل ان مخاوفي جعلتك تلبث في بيتك لا خوفك . لنبعث بانطونيوس رسولاً الى مجلس الشيوخ يحمل نبأ انحراف مزاجك . دعني — وانا على ركبتيَّ — أفز بهذه الامنية

قيصر — سأمكث اكراماً لكِ . وسيقول لهم انطونيوس اني مريض . (يدخل ديسيوس) ها ديسيوس . دعه يحمل اليهم الخبر

ديسيوس — السلام قيصر . سَعُدَ صباحك . اني اتيت ادعوك الى مجلس الشيوخ

قيصر — طاب قدومك . أحمل سلامي الى الاعيان وقل لهم اني لا أريد ان أذهب اليوم . . . لو قلتُ لا استطيع لكان قولي كذباً أو قلت لا أجسر لكان القول أكذب . . . اني لا أريد ان أذهب . هكذا تقول لهم

كالبورنيا — قلْ انه مريض

قيصر — أ ويكذبُ قيصر ؟ أ أمدُّ يدي فأتناول النصر والفتح من بعيد وأخشى الحق أقوله لذقون بيضاء . ديسيوس ! اذهب وقل لهم ان قيصر لا يريد ان يجيءْ

ديسيوس — أيـ قيصر عظيم الاقدار ! دعني أعرف لذلك سبباً مخافة ان

يضحكوا مني اذا انا جئتهم بمثل هذا الكلام

قيصر — السبب راجع الى ارادتي . اني لا أريد ان أذهب ، وكفى بهذا سبباً للأعيان . . . على اني لا أخفي عليك انت حقيقة الامر لأنك تحبني . ان امرأتي كالبورينا تمسكني عن الخروج من البيت . لقد رأت في حلمها تمثالي يتفجر الدم من جوانبه كينبوع ذي مائة عين وأهلَ رومه قادمين باسمين يغسلون ايديهم بدمي . وهي تدّعي ان في هذا نذيراً بشرّ قادم مستطير . فجثت أمامي راجيةً ان أمكث في بيتي اليوم

ديسيوس — لقد ساء تأويلُ الرؤيا . انه حلمٌ جميلٌ مبخوت .. فما تمثالك يفجّر الرومانيون الدم من جوانبه تفجيراً ويغسلون فيه أيديهم الاّ رمز الى ان رومه سترضعُ منك ما يجدد شبابها ، وان اعاظم الرجال يتزاحمون لينالوا منك اثراً خالداً أو تذكاراً جميلاً . ذالكم تأويل حلم كالبورينا

قيصر — لقد أحسنتَ تأويله

ديسيوس — وستزداد اعتقاداً بحسن التأويل عندما أنقلُ اليك نبأً آخر : ان المجلس قد أجمع أمرهم على ان يقدموا لك التاج اليوم ! فاذا لم تذهب الآن قد يتغيرُ اقرارهم في الغـد . ومن يضمن لنا الخلاص من سخرية ساخر يقول « فضّوا المجلس الى ان تتناوب امرأة قيصر أحلامٌ أخرى » . أو لا يهمس الهامسون بأن قيصر قدخاف . عفوكَ قيصر ! اني أنطق بلسان حبي الشديد لك . فهو ينطقني بالحكمة

قيصر — (لكالبورنيا) ما أضلَّ مخاوفكِ يا كالبورنيا . اني أخجل من نفسي عندما أرى كيف انقدتُ اليكِ . إيتيني بردائي . أنا ذاهب . (يدخل پوبليوس وبروتوس وليجاريوس ومتلوس وكاسكا وتريبونيوس وسنا) . ها پوبليوس آتٍ ليأخذني

پوبليوس — طاب يومك قيصر !

قيصر — أهلاً بك يا پوبليوس ! بروتوس ، مرحباً بك أمبكرٌ أنتَ أيضاً بالقيام ؟ طاب يومك كاسكا . وأنتَ ليجاريوس . أنت مريض ؟ ان مرضك الذي أهزلك لأشد عدواة لك مني ! كم الساعة ؟

بروتوس — الثامنة

قيصر — أشكر لكم أيها السادة تلطفكم واجهادكم أنفسكم بالمجيء (يدخل أنطونيوس) وها أنطونيوس الذي يقضي لياليه سامراً قد جاءنا مبكراً . سعدتْ أوقاتك يا أنطونيوس

أنطونيوس — واقيصر الشريف أسعدُ الأوقات

قيصر — دعهم يهيئوا لي ثيابي ! اني لحقيق باللوم اذ أجعل هؤلاء السادة ينتظرون . مرحباً كاسكا . مرحباً متلوس وأنتَ تريبونيوس لي حديث ساعة معك اليوم . كن قريباً مني فلا أنسى

تريبونيوس — سأكون بقربك . (لنفسه) نعم سأقرب قرباً يودُّ أصدقاؤك لو كان بُعداً

قيصر — ادخلوا أيها الأصدقاء ، نذوق معاً شيئاً من الخمر ثم نذهب معاً كاخوان الصفاء　　(يخرجون جميعهم)

« المشهد الثالث »

شارع قرب الكابيتول . (يدخل ارتيميدوروس يقرأ ورقة)

ارتيميدوروس — (قارئاً) قيصر . احذر بروتوس . توقَّ كاسيوس . لا تقرب كاسكا . ضع عينك على سنّا . لا تثق بتريبونيوس . الحظ سمبر . بروتوس لا يحبك . انك قد أغضبت ليجاريوس . كلُّ هؤلاء مجمعون رأيهم على ارداتك . اذا كنت انساناً غير خالد فاحتط لنفسك . الاستسلام مدعاة الفتنة . لتحرسك الآلهة القديرة　　محبك ارتيميدوروس

سأقف هنا حتى يمرّ قيصر فاعطيه هذه الورقة على شكل عرض تظلّم . نفسي حزينة على فضيلة لا تستطيع البقاء في وجه منافسة حاسدة تحرق الأرمّ . أي قيصر ان انت قرأت هذه الورقة سلمت . والاّ فتكون الاقدار قد اتخذت من الخونة ساعداً وعضداً .　(يخرج)

« المشهد الرابع »
قسم آخر من نفس الشارع امام بيت بروتوس
(تدخل بورسيا[1] والخادم لوسيوس)

بورسيا — يا غلام . ألم تذهبْ بعد ؟ ركضاً الى مجلس الأعيان ! اذهب . ما لك واقفاً ؟

لوسيوس — لأعلم بما تأمرينني ايتها السيدة

بورسيا — ليتك تستطيع الذهاب والرجوع بأسرع مما آمرك بذلك . (لنفسها) تشدّدي عزيمتي ! وأقيمي لي جبلاً حاجزاً بين ضميري ولساني . ان لي قلب رجل وقوّة امرأة . صعبٌ على امرأة ان تكتم سرّها : (للخادم) ألا تزال واقفاً امامي ؟

لوسيوس — ما مهمتي يامولاتي ؟ أأركض الى الكابيتول وأرجع اليك ؟ أليس عليّ واجبٌ آخر ؟

بورسيا — بلى . اذهب وانظر أمعافى مولاك فانه خرج متألماً . خذ بالك مما يفعله قيصر ومن الناس الذين يقتربون منه . اسمع اسمع يا غلام ! ما هذا الصوت ؟

لوسيوس — اني لا اسمع شيئاً ايتها السيدة

بورسيا — أصغِ أصغِ جيداً . اني سمعتُ ضجيجاً كضجيج عراك تحمله الريح من ناحية الكابيتول

(١) يكون بروتوس قد أطلع امرأته على سرّ المؤامرة

لوسيوس — بالحقّ يامولاتي لم أسمعْ شيئاً (يدخل المنجم)

بورسيا — (للمنجم) تعال يا انسان . من أين انت قادمٌ ؟

المنجم — من بيتي ايتها السيدة الصالحة

بورسيا — كم الساعة ؟

المنجم — التاسعة تقريباً ايتها السيدة

بورسيا — هل وصل قيصر الى الكابيتول أم لم يصل بعد ؟

المنجم — لم يصل بعد . وانا ذاهب لأقف فأراه مارًّا في سبيله الى الكابيتول

بورسيا — ان لديك امراً تعرضه على قيصر . أ ليس كذلك ؟ قل

المنجم — نعم ايتها السيدة لي ما أعرضه عليه . فاذا أحسن الى نفسه وأعارني أذنه أوصيته بأن يحطاط لأمره

بورسيا — ولماذا ؟ هل تعلم بخطر يتهدده ؟

المنجم — اني لا أجزم بوقوع الخطر ولكني أخشى حدوثه . سعدت أوقاتكِ . هنا الشارع ضيق والجمع الذي يلحق بقيصر مؤلف من أعيان وقضاة وذوي مطالب شتى يتكاثفون فيزحمون رجلاً ضعيفاً مثلي . وقد يقتلونهُ . سأذهب الى مكان أفسح من هذا اعارض قيصر في السبيل وأكلمه (يخرج)

بورسيا — يجب ان أدخل الى غرفتي . ويلٌ لي ، ما أضعف قلب المرأة . لتُنجحِ السموات مقاصدك يا بروتوس ! آه لقد سمعني الخادم (تقول ما يأتي لتحوّل ذهن الخادم عن الجملة الأولى فيما لو كان قد سمعها) ان لبروتوس طلباً لا يستجيبه اليهِ قيصر . يكاد يُغمى عليَّ . اذهب يا غلام الى مولاك واقرأه سلامي . قل له اني مشروحة الصدر لا أشكو ألماً ثم ارجع اليَّ وانبئني بما يجيبك بهِ

(تخرج ثم يتبعها الخادم)

(تمّ الفصل الثاني)

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثامن — ديسمبر (ك ١) ١٩١٢ — السنة الثالثة

البلقان والحرب

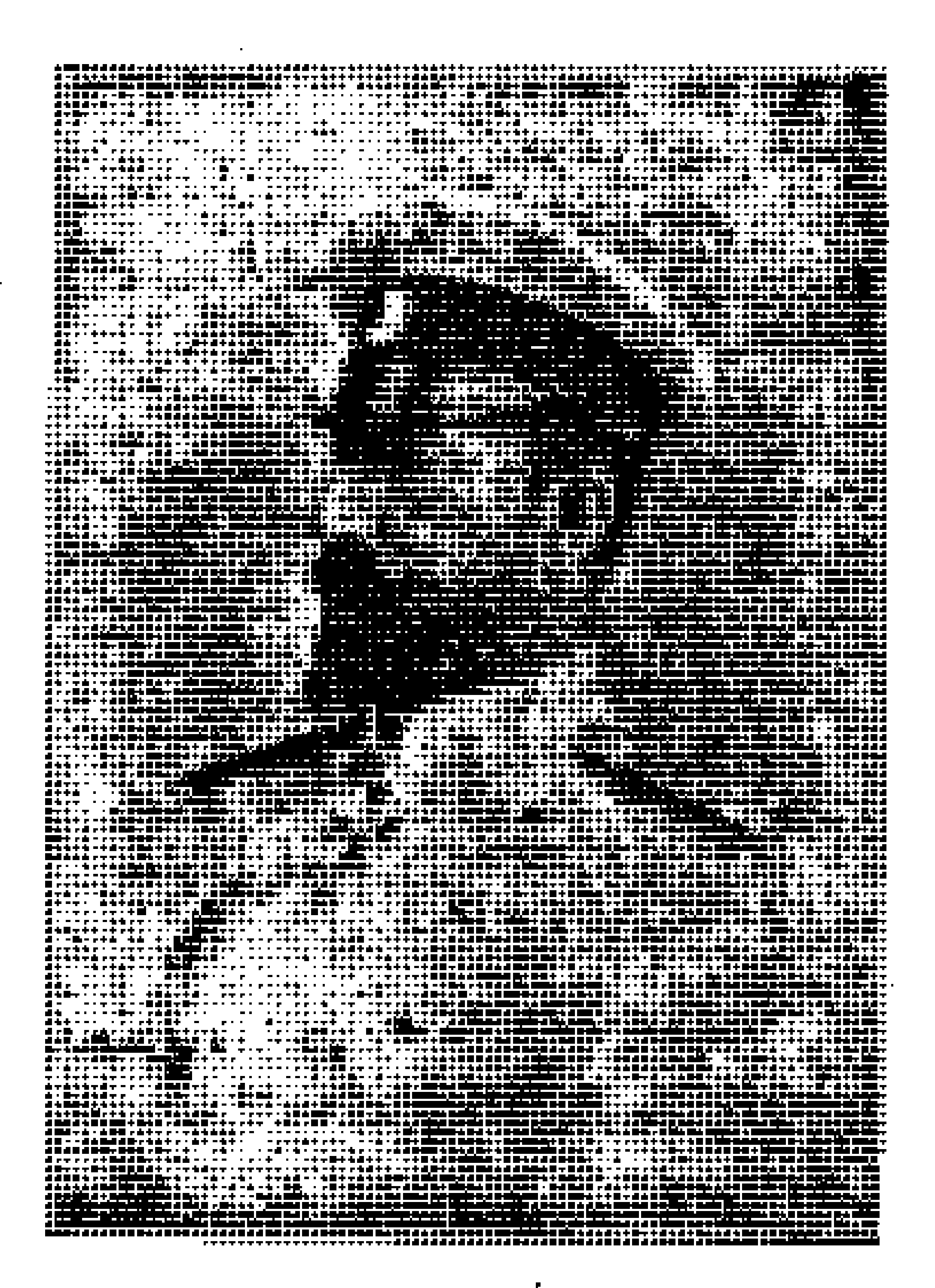
ليس في الآونة الحاضرة من لا يهتم للحرب المنتشبة بين العثمانيين والبلقانيين فالناس في كل مكان على اختلاف طبقاتهم ولغاتهم وأجناسهم يتهافتون على الانباء الواردة من ميادين القتال تهافتاً عظيماً جداً . لذلك أنشأنا الفصل التالي وهو مجمل ما طالعناه في المجلات والمؤلفات الافرنجية وخلاصة جامعة عن هذه الحرب ومقدماتها وسياسة البلقانيين فيها وتكهن الساسة الاوروبيين عن عقباها لعلّ في ذلك كله فائدة لقراء الزهور

الولايات العثمانية الاوروبية وسكانها — للحكومة العثمانية في اوروبا ست ولايات خلا الاستانة وضواحيها . وهي : سالونيك ، وموناستر ، وأدرِنَه ، واشقودره ، وقوصوه ، ويانيا . ويُطلق الجغرافيون عليها جميعها اسم مكدونيا وان لم تشمل هذه التسمية في الحقيقة البلاد الالبانية . اما عدد سكان هذه الولايات فلم يحصَ احصاءً دقيقاً لكثرة التباين في الأغراض والنزعات الجنسية والسياسية والدينية . ولكنّ المأثور انه لا يتجاوز خمسة ملايين ونصف مليون يضاف اليهم عدد سكان الاستانة وملحقاتها فيبلغ المجموع على التقريب ستة ملايين ونيّف . وهم اخلاط من السلافيين والترك واليونانيين والالبانيين . واما عددهم بالنسبة الى الجنس

او الدين فالمشهور ان الالبانيين يعدون ١,٥٠٠,٠٠٠ ، واليونانيين يدّعون انهم يبلغون ٢,٠٠٠,٠٠٠ في حين انهم لا يتجاوزون مليوناً ونصف مليون في نظر سواهم . ويقول المسيحيون ان عدد المسلمين ١,٥٠٠,٠٠٠ فقط . وتقول « غازيت دي فرنكفورت » الالمانية ان الاسرائيليين يبلغون ١٩٠,٠٠٠ ، والفلاخيين الرومانيين ١٠٠,٠٠٠ والبلغاريين ٧٠٠,٠٠٠ والسربيين ٧٠٠,٠٠٠ ايضاً . ولكن الحقيقة غير ذلك فالجريدة المذكورة أنقصت في عدد البلغاريين والسربيين عملاً باشارة البارون مرشال بيبرشتين المتوفى منذ عهد قريب والذي كان سفيراً لالمانيا في الاستانة ثم سفيراً لها في لندن اذ كان عدوّاً لدوداً للعنصر السلافي . ولعل حقيقة عدد البلغاريين في مكدونيا يزيد عن المليون . وكذلك السربيون فلا ريب في انهم يعدّون اكثر من مليون ايضاً . وقد اختلف الباحثون في نسبة البلغاريين والسربيين الى العنصر السلافي فلم يتبينوا الحقيقة حتى كانت معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ اذ انضمّ على أثرها كلُّ جنس الى جنسه وكل قطيع الى حظيرتهِ

معاهدة برلين والبلقان — قضى البند الثالث والعشرون من معاهدة برلين المشهورة بأن يكون لمكدونيا نوع من الاستقلال الاداري يضمن حقوق المسيحيين من أهاليها تحت سيطرة الحكومة العثمانية ومشارفتها . غير ان الباب العالي سوّف المكدونيين كثيراً تنفيذ ما تضمنهُ هذا البند ، ولم يكترث قط لالحاح دول البلقان عليهِ في ذلك . فأخذت هذه الدول حينئذٍ باثارة رأي الأهالي على الأستانة مستعينةً بنفوذها في

مكدونيا ورغبة المسيحيين في الاستقلال ؛ فبلغاريا ، كانت تحرّض البلغاريين ، واليونان اليونانيين ، والسرب السربيين ، حتى أصبحت البلاد ميداناً للدسائس ، وأمست جبالها معتصماً للثوار وغاباتها ملجأً للصوص ، وقُراها عرضة للنهب والحريق ، وبات أهلها أعداءً بعضهم

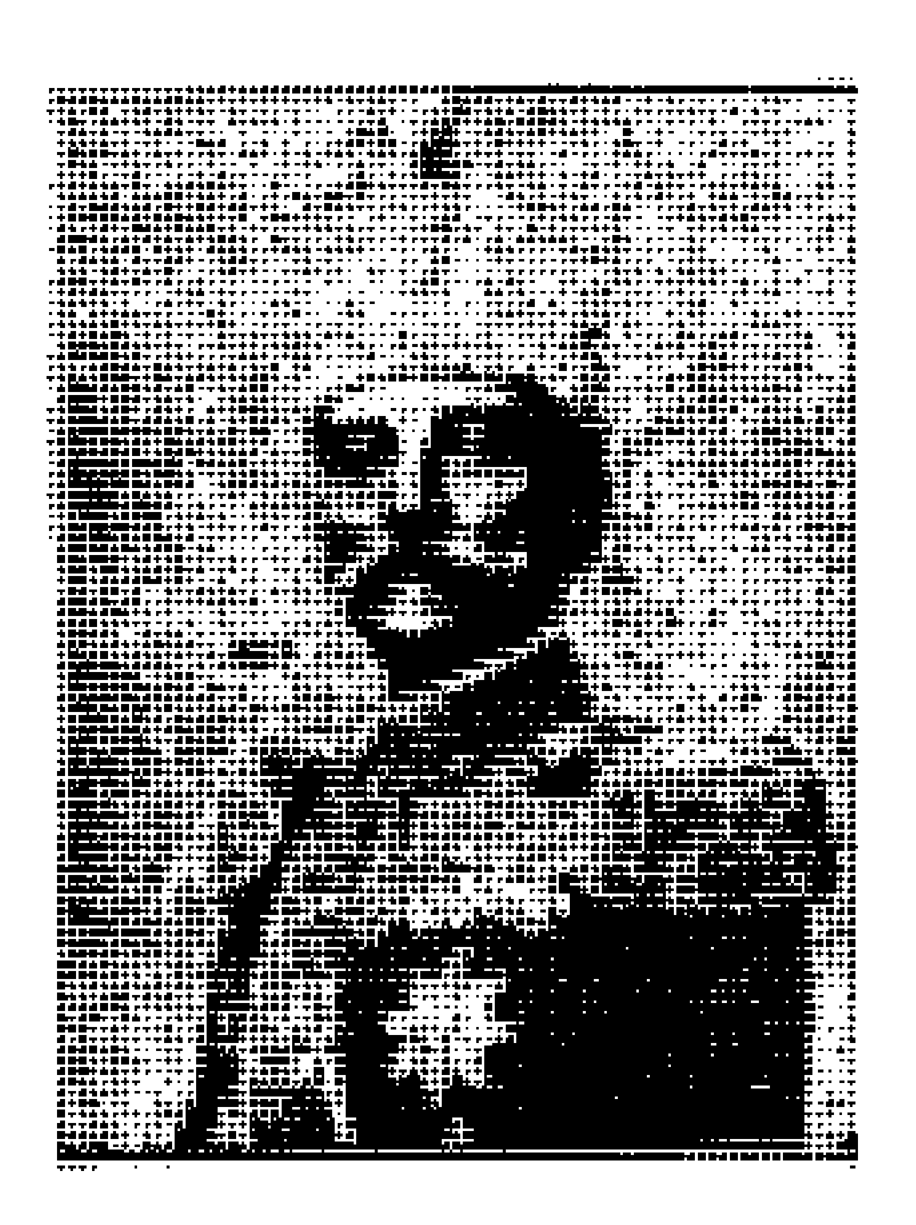


فرديناند الأول — قيصر البلغار

لبعض فانتشرت الفوضى ، وعمّ الخوف ، وتعاظمت الويلات والشرور . وانما أتت دول البلقان كل هذا اقلاقاً للحكومة العثمانية ، وعرقلةً لسياستها في مكدونيا لأنها كانت ترمي من وراء تلك الفتن الى ثلاث رغائب شديدة الأهمية في نظرها وهي : حمل الباب العالي على تنفيذ مضمون

البند الثالث والعشرين من معاهدة برلين ، ولفت انظار اوروبا الى حالة المسيحيين في مكدونيا ، واستمالة الشعوب المسيحية في تلك البلاد كل شعب الى الدولة التي تضمُّ اخوانهُ تحت رايتها . على ان الغاية القصوى الحقيقية لم تكن الاَّ التربص لتركيا وتحيُّن ضعفها للاستيلاء على مكدونيا واقتسامها فتكون لكل دولةٍ حصة تُعطاها بمقدار عملها واهميتها : فالبلغاريون العثمانيون ينضمون تحت جناحي بلغاريا ، والسربيون تحت لواء السرب ، واليونانيون الى اليونان . اما رومانيا التي يميل اليها ابناؤها الفلاخيون الرومانيون المتشتتون في مكدونيا في كل ناحيـة وصوب ، والذين يصعب جدًّا اجتماعهم معاً في جزء واحد منهـا ، فتعتاض من حصتها هنالك جزءًا غير يسير في ما يحاذي أملاكها من أملاك بلغاريا نفسها ويكون ذلك الجزء ثمناً لسكوتها اذا شبَّت الحرب ومكافأة لها من أجل وقوفها على الحياد . وكانت بلغاريا أشد سائر دول البلقان سعياً الى الفوز بامانيّها فلم تدع وسيلةً من الوسائل الاَّ تذرَّعت بها ، وساعدها اهمال الحكومة العثمانيه نفسها واغضاؤها عن مساعيها فمكَّنت محبتها من نفوس البلغاريين العثمانيين بما كانت تبديه لهم من الحنان والانعطاف والمساعدات على اختلاف أنواعها فأنشات لهم المدارس وعمَّمتها في قراهم حتى لقد بلغ مجموع المعلمين الذين كانوا يبثون روحهـا بين الاهالي نحواً من أربعة آلاف معلم لخمسين ألف تلميـذ بلغاري عثماني . ولم تكتفِ بذلك كلهِ فأوعزت الى شاب بلغاري نبيه يدعى يوسف تعلَّم في باريس ونال شهادة دكتور في الحقوق بأن ينصرف عن المحاماة وينتظم في

سلك الاكليروس . وما زالت ترقّيه بسرعة حتى عيّن اكسرخوساً للبلغاريين فكان موضع ثقة دولته بما أظهره من الكفاءة والحذق والدهاء فبثّ الروح البلغارية في نفوس رعيته ونشّأ الشعب على التعصب لقوميته وعلّمه ان بلغاريا انما هي أمه الحقيقية وأما تركيا فمدوّته اللدودة



بطرس الأول – ملك السرب

ولما تمادت العصابات المكدونية في غيّها وشرورها وقابلها العثمانيون بالمثل ، وأصبحت مكدونيا من أقصاها الى أقصاها مسرحاً تمثّل عليه الفظائع ، وتلعب فيه كرات الديناميت ، ويتطاير فوقه رصاص البنادق تململت اوروبا في نومها وفتحت عينيها على تلك البلاد ، وأصاخت بسمعها الى استغاثة البلقان بها فأقدمت حينئذٍ على العمل وسمت حتى انشأت في سنة ١٩٠٣ رقابةً اجنبية على ادارة تلك البلاد

الرقابة الاجنبية — تألفت هذه الرقابة في البدء من مفتش عثماني ومندوبَين أحدهما روسي والآخر نمساوي ، ومن ضابطين اوروبيين قُصرت مهمتهما على مشارفة الأمن العام اذ رضيَ الباب العالي بانتظامهما في الجندرمة المكدونية من اجل هذه الغاية . وكان حسين حلمي باشا الذي وليَ الصدارة في عهد الدستور الجديد المندوبَ العثماني في اللجنة السالف ذكرها . فلما كانت سنة ١٩٠٥ رأى المندوبون شدة الحاجة الى توسيع اختصاص الرقابة فتألفت حينئذٍ لجنة خاصة لتنظيم الشؤون المالية . ثم رمَت روسيا والنمسا في اواخر سنة ١٩٠٧ الى انشاء نظام خاص بالقضاء فلم تفلحا . وحدث بعد شهور ان ملك انكلترا وامبراطور روسيا تلاقيا ملاقاتهما المشهورة في « ريڤال » واتفقا على المسئلة المكدونية . فهاج اتفاقهما رأي أحرار الضباط العثمانيين فأرغموا السلطان عبد الحميد على نشر الحكم الدستوري ففعل ، وهدأ بال اوروبا والبلقان حيناً من الدهر . وكان اعلان الدستور في تركيا بعد تلاقي الملكين في « ريڤال » بخمسة واربعين يوماً فقط مؤيداً لقول نيازي بك في خواطره عن الثورة العثمانية : لولا اجتماع « ريڤال » لم يُعلن الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨

عهد الدستور — وكان في مكدونيا على اثر الثورة العثمانية وفوز الأحرار العثمانيين ما كان في جميع السلطنة فان الشعب تناسى لأول وهلة اغراضه ومنازعاته حباً بالدستور ؛ فتصافح المسلم والمسيحي ، وتراضى الارمني والكردي ، وتفاهم التركي والعربي . غير ان تلك العواطف الشريفة كانت اشبه شيء بشعلة القش لم تتقد حتى عاجلها الخمود فانطفأت

وتحولت الى رماد ثم تبددت ذراتها في الهواء . واصاب اوروبا من الدستور ما اصاب العثمانيين انفسهم منهُ فرضيت بالغاء الرقابة الاجنبية من مكدونيا مقتنعة بأن العهد الجديد في تركيا يعوّضها منها خيراً لان الدستور من شأنه ان يساوي بين الرعية ويهبها الحرّية والعدل



نقولا الأول — ملك الجبل الاسود

غير ان السياسة العثمانية التي ساسها الاتحاديون لم تُرضِ دوَل البلقان واسخطت عليها المسيحيين في مكدونيا وهم الاكثرية العظمى هنالك فعادت الحالة الى شبه ما كانت عليهِ من قبل ورجعت العصابات الثورية الى اعمالها وشرورها كما كانت ابَّان سلطنة عبد الحميد . وما برحت مكدونيا قلقةً مضطربةً حتى اواخر سنة ١٩١٠ فاختلَّ الأمن كثيراً ، وعاد البلغاريون الى اوروبا يستنجدونها ويستحثونها على العمل

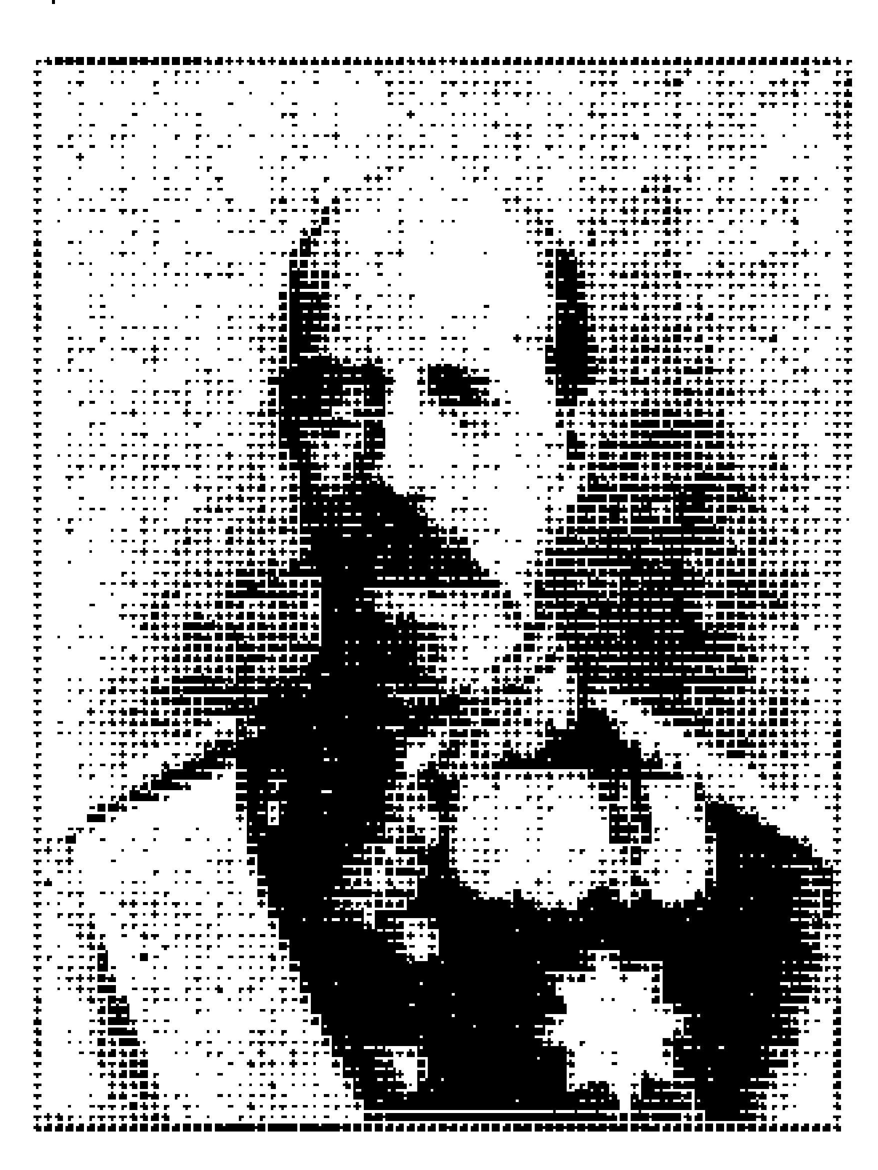
الصحيح . اما الحكومة العثمانية الاتحادية فلم تكن تعبأ بمساعي هذه الدوَل الصغيرة لانها كانت تعتقد باستحالة اتفاقهنّ على العمل معاً . وما كان أشد دهشتها حين رأت بلغاريا تصافح اليونان ، واليونان السرب ، والسرب الجبل الاسود ، بعد ان كان اليونانيون اعدى اعداء البلغاريين ، والسربيين انداد الجبليين . فكان انفرادها امام دوَل اربع متحدة تناوئها وتتطلّبنَ خذلها وفشلها دافعاً لها الى الاتفاق مع رومانيا ولكنها لم تنجح لأن بلغاريا افهمت جارتها ان تقف على الحياد فتنال ما تطمع بنيله بدون ان تسفك نقطة دم او تبذل قبضةً واحدة من المال . ولما تمّ لهذه الدوَل هذا الأمر اتفقنَ فيما بينهنّ الاتفاق الذي ولَد الحرب الحاضرة

* * *

الحرب — نكتب هذه السطور والبلغاريون على بضعة عشر كيلومتراً من الاستانة ، وادرنه مطوقة بالجنود ومضيّق عليها الخناق ، والسربيون قد دخلوا موناستر ظافرين ، والجبليون محيطون باشقودره ومشددون في حصارها ، والطريق قد خلت لليونانيين فتمشوا الى سالونيك واحتلوها على أهون سبيل ، والعثمانيون واقفون في شطلجه[1] معتصمين بحصونها ومحتمين بقنابل الاسطول على شواطىء البحرين بحر مرمره والبحر الاسود ، والوباء يفتك فتكاً ذريعاً بالعسكرين العثماني والبلغاري ، والقتلى يُعدّون كالجرحى بعشرات الالوف ، وليس في بلغاريا والسرب

(١) شطلجه كلمة تركية معناها شوكة (فرتيكة) وسمي هذا الموقع كذلك لان جباله متشعبة الى عدة شعاب على شكل اصابع الكف حتى ضفتي البحر الاسود وبحر مرمره

والجبل الاسود واليونان غير الشيوخ العجزّ ، والنساء الضعيفات والاطفال الرُضَّع ، وقد اكتظت قصور الاستانة وجوامعها ومستشفياتها بالمصابين من العساكر ، والمنكوبين من الأهالي يشكون الجوع والعري ، ويتلمّسون القوت ، ويصرُّون من البرد ، ويئنون من الأوجاع ، وعلى طرُق بلاد الاناضول عشرات الالوف من المساكين نبذتهم بلدانهم ، فتشتتوا في



جورج الاول — ملك اليونان

القفار لا منازل تؤآويهم ، ولا قوت يشبعهم ولا غياث لهم من غير السماء ؛ وجرائد العالم تحمل الينا أنباء هذه الفظائع ، وتقص علينا اخبارها المؤلمة حتى لنكاد نسمع بآذاننا دويّ البارود ، وأزيز الرصاص ، وصليل السيوف ، وأنين الجرحى ، وحشرجة النفوس ، ونبصر بعيوننا مجاري الدمآء ، وتراكم الجثث ، ونلمس بأيدينا فقر الفقرآء ، وبؤس البؤسآء ، فما

نجيء على هذا أو بعضه حتى يعرض لنا خبر ينسينا فظائع ما قرأنا من قبل كأنْ يقف بنا الكاتب امام عانةٍ من الذئاب تفترس اشلاء القتلى بل قد تصيب جريحاً منسياً فتنشب انيابها فيهِ وهو لا يجد بعض القوة ليدفعها عنهُ ، أو قبالة مئات من الغربان والعقبان والثعالب وبنات آوى يتألبن على الجثث ، وينقرنَ الصدور ، ويبقرنَ البطون ، بل قد يقعنَ أيضاً على الأحياء في النزع الاخير فيمثّلنَ بهم تمثيلهنَّ بالموتى ، ثم ينقل الينا البرق مختصر الآراء ، وملخص السياسة ، وموجز الأنباء عن التحام الجيوش وتفانيها في القتال فنكاد لا نعي من الصباح الى المساء غير أخبار الحرب ، وأحاديث الطعن والضرب

تلك هي الحرب اليوم فواهاً لها من صورة للمدنية في القرن العشرين ! ! وتلك هي عاقبة السياسة التي يسمونها سياسة تنازع البقاء ! . قوتل الانسان ما أكفره ! !

عقبى الحرب — قد تنتهي هذه المجازر البشرية عن قريب فاذا ختمت بفشل العثمانيين أضاعت الدولة التركية أملاكها في أوروبا وفقدت بفقدها نحواً من ستة ملايين نفس من رعاياها ، واذا تمَّ لها الفوز أو بعضه قبل ان تضع الحرب أوزارها كانت الخسارة أقلّ والأضرار اللاحقة بها أخف غير ان انتصار الدول البلقانية المتحدة سيؤدي على الأرجح الى مشكلةٍ كبرى بينهنَّ تكون عقدتها في كيفية اقتسام البلدان المكتسبة لهنَّ . وقد ظهرت بوادر هذه الاشكال من خلال احتلال اليونانيين لسلانيك ومصادرتهم دخول البلغاريين اليها ، ومن سياسة السرب مع الألبانيين

واصرارها على امتلاك ميناء على بحر الأدرياتيك ومقاومة النمسا لها ، ومن الحاح رومانيا بتوسيع منطقتها في املاك بلغاريا حتى ثغر « ڤارنه » على البحر الاسود أيضاً جزاء وقوفها على الحياد ورغبة هذه في التنازل لها عن بعض أجزائها من الجهة الاخرى فقط وهلمّ جرًّا ، أما الأيام فستكشف ما انطوى وان غداً لناظره قريب ؟

جمال الدين الافغاني

في نظر
« الدكتور شبلي شميّل »

يشتغل الدكتور شميل في هذه الاثناء بوضع كتاب كبير عنوانه « حوادث وخواطر » او هو مجموعة مذكراته كما يدل عليه الاسم . وقد اقتطعنا منه الفصل التالي في السيد جمال الدين الافغاني الشهير . قال عفا الله عنه :

. . . . أما جمال الدين فكان من نوابغ عصره عالماً واسع الاطلاع في علوم الأقدمين وفلسفتهم ذا ذكاء مفرط وأدب رائع مع شجاعة في القول لا تصدر الاّ عن نفوس مستقلّة كريمة وكان ذا حديث طلي شهي لا يمل منه سامعه مع فصاحة عربية في التزام القواعد واختيار الألفاظ ولكنها ممزوجة ببعض لكنةٍ أعجمية تنمُّ عن أصله الغريب وانما وقعها على الأذن كان محبوباً . ونظره كان جذاباً وله عينان الى السواد غائرتان قليلاً تتقدان ذكاء . وهو لم يكن يعرف لغةً من لغات الافرنج الحافلة بالأفكار الجديدة والعلوم الحديثة ولكنهُ كان ذا مقدرة عجيبة في التحصيل

حتى انهُ ليستفيد منك الشيء الجديد ويصبهُ في قالب المعلوم المختمر فيه ويوهمك انهُ معروفٌ له منذ زمان طويل . وجمال الدين لم يكتب في ما أعلم شيئاً وانما كان يلقي على آخرين مقالات ضافية تنشر في جريدة مصر تحت أسمائهم . ولولا الشيخ محمد عبده يده الكاتبة لما كان لصوته صدى ولبقيت تعاليمه في صدور اكثر الذين تلقوها عنه وماتت معهم اذ كانت كل تعاليمه حديثاً يلقيه بحسب مقتضى الحال . فهو فيلسوف من الفلاسفة المشائين او بالحري الرواقيين ورواقه كان رواق القهوة التي بجنب قهوة البورصة القديمة المتقدم ذكرها . ولعلّ تلاميذه لا ينسون في مستقبل الأيام ان يحيوا ذكره بينهم في ذلك المكان . وقبل جريدة مصر كانت شهرة جمال الدين مقتصرة على الأخصاء وأعماله محصورة في دائرة مريديه وأما جريدة مصر فكانت سبباً كبيراً لاذاعة صيته ونشره في الآفاق

***

ولما عرّفت أديب[1] بجمال الدين كانت معرفتي بهذا الاخير حديثة العهد . فقد كنتُ أسمع بهِ وأنا في الاسكندرية فلما أتيتُ الى مصر وددتُ ان أتعرّف بهِ . وكان يتردد كثيراً على بيت حنا عيد قنصل دولة البلجيك . فلما أبديت رغبتي هذه لعيد المذكور ضرب لي موعداً للاجتماع به عنده في احدى السهرات . ولما تعارفنا أخذنا ننتقل من حديث الى حديث الى ان ابتدرتهُ بالسؤال الآتي (ولم يكن سبق لي كتابة أو تصريح في هذا الموضوع بعد) . قلت : ما قول سيدي الشيخ (لفظة الأستاذ

(١) يعني به اديب بك اسحق الكاتب الشهير

لم تكن قد جرت بعد على الألسنة كما هي اليوم) في المعبود الأول الذي اتخذه الانسان من بين أشياء هذا الوجود ؟ . وكأني لحظت انه أُخذ بهذا السؤال على غرَّة كأنه لم يخطر له ببال من قبل . فتقلقل قليلاً كأنه



جمال الدين الافغاني

يريد ان يتمكن في مجلسه ولم يطل به ذلك حتى دخل في مقدمة مستفيضة أغنتهُ عن التزام الصمت طويلاً وأعانتهُ على تصوير الحكم بما فسحت له من الوقت ومثله لم يكن يلزم له اكثر من ذلك لما له من سرعة الخاطر وحدَّة الذهن . ولا أذكر شيئاً من هذه المقدمة وانما أذكر انه

انتهى بها الى القول « ان المعبود الأول للانسان الأول كان يقتضي ان يكون في ثنايا الغيوم المتلبدة أو هي نفسها »

أما أنا فلم آكن من رأيه وكأني نظرت الى الانسان نظراً أعرق في الحيوانية . فاعتبرتُ الانسان الأول لاصقاً بأرضه يتخبط في ما أمامهُ متخوّفاً من كل شيء اذ كان يجهل كل شيء فاتخذ معبوده الأول من أشيائها ولم يرتفع ببصره الى ما فوق الاَّ بعد ذلك بكثير . واعتبرت حينئذٍ العبادة الفتيشية أول عبادات الانسان وجعلتها في الغابات الكثيفة ذات الشان في الميثولوجية القديمة وفي الاشجار الكبيرة المنفردة القائمة في العراء يُستظلُّ بها من الرمضاء كما تدل عليهِ بقايا ذلك فيهِ حتى اليوم . وهذا الحكم لم يقم بي اعتباطاً من دون تفكير سابق بل قام في نفسي على أثر زيارتي لمدينة بعلبك في سنة ١٨٧٠ حين رجوعي من انطاكية وكنت قد أرسلتُ اليها في بعثة من قبل المدرسة الكلية حين كنتُ أدرس الطب لاغاثة منكوبيها في الزلزال الذي نكبت بهِ تلك المدينة في تلك السنة . وكان رفيقي في هذا السفر ذهاباً واياباً ادورد فانديك المعروف عند المصريين ابن الشهير كرنيليوس فانديك صاحب الفضل الاكبر على سورية وسائر الاقطار العربية في نهضتها العلمية الحديثة

فلما وصلنا بعلبك بعد سفر اربعة عشر يوماً في مروج خصيبة يتعالى فيها الحشيش الطبيعي الى قامة الانسان ولكن يد حكامها الطغاة أخلتها وتركتها قفراء من السكان لم نشأ ان نقيم في المدينة وفضّلنا ان نبيت ليلتنا في قلعة بعلبك نفسها وكان القمر بدراً والسماء صافية فبين الآثار الكثيرة

المتهدمة توجد أعمدة من الغرانيت ذات علوّ شاهق لا تزال قائمة صفاً واحداً في ساحة منبسطة . فلما وقفتُ أمامها في ضوء القمر الصافي وفي وسط ذلك السكون الرهيب والشباب غضٌّ والعواطف شديدة التأثر



الدكتور شميل

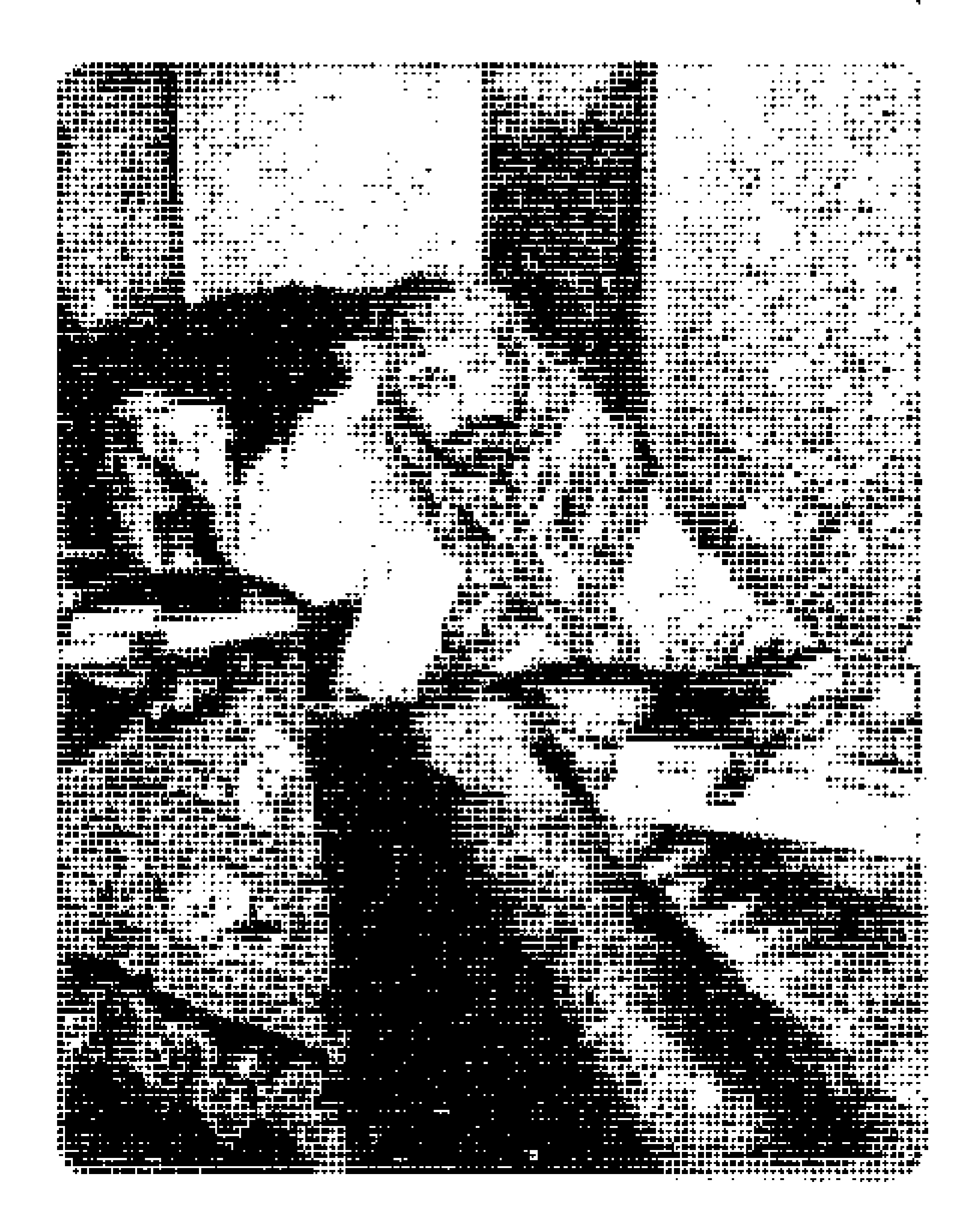
شعرتُ في نفسي بتهيب من منظرها الفخم لا يزال أثره بي حتى اليوم كدت أجثو منهُ على ركبتيَّ من شدة الخشوع . فكأن هذا الشعور بي كان لي موضوعاً للتفكير بعد ذلك في أمر العبادات وان منشأها في الانسان إما تهيب عن اعجاب أو خوف عن ضعف . وأحرِ بالانسان الأول اللاصق بأرضه ان يكون معبوده الأول منها على نحو ما تقدَّم

قلت ان جمال الدين كان من الفلاسفة الرواقيين أي انهُ كان ينشر

تعاليمه في طي المحادثات الاعتيادية ولكنها كانت محادثات خلاَّبة في لذّة المعنى وحسن الانسجام ولم يتهيأ له ان وقف خطيباً في قوم الأمرة واحدة أظهر فيها انه خطيب مفوَّه أيضاً وكان ذلك بسعي اديب اسحق وفي تياترو زيزينيا على محضر من جمهور غفير من علية القوم من رجال ونساء من السوريين والمصريين . فألقى خطبة اجتماعية سياسية أبدع فيها معنى ومبنىً وجرأةً وبقي يرتجل الكلام نحو ساعتين من دون ان يبدو عليه أدنى تعب أو يتلعثم حتى خلب العقول وأقام الناس وأقعدهم كأنه رابطهم بسلاسل كلامه يلعب بهم كما يشاء . وقد أعجبني منه قوله فيها وهو يتكلم عن استبداد الملوك واستمانة الشعوب قال «كأن الناس ليسوا شيئاً والملك هو كل شيء ان قام قاموا وان قعد قعدوا ! »

ولما بلغني ان جمال الدين بعد ان نفي من مصر ببضع سنين كتب رسالةً باللغة الافغانية في نفي مذهب الماديين ترجمها الشيخ محمد عبده الى العربية دُهشت لعلمي بأن الرجل لم يكن من المتدينين . على ان جمال الدين كسائر الفلاسفة الأقدمين لم يكن يستطيع بمباحثه النظرية وفلسفته المجرَّدة ان يجزم جزم الطبيعيين في استنادهم الى العلوم الحديثة اليوم فلم يكن يستطيع الاَّ ان يكون من الشكوكيين أمثال المعرّي وأمثال ڤولتير الذين ينكرون الأنبياء ولكنهم يقفون مترددين في أمر الخالق هل هو حادثٌ أو قديم فيكونون تارةً من الالهيين وطوراً من اللاأدريين لعدم تمكنهم من ضابط علميّ محسوس يضبط أحكامهم ويقوّي حجتهم في تردُّدهم اللهمَّ الاَّ ان يكونوا من الحصافيين النفعيين الذين يكونون في

اعتقادهم على هوى جليسهم تارةً أقرب الى المعطلين وطوراً أقرب الى المؤمنين أي انهم يكونون كما وصفهم الامام الغزالي حين قال : ان الآراء ثلاثة أقسام : رأي يشاركه فيهِ الجمهور فيما هم عليه . ورأي يكون بحسب ما



جمال الدين الافغاني في مرضه الاخير

يخاطب به كل سائل ومسترشد . ورأي يكون بين الانسان ونفسه لا يطلع الاَّ من هو شريكه في اعتقاده » اه . ويصعب عليَّ جداً بعد اختباري الرجل بنفسي من جهة ثم سماعي عنه بعد ذلك ان ابدي فيه حكماً جازماً ولكني ارجح جداً انه لم يكن من المؤمنين الدكتور شميل

نشيد نهر الصفا

عين زحلتا قرية لطيفة يعرفها اكثر الذين اعتادوا الاصطياف في جبال لبنان ؛ وألطف من القرية نفسها غابات الصنوبر التي تحيطها وأجمل من هذه وتلك منظر نهر الصفا المتدفّق عند قدم الجبل ، وعلى بعد أمتار قليلة منهُ يركض نهر القاعة

كلٌّ من النهرين يسرد حكايته الابدية على الاشجار المصغية اليهما بحللها السندسية. ويظلُّ النهران في اندفاع وشكوى ، وروح الوادي تئن في أثرهما الى ان تلثم مياههما مياه البحر العظيم

في الصيف المنصرم زرت عين زحلتا لاول مرة

هنا سالت صور الكون الهيولية وذابت ذرات الاثير ؛

هنا اجتمعت بلابل أرفيوس لتعيد ذكرى أوريديس ذات القلب الكسير ؛

هنا تنهدت العطور تنهداتها الغرامية ، وتحولت الورود الى أشعة سحرية ؛

هنا اغتسل قوس القزح ، فترك في الماء من ألوانه ألحاناً فضية ؛

ومن دماء الاحلام المتجمدة استخرج قوس قزح ألوانه السرمدية ؛

هنا بعث الأفق بأسراره الى الارض مع خيوط من الاثير ذهبية ؛

هنا نامت الاشباح بين أجفان بنات المياه ، فامتزج النور بالظلام وتلاشت اليقظة بالمنام ؛

هنا ناحت حمائم الشعر ، وغنَّت أطيار الانغام ؛

هنا لثمات النسيم شوقٌ وهيام ؛

ومداعبة الموجة للموجة تبادلُ نظرةٍ وابتسام ؛

وجمود الشاطئ حقد على فتور الليالي ومما كسبات الأيام ؛

هنا ارتعاش الأوراق على الغصون تحية همت من مُقل الكواكب وسلام ؛

وتمايل الافنان ودلالها نجوى ملك الوحي والإلهام ؛

هنا ليلةُ أنوارٍ وفجرُ ظلام . وألغاز ملامسٍ وألوان وأنغام ؛

حينما يمرُّ الفجر على قم الجبال يرى صورته في هذه المرآة البلورية ، يرى رمز الشبيبة مع ما يتبعها من جماهير الآمال النضرة كالأزهار ، والأميال المتنقلة كالأطيار . ثم يأتي الغروب ساكباً في أعماقها كلّ ما في أحزانه من المرارة مع ما يرافقها من النظرات المتحوّلة والابتسامات المتغيبة والجباه الكئيبة والشفاه المتحركة بالصلوات ، الساكنة بالتأملات

هنا عيدان الاشجان تبكي — تبكي بقلبٍ جريح . وفي كلّ لحظةٍ يخيل انها تسلّم نفسها الأخير بشهيقٍ فيه من اللوعة والكتمان والتجلد بقدر ما فيه من المجد والعظمة ، من البسالة وعزة النفس الأبية

لكنّ المياه لا تموت ولا تحيا ، بل تردد ذكرى الماضي ، وتهمس خفية نبؤتها في المستقبل ، وترادف أصوات الافراح وتمدد آهات الاتراح

هنا لغزٌ من ألغاز الحياة وليلة من ليالي الزمان . وأنا لغز أمام هذا اللغز ، وليلة ازاء هذه الليلة . أهيم وحيدةً على الشاطئ الحزين ، أنظر ولا أرى ، أسمعُ ولا أفهم ، أفكّر ولا أجد ، أستعلم ولا أعلم . . .

فؤادي يخفق مع فؤاد النهر الخفي ، ونفسي قيثارة الأحلام والألحان . لكني لغزٌ حيٌّ تائه في ظلّ الغصون ، ينظر مستفسراً الى لغزٍ آخر ، فلا يجد فيهِ الاَّ صورته ، فيودّ تمزيقها وسحقها وان أحبها !

* * *

عند احتضار النهار ذهبتُ الى رأس النبع وجلست على صخرةٍ قائمة في وسط المياه المتسلسلة من صدر الصخرة الكبيرة . جلست وأرواح الخيال تستنشق الاريج العطري المعانق لشعور بنات المياه . وآلهة الأهوية الأربعة يتلاعبون بدقائق الشفق سابحين على أمواج الظلام ، وحول أشباحهم تلتفّ اكاليل البنفسج وقلائد الياسمين ، وفي ثغورهم يلمع فتيت النجوم ، بينا ابكار الشعر تسرّ لاخواتها خفايا اليأس والرجاء تحت أشجار الصنوبر ، وعذارى الطرب تستخرج من عناقيد « باخوس » خمراً تسكر بهِ ألباب الآلهة ، ومن سكر الآلهة يولد الشعراء والأنبياء

على هذه الصخرة حيث انا احلم ثملةً بما شرّبتهُ مشاعري من رحيق الخيال العلوي ، كان يجلس الامير بشير الشهابي الكبير . كثيرونَ من من بعده ومن قبلي جلسوا هنا وفؤاد كلٍّ منهم منقبض تهيباً وخشوعاً أمام أنفاس الطبيعة واصوات الخلود . ما يجول بخاطري الآن كان يجول بخاطرهم لان الافكار تتشابه في المصدر وفي النتيجة على رغم تعدّد شُعبها وفروعها ، والرغائب الكثيرة اللاصقة في أعماق النفس البشرية هي هي في كل آن ومكان

جميعنا طرح على النهر السؤال الذي اثار تموجاته الآن على الامواج

المتراكضة : هو سرّ الاسرار الغامضة الذي يردّده صدى الهياكل المميقة التي تشيدها المدارك في قدس اقداس البشرية : من أين والى أين ؟ من أين والى أين ؟ ؟

من أين تأتين أيتها المياه والى اين تذهبين ؟

. . . من أين أتينا والى أين نذهب ؟ . . .

المياه تندفق فى أثر المياه مهللةً مكبرة ؛ وقد أفاضت أصواتها في الغناء والنحيب ، ودمدمت العناصر فيها اسرار الوارد الالهي ، ورفرفت على جوانبها اجنحة الخلود . . .

من أين والى أين . . . ؟

ثقل دماغي بافكارٍ لا ادركها ، وضاق مني الصدر لهموم لا اعرف ماهيتها فنزعت عن ساعدي ساعة وُضعت في اسورة ذهبية ونظرت اليها قائلة : — أيتها الساعة ! انتِ رمز الوقت الجاري في نهر الزمان فيسير قاصداً بحر الابدية . ها انا اغطسك في هذه المياه . . . عسى ان تحفظي في حياتك المعدنية أثراً لرموز معنوية . ثم جمعت بعض الحصى الجميلة الكثيرة الالوان الراكدة في أعماق النهر ، قائلة : « أيتها الجواهر ! سأحملك معي الى وادي النيل لتذكريني بالعواطف الكثيرة التي تلاطمت في فؤادي أمام نهر الصفا . . . أنتِ ذكر الابدية التي حييت فيها لحظة »

واذ رفعت عيني الى الافق رأيت مقلة الزهرة ترقب يد ملاك الظلام الراسمة على رداء الليل صورَ الهيئات السماوية

فغادرت رأس النبع مرددة : أنهر الصفا ! من أين والى أين ؟

***

أنهرَ الصفا ! جئتك تعبة الروح والجسد معاً

قرأت خلاصة الاحوال الحاضرة فدوت في جوانب مخيلتي اصوات المدافع ، وتمثلت لناظري صوَر الحرب المريعة . ثم قصدت الاجتماعات فملأ اذني ضجيجها التافه . وضجرت نفسي من معانيها السطحية — ان لم تكن خبيثة . عجبت من بلاهة الانسان ومن ركاكة امياله وفتور همته . اذ ذاك سمعت اسمك الموسيقي فاحببته لان فيهِ جمالاً وعذوبةً وسلاماً

لقد احرقت قدميَّ الرمال الحارة ، ومزّقت يدي اشواك الحياة ، فجئت اليك لاستخلص من اعشابك بلسمًا لجروحي . تعلّقَ بأهدابي غبارُ المادة محاولاً إخفاء الجمال المعنوي عن عينيَّ ، فأتيت لاغسل أهدابي بمياهك المقدسة

جئت لأرطب يديَّ وعينيَّ برضابك العذب

ثقل فؤادي عليَّ ، فأسرعتُ لأبعث به معك الى روح البحر العظيم الذي يناديك اليهِ من عمق اعماق زرقتهِ البعيدة

أنت ابن الغيوم ، وأعذوبة الحرارة الهوائية ، وضحكة المادة الدائمة ، وقهقهة الجوّ بين الهضاب والأودية . أنت قبلة الشمس للبحر . أنتَ أنشودة الجبل في الوادي . أنت الروح الصغيرة المسرعة الى احضان الروح الكبيرة

أنت جميل كأسرار الجنان . عذب كنظرات الولهان

وفي اسمك ألوان وألحان

أنت تهلمم بي، أيها النهر، خذني معك بعيداً عن الحياة وضوضائها خذني معك . . . لكن، ما هي نسبتي اليك ؟

أنت مجموع سوائل لا وجدان لها، ولا قلب يخفق بين اجزائها . وانا . . . انا شيء آخر. أنت لغز بين البحار والآفاق، وانا لغز بين الحياة واللانهاية . انا اعرف اني لا افهمك، واشعر بجهل الانسان وشقائهِ، اما انت . . . ما لنا ولك ؟

سيري، أيتها المياه، سيري واتركيني . أسقي النباتات والاعشاب، ضعي لآلئ في أفام الورود، رطّبي صدر الارض الملتهب، ترنمي في وحدة الوادي، اسردي حكايتك التي لا تنتهي، اندبي، هللي، اصرخي، اهمسي، انشدي، انحبي، اطربي، احزني . كل هذا ننسبه اليكِ نحن ابناء الطرب والكآبة

سيري، ايتها المياه، ودعيني ابكي . لقد تلبَّد جوّ فكري بالغيوم القاتمة . وقلبي — مالكِ ولهُ ! — منفرد حزين . . . مي

﴿ الشكوكيُّون ﴾

ليس شيء من أمور الدنيا الاّ وهو معرَّض للشك حتى قال بعض الفلاسفة : ان كل شيء يقبل الشك حتى قولي هذا : « ان كل شيءً يقبل الشك » ومن بين الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك يشكون في كل شيء حتى في وجود ذواتهم

محمد المويلحي

الرتب والنياشين

ذكرنا في الجزء الماضي شيئاً عن الرتب والنياشين وتاريخها عند القدماء ورأينا تكملةً للبحث ايراد نبذة مستقلة عن الرتب والنياشين في الدولة العثمانية لانها تهم القراء اكثر من سواها . وقد كتب هذه النبذة خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب الفاضل حقي بك العظم . قال :

تقسم الرتب في الدولة العثمانية الى ثلاثة اقسام : عسكرية وملكيـة وعلمية

الرتب العسكرية — وضعت الرتب العسكرية الحاليـة في اواخر زمن السلطان سليم الثالث المشهور بميله الى الاصلاح والتمدن الغربي الحديث ، وقد كان بدأ قبل كل شيء بالاصلاح العسكري ، ولكن الظروف لم تساعده ، وحال دون اتمام مقاصده جهل الأهالي وسوء نية زعماء الجيش الانكشاري ، فذهب شهيد التعصب . وقد أتم خلفهُ السلطان محمود مشروعهُ العسكري ونظم الجيش العثماني على الطراز الأوربي وأنشأ معظم الرتب العسكرية الحالية واليك بيانها بالترتيب :

الرتبة	يقابلها عند الافرنج	لقب صاحبها	راتبه الشهري
مشير	Maréchal	دولتلو افندم حضرتلري	اذا كان قائداً ١٥٠ ليرة في الاستيداع ٧٥ ليرة
فريق	Général de Division	سعادتلو افندم «	راتبه الشهري ٦٠ ليرة
ميرلوا	Général de Brigade	عزتلو افندم	« « ٣٠ «
ميرالاي	Colonel	عزتلو افندم	« « ٢٠ «
قائمقام	Lieutenant Colonel	عزتلو بك	« « ١٥ «

بكباشي (ومعناه رأس الالف) Major رفعتلو بك او افندي » » ١٢ »

يوزباشي (» » المائة) Capitaine[1] فتوّتلو بك او افندي » » ٨ »

ملازم أول Lieutenant حميّتلو » » » » » ٥ »

ملازم ثانٍ Sous - Lieutenant » » » » » » ٤ »

ولكل من اصحاب هذه الرتب العسكرية ما يكفيه ويكفي عائلته من المؤن والذخائر مثل الخبز والسمن واللحم والفحم والسكر والشعير والتبن وما اشبه يأخذها كل شهر وذلك حسب رتبته فالملازم الثاني مثلاً اربعة ارغفة خبز في اليوم ومقدار من اللحم فى الشهر وثلاث اقات سمن ويزيد ذلك كلما ترتقي الرتبة .

وهنالك غير هذه الرتب العسكرية الحربية رتبٌ اخرى فى الجيش خارجة عن الصفوف الحربية مثل رتبة امين الاى تقابل البكباشي ورتبة كاتب الطابور تقابل اليوزباشي ومعاون كاتب الطابور يقابل الملازم الاول، وينقطع اصحابها للاعمال الكتابية والحسابية فقط . ومفتي الاى يقابل البكباشي ، وإمام طابور يقابل اليوزباشي ، وكلاهما يقوم بالطقوس والشعائر الدينية فى الاورط والالايات

الرتب الملكية : وضعت هذه الرتب فى اواخر حكم السلطان محمود بعد ابادة الانكشاريه . وقد كانت وقتذاك عزيزة لصعوبة نيلها حتى كان يشار بالبنان الى من ينال الرتبة الخامسة ، وهي اصغر رتبة ملكية كما هو معلوم واستمر الحال على هذا المنوال الى زمن السلطان الخليع . وتقسم

(١) كان في الجيش العثماني رتبة تسمى قول أغاسي وهي بين البكباشي واليوزباشي وقد ألغيت بعد اعلان الدستور

هذه الرتب الى قسمين : قلمية وسيفية . فالقلمية خصت بمكافأة عمال الدولة والسيفية خصت بمكافأة اعيان الولايات واشرافها . وهذا بيان الرتب الملكية والقاب اصحابها مع ما يقابلها من الرتب العسكرية :

العلمية منها	السيفية منها	ألقاب أصحابها في الكتابة	ما يقابلها من الرتب العسكرية
وزير	...	دولتلو افندم حضرتلري	مشير { وصاحب الوزارة مقدم عليه
بالا	...	عطوفتلو « «	فريق اول
اولى صنف اول	روم ايلى بكلر بكى	سعادتلو « «	فريق
« « ثاني	ميرميران	« « «	ميرلواء
متمايز	متمايز	عزتلو «	ميرالاي
ثانية	ثانية	عزتلو بك او افندي	قائمقام
ثالثة	ثالثة	رفعتلو « « « او آغا	بيكباشي
رابعة	رابعة	فتوتلو « « « «	يوزباشي
خامسة	خامسة	حميتلو « « « «	ملازم اول

ويوجد رتب اخرى من نوع الرتب السيفية هي : رتبة امير الامراء ورتبة مدير الاصطبل العامر ، يقابلهما من الرتب القلمية الرتبة الثانية ويلقب صاحب الأولى منهما بلقب « باشا » ويكتب اليه « عزتلو باشا » ورتبة قبوجي باشي الركاب السلطاني ، تقابلها الرتبة الثالثة . وهذه الرتب خاصة برؤساء القبائل والأميين من اشراف البلاد لاسيما القاصية منها . وقد كانت الدولة تراعي هذا الترتيب ، فلا تنعم مثلاً برتبة « بالا » على احد اشراف الولايات مهما كان مقامه عظيماً بل تخصه برتبة روم ايلى بكلربكي

او ميرميران او امير الأمراء اذا شاءت ان تكافئه . واستمرّت هذه القاعدة معمولاً بها الى أوائل حكم السلطان الخليع حيث أخذ رجاله يبيعون الرتب بيع السلع دون الالتفات الى التقاليد المتبعة في منحها

والرتب الملكية ، قلمية كانت او سيفية ، لا تعطي أصحابها لقب (بك) « ما عدا رتب روم ايلى بكاربكى وميرميران وأمير الأمراء فان أصحابها يلقبون بلقب (باشا) كما مرّ ذكره » . لذلك تجد كثيراً من أصحاب رتبة بالا — وهي أعلى رتبة بعد رتبة الوزارة — يلقبون بلقب (افندي) . أما لقب (بك) فانه خاص اولاً بأولاد الأسر والعائلات الكبيرة في الولايات من اصحاب الزعامات والمقاطعات الممنوحة لهم من قبل الدولة في الازمنة السابقة ، ثانياً باولاد الباشوات فقط . وقد وقعت هذه التقاليد في فوضى عظيمة في عهد السلطان عبد الحميد حتى اصبح الانسان يرى ابن الفراش والخادم والفقير في الاستانة يلقب بلقب (بك)

الرتب العلمية — لا تمنح هذه الرتب الا للعلماء الدينيين من المسلمين ورجال باب المشيخة في الاستانة والقضاة الشرعيين في الولايات . ولبعض هذه الرتب ، خصوصاً الكبيرة منها ، رواتب قليلة تسمى (آريه لق) اى ثمن شعير لخيل صاحب الرتبة . واساس الرتب العلمية قديم العهد في الدولة العثمانية يرجع تاريخه الى مئات من السنين ، وهذا بيانها و بيان القابها مع ما يقابلها من الرتب الملكية :

الرتب العلمية	ألقاب أصحابها في الكتابة	ما يقابلها من الملكية
قاضي عسكر روم ايلى	سماحتلو افندم حضرتلرى	وزير

قاضي عسكر أناضول	سماحتلو افندم حضرتلري	وهي بين الوزراة و بالا
قاضي استانبول	فضيلتلو « «	اولى من الصنف الاول
مولوية الحرمين الشريفين [1]	« «	اولى من الصنف الثاني
« البلاد الخمسة [2]	« بك او افندي	متمايز
« المخرج	« « « «	ثانية
رتبة كبار مدرسين	مكرمتلو « « «	ثالثة
« موصلة سليمانية	« « « «	وهي بين الثالثة والرابعة

ثم هنالك رتبة تسمى رؤوس استانبول ليس لصاحبها لقب تقابلها الرتبة الرابعة . واما القضاة الشرعيون غير الحائزين على رتبة فيكتب اليهم (مودّتلو بك او افندى) ويكتب للصدر الاعظم « فخامتلو دولتلو افندم حضرتلرى » ولمعزول الصدارة « دولتلو ابهتلو افندم حضرتلرى » ولشيخ الاسلام « دولتلو سماحتلو افندم حضرتلرى » ولمعزوله « دولتلو فضيلتلو افندم حضرتلرى » وللاصهار السلطانية « عطوفتلو افندم حضرتلرى » وللسردار الاكرم « دولتلو رأفتلو افندم حضرتلرى » ولآغا القصر السلطاني « دولتلو عنايتلو افندم حضرتلرى » وللبطاركة « رتبتلو افندم حضرتلرى» وللملوك الاجانب «حشمتلو» وللسفراء الاجانب « اصالتلو افندم حضرتلرى »

النياشين — اقدم نشان في الدولة العثمانية نشان الافتخار ، وليس له الاّ درجة واحدة مرصعة بالحجارة الكريمة وقد انشأه السلطان محمود

(١) مكة ومدينة (٢) اشارة الى مدائن قونيه وبروسه وادرنه ودمشق الشام وبغداد ، كما يقال البلاد الثلاثة عن غلطه واسكدار واستانبول في الاستانه

الثاني ، ثم اهمل امره الى اواخر زمن السلطان عبد الحميد الخليع الذى احياه وصار ينعم بهِ على العظماء من الاجانب فقط

وهذه بقية النياشين العثمانية حسب قِدَمها مع اسماء السلاطين الذين انشأوها

النشان	اسم السلطان	عدد درجاته	ملاحظات
الافتخار	السلطان محمود الثاني	١	مرصع فقط
المجيدي	« عبد المجيد	٥	وله درجة مرصعة بالاحجار الكريمة
العثماني	« عبد العزيز	٤	« « « « «
الشفقة (خاص بالسيدات)	« عبد الحميد الثاني	٢	وكلاهما مرصع بالاحجار الكريمة
امتياز	« « « «	١	مرصع { وله نوطان الواحد ذهبي والآخر فضي
خاندان آل عثمان الاسرة المالكة (Dynastie)	« « « «	١	مرصع بالاحجار الكريمة
ارطغرل	« « « «	١	مرصع بالاحجار الكريمة

ثم هنالك مداليات (انواط) مثل مدالية التخليص تمنح لكل من ينجي حياة شخص من الغرق في البحر او من حريق وما اشبه ومداليات الزراعة والافتخار انشأها جميعها السلطان عبد الحميد الثاني . هذا غير انواط حربية وقتية قديمة اسست عقب الحروب الماضية كحرب الروس واليونان وكريد واليمن وغيرها منحت لكل من حضرها من الجند والضباط والقواد .

مفى العظم

في رياض الشعر

ردّوا على الأوطان عزّاً خلا

يحي بك علمي شاب من خيرة الفتية العثمانية المصرية جامع الى شرف المحتد علوّ الهمة ، والى الذكاء النادر براعة وافتناناً في ضروب الادب والموسيقى . رُزق في هذه الايام غلاماً سماه مصطفى . وقد فرح اصدقاء هذا الفاضل بما أتمه الله عليه من نعمة الخلف ورأى صديقه خليل افندي مطران ان يتحفه لهذه المناسبة بقصيدة فيها التهنئة وفيها العظة . فيها وصف بعض الحالات التي يكون عليها الاطفال وفيها ما هو جار من الامور العتيدة التي أفضت بالشرق الى هذا الانحطاط واشارة الى المستقبل وما يرجى منه على أيدي رجال الغد . ولقد وفق الشاعر الى كل ما قصد وأخرج للناس ضرباً جديداً من الشعر فيه تفكهة ودرس مفيد قال :

يا سبط يحيى وسليلَ العلى ... حيَّى الرضى طالعك المجتلى

وسلّم اللهُ الوليدَ الذي ... هلَّ فما أبهى وما أجملا

كأنَّ ذوبَ العاجِ صلصاله ... وأنَّ معنى الحبّ ما مثّلا

ناهيك بالعينين من قوّتيْ ... ذهن ومن نوريْ حجىً ارسلا

⁂

كحسنهِ الحسن اذا ما غفا ... وذيدت الأعينُ ان تغفلا

محركاً في نومهِ ثغرَهُ ... كأن في الرؤيا رضاعاً حلا

لا الحلل الغراء من همهِ ... ولا يبالي باهرات الحلى

جذلانُ من نشوة أحلامهِ ... وأين منها نشواتُ الطلى

تراه قرباً وكأنَّ الكرى ... يحمله فوق السُّهى محملا

كطائر يظهر تحليقهُ ... بمظهر الترجيح مما علا

فان صحا فالدهر عبدٌ لهُ ... يرضيهِ مطواعاً والاّ فلا

وكل حيّ فنوطٌ بأن ... يفهم ما يهوى وان يفعلا

سيان في اللطف وفي الظرف ما ... أساء من أمرٍ وما أجملا

له ولا للناسِ علمُ الذي يرى ويستحسن أن يُعملا
وحولهُ الحولُ فان يفتتنْ فسحره السحر ولن يُبطلا
أناهُ ما شئت فكيف اشتهى تحويلهُ من فورهِ حوّلا
فليكن المفتاح ثدياً جرى بالكوثر العذب كما املّا
ولتكن الساعة جنّيةً تدير في داخلها مقولا
ولتكن الاكتافُ أفراسهُ لكنَّ شرط الانس ان تصهلا
وليكن الكرسيُّ ان حثّهُ قطاره ينساق مستعجلا
وكل ما شكّله فليكن مهما عصى الطبعَ كما شكّلا

***

يا ولداهُ آسعدْ وعش واغتنم من السرورِ المغنمَ الأجزلا
لكنَّ دهراً جئتَ فيهِ أبى عليكَ ان تركب مستسهلا
أدبرَ بالشرق ولا يبتغي الاّ بأمثالك ان يُقبلا
اليوم لا تعقلُ لكن غداً تكون ممن سلفوا أعقلا
ما اليوم ما القابل؟ هذا مضى بنا ولم نشعر وهذا تلا
اسمع شكاتي فهي إن لم تفد حالاً ففيها النفع مستقبَلا
كان لنا مجدٌ نزلنا بهِ من السماوات العُلى منزلا
وكان لا ينكر منا اذا قلنا غداة الفخر نحن الاولى
وكان منّا كلُّ ذي مرّةٍ ان صال فرداً كسّر الجحفلا
وكان منا كلُّ ذي فطنةٍ يكاشفُ الوحيَ ويهدي الملا
وكان منا كلُّ حامي حمىً لا تطرقُ العصمُ لهُ معقلا
وكانَ مُلك الأرض ملكاً لنا وحكمنا في الأمم الفيصلا
لكنّهُ عزٌّ مضى وانقضى بذنب مَن خانَ ومن أهملا

تراكمت أغلاطُنا آخـذاً بعضٌ ببعضٍ فانتهينا الى ...
ولا اسمّي منتهـانا فقد يُؤثر بعضُ الشيء أن يُغفلا
واحربا بنا وما شأننـا الاّ اعتذارٌ يُشمت العُذّلا
وما تبقّى غيرُ أبنائنـا تعزيةً للنفس أو مأملا
عساهم ان يُصلحوا بعدنا ما أفسد الظلاّمُ منا . . ألا . .

* * *

أي نجلَ يحيى إن يجيءْ عهدكم ردّوا على الأوطان عزًّا خلا
إنا نرجّي جيلكم كلَّهُ ان يَترَ المجدَ ولا يخملا
فمن دعا يومئذٍ واجدٌ فينـا عديدَ الخير مستكملا
الراجلَ الجلدَ الذي لا يهي عزم له والفارسَ الأبسلا
والعـالمَ المثمرُ تعليمـهُ أجملَ ما علّم أو فصّلا
والوالدَ البرّ بأبنـائهِ يرخص في تأديبهم ما غلا
والحرّةَ الهيفـاء لا تنثني عن عوج الاغراس أو تعدلا
والصانعَ البـارعَ في صنعهِ يتقن مفتنًّا ومسترسلا
والزارعَ الحاذقَ في شأنهِ يعافُ ان يجمدَ أو يكسلا
بمثل هذا الجمع من ولْدِهِ تشفى جراح الوطن المبتلى

* * *

أي نجلَ يحيى كنْ اذا حققّوا آمالَنـا ندَّبهم المفضـلا
بالعلم والحزم اعتضدْ واعتددْ لتغدوَ الأرشدَ والأمثـلا
إنا معـدُّوكَ ليومٍ بهِ تكونُ ذاك السيّدَ المؤثلا
في ذلك العهد وقد صرتَ في أترابك الأمكنَ والأرجلا
تذكّرِ الطفلَ الذي كنتهُ وحاشِ ذاك الخُلق ان يُبدلا

اذ كنتَ في مهدكَ لا تتقي … لو أنَّ طوداً راسخاً زُلزلا

ولا تراعي طاغياً قادراً … ولا تحابي بَطلاً مُبطلا

ولا تني بالسؤل حتى ترى … محققاً ما عزَّ ان يسألا

وتجهل الاثمَ بأنواعه … كما ترى العفةُ ان تجهلا

عظائم الدنيا تحبّ الفتى … في أكثر الاخلاق مستطفلا

✿ ✿ ✿

تلك مُنانا يا بنينا فان … تمَّت محونا ذنبنا المخجلا

هيّا أعيدوا المجد فينا الى … ما كان من سيرته أوّلا

خليل مطران

﴿ غانية فقيرة ﴾

شكتْ فقرها فبكتْ لؤلؤا … تساقط من جفنها فانتثرْ

فقلتُ مشيرًا الى دمعها … أفقرٌ وعندكِ هذي الدُرَرْ

بشاره الخوري

﴿ قساوة التشفّي ﴾

رأيتهُ يستخرجُ الشوكَ من … كفَّين كالبلُّورِ والآسِ

فقلتُ في نفسي له شامتاً … ذُقْ بعضَ ما تفعلُ بالناسِ

نجيب شاهين

﴿ حظي كشعري ﴾

بُليتُ بحظٍ مثلَ شَعريَ لو حوَى … دُجاه الدُّجى لم يَبدُ في أفقهِ فجرُ

وأعجبُ مِن صبري عليهِ سلامتي … فقُبِّحَ حظّي والسلامةُ والصبرُ

امين

أزهار وأشواك

توارد الخواطر

توارد الخواطر أمرٌ معروفٌ بين الناس عامةً ، وكلٌّ يروي من هذا القبيل الشيء الكثير مما حدث له شخصياً او اتصل بهِ عن الغير . على ان توارد الخواطر بين الأدباء كثيراً ما جاء بصورة مدهشة غريبة ، فتقرأ الشطرة الواحدة من الشعر ، او الفقرة الواحدة من النثر ، لشاعرين او لكاتبين مختلفين ، حتى لتكاد تتصوَّر الواحد قد اقتبس قول الآخر مع انه لم يتفق له الاطلاع على شيء منهُ ؛ وتاريخ آداب العرب حافل بمثل هذه النوادر . والى القراء حادثة من هذا القبيل جرت في مصر ، واتصل خبرها بحاصد « الزهور » وهو ينقلها تفكهةً للقراء : وضع أحد الادباء كتاباً عنوانه « العرب وأطوارها » وأحبَّ ان يهديه الى العالِم العربي أحمد زكي باشا ، فسأل الأديب محمود افندي عماد ان يصوغ له كلمة الاهداء في بيتين من الشعر ، وطلب مثل هذا الطلب أيضاً من شاعر الأمير شوقي بك . فجاءه من الأول هذان البيتان :

إيهٍ « ذكيُّ » النفس تحيا نسبةٌ ... تُمى اليك ويستحيلُ سرارها
وكذا أردتُ لما عرضتُ (فهذهِ ... عربُ النجادِ وهذه أطوارها)

ونظم له الثاني البيتين الآتيين :

« أذكيُّ » يا ربَّ الفضائل والنهى ... وأجلَّ من يُعزى اليهِ فخارُها
إن شئتَ تعجبُ بالرجال (فهذه ... عربُ النجادِ وهذه أطوارها)

فيري القارىء كيف اتفق الشاعران في الشطر الاخير حتى في اللفظ فجاء واحداً عند كليهما

ولقد ذكرتكِ

نهر الصفا وصفته « مي » في هذا الجزء بشعر منثور ، ووصفه من قبلها في أحد أجزاء السنة الاولى من « الزهور » الامير نسيب ارسلان بشعر منظوم قال في مطلعه

يا صاحبيَّ قفا على نهر الصفا نهر لدينا بات أشهر من « قِفا »

وقد وقف عليه في الصيف الماضي أديب مصري لا أعرف من هو ، وأديب لبناني هو رشيد بك نخله الشاعر الذي يعرفه قرّاء «الزهور » أنقل محضر تلك الوقفة عن جريدة « الشعب » اللبنانية فقد جاء للرشيد فيها قوله : « . . . فتناشدَنا الاديب المصري وتناشدْناهُ من قديم الشعر وحديثه الى ان أنشد :

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ مني وبيض الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

فقلنا رحم الله فارس بني عبس (ان صحّت النسبة) . أوَ تذكر ما يقول « الرشيقُ » على حد ذلك :

ولقد ذكرتكِ في السفينةِ والردى متوقّعٌ بتلاطمِ الأمواجِ
وعلتْ لأصحاب السفينةِ ضجةٌ وأنا وذكركِ في ألذِّ تناجي

فقال واذكر للظفراوي قوله :

اني لأذكركم وقد بلغ الظما مني فأشرق بالزلال الباردِ

وأقولُ ليتَ أحبتي عاينتهم قبل الممات ولو بيومٍ واحدِ

ولا أنسى ما يقول أبو الحسن الوزير :

ذكرتُ سُليمى وحرُّ الوغى بقلبيَ ساعةَ فارقتها

وشاكلَ سمرُ القنا قدَّها وقد ملنَ نحوي فعانقتها

قلتُ حسن ولكنك تبدَّلتَ الوزن وغيَّرت المطلع . فقال اذاً اسمع للحلّي :

ولقد ذكرتكِ والعجاجُ كأنهُ مطلُ الغنيّ وسوء عيش المعسرِ

فظننتُ أني في صباحٍ مسفرٍ من ضوء وجهكِ او سناء مقمرِ

قلتُ جيّد وأطرقتُ بقدر ما تقرأ وقلت :

ولقد ذكرتكِ عند آخر نظرةٍ مني لقومي والحِمامُ مهدّدي

فبكى الجميعُ وكنتُ أبسم بينهم أملاً بأنكِ حولَ نعشي في الغدِ

فارتجف المصري وتدارك دمعتين جالتا في حدقتيهِ وقال : بربك البيتين فأعدتهما له فاستظهرهما قائلاً : سأردّدهما مدى العمر

قلت : ولو اتفق لي حضور ذلك المجلس لختمت مذاكرة الاديبين ببيتٍ فردٍ ينسيهما ما تناشداه ، وهو لشاعر ظريف ذكر محبوبتـه في موقف لم يقفـه عنترة بن عبس ولا أقرانه الشعراء ، فقد دهمـه القطار الحديدي (الاكسبرس) وهو على صهوة برذون حرون فايقن بالهلاك فهاجته الذكرى ، فأنشأ يقول من فؤاد متبول :

ولقـد ذكرتكِ والحمارُ معاندي فوق الشريطِ وقد أتى الوابورُ ...!

سؤالٌ من الهند

آل ابرهيم في الهند قومٌ كرام جمعوا الى شرف المحتد وعريض الجاه أدباً جماً وظرفاً وافراً، ولهم على الأدب والأدباء في الشرق مآثر غير دوائر. قدّرت الأيام لوديع افنـدي البستاني — وهو الفتى النشيط الأديب المعروف لدى قراء العربية بكتبهِ المفيدة النافعة — ان يكون بين هؤلاء القوم الأمجاد، فكاد ينسى بينهم في الهند أرقى مجتمعات وادي النيل لما يدور بينهم من المذاكرات الشعرية والابحاث الأدبية . . . وكدتُ أنا أيضاً أنسى الموضوع الذي من أجله اكتب الآن، وأستطرد الى ذكر ما يرويه لي صديقي عن الهنـد وعن مكارم من حلَّ بينهم على الرحب والسعة، فأهمل السؤال الذي كلفني ان أنشره على صفحات المجلة . قال البستاني الصغير : « هذان بيتان من الشعر رواهما الشيخ أحمد آل ابرهيم قال :

لقي نبلنا مردَ العوارضِ فانثنوا لأوجههم منهـا لحىً وشواربُ
خلقنا بأطراف القنـا لظهورهم عيوناً لها وقعُ السهام حواجبُ

فمن هذا الشعر ؟ » وانا اقول : من عرف الشاعر وكتب اليَّ عنهُ ضمنت له جائزة تجيئه عن طريق الهند . . .

في كرمة ابن هاني

سبق لي حديث قديم مع القرَّاء عن كرمة ابن هاني — او منزل شوقي بك — وقد كانت هذه الكرمة في الشهر الفائت مسرحاً أقيمت فيهِ معالم الافراح والحفلات الأدبيـة . وكل حفلة تقام في ذلك الصرح

يقصر عنها الوصف مهما كان بليغاً . فأمير الشعر متفرّدٌ في حفلاته كما هو متفرد في أشعاره . . . لا يعنيني من هذه الاحتفالات الاّ ذاك الذي أقامهُ اكبر شاعر عربي اكراماً لاكبر ممثل في الغرب ولصنوه في الشرق عنيتُ بالأول مسيو سلڤان وبالثاني تلميذه جورج أبيض ، والى جانب كلٍّ منهما جوقته ، وفي صدر الحفلة حشمت باشا ناظر المعارف الغيور ، فتصافح تحت رعايتهِ الأدبان العربي والغربي . وشكر الوزير لنابغة التمثيل في فرنسا اعتناءه بتلميذه أبيض حتى أخرجهُ نابغة الممثلين في الشرق ، كما شكر سلڤان للوزير تنشيطه لهذا الفن وأمّل ان يبلغ التمثيل العربي من النجاح ما بلغهُ التمثيل الفرنسوي منهُ . وكان بين المدعوين الياس افندي فياض الكاتب الشاعر العربي المعروف ومترجم أشهر الروايات التي يمثلها جوق أبيض ، فهمس في أذن جاره داعياً بتحقيق الآمال . . . ماصر

ثمرات المطابع

* حديث القمر[١] — نشرنا في الجزء الخامس من هذه السنة (ص ٢٤٩) مقالةً خيالية عنوانها « أيها القمر » من قلم حضرة الشاعر المشهور السيد أبي السامي مصطفى صادق الرافعي . ثمَّ أخذ حضرته هذه المقالة وتوسع فيها بما أوحى اليهِ أمير الليل من خطرات أفكار شعرية وغزَلية وادبية واجتماعيــة فجاءت سلسلة فصولٍ شائقة تتناول مباحث شتى في الحب والجمال والزواج والالحاد والطبيعة باسلوب خيالي وقالب

(١) يُطلب من مكتبة البيان بشارع عبد العزيز بمصر وثمنه خمسة قروش صاغ

شعري تعمده حضرة الكاتب البليغ وهو يرمي من ورائه الى تربية ملكة التخيّل في الناشئة ، لأنّ الخيال هو اساس الانشاء وركنه الركين ، فلا يمتلك الذين يحاولون الكتابة أعنّة هذه الصناعة الاّ اذا حبتهم الطبيعة نصيباً من الخيال ، وعملوا هم على تربية هذه القوة بالمطالعة والملاحظة والاقتداء . وقد قال حضرة المؤلف في مقدمة هذا الكتاب : « البلاغة التي حار العلماء في تعريفها ، على كثرة ما خلّطوا ، لا تعدو كلمتين : قوة التصوُّر والقوة على ضبط النسبة بين الخيال والحقيقة . وهما صفتان من قوى الخلق تقابلان الإبداع والنظام في الطبيعة ، وبهما صار أفراد الشعراء والكتّاب يخلقون الأمم التاريخية خلقاً ، وربّ كلمةٍ من أحدهم تلدُ تاريخ جيل » الى ان يقول في ختام المقدمة المذكورة : « فالبلغاء هم أرواحُ الأديان والشرائع والعادات ، وهم ألسنةُ السماء والأرض . واذا شهد عصرٌ من العصور أمةً ليس فيها بليغ فذلك هو العصر الذي يكون تاريخاً صحيحاً لأضعف طبائع الأمم »

ونحن نحمد الله كثيراً على ان مصر لا تخلو من أمثال أبي السامي الفاضل ، فعصرها الحالي ليس بعصر الضعف وخمول الطبائع

* مفكرة المعارف[1] أصدرت مطبعة المعارف الشهيرة مفكرتها لسنة ١٩١٣ وهي حاوية التواريخ العربية والافرنجية والقبطية وفيها ذكر الاعياد الدينية والمدنية وتواريخ أشهر الحوادث السياسية وفي ختامها

(١) تطلب من مكتبة المعارف وثمنها أربعة قروش صاغ يضاف اليه قرش صاغ اجرة البريد للخارج

جدول لتحويل العملة وجدولان آخران للمقاييس والموازين وقد اعتنى بها حضرة نجيب افندي متري منشئها الفاضل اعتناءً خاصاً في هذه السنة فانتقى لها أجود أصناف الورق وأجمل شكل للغلاف فجاءت غاية في الاتقان كسائر ما تخرجه مطبعة المعارف فنوجه اليها الانظار

* La sœur du Calife. (1) — عهد الرشيد والمأمون من أجمل صفحات تاريخ العرب ، ونكبة البرامكة على يد الفضل بن الربيع من أشهر حوادث ذلك العهد ، وأعظمها وقعاً في النفوس . وقد سبك هذا الموضوع جورجي بك زيدان منشئ الهلال في قالب رواية تداولتها أيدي قراء العربية فنالت شهرةً بعيدة . وشاء حضرة الاديب ميشال افندي بيطار ، المدرّس في جامعة اللغات الشرقية في باريس ، ان يعرّف الافرنج بشيء من آداب لغتنا ، فنقل هذه الرواية الى اللغة الفرنسوية بمساعدة مسيو شارل موليه Mr. Charles Moulié ، فبرزت الغادة العربية الشرقية بحلةٍ غربية جميلة ، وصادفت بين القوم إقبالاً وإعجاباً . فنهنئ زيدان بك باشتراك الغربيين مع الشرقيين في تقدير كتاباتهِ ، ونشكر لصديقنا بيطار افندي هذه الخدمة للغتهِ ، وندعو له بالتوفيق في هذا السبيل

* المنطاد — « جريدة اسبوعية حرّة » لصاحبها ومحررها الأديب زوين افندي يوسف زوين تصدر في ريودي جانيرو ، فيها مباحث حسنة ولها نزعة وطنية محمودة

(1) Fontemoing & Cie, éditeurs, Paris

الفصل الثالث

« المشهد الأول »

رومه . أمام الكابيتول . مجلس الشيوخ مجتمع فوق في الكابيتول .
جمع غير قليل بينهم أرتيميدوروس والمنجم . هتاف

(يدخل قيصر وبروتوس وكاسيوس وكاسكا وديسيوس ومتلوس وتريبونيوس وسنًا وأنطونيوس ولبيدوس وبوبوليوس وبوبليوس)

قيصر — (مخاطباً المنجم) ها قد جاء اليوم الخامس عشر من شهر مارس

المنجم — نعم قيصر . ولكنهُ لم يذهب بعد

أرتيميدوروس — السلام قيصر . اقرأ هذه الورقة

ديسيوس — (مقدّماً له ورقة أخرى) ان تريبونيوس يرجوك ان تعيد قراءة هذا العرض اذا رأيتَ من وقتك متسعاً

أرتيميدوروس — أي قيصر . اقرأ ورقتي قبل ؛ فانها تمسُّ قيصر نفسه . اقرأها يا قيصر العظيم

قيصر — يجب تأخير ما يمسّنا عن سواه

أرتيميدوروس — اياك والتأخير ! اقرأها حالاً

قيصر — ما هذا ؟ أجُنَّ الرجل ؟

بوبليوس — تنحَّ يا هذا جانباً

كاسيوس — أفي الأسواق تتهافتون على عرض مطالبكم ؟ تعالوا الى الكابيتول . (يصعد قيصر الى المجلس يتبعهُ الآخرون)

بوبليوس — (مخاطباً كاسيوس) أتمنى لغرضكم ان ينجح اليوم

كاسيوس — أيّ غرضٍ عنيت ؟

بوبليوس — طب نفساً (يقرب من قيصر)

بروتوس — (مخاطباً كاسيوس) ما قال لك بوبليوس ؟

كاسيوس — تمنى لنا نجاح غرضنا . اني اخشى افتضاح أمرنا

بروتوس — انهُ يقرب من قيصر . أنظر . ارقبهُ

كاسيوس — (مخاطباً كاسكا) كاسكا . كن سريعاً في العمل ، فاننا نخشى انكشاف الأمر . ما العمل يا بروتوس ؟ ان افتضح أمرنا قتلتُ نفسي . فواحدٌ منا ليس براجع الى أهله اليوم : إما انا ، وإما قيصر !

بروتوس — تشدد ! انظر الى بوبليوس . انهُ لا يتكلم عنا فهو يبتسم وملامح وجه قيصر لم يعلُها تغيُّرٌ او انقلاب

كاسيوس — قام تريبونيوس بمهمتهِ خيرَ قيام . لقد اصطحب انطونيوس وخرج بهِ خارجاً . (يخرج انطونيوس وتريبونيوس)

ديسيوس — أين سمبر ؟ ليذهب في الحال يقدّم شكواه الى قيصر

سنّا — كاسكا ! انت أوّلُ من يرفع يده

قيصر — أمستعدون جميعاً ؟ من عرف منكم اعوجاجاً فلينبئْ بهِ ، فان قيصر ومجلسه يقوّمانه تقويماً

سمبر — أي قيصر الرفيع المعظم كليّ الاقتدار ! ان سمبر يطرح امامك قلبه الوضيع . . . (يركع)

قيصر — منعتك هذا . قد يفعل التملّق وتعفير الجباه فعله في صغار الناس فيثيرُ عاطفة نفوسهم ، فينسخون شرائع وأوامر أصدروها ، يغيّرون فيها ويبدلون شأن الاطفال . لا تغرّنك نفسك فتحسب انّ بين جنبي قيصر دماً كدم الجهل يذيبه

الكلام اللين والانحناء الواطئ والتملق السافل المموّج ، فيثنيه عن عزمه . لقد صدر الأمر ونفي أخوك . فاذا أنت ركعت وداهنت وتضرعت لاجله ، انتهرتك وطردتك كالكلب من امامي . ان قيصر لا يقاصُّ بلا سبب ، وكذلك لا يعفو بلا سبب

سمبر — أما من صوت اكرم من صوتي يستعذبهُ قيصر فيصغي اليه ويعفو عن أخي المنفي ؟

بروتوس — أي قيصر . أُقبّل يدك غير مداهن ، وأرجوك ان تهب أخا سمبر حريته

قيصر — (متعجباً) ماذا ؟ بروتوس ؟

كاسيوس — عفوك قيصر عفوك ! اني أترامى على قدميك وأتسوَّلُ منك عفواً عن سمبر

قيصر — لو كنتُ نظيركم لتأثرتُ ؛ أو لو كنتُ ممن يرجو الغيرَ لتحوَّلتُ عن عزمي مرضاةَ رجائهم . ولكني ثابتٌ في عزمي ثبوتَ نجم الشمال الذي لا يضاهيه في الفلك نجمٌ ثبوتاً . السماء ملأى بكواكب لا تعدُّ ولا تحصى . كلها تحترق ضياء وليس بينها سوى واحدٍ لا يحول ولا يتزعزع . كذا الدنيا مملوءةٌ رجالاً . رجالها من لحم ودمٍ ذوو عقول ذكية ، ولا أعرف فيهم غيرَ واحدٍ راسخاً لا يُنازع ولا يتحرَّك . فلأرينكم اني ذلك الرجل . اني نفيتُ سمبرَ حازماً ، وسأبقيه في منفاه حازماً

سنّا — أواه قيصر . . !

قيصر — عني ! أتحاولُ ان ترفع جبال الأولمب ؟

ديسيوس — يا قيصر العظيم !

قيصر — ألا ترى بروتوس يركع على غير جدوى ؟

كاسكا — أيتهـا الأيدي تكلمي عني ! (يطعنهُ كاسكا أولاً وبعده بقية

المتآمرين ثم يطعنهُ بروتوس في الآخر)

قيصر — وأنتَ أيضاً يا بروتوس؟ فليسقط قيصر ! (يلتفّ بردائه ويسقط ميتاً)

سِنّا — يا للحرية ! يا للخلاص ! لقد مات الاستبداد ! اركضوا ونادوا بالأمر في الاسواق

كاسكا — ليذهب بعضكم الى المنابر ويهتف يا للعتق ! يا للحرية ! يا للنجاة !

بروتوس — (مخاطباً الاعيان والشعب المختلط حابلهم بنابلهم خوفاً) لا تخافوا أيها الأعيان وأنتم أيها الشعب اطمأنوا بالا . قفوا لا تهربوا . لقد وفى الطمع دَينه

كاسكا — اصعد الى المنبر يا بروتوس

ديسيوس — وكاسيوس أيضاً

بروتوس — أين بوبليوس ؟

سِنّا — هنا وقد أضاع رشدَهُ

سمبر — خذوا حذركم . فقد يفاجئنا أحد أصدقاء قيصر . اعتصموا بالاتحاد

بروتوس — دعوا الحذَر والاعتصام جانباً . وأنتَ بوبليوس تشجَّع . اننا لا نريد بك شرًّا ، ولا نريد بأحدٍ من الرومانيين شرًّا

كاسكا — ابتعد عنا يا بوبليوس لئلاّ يهجم علينا الناس ويلحقون بشيبتك أذًى

بروتوس — نعم اذهب . فلا يحملُ عبء هذا الأمر الاّ فاعلوه . (يرجع تريبونيوس)

كاسيوس — أين أنطونيوس ؟

تريبونيوس — فرَّ الى بيتهِ رُعباً . الرجال والنساء والاولاد يصيحون ويصخبون كأنهُ يوم النشر

بروتوس — ايهِ أيتها الاقدار ها نحن مترقبون أمركِ فينا . كلنا يعلم ان مصيره الى الموت ولكنهُ يجهل ميعاد قدوم الساعة

كاسيوس — من يقتطعُ عشرين سنة من ثوب حياتهِ ، فانهُ يقتطعها من خوف الموت لا من الحياة نفسها

بروتوس — اذن . الموت دواءٌ نافع وما نحن الاّ أصدقاء قيصر اذ اختصرنا له خوفه من الموت . فلننحنِ أيها الرومانيون ولنغسل أيدينا في جراح قيصر نخضّبها حتى الاكواع . غمسوا فيها سيوفكم ، وهيّوا بنا الى الساحة نرفع سلاحنا الأحمر فوق رؤوسنا ونناذي يا للسلام ويا للعتق ويا للحرية !

كاسيوس — انحنوا واغتسلوا . ستعيد الاجيال المقبلة تمثيل دورنا هذا بألسنٍ مجهولةٍ وفي بلدان لم تخلق بعد

بروتوس — نعم وسيُدمى مراراً قيصرُ خدن التراب المطروح الآن عند تمثال بومباي

كاسيوس — وعلى عدد تلك المرار سيلقّبنا المستقبلُ بالقوم الذين أنالوا وطنهم الحرية

ديسيوس — أتذهبون ؟

كاسيوس — نعم . بروتوس يقودنا ، وأحسنُ قلوب رومه وأشجعها تسير على عقبهِ . (يدخل خادم)

بروتوس — سكوتاً . مَن القادم ؟ صديق لأنطونيوس

الخادم — (راكعاً) أي بروتوس . بذا أمرني أنطونيوس : أخرُّ ساجداً وأعفّر وجهي وأقول « ان بروتوس نبيلٌ حكيم شجاعٌ وأمين وكذلك كان قيصر قديراً جسوراً محبًّا وعظيماً . اني أحبُّ بروتوس واكرمهُ وقد خفتُ قيصر فأحببتهُ واكرمتهُ . فليسمحْ بروتوس وليؤمنْ لي سبيل قدومي اليهِ أستفسرهُ سبب قتل قيصر ، وله عليَّ العهد اني لا أحبُّ قيصر ميتاً بأكثر ما أحبُّ بروتوس حيًّا ؛ بل أتبع بروتوس في سبيله غير المطروق بقلب مؤمن صادق » بذا نطق سيدي انطونيوس

بروتوس — لنعم الرومانيُّ الحكيم الشجاع سيدك . ما ظننتهُ بأقلّ مما هو عليهِ قط . ابلغهُ يحضر الينا اذا شاء ، فنقنعهُ ثمَّ ينقلبُ الى أهله آمناً

الخادم — سآتي بهِ في الحال (يخرج الخادم)

بروتوس — سيكون منّا . أنا واثقٌ من ذلك

كاسيوس — حبذا لو تمَّ ذلك . فاني أوجس في نفسي خيفةً منهُ ، وما خانتني فراستي وتشاؤمي قط

بروتوس — ها قد جاء انطونيوس . (يدخل انطونيوس) اهلاً بماركوس انطونيوس

انطونيوس — (ينظر جثة قيصر ملقاةً ، يركع الى جانبها) أي قيصر[1] ذا السلطان ! أيطرحونك ارضاً ؟ أتنكمش فتوحاتك وانتصاراتك وغزواتك الى مثل هذا القدر الصغير ؟ وداعاً وداعاً (ينهض) اني أجهل مآربكم ايها السادة فلا أعلم من تستسمنون بعد قيصر فتدمون . ان كنتم اياي تقصدون ، فلستُ بواجدٍ زمناً للموت أليق من زمنٍ مات فيهِ قيصر . ولا آلةً على نصف شرفِ آلةٍ أغناها أنبلُ دمٍ في هذه الدنيا . ان كنتم تضمرون لي العداء فأتوسل اليكم ان تظهروه الآن وسواعدكم الحمرُ تتبخر وتدخّن . لو عشتُ ألفاً ما لقيتُ نفسي بأجدر بالموت مني الآن مطروحاً الى جانب قيصر ترديني الاسياد نخبة رجال هذا العصر

بروتوس — لا ترجُ موتك على أيدينا يا انطونيوس . انك تنظر الى هذه الأيدي وما جنتهُ فتخالنا قساةً سفّاحين ، ولكنك لا تعلم ما انطوت عليهِ قلوبنا . انك لو استطعت النظر اليها لرأيتها ملآى بالحنان والرأفة . نعم فاننا ما فتكنا بقيصر الاَّ شفقةً على اضطهاد رومه . فالشفقة على هذه طردت من قلوبنا الشفقة عليهِ وابتلعتها كما تبتلع النارُ ناراً أقلَّ منها التهاباً . أما أنت يا انطونيوس فإنّا نرحب بك

(١) ان انطونيوس بمخاطبته جثة قيصر يتخلص من السلام على قاتليه المتآمرين

وتقبلك بيننا على الرحب والسعة . نفتح لك قلوبنا ونحميك بسواعدنا ، فترجع سيوفنا مفلولةً عنك

كاسيوس — وسيكون لك الرأي الأعلى في تدبير مهام المُلك الجديد

بروتوس — صبرَك حتى نسكّن روع الجمهور الذي يكاد يجنُّ خوفاً ثم أخبرك لما أقدمتُ على قتل قيصر وانا صديقه الصادق

انطونيوس — لا اشكُّ في حكمتكم . هاتوا كلٌّ منكم يده الحمراء . هاتها أنت أولاً يا بروتوس ثم أنت يا كاسيوس . وأنت ديسيوس وأنت متلوس وأنت سنّا . يدك ايها الشجاع كاسكا . وأنت يا تريبونيوس هاتهـا الآخر في دورك ولكنك لست بالآخر في درجة حبي لك . ماذا أقول ايها السادة ؟ انّ قدميَّ تكادان تزلاّن بي عن موطئ الشرف فما أنا في أعينكم الاّ واحداً من اثنين — اما جبان او منافق . (مخاطباً قيصر) حقاً لقد أحببتك يا قيصر . فما الذي تقوله لو أطلّت علينا روحك ورأتني اصطلح مع اعدائك واضعاً يديَّ بأيديهم الدامية على مرأى من جثتك الهامدة ؟ أليس الأمر أشدَّ وقعاً عليك من قتلهم اياك ؟ ليت لي عدد جراحك عيوناً تذرف الدمع كالدم المتدفق من جسدك . لذلك موقفٌ أليق بي من تبادل عبارات الوفاق مع اعدائك . عفوك يوليوس . هنا اصطادوك ايها الوعل الجسور . هنا سقطت ، وهنا يقف صيادوك مخضبين بدمائك . ايه ايها العالم انك كنت غاباً لهذا الوعل وكان الوعل أعزَّ أبنائك . يا لك من غزالٍ تكاثرت عليهِ امراء الصيد فأردوه !

كاسيوس — انطونيوس

انطونيوس — عفوك كاسيوس . ان اعداء قيصر لا يقولون فيهِ أقلَّ مما قلتُ فما بالك باصدقائهِ . ان قولهم لتواضع بالغ حدّه

كاسيوس — لا ألومك على مدحك قيصر ، ولكني أودُّ أن أعلم أصديق أنت

فترجى ، أم عدوٌّ فيذهب كلٌّ في سبيله !

أنطونيوس — لو لم أكن صديقكم ما وضعتُ يدي بأيديكم . انما لقد أضلّتني شجوني حينما نظرتُ قيصر ملقىً . اني صديق كلٍّ منكم ، وكصديقٍ أرجوكم ان تقنعوني بأن قيصر كان خطراً

بروتوس — ان لم نقنعك بذلك كان عملنا وحشيًّا لا مسوّغ له . أي انطونيوس انّ الذي دعانا الى قتل قيصر لكافٍ لاقناعك ولو كنتَ ابناً له

أنطونيوس — هذا كلما أطلب . وأتوسل اليكم ان تسمحوا لي أنا صديقه ان أذهب بجثتهِ الى الساحة العمومية ، وأقول كلمتي في جنازتهِ

بروتوس — ليكن لك ما تريد

كاسيوس — لي كلمة أقولها لك يا بروتوس (يكلمه على جانب) انك لا تعلم ما تصنع . لا تسمح له بذلك . انك لا تعلم أي التأثير يكون لكلامه في الشعب

بروتوس — لا . لا . اني سأقف فيهم خطيباً أولاً وأُبيّن لهم اسباب قتل قيصر ، واذكر ان انطونيوس سيقيم له الاحتفال اللائق بدفنهِ باذنٍ منا . ذلك أشفع لعملنا وأضمن

كاسيوس — لا أعلم ما سيكون . ليس الأمر من رأيي

بروتوس — (لانطونيوس) هاك جثة قيصر . خذها ! انك ستتكلم بعد ان أكون قد انتهيت ، فاذا تكلمت قل انك تفعل ذلك بأمرنا . امدح قيصر ما شئت ولكن لا تذمنا ، والاّ فلا يكون لك شأن في الجنازة

انطونيوس — اني لا أطلب أكثر من هذا

بروتوس — هيئْ الجثة واتبعنا . (يخرج الجميع عدا انطونيوس)

انطونيوس — (مخاطباً جثة قيصر) غفرانك ايها التراب الدامي ! غفرانك ان نظرتني اتبادل الودّ والأدب مع هؤلاء الجزارين ! انك لبقية أشرف رجلٍ عاش

في الدنيا . ويلٌ لليد التي سفكت هذا الدم الثمين ! انّ جروحك تفتح شفاهها العقيقية كالافواه الخرساء تستنطقني نبوةً هي لعنةٌ تكرسف الناس . ستمتلئ جوانب ايطاليا حروباً . وسيقوم الأخ على أخيهِ والابن على أبيهِ والمملكة شعبها بعضهم لبعض عدوًّا . سيأمن الناس الدم والدمار والخوف فتبسم الأم ان رأت أولادها تتخطفهم أيدي الحروب . ستزول الشفقة من قلوب الناس لتعودها رؤية الفظائع . وثمّ روح قيصر تزأر ثائرة يصحبها اله الشرّ الجهنمي منادياً بالويل والثبور على هذه البلاد فتنطلق كلاب الحرب تعدو وراء فرائسها تنهش بلا رحمة حتى تملأ جوانب الأرض جيفاً ليس من يدفنها . (يدخل خادم) أخادم اوكتافيوس قيصر أنت ؟

الخادم — نعم يا مولاي

انطونيوس — ان قيصر أرسل يستقدمه لرومه

الخادم — نعم . وهو قادم . وقد أمرني ان أقول لك . . (يرى جثة قيصر) ويلي ! قيصر !

انطونيوس — لقد تأثر قلبك . در جانباً وابكِ . ان الحزن مجلبةٌ للحزن وها عيناي أدمعتا اذ رأتا الحزن يجول في عينيك . . . أقادمٌ مولاك ؟

الخادم — سيبيت الليلة على بعد سبعة فراسخ من رومه

انطونيوس — عُد اليهِ مسرعاً وارو له الرواية . ليست رومة بالبلد الأمين لاكتافيوس بعد . انها بالحة ملآنة خطراً . عُدْ . عُدْ . قلْ له يلبث مكانه ولا يأتي . لا . قف قليلاً . لا تذهب قبل ان أحمل الجثة الى الساحة العمومية . سأرى هناك أثر خطابي في الناس ، وعلى أيّ محملٍ يحملون فعلةَ هؤلاء الرجال السفاحين ، ثم نذهب ونروي الأمر لاوكتافيوس . هات يدك . ساعدني . (يخرجان بجثة قيصر)

« المشهد الثاني »

يدخل بروتوس وكاسيوس ولفيف من الاهالي

الاهالي — (صارخين) هاتوا برهانكم . اقنعونا اقنعونا

بروتوس — اتبعوني ودعوني أقف فيكم خطيباً ايها الاصدقاء . كاسيوس ! اذهب الى الشارع الآخر وفرّق الجماعات . ليبقَ الذين يودُّون سماعي هنا ، أما الذين يبغون اللحاق بكاسيوس فليتبعوه . إنّا سننبئكم عن سبب قتل قيصر جهاراً

العامي الأول — أنا سألبث مكاني واسمع بروتوس

العامي الثاني — وأنا سأسمع كاسيوس ثم نقابل برهان هذا ببرهان ذاك .

(يخرج كاسيوس يتبعه بعض الاهالي ويصعد بروتوس الى المنبر)

العامي الثالث — قد اعتلى بروتوس النبيل المنبر . اسكتوا !

بروتوس — اصبروا حتى النهاية . اسمعوا ايها الرومانيون مواطنيَّ واصدقائي . اسمعوا لي دعواي . وانصتوا حتى تتمكنوا من السماع . اذا قلت فصدّقوني ، لأن لي من شرفي ما يحملكم على الثقة بي فان وثقتم بشرفي آمنتم بكلامي . زنوني بميزان حكمتكم واشحذوا عقولكم حتى تقيموا الميزان مستقيماً . . . هل في هذا الجمهور صديق لقيصر ؟ ان كان بينكم صديق حميم ، فاني أرفع صوتي وأُناديه قائلاً : ان محبتي لقيصر لم تكن بأقل من محبتك . . . سيقول هذا الصديق : اذن لمَ قتلت قيصر ؟ هاكم جوابي : ما قتلت قيصر كرهاً لقيصر ، بل قتلته حباً بروما ! أوددتم لو متم ارقاء وبقي قيصر حياً ؛ أم ان يموت هو لتعيشوا جميعكم احراراً . . ؟ انَّ قيصر أحبني ، فأنا أبكيه ، انهُ كان حظاً مبخوتاً . فأنا أفرح له ؛ انهُ كان شجاعاً ، فأنا اكرمهُ ؛ نعم ، ولكنهُ كان مطماعاً فقتلته . ها دموعي جزآء محبته اياي ، ها فرحي وسروري لطالعه المسعود ، ها اكرامي واجلالي لشجاعته ، وهاكم الموت جزآء

عدلاً لطمعه ؟ هل بينكم من انحط فصار يودُّ لو كان عبداً رقيقاً ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . هل بينكم من لا يودّ ان يكون رومانيًّا ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي . هل بينكم من سفُل فصار لا يحب وطنه ؟ ان وجدت فيكم الرجل فقد وجدت خصمي ... هانذا واقف انتظر الجواب ...

الجميع — انه غير موجود . انه غير موجود يا بروتوس !

بروتوس — اذن فليس لي فيكم خصم. اني لم افعل بقيصر غيرَ ما كنتم تفعلونه انتم به . لقد دُوِّنِ خبر موته في سجل الكابيتول وذُكرت معه مفاخره وانتصاراته غير مبتورة ولا مقتضبة ! وكذلك ذكرت معايبه التي استحقّ الموت من أجلها غير مُبالغ فيها ولا مُغالى . (يدخل انطونيوس واخرون يحملون جثة قيصر) ها جثة قيصر قدمت يبكيها انطونيوس الذى سينال بعد موت صديقه محلاً رفيعاً في الحكومة وان لم تكن له يد في قتله . اليكم ختام القول. اني كما قتلت اعزَّ اصدقائي ايثاراً لامر رومه ، كذلك قد خبأت الخنجرَ نفسه أغمده في صدري اذا دعاني اليه داعي حبّ وطني .

الجميع — ليحيي بروتوس ! ليحيي ! ليحيي !

العامي الأول — احملوه على الاكتاف الى بيته !

العامي الثاني — أقيموا له تمثالاً مع اجداده !

العامي الثالث — احلّوه محل قيصر !

العامي الرابع — انهُ قد جمع محاسن قيصر ، فلنتوّجه !

العامي الاول — سنسيرُ وراءه الى بيتهِ هاتفين منادين

بروتوس — يا بني وطني !

العامي الثاني — سكوتاً . ان بروتوس يتكلم

العامي الاول — سكوتاً يا قوم

بروتوس — دعوني أذهب وحدي أيها المواطنون الصالحون . امكثوا أنتم واسمعوا ما يقوله لكم أنطونيوس . افعلوا هذا لأجلي . أكرموا جثة قيصر واهتفوا لأنطونيوس عندما يمدح قيصر . لقد سمحنا له ان يقوم فيكم مؤبناً فالبثوا مواضعكم ولا تلحقوا بي . دعوني أذهب وحدي (يخرج)

العامي الاول — امكثوا يا قوم ودعونا نسمع أنطونيوس

العامي الثاني — ليصعد الى المنبر فنسمعهُ . اصعد يا أنطونيوس النبيل

أنطونيوس — اني مدين لكم من فضل بروتوس . . . (يصعد الى المنبر)

العامي الرابع — ماذا يقول عن بروتوس ؟

العامي الثالث — انهُ يحسب نفسه مديناً لنا وذلك من فضل بروتوس

العامي الرابع — لقد أحسن صنعاً . فخير له ان لا يشير بكلمة سوء الى بروتوس

العامي الاول — تالله لقد كان قيصر عاتياً !

العامي الثالث — أكيد . مباركٌ لنا خلاص رومه منهُ

العامي الثاني — اسكتوا . دعونا نسمع ما يقول أنطونيوس

أنطونيوس — أيها الرومانيون الكرماء !

الجميع — اسكتوا . دعونا نسمعهُ

أنطونيوس — أيها الرومانيون مواطنيَّ وأصدقائي . أعيروني سمعكم . لقد جئتُ لأدفنَ قيصر لا لأؤبِّنَهُ . ان الشرَّ يعيش بعد فاعله أما الخير فيدفن الى جانب رفاتهِ . فليكن حال قيصر كذلك . . . ! خطب فيكم بروتوس النبيلُ فأراكم ان قيصر كان يطمح ببصره الى الملك . إنْ صحَّت التهمة فانها لكبيرة على قيصر ، وقد نال عليها جزاءهُ كبيراً . ها أنا واقف لديكم الآن أقول كلمتي في قيصر . لقد سمح لي بذلك بروتوس النبيل ورفاقه النبلاء . ان قيصر كان صديقي — صديقاً عادلاً أميناً — ولكنَّ بروتوس يظنهُ كان مطماعاً ، وليس بروتوس بالرجل المشكوك

في كلامهِ . لقد جاء قيصر من فتوحاتهِ بأسارى لا يحصى عددهم ، فاذا ما فداهم الفادون ملأ بالأموال خزائن رومه . فهل كان ذلك من قيصر طمعاً ؟ كان قيصر يذرف الدمع ان رأى فقيراً باكياً . واللهِ ان للطمع غير هذه الاخلاق ! ولكنَّ بروتوس يراه مطماعاً . وليس بروتوس بالرجل المشكوك في كلامهِ . أما رأيتم يوم لوباركال وقد قدَّمتُ له التاج ثلاثاً فردَّني خائباً ثلاثاً ؟ أهذا ما يسمونهُ طمعاً ؟ . ولكن بروتوس يقول ان قيصر كان مطماعاً ، وليس بروتوس بالرجل المشكوك في كلامهِ . ما أنا مفنّدًا بروتوس ولكنني أسرد الرواية كما أعلمها . انكم قد أحببتموه كلكم فيما مضى وحاشا لحبكم ان يكون بلا سبب . فماذا الذي يقصيكم عنهُ الآن فلا تندبونهُ . ايهٍ أيها الادراك . أين أنتَ . أتركتَ رؤوس بني آدم وفررتَ الى الوحوش الضارية ؟ عونك . عونك . ان قلبي فارقني ولحقَ بقيصر في هذا التابوت . حنانيك قلبي عُدْ اليَّ

العامي الأول — أرى معظمَ كلامه معقولاً

العامي الثاني — لو تدبرتَ الأمر لوجدتَ ان قيصر قد ظُلِم

العامي الثالث — اذن فسيظلم غيره بعده

العامي الرابع — هل تنبهتَ الى ما قال عن التاج ؟ انهُ لم يقبل التاج . اذن لم يكن طامحاً الى الملك.

العامي الأول — ان صحَّ القول فسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون

العامي الثاني — مسكين أنطونيوس ! لقد احمرَّت عيناه كالنار من البكاء

العامي الثالث — انهُ لأنبلُ رجلٍ قام في رومه

العامي الرابع — اسمعوا . لقد عاد يتكلم

أنطونيوس — بالأمس كنّا وكلمةُ قيصرَ تقفُ في وجه العالم كله لا تردّ واليوم نحن وها هو ملقىً الى الحضيض أوضعَ من ان يُرمق بنظرةٍ اكرام . . . أيها السادة !

لو أردتُ ان أحرّكَ عاطفةَ قلوبكم وأفكاركم . أو ان أثيرَ غضبكم لخطّأتُ بروتوس ولخطأتُ كاسيوس ولخطأتُ غيرهما كثيرين . ولكنني لا أفعل ذلك أبداً انهم نبلاء أشراف . كيف أجسر ان أخطّئهم . اني اوثر ان أخطّئ الميت وان أخطّئ نفسي وان أخطئكم جميعاً على ان أنسبَ الخطأ لرجالٍ كرام مثل هؤلاء . أرأيتم هذه الوثيقة بيدي . انها مختومة بخاتم قيصر . وجدتها في خزانتهِ . هي وصيتهُ لو سمع أهلُ رومه مضمونها. عفوكم فلستُ بقارئها لكم . لو سمع أهلُ رومه مضمونها لجأوا الى قيصر يلثمون جراحهُ ، وخضّبوا مناديلهم بدمه الكريم ، لا بل لتسوّلوا شعرةً من شعرهِ يحفظونها أثراً خالداً يتوارثها ابناؤهم من بعدهم

العامي الرابع — اقرأ الوصية . اسمعنا الوصية يا أنطونيوس

الجميع معاً — الوصية ! الوصية ! اسمعنا وصية قيصر !

أنطونيوس — صبراً أيها الاصدقاء الكرام . فلستُ بقارئها . لا يليق ان تعلموا كم كان قيصر يحبكم . ما أنتم من خشب . ما أنتم من حجارة . ان أنتم الاّ رجال — رجال من لحم ودم اذا ما سمعتم وصيتهُ ثرتم وقامت قيامتكم وطار صوابكم ! لا لا . خير لكم ان لا تعرفوا مضمونه . خير لكم ان لا تعلموا انه أوصى لكم بما ملكتْ يداه ! اهٍ ما أوخم العاقبة لو علمتم !

العامي الرابع — اقرأ الوصية . لا بد من سماعها يا انطونيوس . محتمٌ عليك ان تقرأ وصية قيصر

انطونيوس — أتصبرون على ذلك ؟ أتستطيعون ان تمكثوا بعد ؟ لقد جاوزت الحدَّ اذ ذكرتها لكم . انى أخشى إغضاب هؤلاء النبلاء الذين أغمدوا خناجرهم في صدر قيصر . انى أخشى ذلك كثيراً

العامي الرابع — قل خونة . لا تقل نبلاء !

الجميع　　— الوصية ! الوصية !

العامي الثاني — تباً لهم من قتلة . سفكة ! الوصية . اقرأ الوصية !

انطونيوس — لقد أحرجتموني فجبرتموني على قراءتها . دونكم جثة قيصر . التفوا حواليها ودعوني أنزل اليكم فأريكم الرجل الذي كتب الوصية . هل تسمحون لي بالنزول ؟

الجميع — انزل . انزل

العامي الثاني — انزل

العامي الثالث — سنفسح لك مجالاً بيننا

العامي الرابع — التفوا على شكل حلقة

العامي الأول — ابعدوا عن الجثة

العامي الثاني — افسحوا مجالاً لهذا النبيل انطونيوس

انطونيوس — لا تقربوا مني كثيراً . افسحوا لي قليلاً

كثيرون — لا تضيقوا عليه . افسحوا المجال . ارجعوا

أنطونيوس — ان كان في مآقيكم دمع فاذرفوه الآن (يشير الى رداء قيصر) كلكم يذكر هذا الرداء . هو رداء قيصر ارتداه ليلة صيفٍ وجلس في قباب مضروب على أثر عودته من نصرٍ مبين على أعدائكم [1] . انظروا . هنا مرَّ خنجر كاسيوس . تبيّنوا طعنة كاسكا الحاقد . انها مزّقت الرداء تمزيقاً . وهنا طعن بروتوس المحبوب طعنتهُ . بروتوس حبيب قيصر وملاكه الحارس . حدّقوا في طعنتهِ انظروا كيف نزع النصل المشومَ ففتح باباً خرج منهُ الدم يجري ليتحقق القارع القاسي . ايهٍ أيتها الآلهة ! قولي كم كان قيصر يحب هذا الطاعن ! انها لأشدُّ طعنة أصابت قيصر . فانهُ عندما رأى بروتوس يطعنهُ ، التفَّ بردائه وخبأ وجهه وسقط الى جانب تمثال بومباي قتيلَ الغدر ونكران الجميل أكثر منهُ قتيلَ السيوف والخناجر . يالسقوط

(١) هي موقعة نرفي سنة ٥٧ قبل المسيح وتعد من اشهر مواقع يوليوس قيصر

قيصر من سقوط ! أي مواطنيَّ الاعزاء انّا سقطنا كلنا بسقوطه ، أنا وأنتم وكل الرومانيين . أما الغدر والخيانة فانتصرتا وعاشتا على ظهورنا . أراكم تذرفون الدمع كقطر الندى . لقد مسّت الرحمة قلوبكم . كلُّ هذا وقد شاهدتم الرداء ممزَّقاً فما تصنعون لو نظرتم الى الجسد مهشماً (يرفع الرداء عن جسد قيصر) هاكم قيصر . ها جسده شوّهتهُ أيدي القوم الخائنين

العامي الاول — يا لهول المنظر !

العامي الثاني — يا اقيصر النبيل !

العامي الثالث — يا لشؤم هذا اليوم !

العامي الرابع — آه أيها الخونة السافلون

العامي الاول — انهُ لمنظرٌ دمويٌّ فظيع

العامي الثاني — سننتقم له

الجميع — الانتقام ! الانتقام . هلموا ننتقم . اركضوا . احرقوا . اقتلوا . اذبحوا . لا تدعوا خائناً يفلت

انطونيوس — قفوا . قفوا ايها المواطنون

العامي الاول — سكوتاً . اسمعوا لانطونيوس النبيل

العامي الثاني — نسمعهُ . نتبعهُ . نموت معهُ

انطونيوس — حلمكم ايها الاصدقاء الصالحون . حلمكم اخواني الاعزاء . ما قصدتُ أن أحرّك طوفان ثورتكم . انَّ الذين أقدموا على هذه الفعلة لأقوامٌ نبلاء حكماء قد يكون لهم من أنفسهم عذرٌ لا أعلمهُ يبرّرهم في أعينكم . لم آتِ لأحوّل قلوبكم عنهم فلست بالخطيب المفوّه مثل بروتوس . ما أنا الاّ ذاك الرجل الساذج الذي يحبّ صديقه . والذين سمحوا لي بالكلام يعلمون ذلك حقَّ العلم . ليس لي فهم ولم أتعلم الحكمة ولم أُعطَ موهبة الخطابة لأثيرَ فيكم دمكم . اني اعرفُ بما اعرف

منشئ المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء التاسع   يناير (ك ٢) ١٩١٣   السنة الثالثة

العام الجديد

صدَّ عني ولا عجبْ   كلُّ شيءٍ لهُ سببْ
ذهبتْ ساعةُ الرضى   وأتتْ ساعةُ الغضبْ
مستبدٌّ بحكمهِ   فأنا مثل ما أَحبْ
تارةً صاحبُ المنى   تارةً صاحبُ الكُرَبْ
فلقاه بهِ الهنا   وفراقٌ بهِ التعبْ
كلُّ ذنبي لأنَّ لي   فيهِ صدراً قد التهبْ
ولأني عشقتهُ   باردَ القلبِ والشَّنَبْ

***

أيها العامُ مرحباً   بالمنى فيكَ والأربْ
قلْ فما أنتَ حاملٌ   بين بُردَيك من عجبْ ؟
رايةَ السلمِ أم تُرى   رايةَ الحزبِ والحرَبْ
فائتلافاً بهِ المنى   أم خلافاً بهِ العطَبْ

أترى الترك أم عدا تهم تكسب الغلب
وهل الشرق بعد ذا ك بأمن من النوب
أم هي النار في ربى الـ ـغرب يعلو لها لهب
وقوى العالمين في معرك الخلف والصخب
فالسما مكفهرة والفضا اهتز واضطرب
كل هذا لأجل شبـ ـر من الأرض يكتسب
يا عقول الآنام ما زلت في أوضع الرتب
ايه سوق الوغى لقد هزني نحوك الطرب
لا فما حدث الروا ة ولا كاتب كتب
مثلما عنك قد روي فهو أعجوبة العجب
رحم الله أنفساً غالها عندك العطب
وجيوشاً تدافعت صعداً فيك أو صبب
بل اسوداً تقحمت غمرة الموت لم تهب
ساقها الحكم للهلا ك فماتت كما وجب
يا رفات الأسود فا تنثني عندك الركب

* * *

أيها العام هل أرى راحة فيك أم نصب
أصديقاً فترتجى أم عدوا فتجتنب
كن كما تشتهي فلا رغبة فيك أم رهب

الياس فياض

المرأة المترجلة

الرجل المتأنث كالمرأة المترجّلة : كلاهما متصنع لا يطاق !

وددت احتقار زيد فقلت زيد امرأة ، وشئت تكريم هند فقلت هندٌ رجل . أنا أحتقر الرجل اذا تأنث واكرهه جهدي ، وأعتبر قليلا المرأة اذا ترجّلت ولكنني اكرهها كثيراً

للرجولية أخلاق ، والانوثة أخلاق وكل خُلق حسن في صاحبه . القوة تستَحبُّ في الرجل ، والضعف يستملح في المرأة . فان تعدّت القوة الى النساء فسدت ، وان تخطَّى الضعف الى الرجال كان ذلاً !

المرأة اذا ترجلت خير من الرجل اذا تأنث . هي تطمع بأن يكون لها شرف الرجولية . وأما هو فليكون له ماذا ؟

ولكنه لأيسر في نظري أن يتأنث الرجل من أن تترجل المرأة . الويل كل الويل من الضعيف اذا قدر ، والمظلوم اذا احتكم

ليس الشرّ في ان يتحوّل الذئب الى حمل ، ولكن الشرّ كل الشرّ في أن تصير النعجة ذئباً

وليس الرجل ذئباً من طبعهِ ولكن المرأة اذا ترجلت تحوّل ضعفها الى شراسة فكانت شرّ الذئاب !

هي مخلوقة ضعيفة لا تفهم معنى القوة فاذا وجدَت القوة اتخذَتها سلاحاً ذا حدَّين !

قبيح في الرجل الضعف ، وأقبحُ منه القوة في المرأة . التصنّع في

الأخلاق كالترقيع في الأثواب . تالله ان التصنّع والتكلّف لا يحتملان ولو كانا من المشخصين أنفسهم وهم على المسرح !

***

كرهتُ الرجل يدّعي لنفسهِ ما لغيره لأنني لا أحب الرياء . ولكنني اذا ادهشني الرياء في الرجل لأنهُ حادثٌ فيهِ ، فليس يدهشني الرياء في المرأة لأنهُ خلُقٌ فيها . ذلك ان الصدق من طبائع القوة ، والكذب من مستلزمات الضعف . ولقد تنعكس القاعدة أحياناً فيجيءُ الكذب مع القوة ، ويجيءُ الصدق مع الضعف فيكون مجال للدهشة حينئذٍ

وان شرّ ما ولّده الضعف الفطري في المرأة الكبرياء والدعوى !

ألا ترى ان الضعيف تستهويه القوة فيريدها لنفسه فلا يستطيعها، فيتطلبها بالوهم الباطل؟ أوَليست الكبرياء والدعوى مجرد توهم في الانسان للقوة والفضل ؟

الكبرياء في المرأة شرّ الرذائل فيها ، والادعاء أقبح خلالها . والكبرياء في الرجل رذيلة ولكنه ليس شرّ الرذائل فيه ، والادعاء ضعف وخلل فيهِ ولكنهُ ليس بالضعف والخلل الأعظمين

قد يتكبر الرجل ويكثر من الادعاء ولكن قوته تجيز له هاتين الخلتين وتستر عليهِ قبحها بعض الستر . أما المرأة فلست أرى فيها ما يجيز لها الكبرياء ويسامحها على الدعوى الاّ اذا استجزنا ضعفها واستسمحناه وحينئذٍ تظهر فيها بشاعة هاتين الرذيلتين بكل مظاهرها المستقبحة !

خيرٌ لك ان تعادي امرأة تحب منك التملق وتطلبه لنفسها من ان تملّقها . شرّ خطإ يرتكبه الانسان أن يملق المرأة ؛ لأن المرأة على ضعفها ورغبتها في القوة تتناسى التملق وتحسبه حقيقةً واقعية وثناءً صحيحاً فتكون حينئذٍ كالمهرة الجموح لا تردّها شكيمة ، ولا يمسك بها رسن !

قد تأتي المرأة عملاً من أعمال الرجال فتستحسنه منها فتقول لها : أحسنتِ يا سيدتي ! ولكنه لأهون عليك لو قطعت لسانك وكسرت قلمك فلم تقل لها هاتين الكلمتين . ان البرهان في التجربة لو شئت !

هذّب المرأة على معرفة نفسها فذلك خير مؤدب لها ، أو لا فكن أصمّ فلا تسمع ، وأحمق فلا تفهم

* * *

المرأة كالقلعة أعدى اعدائها في داخلها . اذا هي قويت على المؤثرات الخارجية فلن تقوى على عواطفها الداخلية . وانهُ لأيسر على قلعة يحاصرها العدو أن تجيش عليها الجيوش حواليها ، من ان يخونها جنديٌّ واحد في داخلها

المرأة لا تستطيع أن تكون قاضياً لأن عواطفها تتغلب دائماً على عقلها

لا تسألها العدل فانها لا تستطيعه . قلبها الذي يحكم ، وعقلها الذي يطيع ! عبثاً تحاول منها ان تكون غير ذلك !

تاريخ الجندية العثمانية

كانت نظارة المعارف العمومية في الاستانة قد أدخلت في برنامج المدرسة الملكية العليا -- قبل تسعة عشر عاماً -- درس (قانون التجنيد) واختارت لتفسيره وتدريسه المرحوم رفيق بك مانياسي زاده الذي صار في زمن الدستور وزيراً للعدلية والمذاهب ثم توفاه الله اليه. وهذا الفصل مقدمة لتلك الدروس وهو يتناول تاريخ الجندية العثمانية نقله الى العربيه صديقنا الكاتب الفاضل محب الدين افندي الخطيب :

لم تكن أمور الجندية في أوائل سلطنة آل عثمان موسسة على أساس متين ، وانما كان أفراد الامة القادرون على معاناة الحرب والنضال يتقلدون أسلحتهم يوم الزحف ويتقدمون للدفاع عن الدين والوطن . وكانت الجنود في عهد السلطان عثمان موسس السلطنة وفي عهد أرطغرل والده تسمى « فرساناً » لأنهم كانوا يؤدون وظيفة الجندية يومئذٍ ركاباً . وكان السلطان عثمان ينشر المنادين في المدن والقرى عند ما تصحُّ عزيمتهُ على الحرب ، فينادي هؤلاء بالناس الى دار الإمارة . ومع ذلك فقد كان ثمة – غير هؤلاء المتطوعين – عساكر خاصة وأتباع ورؤساء يوجدون دائماً حيث يوجد مركز الحكومة

وبعد سنة من استيلاء مجاهدي الاسلام على مدينة (بروسه) أصبحت هذه المدينة عاصمةً ، وصار للحكومة العثمانية مكانة خاصة بين ملوك الطوائف . وهذا ما حمل العثمانيين على العناية بوضع نظام للادارة وسنّ القوانين التي لا بد منها للسير في مضمار الحضارة والارتقاء . وكان في جملة ذلك أن نالت الجندية ونظاماتها حظاً من هذه العناية ، فتولى الوزير المدبر علاء الدين باشا أخو السلطان أورخان اختيار الاقوياء من أبناء الترك وخصهم بمقدار كاف من «العلف» وعهد الى « قره خليل الشندرلي » وهو قاضي (بلاجك) ان يزيد في عدد الجند وتنظيمه

أما مولانا القاضي خليل فقد بذل همةً فائقة في هذا السبيل ، حتى كثر عدد هؤلاء الابطال ، فرتب لكل واحد منهم مرتباً يومياً بقيمة أقچة (ربع درهم شرعي) تعطى لهم إبان الحرب حتى اذا انقضت قطع العلف اليومي عنهم واذن لهم

بالعودة الى أشغالهم الخاصة . ومن هذا يستدلّ على ان الجنود كانوا مكافين بوظيفة الجندية لمدة غير محددة

أخذ يزداد عدد هؤلاء الجنود وهم فريق المشاة ثم كثرت وظائفهم فدفعهم الطمع المركوز في فطرة البشر الى ما أفسد نظامهم ، فخطر للسلطان حينئذٍ ان يؤسس جنده على طراز آخر ، لا سيما وقد تبين أن خروج هؤلاء الجنود المشاة عن طاعة السلطان نتيجة طبيعية لنظامهم القاضي بأن لا يكونوا جنوداً موظفين تماماً ، بل هم نوع من الجند المأجور للخدمة في زمن الحرب ليس الاّ

ولما تداول رجال الدولة في هذا الأمر وضع قره خليل الشندرلي لائحةً قال فيها ان استقلال العثمانيين يظلّ مهدداً بالخطر ما دام الجيش مؤلفاً من التركمن الروملليين ومن هؤلاء المشاة . وهو يرى ان خير دواء لهذا الداء أن يؤخذ من الفتيان المسيحيين الذين دخلوا في الرعاية العثمانية مقدار ألف شاب في بضع سنوات وتصرف لهم علف وتعيينات كافية باسم « وظائف الحضر والسفر » . فوقع اقتراح قره خليل من رجال الدولة أحسن وقع . وعلى هذا سنوا نظام (دو يشرمه) للوصول الى هذه الغاية

قضى نظام الدو يشرمه بأن تأخذ الدولة في كل سنة ما استطاعت من الاطفال المسيحيين وأن تعني بتربيتهم وتهذيبهم الى ان يبلغوا سنّ التجنيد ، وعندئذٍ يرسلون الى الثكنة العسكرية في العاصمة ، ويُصرَف لكل واحد منهم في كل يوم أقچة واحدة (ربع درهم شرعي) . وقد اقترح « الحاج بكتاش ولي » أحد رجال الصوفية على السلطان أورخان ان يطلق على هؤلاء اسم « يني شري » بمعنى الجندي الجديد فأجاب السلطان مقترحه

ذلك هو اصل الجنود الانكشارية وهذا سبب تسميتهم بهذا الاسم . ولم تكن أوروبا يومئذٍ قد ابتدأت بتأسيس الجندية النظامية ، اذ ان فرنسا نظمت جيش المشاة في زمن شارل السابع سنة ١٤٤٧ م وأطلقت عليهم اسم « فرنك أرتير » في حين ان العثمانيين نظموا جيش الانكشارية سنة ١٣٢٦ م . وعلى هذا

فالعثمانيون سبقوا أوروبا الى تأسيس الجيش النظامي بأكثر من مائة سنة . ونحن نرى مؤرخي أوروبا يعزون شرف تأسيس الجنود النظامية الدائمة الى شارل السابع مع ان العثمانيين أجدر بأن يعزى اليهم هذا الشرف ، ولا ندري كيف نوفق بين ذلك وبين انصاف هؤلاء المؤلفين

كان عدد الجنود الجديدة قليلاً فاضطرَّ رجال الدولة الى تجنيد الأسراء ومع ذلك فقد ظلَّ الجيش ناقصاً فأكمل عددُه بالتبعة المسلمين . اما الاسراء والاطفال المسيحيون فكانوا يسمون « الغلمان الجهلة » . وقد اعترض هذا المشروع في بدايته بعض عوارض وذلك ان القسس جعلوا يبثون في النفوس ما احدث الضغينة بين المسيحيين المتجندين ولكن هذا لم يلبث ان زال أثره بارتقائهم في درجات الوظائف العالية وبالانصاف الذي كانوا يعاملون بهِ حتى دعى ذلك الى اقبال الجميع على التجند وأصبحت الحكومة في غنى عن متابعة سيرها في مشروع (الدويشرمه) وأحدثت في جنديتها صفاً جديداً سمتهُ « صف المتطوعين »

⁂

سار الانكشاريون بنظام من مبتدإِ أمرهم الى يوم جلوس السلطان محمد الفاتح المرة الاولى . ولما عاد السلطان من وقعة (وارنه الكبرى) وارتقى عرش السلطنة للمرة الثانية أخذ الرعب من خليل باشا مأخذه لأنهُ كان سبب استقالة السلطان من الملك . فأخذ خليل باشا يدسُّ الدسائس في صفوف الانكشاريين ، ويحثهم على التمرد والعصيان ، فكان ذلك مدعاةً لشرور ومفاسد كثيرة . وأول شيء توسلوا بهِ للمجاهرة بالتمرد والعصيان مطالبتهم السلطان محمد الفاتح بالاحسان (بقشيش) على أثر وفاة السلطان مراد الثاني وجلوس السلطان الفاتح وذلك بعد حرب القرمان

حاول السلطان الفاتح والسلطان سليم والسلطان سليمان وغيرهم من المصلحين الذين قلما تظفر الامم في كل زمان بأمثالهم ان يعيدوا روح النظام الى هذا الجيش الذي ما حارب الاّ ظفر ، ولكن ذهبت عبثاً كل مساعيهم وظلَّ الشر والفساد ممزوجاً بتلك الشجاعة والهمم . وكذا ظلَّ الانكشاريون يجنون ثمار النصر في

الحروب فيزيدون في شرف دولتهم ومجدها . ويحدثون القلاقل والفتن الداخلية في زمن السلم فيضعضعون بنيان البلاد . ولما كان عهد السلطان محمود الثاني بلغت الروح التراق وجاوز الحزام الطبيين فأدرك السلطان ان لم يبقَ لوجود هذا الجيش فائدة تذكر وكان قد أحس منذ كان وليّ العهد بمسيس الحاجة الى جيش معلّم فشرع سنة ١٢٤١ بتأليف جيش دعاه (اشكنجي) وأبلى في هذا السبيل بلاء حسناً ثم نجح في محو اسم الانكشارية من الوجود

أولئك هم الانكشاريون الذين رفعوا مجد الدوله الى هام العلى وأسمى الذرى ثم دخل بينهم خليط من السفلة والادنياء فأفسدوا تربيتهم و بدلوهم من النظام اضطراباً ومن الطاعة والامتثال تمرداً وعصياناً فتجاوزوا حدودهم وطوحوا بالبلاد الى مهاوي الهلكة ومدارج الانحلال حتى أدركهم السلطان محمود الثاني فدمرهم وأنقذ البلاد من شرورهم . وسنّ قانوناً جديداً كان من مقتضاه ان جمعت جنود جديدة باسم (العساكر المحمدية المنصورة) وكان السلطان جديراً ان يدعى باسم (مجدد القوانين العثمانية)

* * *

ولما جلس السلطان عبد المجيد على سرير الملك أيد مشروع أبيه بنصّ الخط السلطاني الذي قرىء في الكلخانة وكان فيما جاء عن الجندية في الخط السلطاني « ان طريقة الجندية حتى الآن لم يكن يلاحظ فيها عدد نفوس كل بلدة بل يطلب للجندية من بعض البلاد ما يزيد عن درجة احتماله ومن البعض الآخر أقلّ مما يجب ، وهذا أمر ينافي العدل من جهة ويضرّ في شؤون الزراعة والتجارة من جهة ثانية ، وفوق ذلك فان استخدام فريق من الناس في الجندية طول العمر يبعث في في نفوسهم الملل واليأس وينتج قلة النسل — من أجل ذلك تفضلنا بابطال هذه الطريقة العقيمة والجري بعد الآن على طريقة خير منها يكون من شأنها ان يطلب للجندية من كل بلدة مقدار معين لزمن معين . ولهذا تفضلنا في هذا الخط السلطاني بوضع طريقة القرعة العسكرية وسننا لذلك نظامات خاصة »

ولما كان الدفاع عن الدين والذبّ عن حياض الدولة فريضة على كل مسلم صحيح الجسم فقد أصبح من المحتم على كل من أصابتهُ القرعة من المسلمين المقيمين في البلاد العثمانية ان يطيع أمر النظام ويدخل في سلك الجندية ، الاّ من كانت لهم موانع شرعية أو امتيازات خاصة

يتبين من هذا أن فريضة الدفاع عن الدين والوطن خاصة بالافراد المسلمين وأما المسيحيون المتوطنون في بلاد السلطنة والمتجنسون بجنسيتها فقد أسقطت عنهم فريضة الجندية في مقابل ضريبة خاصة معينة يدفعونها باسم (البدل العسكري)

وأكثر الدول المتمدنة اتخذت طريقة القرعة في جنديتها بعد تاريخ قراءة خط الكلخانة السلطاني في البلاد العثمانية . ولقد تدرج العثمانيون بجنديتهم منذ ذلك الحين في مدارج الاصلاح والتعديل وأهم هذه الاصلاحات النظام الذي أعلن يوم ٢٧ صفر سنة ١٣٠٤ فان بذلك بلغت جنديتنا ارتقاءها الحاضر

خطرات

« لكارمن سيلفا – ملكة رومانيا الحالية »

* المرأة الساقطة تنظر الى المرأة الشريفة كما تنظر الى المرآة التي تريها شناعة خَلقها فهي تودّ لو حطّمتها

* كثرة الكلام تذهب بجوهر الافكار وما تبرح تحوّل ذهبها الى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيراً

ويقرب من مغزاه في العربية المثلُ السائر : « اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب »

* العقل كالملك يسكن كوخاً ، فان مجرَّد وجوده يحوّل ذلك الكوخ الى قصر

* الديانات أوحت الفن ولكنه قلما كان أصحاب الفنون قديسين !

في رياض الشعر

الملك المظلوم

(هدية الى الفاضلة المصونة البرنسيس الكسندرا أفيرينوه فيزيوسكا)

مكانك الأفق فما أنزلك ... بدلت عنه الأرض أم بدلك
يا ملك الله أيرضى الملك ... ملك الثرى من بعد ملك الفلك ؟
كلا . فلن تألف هذا الأنام ... خلقت من نور وهم من ظلام

* * *

أين جناحاك ؟ متى فارقاك ؟ ... قد سقطا في الأرض أم في السماك ؟
لو صدقاك الود ما زايلاك ... بل صعدا للأفق واحتملاك
إنك أولى بمجد ذاك المقام ... مثلك لا يهنأ فوق الرغام

* * *

من عندنا يفهم هذا الجمال ؟ ... أي امرئ يهوى صفات الكمال ؟
أنت خيال الحب نعم الخيال ... حذار ، لا تدخل قلوب الرجال
تلك قلوب دهرها في اضطرام ... كأنها موقدة بالآثام

* * *

ان تؤت خيرا بينهم يحسدوك ... وان تجد بالفضل لا يحمدوك
دانيتهم لكنهم أبعدوك ... لو صرت رب القوم لم يعبدوك
أف لخلق ليس فيه كرام ... هل كرم يسكن هذي العظام

* * *

تبقى لياليك وتفنى المنى ... بين الهموم الكثر بين الضنى
ويلي فكم تحمل هذا العنا ... كم تشتكي أنت وأبكي أنا ! !

قدْ نفدَ الدَّمعُ فهلْ للغمامْ كدمعي إن زاد فيـهِ الهيـامْ

* * *

تفتنُ لكنْ لستَ تدري الفِتنْ كذاك يؤذي كلُّ شيءٍ حسنْ
بهذهِ الروح وهذا البدنْ تلقى مِنَ النـاسِ سهامَ الضغَنْ
لله ما أظلمَ تِلكَ السهـامْ ! ألم تُصب غيرَ فؤاد الغرامْ ؟

* * *

تغفرُ جُرمَ النـاس ان أجرَموا وتحمِلُ الظُّلمَ ولا تظلمُ
قد غنموا منكَ ولا تغنَمُ منهم ولوْ تعلمُ ما أعلمُ
خاصمتَهم عدلاً وانَّ الخصامْ أعدلُ ما يجبو الكرامُ اللئامْ

* * *

أبكيكَ أمْ أرثيكَ هلْ نافعُ دَمعٌ ونَوحٌ والقضا واقعُ ؟
هذا شقـاء ما لهُ دافعُ إسمعْ فانَّ الله لي سامعُ
قلْ أيهـا الارضُ عليكِ السلامْ تحيـةً بالدَّمع لا بالكلامْ

ولي الدين يكن

صدى نشيد نهر الصفا

نشرنا في الجزء الماضي من «الزهور» شعراً منثوراً للكاتبة الفاضلة «مي» عنوانه «نشيد نهر الصفا» وفي الابيات التالية صدى لذلك النشيد لشاعر ليس أنين «الصفا» بأحن من أنينه

هلْ دَرَتْ « ميُّ » واللآلئُ تجري بحفيفِ النسيمِ بين الغصونِ
وهي في عالمِ الخيالاتِ سكرى بمعاني « ڤينوس » أو « أبُلّونِ »
أنَّ « ورقاء » ذلك النهرِ سرًّا سرقت كُنهَ سرِّهـا المدفونِ
ودَرَتْ ما وراءهُ من دموعٍ ودَرَتْ ما وراءهُ من شؤونِ
واستقلّت تُذيعهُ من بلادٍ لبلادٍ حتى انتهت في الصينِ

هاجها شجوُ « أُختها » وهي تُصغي لأنينِ الأرواحِ ريّا الجفونِ
فهمتْهـا وقد تلاشت وتاهت روحُها بينَ نشوةٍ وحنينِ
ورأتها تخطُّ أنيَ « لغزٌ » في ضمير الوجودِ غير مبينِ
فأرقّت بالجـانحينِ وحنّت وأسرَّت الى فتـاةِ الشجونِ
لستِ « لغزاً » بعد الوجودِ ولكن كنتِ لغزاً من قبلمـا أن تكوني

الكوخ الاخضر — عبدالله

« هدية رأس السنة »

جذبتني يومَ الخميسِ وقالتْ بعد يومين ... قلتُ انيَ أدري
بعد يومين يقبلُ العيدُ — قالت والهدايا بين الأحبـةِ تجري
قلتُ ذي عادةٌ — فقالت وهل تفكرُ فينا ؟ أجبتُ أنتِ بفكري
سوف أُهدي اليكِ من خالص الجو هرِ عقـداً مرصعـاً بالدرّ
سوف أُهدي اليكِ قرطاً ثميناً و (بُروشاً) مذهّبـاً للصدرِ
سوف آتيكِ بالخواتم عشراً تزدهي منكِ في أصابعَ عشرِ
سوف ... قفْ قالت الفتـاةُ وقد مالتْ بغصنٍ يزهو بطلعةِ بدرِ
مازحٌ أنتَ او تقول اذن من أيّ أرضٍ غنمتَ أو أي بحرٍ ؟
فتبسمتُ ثمَّ ملتُ قليـلاً نحوهـا والهوى يشدُّ بأزري
وبلا اذنـهـا قد نثرتُ بأذنيـ ـها كلاماً كأنهُ نثر زهرِ
انمـا هذهِ اللآلي — ولا أنـ ـكرُ يا هندُ — من خزائن شعري

* * *

عند ذا افترَّ ثغرهـا ثمَّ قالت انَّ هذا اللسانَ آلةُ سحرِ

بشارة الخوري

﴿ السيف والقلم والمحراث ﴾

كان محمد توفيق افندي علي ضابطاً في الجيش المصري وهو شاعر من اكابر الشعراء فكان اذا خلا لنفسه من مهام الجندية استيقظ الشاعر الرقيق في صدر الجندي الباسل ، وحلّ القلم في يمينه محل السيف فنظم تلك الدرر التي كان يهديها الى «الزهور» ففي السودان آثار جنديته وفي «الزهور» آثار شاعريته . ولقد جاءنا منه انه استعفى من الجيش وانقطع الى مزرعة له مؤثراً صحبة المحراث على صحبة السيف والقلم فكتبنا اليه نستطلع امره فكان جوابه الابيات الآتية

لا السيفُ في «مصر» يرضيني ولا القلمُ كلاهما في يمين الحرّ منثلمُ
جرَّدتُ سيفي وأقلامي وبي أملٌ واليومَ أغمدُها يأساً وبي ألمُ
تُريد بي الدهر لا تمّتْ إرادتهُ ذلاً وفقراً ويأبى العزُّ والكرمُ
سأصرفُ العمرَ حرًّا لا يقيّدُني الاّ التقى والنهى والمجدُ والشممُ
وأطلبُ المالَ لا زهواً ولا سرَفاً فإنما المالُ في أهل النهى ذممُ
وخيرُ ما يقتني المصريُّ مزرعةٌ يشقى بها الفاسُ والمحراثُ والنَّعمُ

* * *

باللهِ يا سيفُ هل ضُمَّت عليك يدٌ في الرّوع مثلُ يدي والهولُ يحتدمُ
وهل سواي فتىً زانتك صحبتُهُ يغشى بك الموتَ مختالاً ويقتحمُ
ألستَ كنت ترى حقَّ الرئاسة لي ان راحَ يخفقُ فوق الفيلقِ العلمُ
لكنَّ للدهرِ جيشاً من حوادثهِ اذا رآنيَ ولّى وهو منهزمُ
ويا يراعيَ انَّ الصمتَ من ذهبٍ لا يسمعونَ وفي آذانهم صممُ
قد يُسجنُ البلبلُ الغرّيدُ في قفصٍ وينعبُ البومُ في الآفاقِ والرّخمُ
للهِ بهجةُ حقلي ما يماثلها في حسنها السيفُ مصقولاً عليهِ دمُ
ويا سطوراً بمحراثي أدبجها لا يستقلُّ بها القرطاسُ والقلمُ
تفتّح الزهرُ منها عن مباسمهِ وراح يرتع فيها مقلةٌ وفمُ
هذا هو الخير معسولاً موارِدُهُ هذا هو العيشُ الاّ انهُ حُلُمُ

محمد توفيق علي

﴿ أُولاه وأُخراه ﴾

وَيلي لحالة صبٍّ شطّ مغناهُ عن الأحبة لا بل ألف ويلاهُ
مضنى الحشا واله زاد الغرامُ بهِ ودمعهُ من دم الأحشاء مجراهُ
كم ليلةٍ باتَ يرعى النجمَ ناظرهُ طوراً وطوراً نجوم الأفق ترعاهُ
ذا مقلةٍ للقا الأحبابِ ساهرةٍ يا حبذا لو ترى الإغماضَ عيناهُ
لعلَّ طيفَ خيالٍ من أحبّته يزوره سَحَراً ان عزَّ مسراهُ

* * *

اللهَ في مغرمٍ ذابت حشاشتهُ والسهدُ برّحهُ والوجدُ أضناهُ
يهيمُ في كل وادٍ بادّكاركمُ منهُ فؤادٌ لقد طارتْ شظاياهُ
رفقاً بمهجةِ صبٍّ ما له ولكم هجرتموه فزادت بعدُ بلواهُ
شكاكمُ بثّهُ مما ألمَّ به من الغرامِ ولم تُصغوا لشكواهُ
ما أقبح الموت الاّ في هوى رشاٍ يهواكَ في الحبّ اخلاصاً ونهواهُ

* * *

مُناي يا دمتَ في عزّ وفي سعةٍ وفي جنابٍ مريع طابَ مثواهُ
لو كنتَ تعلمُ في حالي وشقوتها وما أقاسيهِ من قومي وألقاهُ
أُدعى غريباً واني بين أظهرهم ولي بذي الحال في بغدادَ أشباه [1]
فكلما قمتُ أدعوهم لنهج هدًى قاموا ينادونَ إياكم ودعواهُ
هذا هو الكافر المرتدُّ مذهبهُ أتى بدينٍ جديدٍ ما عرفناهُ
محرَّم ما وجدنا السالفينَ على منهاجه وعن الآبا أخذناهُ
اذاً عذرتَ فتىً وافى بمعذرةٍ والحبّ أولاهُ معروفٌ وأخراهُ

(بغداد) كاظم الدجيلي

(١) في هذا اشارة الى ما لقيه فريق من دعاة الاصلاح في بغداد وذكرته الجرائد في حينه

في جنائن الغرب

﴿ الحرب ﴾

« عن الفيلسوف جوزيف دي مستر[1] »

نرى في ميدان الطبيعة الحية قوةً غريبة كأنها غضبٌ محتوم يُسلط جميع المخلوقات على بعضها بعض، حتى يظهر حكم الموت مكتوباً على حدود الحياة كلها . فاذا أغفلنا الجماد رأيناه يبتدىء بالنبات ، ويتناول أصغر عشبة تنبت الى اكبر شجرة تنمو . كم غصن ذوى وكم زهرة ذبلت . . . غير انه يتجلى هذا الحكم في الحيوان في أفظع حقائقه كأنَّ هناك دافعاً خفياً ظهرت نتيجته مشيرة الى اصل الحياة بوسائط قاسية . ففي كل طائفة من طوائف الحيوان عددٌ يفترس قويّها ضعيفها . فهي بين حشرات تقتنص ، وزحّافات تبتلع ، وطيور جارحة ، وذوات أربع كاسرة ، بحيث لا تمرّ برهةٌ الاّ قتَل حيوانٌ حيواناً

---

(١) هو الكونت جوزيف دي مستر (١٧٥٤ — ١٨٢١) ولد في شانبيري من أعمال فرنسا ، وأرسله ملك سردينيه الى بطرسبرج سفيراً مفوّضاً ، فأقام في عاصمة روسيا سنين عديدة ورجع الى بلاده سنة ١٨١٧ . وهو فيلسوف عميق الفكر غريب الابحاث ، صنف مؤلفات كثيرة منها كتاب «البابا» و«نظرات في فرنسا» . ولكن أهم مؤلفاته كتاب «ليالي بطرسبرج» الذي ترجمنا عنه هذه المقالة . وقد تناول فيه البحث عن تصرّف العناية الالهية وملكها الزمني في هذا الكون . وفي سائر مصنفاته ترى الفيلسوف متحزباً لحكومة الفرد ، مدافعاً عن الدين المسيحي اشد دفاع ، قاذفاً ومشهراً بكتاب القرن الثامن عشر كفولتير وروسو وسواهم . وهو جزل الكلام فصيح العبارة ، صارم الحكم والانتقاد ، لم تدخل مؤلفاته فرنسا الابعد وفاته . وقد ظنه القراء رجلا جباراً صلد القلب والعواطف ، حتى اذا نشرت رسائله العائلية والسياسية سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٥٨ ، رأى الناس فيه سياسياً محنكاً وأباً حازماً رقيق العواطف سهل الخلق لين الجانب . غير ان تحزبه الى حكومة الفرد المطلق بغضه الى الشعب وأصحاب المبادىء الديموقراطية لانهم لم يفهموه

فالحيوان أرقى من النبات ، والانسان أرقى الحيوان . وهو لا يغفل واحدة منها . لأنه يقتل ليأكل ، ويقتل ليلبس ، ويقتل ليتزيّن ، ويقتل مهاجماً ، ويقتل مدافعاً ، ويقتل متعلماً ، ويقتل لاعباً ، ويقتل قاتلاً . . . ملكٌ عظيم غاشم لا شيء يسدّ عوزه ، ولا شيء يقف امامه . تراه قد أحصى مقدار الزيت الذي يستخرج من رأس الحوت ، ثم تراه قد شكّ بابرته هذه الفراشة الجميلة الذي اقتنصها باصبعه وهي طائرة ، يحنّط التمساح ويسجن الطير ، ويخزن الحية ذات الاجراس في ماء يحفظها لأعين المتفرّجين ، واذا ركب جواده ليصيد النمر كان سرج جواده من جلد ذلك النمر ؛ يأخذ امعاء الخرفان ليشدّها أوتاراً على قيثارة طربه ؛ وينتزع أضالع الحوت فيصنع منها مشداً لخصر الفتاة العذراء . ويستعمل عظام الذئب آلاتٍ تتقاضاها صناعاته ، ويجعل نيوب الفيل ألعوبةً لولده الصغير . ان مكاتبه لحافلة باشلاء قتلاه . غير ان الفيلسوف الذي يتتبع هذه الحوادث لا بد له من التطلع الى حيث تنتهي في هذا الكون العظيم . اذ لم يبقَ فوق الحيوان الاّ الانسان وليس غير الانسان من ينفّذ هذا الناموس عليهِ . نعم ان الانسان موكّل بقتل الانسان ، ولكن كيف يتم ذلك وهو مخلوق ملؤه الحب والشفقة ، يبكي مصائب قريبه كما يبكي مصائبه ، ويخترع خرافاتٍ لنفسهِ لكي يبكي . . . كيف يتم ذلك وقد قيل له « انهُ يُسأل عن آخر قطرة من الدم المهروق ظلماً »

الحرب كافلة تنفيذ هذا الحكم الرهيب . ألا تسمعون الأرض تهدر ظامئةً طالبةً شرب الدماء ؟ . . . لا تشفي أوارها دماء الحيوان ولا دماء

المجرمين الذين ماتوا بسيف الاحكام . ولو ان عدل البشر قضى على الكل لما بقي مجالٌ للحرب ولكنها لا تطول الاَّ عدداً نزراً لانّها تهمله في اكثر الأحايين وهي لا تدري ان انسانيتها الفظيعة تدعو الى لزومية الحرب . الأرض لا تصرخ عبثاً . هذه الحرب قد اتقدت نارها وتطاير شرارها فاذا بالانسان قد تناوله غضبٌ الهي بعيدٌ عن الحقد والغضب البشري فمشى الى ساحة القتال لا يدري ماذا يفعل ولا ماذا يريد . وهنا اللغزُ المعقَّد . اذ ان الذي يفعله الآن مباين لطبيعته ولكنهُ يفعله مستلذاً مطيعاً . ألا ترون ان الانسان في ساحة الوغى لا يعصى لكبيره أمراً . هل حدَّثنا التاريخ ان جنوداً شقوا على قائدهم عصا الطاعة ولو كان ذلك القائد من اكبر شرَّاب الدماء والقوم الظالمين

لا شيء يقف في سبيل تلك القوة التي تدفع الانسان الى الحرب فيصبح قاتلاً وهو بريء لأنهُ آلة تسيّرُها يدٌ رهيبة فيقع في المهواة التي احتفرها لنفسه قاتلاً مقتولاً وهو لا يشكُّ انه هو الذي صنع الموت . .

وهكذا تنفذ تلك الشريعة الهائلة في الحشرات وفي الانسان وتبقى الأرض هيكلاً عظيماً لا تفتر اراقة الدماء على مذبحهِ بلا رحمة ولا شفقة منذ البدء الى انقضاء العالم وموت الموت . . .

خليل شيبوب

المغفرة دليلُ عدم الاهتمام والاكتراث . اذا وُجد الحب الحقيقي يجب ان لا توجد المغفرة　　كارمن سيلفا

عيد الميلاد

« للكاتب الاميركي الشهير وشنطون ارفنغ »

لست أشعر بيقظة العواطف الشجية في فؤادي ، وثورة الذكرى بين جوانحي عندما نحتفلُ بالاعياد مثلما أشعر بها حينما تبدو طوالع عيد الميلاد

إخال أن في هذا العيد جاذباً علوياً يجتذب الافئدة الى هياكل الشعور والتأمل ، ويطير بالنفوس الى فراديس المسرّات حيث تحلّق في أجواء الملذات الروحية وتتمتع باستكانتها الى العقائد الدينية

أي شيء أعظم تأثيراً ووقعاً في النفوس ، وأسرع نفوذاً الى أوتار القلوب ، واستيلاء على الافكار من ترنيم تلك الانشودة الملكية المنبعثة من ارجاء الهيكل الى نفس كل خاشع أمام الله في صبيحة ذلك اليوم

الغاية من العيد كما يتوهم الكثيرون مجرد تمتيع الجثمان بلذيذ الاطعمة وجديد الثياب ونفيس الحلى . ان للعيد غاية أسمى من هذه . للعيد معنى نبيل رمى به واضعوه الى تجديد المودة وربط قلوب الشعوب باسباب المحبة وتوثيق عرى القرابة بين الأسَر ، والصداقة بين الاصحاب التي فصمتها يد المصائب وعبثت بها عواصف الحياة ، فيجتمع البنون حول موقد والديهم ، ويلتئم شمل الاصحاب حول موائد بعضهم بعض ويصطبغ الجميع بصبغة العيد

ومما جعل لعيد الميلاد مزيةً وميزةً خصوصيةً على غيره هو أن

الفصل الذي يقع فيهِ فصل شتاء ، فنحن في ما سوى ذلك من الفصول الثلاثة نستمد أغلب مسراتنا من محاسن الطبيعة — من نضارة الربيع وجمال الصيف وجلال الخريف حيث كلٌّ من اخضرار المروج وتغريد الطيور وسكينة الطبيعة تستفزُّ منا كوامن السرور ، وتفتح في قلوبنا ينابيع منهُ ، اما فصل الشتاء حيث الطبيعة ملتحفة باكفانها البيضاء ، مستسلمة الى سبات الموت الى يوم تبعث في الربيع ، حيث قد تقلصت الايام وتمددت الليالي ، واكمدَّت أنوار الغزالة ونضبت عيون السرور منا نشعر بحاجتنا الى الاجتماعات ونميل الى المعاشرة لنولّد من نفوسنا سروراً لنفوسنا ، فتصبو القلوبُ الى القلوب وتشترك العواطف مع العواطف لمباثّة الاحساسات الرقيقة وتمتزج الارواح بالارواح ويتعهدها سيّال الحب فتتمّ الالفة وتتركب عناصر السعادة المشتركة ، كما تتألف العناصر الطبيعية وتساعد حرارة نار الشتاء مع تمديد الصدور المنقبضة واضاءة الثغور ببرق الابتسام وصقل غضون الجباه بمكواة الانشراح ، ثم يستهوي الكرم الجميع فيفتح كلٌّ منزله للضيوف ، وصدره للاحباب

بين هتاف الجذلين ، وضوضاء المغتبطين ، وحفيف أرواح الحب ، أيُّ فؤادٍ لا يجب جوداً ، وأي صدرٍ لا تنفتح اريحيته ؛ أجل ليس فصل الشتاء الوقت الملائم لايقاظ العواطف السامية واضرام نار القرى في البيوت فقط ، بل لإشغال جذوة الاحسان في القلوب ايضاً

أنا وان كنت نائياً عن موطن آبائي ، غريباً في هذه الاصقاع ، لا يضمني منزل والد آوي فيهِ الى ناره . ولا تصافحني كفُّ قريب ، أو

يرحّب بي صديق فحسبي بهجة العيد التي تنفذ الى أعماق نفسي وطلعات الذين حولي السعيدة التي تُدخل فيَّ مجرى السعادة وتجعلني أشعر كأني بين أهلي وخلاّني ، لأنه حقيقةً كما يقال ان السعادة عاطفة قابلة الانعكاس كأشعة السماء ، فكل محيا يطفح ابتساماً وكل طلعةٍ تفيض حباً وابتهاجاً هي كمرآةٍ تعكس الى وجوه الآخرين أشعة السعادة وأضواء الهناء ، ومن يحوّلْ وجهه عن الاشتراك بفرح المعيدين وينزوِ كالحاً في عزلته تستولِ عليهِ السوداء فيضطرّ ان يطيب نفساً ويفرح مع المحتفلين ليتمّ مهرجان العيد

كان أسلافنا في خالي الاحقاب يحتفلون بالعيد احتفالاً شائقاً ، ويرصدون من معدات الطرب وصنوف الملاهي ما يضاعف دواعي السرور اما اليوم فقد طمست مغاني تلك الحفلات واستحالت الى ما يقاربها فهي اليوم أعظم أبهة وفخامة ، ولكنها أقلُّ مجلبة للسرور وأنقص مورداً للطرب لأن قانون الاجتماع يذهب برونقها وأصفاد العادات تغلُّ القلوب فلا تستطيع وثوباً من الفرح ، ومع ذلك فعيد الميلاد في كل زمان ومكان لا يخلو من جاذبيةٍ وبهجة وحبور

بدري فركوح

﴿ في حسناء اسمها وردة ﴾

وردة الروضِ قد تعيشُ قليلاً ثمَّ تُبلى أوراقُها بالذُّبولِ

سنّةُ الله في الطبيعةِ لكن وردةٌ أنتِ في جميع الفصولِ

شبلي ملاط

طربوشي بنتوفلي

لاحظتُ منذ أيام ان صبيَّ مزيّني يُطيل النظر في طربوشي اثناء تنظيفه . فتأكدتُ ان هذا الطربوش أصبح غير لائق لأن تتوّج بهِ هامتي فأبدلتهُ بآخر فصار لديَّ طربوشان . فلبستُ الجديد ووضعتُ القديم ناحية للانتفاع بهِ في يوم ماطر، او سفر شاق، او مظاهرة حادة

ولكن لم تمضِ أيام ثلاثة حتى تقلّص ظلُّ أملي في الطربوش القديم اذ قُدِّم لي من قاشهِ الصفيق العتيق « بنتوفلي » من أفخر ما صنع عمال الأحذية

اذاً أصبح طربوشي حذائي ! !

فوقفتُ أمامه نحو نصف ساعة وكلما مددت قدماً للبسه أحسست بانكماش في أصابعي . لأنني مع اشتراكيتي التامة لم أرضَ لأول وهلة ان تتساوى قدماي برأسي

ولبثتُ طول النهار ولا شاغل لي غير الطربوش وتحوّله الفجائي الى « بنتوفلي » . وحدّثت نفسي في أمره غيرَ مرّة فرأيت انه لا بأس في ان أنتعلَه لأنهُ ربما كانت قدماي أنفع وأشرف من رأسي ، بل ان رأسي يملّي عليَّ ما يؤذيني ويضرّ غيري . أما قدماي فبالعكس لا ضرر منهما ولا نفع لأحد

واذا كنت أظن ان قدميَّ لا تستحقان العناية فانني واهم لأن الناس على اختلاف طبقاتهم ينفقون على « جزَمهم » سواء في أثمانها او في تنظيفها

اضعاف اضعاف ما يصرفونه على طرابيشهم . بل منهم من يضع في جيبه قطعةً من الصوف وأحياناً علبة « ورنيش » ينظف بها من حين الى ولو بين آخر — اخوانه وأصدقائه — حذاءه الضيّق اللماع

ثم ان الرأس والقدم في درجة من الأهمية واحدة سواء في ما ورد عنهما في الكتب المنزلة او أقوال أساطين الحكمة والشعر والفلسفة

وكما يبدي المرء استحسانه او استقباحه لشيء ما برأسه فانه يبديهما أيضاً بقدميه . وربما كانت حركات القدمين أفعل في النفوس والعيون

وقد ذكّرتني المسألة بأمر ذي شأن خطير . فقد كنت قبلاً تمتلئ عيناي بهجةً وحبوراً بمشاهدة الحسان وقد كللنَ رؤوسهنَّ بأفخر صنوف البرانيط . أما الآن فانني أفضل النظر الى أقدامهنَّ وحركاتها وسكناتها على التطلع الى رؤوسهنَّ سواء كانت عارية او مغطاة لتأكدي ان شعور أغلبهنَّ « عيرة» . فتلك الجدائل والضفائر والحلقات المصقولة والمنحنيات المجعدة بل كل ما تراه من الشبكات والمقصات مشترًى من السوق وتختفي تحته قطع من اللبّاد يغمض الكثيرون عيونهم عند ما يلمحونها على طاولة التواليتْ

ومهما اجتهد امرؤ في تزيين قدميه والعناية بحذائه فان عمله لا يؤثر في غيره تأثير قلنسوات الشعور وشعور قضاة الانكليز (في بلادهم) بعقول السذّج وعامة الشعب

وأضفت الى هذا كله انهُ لولا الاقدام ومساعيها الخيرية لما كانت الرؤوس وفائدتها الادبية . فالعناية بالاقدام طبياً وذوقياً وأدبيا أسٌّ لحماية

الرؤوس . حتى ان الاميركيّ مهما كان فقيراً معدماً يلبس برنيطة « على قدر الحال » ويصرف آخر سنت في جيبهِ على تنظيف جزمتهِ بالورنيش والبويه والبنزين والشمع

وهكذا اخذت اتدبَّر كل هذه النظريات واقارنهــا بعضها ببعض واخيراً قررت ما يأتي :

اولاً — الأسف على انحطاط الطربوش القديم

ثانياً — ان ألبس « البنتوفلي » الجديد في « رأس » العام الجديد

ثالثاً — ان لا أفضل رأسي على قدميّ في حال من الاحوال لأن لكل منهما عملاً لا يقوم به الآخر

وغاية الأمل ان يأتي يوم نتخلص فيــهِ من شرّ الجزَم والشراريب والطرابيش والبرانيط معاً

وكل عام وانتم . . .　　　　**توفيق حبيب**

الحقد

مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون اذا لم يجد حطباً . فليس ينفكُّ الحقد متطلعاً الى العلل كما تبتغي النار الحطب . فاذا وجد علة استعرَ فلا يطفئه حسنُ كلامٍ ولا لينٌ ولا رفقٌ ولا خضوع ولا تضرعٌ ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الأنفس وذهاب الأرواح

ابن المقفع

مستقبلنا

اذا كان قد ذهب عصر الانبياء الذين كانوا يعرفون المستقبل بقوة الوحي ، فان في عصرنا رجالاً ينظرون الى مصير الانسانية بعين بصيرتهم النيرة ، فيقولون ما نحن صائرون اليه على قاعدة سنن العمران . وقد جمعنا لقراء « الزهور » في مطلع العام الجديد شيئاً من أقوال هؤلاء المفكرين ينم عن رأيهم في مستقبل المجتمع الانساني :

* اذا نظرنا الى أطوار التاريخ يظهر لنا جلياً ان تأثير الجهل والرذيلة يضعف على التمادي كلما تقدمنا في تاريخ الانسانية . فالهيئات الاجتماعية تزداد نظاماً بل فضيلة ، ومجموع الخير يكثر ومجموع الشرّ ينقص كلما ازددنا معرفةً بالحقائق العالم برتلو

* عند ما يقال ان الترقي سنةٌ من سنن التاريخ لا يقصد من ذلك ان هنالك قوة لازمة تولّد الاصلاح من مرور الأزمان . ان الانسان في كل زمانٍ ومكان قد أراد اصلاح أمره فترقّى من الاصلاح الذاتي الى فكرة الاصلاح العام . فالترقي متوقف على الإرادة وحدها . على انه اذا رسخ في الأذهان يوماً ما مبدأ فلسفي قائل بتلاشي قوة الإرادة فالمدنية حينئذٍ تتباطأ في سيرها وتتثاقل ثم تقف الكاتب جورج بيكوت

* قصيرة هي حياة بلادٍ لا يُشيَّد بناؤها على أساس التقدّم المادي الذي هو ثمرة الاقتصاد ، ونتيجة النشاط والإقدام في الأشغال ، والاجتهاد المتواصل في ميدان الحركة الصناعية . على انهُ لم تبلغ امةٌ من الأمم الى اليوم العظمةَ الحقيقية باعتمادها فقط على تقدّمها المادّي ؛ ولذلك فانه يجب الاعتراف بفضل الذين كوّنوا ترقي الأمة سواءٌ كانوا من الذين اشتغلوا بعقولهم او بأيديهم في هذا السبيل روزفلت

* هوذا قد وُلدت في هذا الجيل دولة جديدة تضطرُّ اوروبا آجلاً او عاجلاً ان تحسب لها حسابها حتى في الشؤون الأوروبية نفسها . مَن تراه يقول لنا انه لا يأتي يوم نكون فيه مجتمعين للمداولة في مسئلة من نوع المسئلة الكريتية مثلاً فيفاجئنا من أقصى البحر اميرال ياباني محتماً علينا إشراكه معنا في المداولة ؟ ؟　　غليوم الثاني

* ما العالَم الاَّ صورة من أفكار طائفة قليلة من أصحاب العقول المتفوّقة . هؤلاء أوجدوها وكبَّروها وزخرفوها في الماضي ، ومثل هؤلاء لا يفتأون يكبرونها ويزخرفونها الى أبد الآبدين　　جبرائيل دانونزيو

* لا يتعلم الانسان الحرية الاَّ من الحرية نفسها فالانسانية تكتسب قوة جديدة في كل مرة يُفكُّ قيد من قيودها . فليكن واجب الحكومة اذن نزع القيود ، وضمانة العدل بين الجميع　　جورج كليمانصو

* عيب الهيئة الاجتماعية في حالتها الحاضرة مغالاتها في مبدأ المركزية . ومهمَّة اليوم مهمة استعداد لا مهمة قتال . ان نظام الديموقراطية الحقيقية لا يتأتى عن تسلط رجلٍ او عصبة من الرجال او ملك او مجلس نيابي او زعيم او حزب ، ولكنهُ يتأتى عن تقدم طبيعي في طوائف الاجتماع بعد ان تتمتع بكامل استقلالها . فالمركزية اليوم تضغط على هذا الاستقلال وتقيد هذا الترقي فيجب نسخها بتاتاً　　بول بونكور

* اذا كان الانسان يقضي شيخوخته في التحسُّر على الماضي بعد ان أفنى شبابه في الأمل بالمستقبل ، فلا شك في ان خير أيامه ليس ذلك

اليوم الغابر الذي لا يُرَدّ ، ولا ذلك اليوم الآتي الذي لا يُعرَف ، بل هو هذا اليوم الحاضر سواء كان جوّه صافياً او متلبداً بالغيوم *جول كلارتي*

* ما سوف يكون القرن العشرون ؟ سيكون كغيره من القرون : العلوم الطبيعية والمادية ستواصل سيرها فتزيد في رفاهية المعيشة ، وعلماء السياسة والاجتماع سيظلون ينسبون الفضل في ذلك الى أنفسهم سواء ساعدوا هذا الترقي على غير علم منهم او عرقلوا سيره ، ومخيلة البشر ستظل تخلق لهم اسباباً للشقاء والتعاسة ، وأهواؤهم ستجلب دائماً البلايا والرزايا وعواطفهم الشريفة تحاول مداواة تلك المصائب . والعدل سيظلّ في عمل واحد وهو تغيير مراكز المدعوين الى تلك المائدة حيث يأكل الكبارُ الصغار ، وأصحاب القلوب الطيبة سيظلون يعتقدون ان تلك الحالة يجب ان تكون على غير ما هي *ملكيور دي فوكيه*

فؤادي والذكرى

أيها القلب الشجي ! يا لها طرفة من الأغاني قد أثارت كامن وجدك فما هو الاّ سجع البلابل ونوح الحمائم هاجا ذكرى لوعتك

أيها القلب الشجي ! ما هو الاّ مغرب الشمس ومطلع البدر ، بل ما هي الاّ الزهرة الساطعة تذكرك ماضياً زاهراً ، بل كوكباً تألق في صفحة حياتك ، ثم توارى بحُجُب المغرب تحدوه نظراتُ الأسى القاتل

أيها القلب الشجي ! ما هي الاّ زهرة جافة في كتابٍ حرّكتْ

ساكن ذكراك ، وجعلتك تتنزى تنزي الأطيار وقد رابها شبح الصياد

أيها القلب الشجي : ما هي الاَّ دمعة الألم تعقبها ابتسامة الأمل ، وما هي الاَّ ذكرى الماضي يشوبها رجاء ضعيف في المستقبل ، بل ما هو الاَّ الحال وكأنه فردوس من حلو الأماني وسط سياج من مرّ الواقع ، بل ما هو الاَّ اليأس المميت قد كاد يرديك . فاخفق ايها القلب واضرب ضربات الحياة ، ولكن حياة الإباء حياة الأمل ، او فاسكن سكون الموت سكون العدم سكون الفناء ، بل اسكن الرمس وعليك في الحالتين سلام

***

أيتها الذكرى : أنتِ يا بنت الألم ، وشقيقة الأمل . تسكنين مسارح الخيال ، وتمشقين حفيف الاشجار ، وتغريد الاطيار ؛ تخللين النغمات وتلازمين النفحات ؛ يحتويك خرير الماء ويحملك نسيم الخلاء ، فكأنكِ الشعر في صوَره وجمال الطبيعة في أبهى مظاهرهِ

أمرجعةٌ أنتِ عهداً سجلّتهُ أيدي الوفاء ، ومحتهُ اكفُّ الجفاء ؟ عهداً تذكره الاطيار في أوكارها والكواكب في بروجها ؟ تحدث به الظباء في مسارحها والآساد في آجامها ؟ عهداً اشهد عليهِ الغدير والماء السلسبيل ، والأطيار والأقمار ، والمغرب والمشرق ، والشمال والجنوب ، والزهور والرياحين ، ونهر المجرة وتباشير الصباح ؟

كلا أيتها الذكرى فما أنتِ بمرجعة الماضي ، ولا مكررة صوَر الحياة

أقصرْ فؤادي فما الذكرى بنافعةٍ　　ولا بمرجعةٍ بعضَ الذي كانا

(شبين الكوم)　　امين حمدى

رواية

يوليوس قيصر

لشكسبير

تعريب

سامي افندي الجريديني

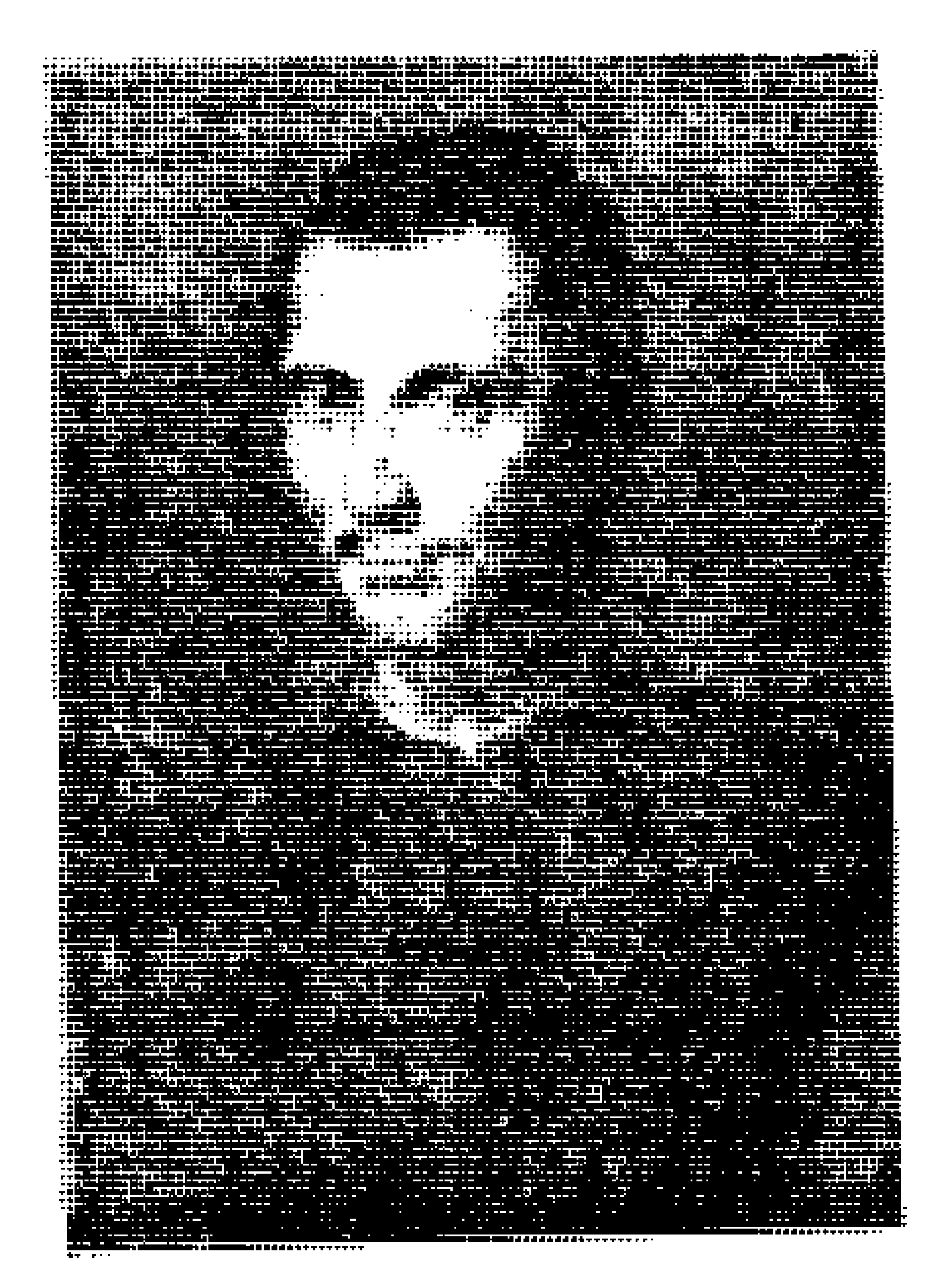
أضفنا الى هذا الجزء من « الزهور » ١٦ صفحة زيادة عن الصفحات المقررة لكل جزء ، حتى نتمكن من الاتيان على تتمة « رواية يوليوس قيصر » ؛ وذلك اجابةً الى رغبة جمهور كبيرٍ من قرَّائنا — ولا سيما طلبة البكالوريا منهم — لأن الترجمة التي نشرتها « الزهور » جاءت اكبر معوانٍ لهم على تفهُّم الاصل الانكليزي المقرَّر لامتحان هذا العام ، فلم نشأ ان نؤخرها عنهم ، وقصدنا الاول خدمة ناشئتنا الراقية المتعلمة

وقد لاقت هذه الرواية رضى القرَّاء التام ؛ ولا عجب فهي من تأليف نابغة واضعي الروايات التمثيلية . أما ترجمتها العربية فهي من خير ما أخرجتهُ الاقلام من حيث الانطباق التام على الأصل مع متانة في التركيب ، وانسجام في الاسلوب ؛ و بلاغة في التعبير . ولقد جاء الثناء العام على هذه الترجمة وتقدير الادباء لها خير تقريظ لحضرة الكاتب المجيد سامي افندي الجريديني المحامي

و بهذه المناسبة نعلن اننا قد جمعنا هذه الرواية على حدة وهي تطلب من ادارة « الزهور » أو من مترجمها الفاضل في مصر وثمن النسخة خمسة غروش صاغ

في ادارة « الزهور » مجموعات من السنتين الاولى والثانية وثمن المجموعة مجلدة ٤٥ قرشاً صاغاً

ثمرات المطابع



نيقولا ماكياڤيلي — مؤلف كتاب الأمير

* كتاب الأمير[1] — اذا ذُكر اسم نيقولا ماكياڤيلي في حلقةٍ من الادباء تبادر الى الأذهان معهُ ذكر « كتاب الأمير » . لقد ترادف هذان الاسمان حتى بات كلٌّ منهما عَلَماً لصاحبه ، وحتى ما تسأل أديباً

(١) طبع في مطبعة المعارف بمصر ويطلب من مكتبتها وثمنه ستة غروش مصرية

عن أحدهما الأَ ذكرَ الاثنين معاً كما عَلقا بذهنه لأول مرةٍ سمعهما وهو لا يزال فتىً على مقعد التلمذة . وليس أدلّ على شهرة المؤلف من اشتقاق الكتّاب من اسمهِ لفظة « ماكياڤيلزم » او السياسة الميخائيلية



محمد لطفي جمعه — معرّب كتاب الأمير

— كما اصطلح عليها كتّاب العربية — ولا أدلّ على قيمة مؤلَّفهِ من قولنا ان هذا المؤلَّف نفسهُ هو سبب ذلك الاشتقاق . فقول الفرنج « ماكياڤيلزم » أو قولنا السياسة الميخائيلية لا يُقصد بهِ سوى التعبير

عن سياسة « الأثرة والغدر » ، او سياسة « الغاية تبرّر الواسطة »

ما زالت اللغة العربية خلواً من « كتاب الأمير » حتى اكتشف خبره صديقنا الكاتب الفاضل محمد لطفي افندي جمعه المحامي ، وأتاحت له محاسن الاتفاق أن يهتدي الى الآنسة مريم البرتيني فأخذ عنها قواعد اللغة الايطالية وأصولها ، وعنيَ حينئذٍ بنقل ذلك الكتاب الى العربية نقلاً جمع بين الأمانة للأصل ، والسهولة في التعبير

« كتاب الأمير » مستهلٌ — بعد البسملة — بترجمة حياة مؤلفه نيقولا ماكياڤيلي ، ويليها بحث أدبيٌ في تآليفهِ ثمَّ يتلو ذلك حديث طويل ولكنهُ مفيد جداً عن تاريخ المعرّب منذ أوّل عهده بهذا الكتاب حتى صباح الثلثاء في ٢٧ يونيو سنة ١٩١١ تاريخ الفراغ من تعريبه ، ويعقب ذلك فصلٌ عنوانهُ « الليلة الأخيرة » وفيهِ قصة خيالية عن حياة ماكياڤيلي وموتهِ ، ثم يجيءُ حينئذٍ « كتاب الأمير » الحقيقي . وقد استغرقت المقدّمات المذكورة خمسين صفحة كاملة ، ووقع سائر الكتاب في مئة وخمسين أخرى

أما المباحث التي احتواها فنصائح اهداها ماكياڤيلي الى أمير فيرنزه وجملها قواعد لا بدَّ منها للحكم ، واصولاً زعم انها مرقاة الى « نيل الحاكم أرفع مقام وأسمى مكانة » . غير انَّ علماء الاجتماع ، وكبار الفلاسفة والكتَّاب لم يعتبروها كذلك قط ففنَّدها بعضهم ، وانتقدها آخرون انتقاداً مرّاً ، وحملوا على صاحبها حملات شديدة . وكيف كان الأمر « فكتاب الامير » خلَّد اسم ماكياڤيلي وأبقاه قدوةً لمن اقتدى ،

أو عبرةً وذكرى لمن اعتبر وذكر

ولقد طبعت مطبعة المعارف الشهيرة هذا الكتاب على نفقتها طبعاً جميلاً متقناً والتزمت نشره وتعميمهُ عملاً بخطتها في نشر الكتب العلمية والادبية فاستحقَّ صاحبها الفاضل جميل الثناء . فنلفت الانظار الى «كتاب الأمير» متمنين له الرواج الذي يستحقهُ

* العلاج الجراحي[١] — ... وهذا ايضاً للدكتور محمد عبدالحميد . .

* التشريح الجراحي[٢] — ... وهذا ايضاً للدكتور محمد عبدالحميد . .

وكم لهذا الطبيب العلاَّمة قبل هذين المؤلفين من الأسفار النفيسة ، التي تؤلف وحدها مكتبة عربية في العلوم الطبيــة . ولقد سبق لهذه المجلة تقريظ هذه الآثار الجليلة كل أثرٍ في حين صدوره ، كما سبق لهـا ايضاً نشر صورة صاحبها المفضال تكريماً له واعترافاً بجميله على العلم واللغة . أما الكتابان اللذان بين ايدينا الآن فان اسميهما يصفانهما خير وصف وهما مترجمان عن أشهر اساتذة الانكليز في علم الجراحة الحديث . وقد ميّزهما الدكتور عبد الحميد عن كتبه الاولى بما بذله لهما من العناية المعنوية والمادية ولا سيما هذه حيث زانهمـا بالصوَر الكثيرة الملوَّنة . وصدَّر أحدهما — التشريح الجراحي — ببيتين من الشعر هما :

أرى نفسي تتوق الى امورٍ　　يقصر دون مبلغهنَّ حالي
فنفسي لا تطاوعني ببخلٍ　　ومالي لا يبلّغني فعــالي

ومن عرف قلة اقبال قراء العربيــة لسوء الحظ على الكتب العلمية

---

(١) و (٢) طبعا في مطبعة المعارف وثمن الكتاب عشرة قروش صاغ

يفهم ما في تضاعيف هذين السطرين من المعاني . على ان همة عالمنا النطاسي لم تعرف الكلال والفتور فهو لا يزال عاملاً مجدًّا ودائباً — برغم ما في التأليف في هذا الباب من المصاعب والعقبات — على تعميم علم الطب في اللغة العربية . فهو يقوم وحده ، وعلى نفقته الخاصة ، بعمل يحتاج الى جمعية علمية تقوم بنفقاتها خزانة حكومة عامرة . فاذا وجّهنا نظر نظارة المعارف المصرية الى أعمال الدكتور عبد الحميد فانما نوجّه نظرها الى عمل جدير بعنايتها ، واذا هي فعلت — وهي فاعلة ان شاء الله — فانما تكون قد أضافت حلقة جديدة الى سلسلة آثارها المجيدة في سبيل التعليم باللغة العربية

تقويم البشير[1] — جاءنا هذا التقويم لسنة ١٩١٣ وهي السنة السادسة والثلاثون لظهوره . وهو أتم تقويم معروف باللغة العربية يتضمن حساب السنة الغربية والشرقية والهجرية والقبطية والاسرائيلية والمالية مع مقابلة الواحدة بالثانية ، والحسابين الشمسي والقمري ، والاعياد الدينية والمدنية وكل ما يتعلق بالطوائف الشرقية ورؤسائها ، واسماء قناصل الدول في الشرق ، واسماء موظفي حكومة لبنان وولايات سوريا ، ونص القانون الأساسي في تركيا والنظام الاساسي لجبل لبنان ، والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية مع كل ما يتعلق بالولايات ومدنها وسكانها . وهناك جداول عن النقود والموازين والمكاييل في جميع البلاد وفوائد شتى في التاريخ والجغرافية وسائر العلوم . فنشكر لحضرة العالم الفاضل الاب لويس معلوف عنايته بهذا التقويم الذي اصبح بفضل ما يدخله عليه من التحسين

---

(١) طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

المتواصل اشبه شيء بدائرة معارف خفيفة الحمل حافلة بالفوائد والمُلَح

* الأمازون — « جريدة جامعة حرّة » انشأها حضرة الكاتب الفاضل فارس افندي دبغي من ادباء الجالية السورية في « سان باولو » من أعمال البرازيل في امريكا . وقد أهدى الينا الاجزاء التي صدرت منها الى اليوم فطالعنا فيها المقالات الأدبية والسياسية التي تنمُّ عن مقدرة منشئها وعلمه

* جراب الحاوي — تصدر هذه الجريدة في بونس ايرس ، مديرها يوسف افندي ملحم شعيا ومحرّرها سمعان افندي منصور الحاماتي ، وهي فكاهية أدبية ، تبرز الحقائق بقالبٍ هزلي لتقربها من افهام العامة

فنتمنى لهاتين الجريدتين كل نجاح وتقدُّم ، كما اننا نثني على صحافتنا العربية في اميريكا قاطبةً لما تبذله من العناية في حفظ رابطة اللغة والوطنية

* جمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا — أهدت الينا هذه الجمعية الراقية كتيّباً جمعت فيه خلاصة أعمالها لسنتها الخامسة فتبينّا فيه آثاراً شريفة ، ومآثر غراء لا يكبرها أحد على مؤسسيها الأفاضل ، وأعضائها الكرام . فنتمنى لها ما تمناه لها من قبلنا حضرة العالم المحترم الدكتور شميل اذ قال فيها عفا الله عنه : « عسى ان تكون هذه الجمعية قدوة لانشاء جمعيات كثيرة من أمثالها »

أزهار وأشواك

سنة ١٩١٣

معايدتي السنوية اقدمها لقراء « الزهور » سائلاً ان يكون عامهم الجديد حافلاً بالخير ، تزينه « أزهار » اليمن خالية من « الاشواك »

قيل — ولا أدري من قال ولا لماذا قال ولا في أي عهد قال — ان رقم ١٣ اسوأ الأرقام وأشأمها . وللناس في هذا المعنى « تخرُّصٌ وأحاديث ملفقة » وخرافات منمقة . تحضرني منها الساعة الحكاية الآتية:

زعموا ان منجّماً وقف بحضرة فردريك ملك بروسيا ، ففاجأه الملك بقوله : تنبأ لي عن الزمن الذي أُتوَّج فيه امبراطوراً . . . فقال المنجم : نحن اليوم في سنة ١٨٤٩ ، فاذا ضممنا هذه الارقام بعضها الى بعض وأضفنا مجموعها الى السنة التي نحن فيها وجدنا ذلك التاريخ (٩ + ٤ + ٨ + ١ = ٢٢ + ١٨٤٩ = ١٨٧١) وسنة ١٨٧١ هي في الواقع سنة تتويج فردريك امبراطوراً على المانيا

قال الملك : ومتى أموت ؟ فقال المنجم : أعد العملية نفسها بأرقام سنة تتويجك (١ + ٧ + ٨ + ١ = ١٧ + ١٨٧١ = ١٨٨٨) وهي سنة وفاة الامبراطور الالماني الكبير . ثم سأله ثالثة : ومتى تنحلُّ تلك الامبراطورية ؟ فقال المنجم : دونك والعملية ايضاً بأرقام سنة وفاتك :

(٨ + ٨ + ٨ + ١ = ٢٥ + ١٨٨٨ = ١٩١٣)

هذه حكاية المنجم والامبراطور . ولذلك ترى الشعب الالماني

يقابل سنة ١٩١٣ ببعض القلق والتشاؤم

جوابٌ على سؤال

نشرتُ في الجزء الماضي بيتين ، وسألتُ القرّاء اسم ناظمهما ، وأنا اليوم ناشرٌ أحسن جوابٍ جاءني من صاحب التوقيع ، وها هو بحرفه :

قرأتُ سؤال (البستاني) الذي أورده عليك أيها (الحاصد) في نسبة ما رواه الكريم الشيخ أحمد آل ابراهيم . وذلك قول القائل :

لقي نبلنا مردَ العوارض فانثنوا … لأوجههم منها لحىً وشواربُ
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم … عيوناً لها وقع السهام حواجبُ

أما الجواب ، فالبيتان لعبد العزيز بن نباتة السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ للهجرة وهو من شعراء سيف الدولة ، وعليهِ تخرَّج الشريف الرضي شاعر قريش المشهور . وقد وقع في البيتين تقديم وتأخير لأنهما من قصيدة يأتي فيها سياق البيت الأول بعد الثاني بأبيات غير قليلة ، وفوق ذلك فان رواية البستاني على غير وجهها

قال ابن نُباتة في مطلع القصيدة وهي من قلائده :

رضينا وما ترضى السيوفُ القواضبُ … نجاذبها عن هامكم وتجاذبُ
فإياكمُ ان تكشفوا عن رؤوسكم … ألا إن مغناطيسهنَّ الذوائبُ

الى ان يقول بعد ابيات :

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم … عيوناً لها وقع (السيوف) حواجبُ
أؤمل مأمولاً بغير صدورها … فوا خجلتا اني الى المجد تائبُ
أبَوا أن يطيعوا السمهريّة عزّةً … فصُبَّت عليهم كاللجين القواضبُ
وعادت الينا عسجداً من دمائهم … ألا هكذا فليكسب المجدَ كاسبُ

ثم يقول منها :

بيوم المُظالى والسيوفُ صواعقٌ … تجزُّ عليهم والقسيُّ حواصب [1]

(١) يوم المظالى احد ايام العرب المشهورة ، وقد تسمى بذلك لتعاظل الناس فيه ، أي تراكبهم ، فقد قيل ان الاثنين والثلاثة كانوا يركبون دابة واحدة لازدحامهم

(لقوا نَبلها) مُرْدَ العوارض وانثنوا　　لاوجههم منهـا لحىً وشواربُ

وبعد يا حاصد الزهور فأما وقد ضمنت جائزة آل ابرهيم عن طريق الهند فاعلم ان الضامن غارم والسلام　　مصطفى صادق الرافعي

اما كون هذا الجواب الشافي قد ورد من الرافعي فلا عجب وهو الأديب المشهور صاحب الكتاب النفيس في تاريخ آداب العرب . واما الجائزة فقد استحقت له عليّ وها أنا ساعٍ للحصول عليها

عتاب

نشرت « الزهور » (ص ٧٦) من هذه السنة أبياتاً جميلة لشاعر الفيحاء السيد عبدالحميد بك الرافعي، عنوانها «الى شاعر الامير» وقد وجه فيها الكلام الى شاعر الأمير احمد شوقي بك ، وسأله مطارحة الشعر على صفحات هذه المجلة ملتقى أقلام ادباء القطرين . فمرّت بضعة أشهر دون ان تمكّن الفرصة شاعرَ النيل من الجواب ، فعتب الشاعر الطرابلسي — ويحقّ له ان يعتب — ورأيتُ بعض آثار عتبه على ورقةٍ في ادارة « الزهور » فقرأتُ فيها :

يقولون أغضى عن جوابك (أحمدٌ)　　ومرّ زمانٌ للعتــاب مجيزُ

فقلتُ عجلتم بالملامةِ ويحكم　　ألم تعلموا ان النفيسَ عزيزُ

ولم يبقَ في الدنيـا محالٌ محقّقٌ　　اذا قلتمُ بخلُ الجوادِ يجوزُ

فأحببتُ نشرَ هذه الأبيات لأن في نفسي — ونفس القراء أيضاً — عطشاً الى عذوبة شيء من الشوقيات　　ماصر

مواليد شهر يناير (ك ٢)

يزعم الكثيرون ان لليوم والشهر الذين يولد فيهما الانسان تأثيراً في اخلاقه وحياته . وها نحن ناشرون على سبيل الفكاهة شيئاً من ذلك مبتدئين بالشهر الاول من السنة

فالذين يولدون في :

١ منه أصحاب نشاط وجدّ ينالون الرتب العالية
٢ » أغنياء وذوو نشاط
٣ » أقوياء الارادة متصلّبو الرأي
٤ » ذوو مزاج عصبي سريعو الغضب
٥ » متطفّلون يدعون معرفة كل شيء
٦ » سريعو الخاطر متوقدو الذهن يصلحون لكل عمل
٧ » طلقو اللسان فصيحو اللهجة ذوو عذوبة في الحديث
٨ » ضعفاء القلوب
٩ » سريعو الانقياد يصدقون كلما يسمعون
١٠ » ميّالون الى العلوم محبون للآداب
١١ » يثرون ولكن بالعناء الجم وشقّ النفس
١٢ » تعساء في شهواتهم وأمانيّهم وأهوائهم
١٣ » ميالون الى التجارة يحبون الاثراء
١٤ » ثابتو المبدأ دقيقو المعاملة .
١٥ » ذوو حظوظ وتوفيق مستمرّ
١٦ » سعداء بالحب
١٧ » يميلون الى الاشتغال بالزراعة
١٨ » يحبون الحركة . أسفارهم خطرة
١٩ » يحبون الخلوة والانفراد

٢٠ منه　قليلو الثقة بالنجاح

٢١ «　ضعيفو الارادة ، عديمو الثبات

٢٢ «　ذوو عقول نقّادة يدققون في كل شيء

٢٣ «　كبراء النفوس

٢٤ «　يرتقون مناصب الحكومة العالية

٢٥ «　ظريفو الحديث ، كثيرو الكلام

٢٦ «　ميالون الى الاشغال اليدوية

٢٧ «　يحبون الحروب ويقتحمون أخطارها

٢٨ «　متعجرفون يحبون الحرية

٢٩ «　ذوو سموّ في الافكار واصالة في الرأي

٣٠ «　أقوياء القلوب

٣١ «　شديدو الحرص يضيعون الفرص لشدة حرصهم

ع . ا

﴿ فكاهة ﴾

« الى مدارس البنات »

الشاب — اني أحب أن أتزوج بابنتك ولكن هل يمكنكِ أن تخبريني عن معارفها ؟

الوالدة — قد حازت شهادات الامتيازات في الفوسيولوجيا والبكتريولوجيا والجيولوجيا والبداغوجيا وال . . .

الشاب — كفى كفى يا سيدتي . انها لا توافقني . لاني اريد فتاة تعرف الطبخولوجيا والكنسولوجيا وكافة أشغال البيوتولوجيا

وبما تعرفونه انتم جميعاً . اني أريكم جراح قيصر وهي تقوم مقامي فتخطب فيكم . أما لو كنت بروتوس وكان بروتوس انطونيوس ، اذن لرأيتم أمامكم رجلاً يُغلي الدم في عروقكم ويضع لساناً في كل جرح من جراح قيصر وينفخ في حجارة رومه روحاً تحرّضها على الثورة

الجميع — نثور . سنثور عليهم

العامي الأول — سنحرق بيت بروتوس

العامي الثالث — تعالوا . تعالوا نفتش عن القتلة

انطونيوس — سمعكم . سمعكم . دعوني أقل كلمة بعد أيها الاخوان

الجميع — اسكتوا . اصغوا لانطونيوس . انطونيوس الشريف الشريف

انطونيوس — ايها الاصدقاء . انكم تفعلون ما لا تعلمون . أتعرفون لِمَ تحبون قيصر هذا الحبّ . قد نسيتم . ها أنا مذكركم : نسيتم الوصية التي ذكرتها لكم

الجميع — صحيح . حق . الوصية . امكثوا نسمع الوصية

انطونيوس — هاكم الوصية مختومة بخاتم قيصر . انهُ أوصى لكل روماني : — لكل واحد منكم بخمسة وسبعين درهماً

العامي الثاني — يا لقيصر كليّ الشرف . سنثأر لقتله

العامي الثالث — يا لقيصر ذي الملك

انطونيوس — صبراً صبراً

الجميع — اسكتوا يا قوم

انطونيوس — وقد أوصى لكم بجميع حدائقه وجنائنه القائمة على هذا الجانب من نهر التيبير . كلها لكم . متعة لكم ولاولادكم من بعدكم تتنزهون وترتاضون بها ما شئتم ... ذلكم قيصر . فمتى تجدون له نظيراً ؟

الجميع — لا نظير له . لا نظير له . هلموا بنا . هلموا نحرق جثته في بيت الآلهة

ونشعل منها مشاعل نضرم بيوت القتلة من نارها . احملوا الجثة

العامي الثاني — هاتوا ناراً

العامي الثالث — حطّموا المقاعد

العامي الرابع — كسّروا النوافذ . كسروا الأخشاب . كسروا كل شيء .

(يخرج الشعب حاملين جثة قيصر)

انطونيوس — فلتعمل الفتنة الآن عملها . وأنت أيها الشرُّ هانذا قد أوقفتك على قدميك فاختر لنفسك سبيلاً . (يدخل خادم) ماذا جرى يا غلام ؟

الخـادم — حضر اوكتافيوس لرومه يا مولاي

انطونيوس — أين هو ؟

الخـادم — في بيت قيصر ومعه ليبدوس

انطونيوس — سأوافيه الى هناك في الحال . لقد جاء في الميعاد المرغوب . ان الحظ لباسم فلنغنم الساعة ونتمنى عليه المنى

الخـادم — سمعتُ اوكتافيوس يقول ان بروتوس وكاسيوس فرّا من رومه مذعورين كمن أصيب بمسٍّ من الجنون

أنطونيوس — ربما لحظا ما فعلتهُ بالشعب وكيف هيجتهُ عليهما . سرْ بي الى اوكتافيوس　(يخرجان)

« المشهد الثالث »

شارع . يدخل سِنّا الشاعر

سنا — (لنفسه) لا يحلو لي الخروج جائلاً في الأسواق . ولكنّ دافعاً يدفعني اليه . تخيلاتُ الشؤم تجول في خاطري فقد حلمتُ الليلةَ اني تعشيتُ مع قيصر

(يدخل الشعب)

العامي الاول — ما اسمُك ؟

العامي الثاني — الى أين تقصد ؟

العامي الثالث — وأين تسكن ؟

العامي الرابع — أمتزوّجٌ أنتَ أم عزَب ؟

العامي الثاني — أجِب كلاً منا بصراحة

العامي الاول — و بالاختصار

العامي الرابع — وبحكمة

العامي الثالث — نعم وبالصدق . ذلك خيرٌ لك وأبقى

سِنا — ما اسمي ؟ الى أين أقصد ؟ أين أسكن ؟ أعزبٌ أنا أم ذو أهل ؟ . . وعليّ ان أجيبكم بصراحة و باختصار وبحكمة و بصدق . فلنبدأ بالحكمة . اني بحكمةٍ غير متزوّج

العامي الثاني — (مغضباً) أتعني ان المتزوجين حمقى ؟ ستنالُ جزاءك مني على هذه[1] . انتهِ . قلْ بصراحة

سنا — بصراحة ؟ اني ذاهب في جنازة قيصر

العامي الاول — أعدوٌّ أنتَ أم صديق ؟

سنا — صديق

العامي الثاني — لقد أجبتَ بصراحة

العامي الرابع — منزلك ؟ بالاختصار

سنا — بالاختصار ؟ قرب الكابيتول

العامي الثالث — اسمك ؟ بالصدق

سنا — بالصدق ؟ اسمي سنا

(١) كان العامي الثاني متزوجاً فأغضبه قول سنا انه غير متزوج بحكمة

العامي الاول — مزّقوه ارباً اربا . انهُ أحد المتآمرين

سنا — أنا سنا الشاعر . أنا سنا الشاعر

العامي الرابع — مزّقوه ارباً لرداءة شِعره . مزّقوه لرداءة شِعرهِ

سنا — لستُ سنا المتآمر

العامي الرابع — سيَّان . ان اسمه سنا . انزعوا اسمه من قلبهِ ودعوه يذهب

العامي الثالث — مزّقوه . مزّقوه . تعالوا . هاتوا المشاعل . هلموا الى بيت بروتوس . الى بيت كاسيوس . احرقوا

الجميع — بعضكم الى بيت ديسيوس وبعضكم الى بيت كاسكا والبعض الى بيت ليجاريوس . تعالوا . هلموا بنا . تعالوا . . . (يخرج الجميع)

الفصل الرابع

« المشهد الأول »

بيت في رومه . انطونيوس واوكتافيوس وليبدوس جلوس الى مائدة

انطونيوس — اذن كلُّ هؤلاء سيموتون . ان اسماءهم لحصاة

اوكتافيوس — وأخوك أيضاً سيموت . أتوافق على ذلك يا لبيدوس

لبيدوس — أوافق

اوكتافيوس — فاحصهِ معهم يا انطونيوس

لبيدوس — (مخاطباً انطونيوس) بشرط ان لا تُبقي على ابن اختك بوبليوس

انطونيوس — انهُ لن يعيش . وها قد علمت اسمه . فاذهب الآن يا لبيدوس الى بيت قيصر وائتنا بوصيته لنقرّ على ما سنبدّل فيها ونغيّر

لبيدوس — أتلبثون هنا ريثما أعود ؟

اوكتافيوس — هنا أو في الكابيتول . (يخرج ليدوس)

انطونيوس — ما أجدر هذا الرجل بأن يقوم لدينا مقام ساعٍ يروح ويجيءُ لأغراضنا . انهُ تافه لا كفاءة له ولا استحقاق . أيخلق بنا ان نقاسمه هذا العالم مثالثةً فينال حصةً كحصة كلٍّ منا ؟

اوكتافيوس — هذا ما ارتأيته أنت . وقد استشرته في اصدار احكامنا السوداء بالموت

انطونيوس — اني بلوت الدهر اكثر منك يا اوكتافيوس . فان نحن أغدقنا التكريم على هذا الرجل فما ذاك الاّ لنخفف أعباء الحمل عنا وتتخذه حماراً لنا يحمل النضار الى حيث ندفعه أو نقوده فاذا ما حطّ الرحال نزعنا عنه حمله الثمين وتركنا له حصته تعباً وكدًّا تحت النير ثم اطلاقاً الى مراعٍ زريئة يأكل مرقصاً اذنيه من الطرب

اوكتافيوس — قد يتمُّ لك ما تريد . ولكنهُ جنديٌّ مجرّب باسل

انطونيوس — نعم وهكذا حصاني . ولذا تراني أكيلُ له العلف كيلاً وأعلمه الكرَّ والفرَّ والهجوم والوقوف فأُخضع قوته البدنية لارادتي . وكذا شأن ليدوس معنا . انهُ فارغ العقل يقتات على الحثالة والنفاية والتقليد فيبدأ حيث انتهى الآخرون فهو جدير بأن نعلّمهُ وندرّبهُ ونسدد خطواتهِ . اذا ذكرتهُ فاذكره كسلعةٍ تأخذ شيئه وتحفظ شيئنا . اسمع الآن لمهامٍ عظمى أنقلها اليك : ان بروتوس وكاسيوس يجمعان جموعهما الآن فعلينا أن نسرع ونشدّد محالفتنا ونتقي اصدقاءنا ونجهد قواتنا ونتشاور في خير السبل لملاقاة الأخطار وكشف مخبآت الأقدار

اوكتافيوس — لنفعل ما تقول . فان الاعداء تحيط بنا وتكاد تردينا وكثيرون يبذلون لنا الابتسام وقلوبهم ملآى بضغائن لا تحصى . (يخرجان)

« المشهد الثاني »

معسكر قرب سارديس . أمام خيمة بروتوس

(يدخل بروتوس ولوسيليوس ولوسيوس وجنود . يقابلهم تيتينيوس و بنداروس)

بروتوس – يا هو ! قف !

لوسيليوس – كلمةَ المرور ! قف !

بروتوس – أي لوسيليوس . هل صار كاسيوس قريباً منا

لوسيليوس – قريب وها بنداروس قدم يبلغك تحيات مولاه

بروتوس – طابت تحياته . ان انقلاب حال مولاك يا بنداروس وسوء مشورة اتباعه جعلاني أندم على فعل ما قد فعلنا . أما وقد صار بالقرب منا فسأروي غليلي منهُ

لوسيليوس – لا أشك انك سترى مولاي كما تعهده مثال النبل ومحطّ الاكرام

بروتوس – ما شككتُ فيهِ . قلْ يا لوسيليوس كيف كان استقباله لك . دعني أقف على جلية الأمر

لوسيليوس – جاملني وأكرمني ولكنهُ احتاط لنفسهِ في الحديث وتكلم على خلاف عادتهِ

بروتوس – لقد وصفتَ صديقاً أخذت حرارةُ مودّته بالبرود . فاذا مرض الودُّ وسرى في عروقهِ الفساد لبس لباس الكلفة والمجاملة المفتعلة أما الحب الصحيح الفطريّ فخلوٌ من هذه الحيل . مَثَل الفارغ من الرجال مَثلُ جواد يجمح قبل اطلاق العنان فتتخيلُ القوة وراء طغيانهِ وزهوهِ فاذا ما أدميتَ جنبيهِ ضرباً بالركاب ذَبل عرفهُ وتبين لك عند التجربة برذوناً خدّاعاً . أقادمٌ جيشهُ معه ؟

لوسيليوس – الفرسان قادمون معهُ وهم معظم الجيش أما البقية فيبيتون الليلة في سارديس (صوت مشي جيش عن بعد)

بروتوس — اسمعوا . انهُ لقادم . هلموا لملاقاته (يدخل كاسيوس بقوّاته)

كاسيوس — يا هو . قفوا

بروتوس — قفوا . يا هو . كلمة السرّ

الجندي الاول — قفوا

الجندي الثاني — قفوا

الجندي الثالث — قفوا

كاسيوس — لقد أسأتَ اليَّ أيها الأخ النبيل

بروتوس — احكمي أيتها الآلهة بيننا . أيسيء الى أصدقائهِ رجلٌ لا يقدر ان يسيء الى أعدائهِ

كاسيوس — ان تحت ظاهرك الوقور كثيراً من الخطايا . فاذا ما اقترفتها . . .

بروتوس — (مقاطعاً) رويدك كاسيوس رويدك وابدِ شكواك سرًّا لا جهراً فاني أعرفك حق المعرفة . لا يليق بنا ان نظهر أمام جيشينا بمظهر المتنافرين المتخاصمين لنمنعهم رؤية غير الالفة فيما بيننا . مُرهم يتفرّقوا ثمَّ تعال الى خيمتي وأطل في وصف شكاويك فاني لكَ من السامعين

كاسيوس — بنداروس ! مر القوادَ يرحلوا بجيوشهم قليلاً عن هذا المكان

بروتوس — افعل فعله يا لوسيليوس . واحمِ خيمتنا عن كل قادم الى ان نتمَّ حديثنا . دع لوسيوس وتيتينيوس يحرسا الباب (يخرجون)

« المشهد الثالث »

خيمة بروتوس . يدخل بروتوس وكاسيوس

كاسيوس — هاك ما أسأتَ اليَّ بهِ : انك حقرتَ لوسيوس بيلاّ وعاقبتهُ على رشوةٍ أخذها من أهل سارديس فكتبتُ أشفع فيهِ اليك لأني أعرفهُ فازدريتَ الكتبَ وطرحتها جانباً

بروتوس – أنتَ المسيء الى نفسك اذ دافعتَ عن مثل هذه القضية

كاسيوس – لا يجمل بنا في مثل هذه الأحوال الحرجة ان نعاقب على مثل هذه الجرائم التافهة

بروتوس – بل أنتَ خليق بالعقاب يا كاسيوس لأجل يدك ذات الحكة ولأجل بيعك المناصب لغير الأكفاء

كاسيوس – أمثلي توصف يده بذات الحكة ؟ وايم الآلهة لو لم يكن القائلَ بروتوس لكان هذا القول آخر كلامهِ

بروتوس – ان اسم كاسيوس يُلبس الرشوةَ لباساً من النبل فيغطّي القصاصُ رأسهُ ويتوارى

كاسيوس – القصاص !

بروتوس – اذكرْ شهر مارس . اذكرْ اليوم الخامس عشر منه . أما سال دم يوليوس الكبير انتقاماً للعدل ؟ مَن مِن طاعنيه سَفُلَ فضرب اكراماً لغير الحق ؟ ايهٍ لكَ . أواحدٌ منا نحن الذين أردوا أعظم رجال العالم لتأييده اللصوص يدنس يده برشوةٍ سافلة ويبيع شرفه الواسع الضخم بشيء زريٍّ يمسك بين الأصابع هكذا ؟ اذنْ لتمنيتُ ان اكون كلباً يطاول القمر نباحاً ولا اكون ذلك الروماني

كاسيوس – لا تهيجني يا بروتوس فلن احتمل هذا منك . انك تنسى نفسك فتحملني فوق طاقتي . أنا جنديٌّ اكثر منك اختباراً وأعظم كفاءةً وأحرى منك باشتراط الشروط

بروتوس – اذهب فما أنت بكاسيوس

كاسيوس – بل أنا هو

بروتوس – قلت لك لا

كاسيوس – لا تستفزَّ غضبي أو أنسى نفسي . احترس لنفسك ولا تبالغ في تحريضي

بروتوس — عني أيها الرجل الخفيف

كاسيوس — لم يعد بالامكان . . . . .

بروتوس — أصغِ لكلامي . فما أنا بحاسب حساباً لغضبك الطائش . أوَأخاف تحديق رجلٍ مجنون ؟

كاسيوس — إيه أيتها الآلهة . أأطيق بعد كل هذا صبراً

بروتوس — نعم واكثر من هذا . أرغ وأزبد حتى تشقّ قلبك المتعجرف . اذهب الى عبيدك أرِهم غضبك ودع أرقّاءك يرجفون خوفاً . أتظنني اكترث لك فأتهيبك أو أقف أمامك ذليلاً في حالة غضبك ؟ وايم الآلهة انك ستبتلع سُمَّ كيدك ولو أرداك . أما أنا فسأسخر بك بعد الآن وأجعلك أضحوكتي كلما اشتدّ غضبك

كاسيوس — أإلى هذا الحد انتهينا ؟

بروتوس — أرِني انك ذلك الجندي الذي يفوقني . أيّد دعواك بالحجة فاسرّ لك وافرح . نعم اني أحب أن أتعلم من رجال النبل

كاسيوس — انك تسيءُ اليَّ من كل الوجوه . ما ادَّعيتُ بأني جندي أفضل منك بل قلت اني اكبر منك . هل قلت أفضل منك ؟

بروتوس — وما يهمني لو قلت

كاسيوس — ما كان قيصر في حياته ليجسر على اغضابي هكذا

بروتوس — اسكت . اسكت . فما كنت لتجسر على اغرائهِ

كاسيوس — لا أجسر ؟

بروتوس — لا

كاسيوس — لا أجسر على اغرائه ؟

بروتوس — لا . لم تجسر خوفاً على حياتك

كاسيوس — لا تحمّل صداقتي فوق وسعها فقد أفعل ما أندم عليهِ

بروتوس — انك قــد فعلت ما يستوجب الندم . اي كاسيوس ، تهديدك لا يخيفني فاني لابس من امانتي درعاً قويّة تردّه عني فيمرُّ بي مرَّ الريح لا اعبأ بهِ . لقد أرسلت أطلب منك ذهباً فمنعته وأنا أعجز عن جمع المال بطرق سافلة . فوالسماء ! لأوثر ان أصكَّ فؤادي نقوداً وأسبك من دمي دراهم على ان أنزع من أيدي الفلاحين الخشنة أموالهم الزرية بغير حق . أرسلت أطلب منك مالاً أوزعه على جنودي فمنعت ذلك عني . أيليق هذا بكاسيوس ؟ وهل كنت أجيبه بهذا الجواب أنا ؟ ايهِ أيتها الآلهة . أرسلي زوابعك ومزّقيني ارباً اربا ان كنت طمّاعاً أحبس عن اصدقائي مالاً حقيراً

كاسيوس — ما رددت طلبك

بروتوس — بل رددته

كاسيوس — لم أفعل . ان الذي نقل اليك الخبر لمجنون . قد مزّقتَ فؤادي . على الصديق ستر مساوئ صديقه أما بروتوس فيبالغ في ذكرها ويعظّم

بروتوس — لا . لا . بل أردها ردًّا اذ أراك توجهها اليّ

كاسيوس — لم تعد تحبني

بروتوس — بل ذنوبك لا أحبّ

كاسيوس — عين الرضا كليلة عن كل عيب

بروتوس — بل عين المداهن كليلة لا ترى الذنوب ولو علت علوّ الأولمب

كاسيوس — ايهِ أنطونيوس . ايهِ اوكتافيوس . هلما انتقما من كاسيوس وحده الآن فقد ملَّ الدنيا وعاقتها نفسه . ها صديقهُ يكرههُ وأخوه لا يعبأ بهِ بل يسترقّهُ كالأسير يعدُّ هفواته يسجلها عليهِ ويعيد ذكرها ويكررها فترسخ في ذهنهِ فيرمي بها وجه صديقه . ليتني أستطيع ان أذرف حياتي دمعاً . هاك خنجري . هاك صدري

العاري صدراً يضمُّ قلباً أعزَّ من مناجم بلوتوس[1] وأثمن من الذهب فانزعهُ مني إن كنتَ رومانياً فان الذي أبى عليك الذهب يجود لكَ بقلبهِ . اطعنّي كما طعنتَ قيصر فلقد كان في أشدّ ساعاتِ كرهك اياه أحبّ اليك مني

بروتوس — ردَّ خنجرك الى غمده . اغضب متى شئت فسأفسح لك المجال . إفعل ما تريد فاني أعدُّ مساوئك سليقةً فيك . ويحك كاسيوس . ان مثل نفسك الساذجة مثل حجر القدح يطير شراره اذا حُكَّ ثم يهمد ويبرد

كاسيوس — رجلاً سخرةً لصاحبه صرت . فالحزن وسرعة الغضب هيّجاني

بروتوس — اي كاسيوس . وأنا أيضاً كنت سريع الغضب عندما خاطبتك بتلك اللهجة

كاسيوس — أتعترف بذلك . هات يدك

بروتوس — وقلبي معها

كاسيوس — آه يا بروتوس

بروتوس — ما لك ؟

كاسيوس — أليس لي عندك ذرةُ حبّ تشفع بي عند ما يشط بي خلقي الموروث عن أمي فأنسى نفسي

بروتوس — نعم . فاذا ما أسأتَ اليَّ بعدُ اليوم حسبتُ السببَ توبيخَ أمك لك فأتركك حتى تهمد

الشاعر — (ينادي من الخارج) دعني أدخل لأرى القائدين . يلوح لي ان شقاقاً وقع بينهما فلا يجدر ان نبقيهما معاً [2]

لوسيليوس — (من الخارج) لستَ بداخل عليهما

---

(١) يقال انها مناجم حجارة كريمة (٢) في بعض النسخ ان الذي قطع الحديث بين بروتوس وكاسيوس شخص يدعى ماركوس فونيوس احد الفلاسفة المفتونين

الشاعر – (من الخارج) لا يمنعني الاّ الموت . (يدخل الشاعر يتبعهُ لوسيليوس وتيتينيوس ولوسيوس)

كاسيوس – ما بالكم ؟ ما الأمر ؟

الشاعر – يا للعار أيها القائدان ! ما تقصدان ؟ كونا صديقين وليحب احدكما الآخر فذلك أليق بأمثالكما وأجدر . صدقاني . فاني عشتُ ورأيت سنين كثيرة

كاسيوس – (هازئاً بهِ) ما أرطن تلحينك يا مخالف سنن الناس !

بروتوس – اخرج يا غلام . اذهب أيها الوقح !

كاسيوس – رفقاً بهِ يا بروتوس فانها لعادة بهِ

بروتوس – قد أرفق بهِ في غير هذا المكان فلكل مقام مقال وما شأن هؤلاء المجانين المتشاعرين في الحرب ؟ اخرج يا هذا

كاسيوس – اخرج . اخرج . اذهب　(يخرج الشاعر)

بروتوس – (مخاطباً لوسيليوس وتيتينيوس) قولا لقواد الفرق يهيئون مراقد لجيوشهم الليلة

كاسيوس – ارجعا الينا حالاً واحضرا مسلا معكما (يخرج لوسيليوس وتيتينوس)

بروتوس – لوسيوس ! اليَّ بكأسٍ من الخمر . (يخرج لوسيوس)

كاسيوس – ما ظننت الغضب يبلغ منك ما بلغهُ الآن

بروتوس – اي كاسيوس أسقمتني كثرة أحزاني

كاسيوس – ان جعلت اليأس يتغلّب عليك فقد أضعت حكمتك

بروتوس – ما حمل رجلٌ حزنه حملي . . . ماتت بورسيا

كاسيوس – بورسيا ؟ آه

بروتوس – ماتت

كاسيوس – وكيف نجوت أنا من القتل عند ما أغضبتك . يا لفقدٍ جارحٍ غير مجهول ! كيف ماتت ؟

بروتوس — ماتت قلقاً لطول غيابي وحزناً على انتصارات اوكتافيوس وانطونيوس . عند ما علمت بالنصر الذي أحرزاه أضاعت رشدها ثم اغتنمت فرصة غياب خادماتها فذهبت الى نار موقدة وابتلعتها

كاسيوس — أهكذا ماتت ؟

بروتوس — هكذا

كاسيوس — رحماكِ أيتها الآلهة الخالدة . (يدخل لوسيوس بالخمر وبالمشعال)

بروتوس — لا تعد لي ذكرها . أعطني كأساً من الخمر أدفن بها كلّ غمّ وهمّ . نخبك يا كاسيوس (يشرب)

كاسيوس — ما اظمأ قلبي لشرب نخبك النبيل . املأ يا لوسيوس حتى يفيض الخمر من الكأس فاني لا أرتوي مهما شربت حبًّا ببروتس . (يشرب)

بروتوس — ادخل يا تيتينيوس . (يخرج لوسيوس ويدخل تيتينيوس ومسّلا) أهلاً بمسلاّ . تعالوا نجلس حول هذا المشعال نبحث في شؤوننا

كاسيوس — أكذا تذهبين يا بورسيا ؟

بروتوس — رجوتك لا تزد . أي مسّلا لقد تلقيت كتباً تنبئ بزحف انطونيوس واكتافيوس علينا بجيشٍ عظيم ووجهتهم فيلبي

مسلاّ — جاءني مثل هذه الكتب

بروتوس — ألم تزدْ لك شيئاً عن كتبي ؟

مسلاّ — ان اوكتافيوس وأنطونيوس ولبدوس قتلوا مايةً من أعضاء مجلس الشيوخ بأحكام ظلم واستبداد

بروتوس — هنا اختلفت الرسائل . فعندي أنهم حكموا على سبعين بالقتل وشيشرون واحد منهم

كاسيوس — أشيشرون منهم ؟

مسلاّ — نعم قُتل شيشرون بأمرهم . هل أرسلتْ لك امرأتك كتاباً يا مولاي ؟

بروتوس — لا يا مسلاّ

مسلاّ — ألم يرد ذكرها في الكتب التي جاءتك

بروتوس — لا . لم يرد شيء

مسلاّ — هذا غريب

بروتوس — ولما تسأل ؟ هل جاءك نبأ عنها ؟

مسلاّ — كلاّ يا مولاي

بروتوس — أستحلفك برومانيتك ان تصدقني الخبر

مسلاّ — فاسمعْ وتلقَّ الخبر الحقَّ كروماني . انها ماتت وكان موتها غريباً

بروتوس — وداعاً يا بورسيا وداعاً . كلنا مسوقون للموت يا مسلا ولا يعزيني عن فقدها الاّ اعتقادي بأنهُ لم يكن لها عن الموت مندوحة [1]

مسلاّ — وكذا يتحمل عظماء الرجال المصائب العظام

كاسيوس — ليس في استطاعتي احتمال مثل مصابك رغمَ تسليم عقلي وعلمي بصحة أقوالك

بروتوس — دعنا من هذا . وهبوا بنا الى العمل : ما تقولان في زحفنا على فيلبي في الحال

كاسيوس — لا أظنهُ صواباً

بروتوس — والسبب ؟

كاسيوس — ها كهُ : خيرٌ لنا ان يتولى العدوُّ خطة الهجوم فتنهك قوى جنده

(١) أورد شكسبير خبر موت امرأة بروتوس على أثر الخلاف بين الصديقين ليظهر مقدرة بروتوس على حكم قياد نفسه

وتُبدِّد ذخيرتهُ ويصيبهُ الضرّ . أما نحن فنتربص مكاننا متوفرة لنا أسباب الراحة والدفاع وسهولة الحركة

بروتوس — أفضل من هذا الرأي الصائب رأيٌ أفضل منهُ . ان الأهالي القاطنين بين فيلبي وبيننا لا يضمرون لنا الودّ الصحيح بل حاقدون علينا للضرائب التي ابتززناها منهم فاذا ما سار العدوُّ فيهم قادماً الينا انضموا اليهِ فيزداد بهم عدداً وقوةً واقداماً. أما اذا سبقنا العدوَّ الى فيلبي فاننا نمنع عنهُ هذه الميْزة ونحول بينه وبينهم

كاسيوس — سمعك يا أخي

بروتوس — اذكرْ اننا قد جمعنا كلَّ ما يمكننا جمعهُ من جيش وعدَّة وبلغ استمدادنا مداه فلم يبقَ لنا بعد هذا الصعود الاّ النزول . أما العدوُّ فيزداد يوماً بعد يوم . ان في أعمال الناس مدًّا اذا ركبوه في أبانهِ سار بهم الى الفلاح أما اذا تباطئوا وأهملوه فانهم يبقون كلَّ رحلتهم في رقراقٍ من التعاسة . نحن الآن عائمون في أعلا مدّ البحر فلنسر مع التيار في سبيله والاّ أضعنا فرصتنا

كاسيوس — فليكن ما تريد ولنذهب لملاقاة الاعداء في فيلبي

بروتوس — زحفَ علينا سواد الليل ونحن غارقون في الكلام . لا بدَّ للطبيعة ان تأخذ مجراها فلنرضها بقليل من النوم . هل لكم من كلام تقولونهُ ؟

كاسيوس — لا . طاب ليلك . سنبكّر غداً في القيام ثم نرحل[1]

بروتوس — (منادياً الخادم) لوسيوس ! (يدخل الخادم) اعطني جلبابي . (يخرج الخادم) وداعاً مسلاً . طاب ليلك يا تيتينيوس . وأنتَ أيها النبيل كاسيوس أتمنى لك نوماً هنيئاً

كاسيوس — لقد بدأنا ليلتنا بالخصام أيها العزيز بروتوس فاياك ان تدع مثل ذاك الشقاق يحول بيني وبينك بعد الآن

---

(١) في التاريخ ان هذا الحديث دار بين القائدين قبيل معركة فيلبي تماماً وليس في مثل هذا الوقت

بروتوس – عادت الأمور الى مجاريها

كاسيوس – مُسيتَ بالخير

بروتوس – وأنت أيها الأخ العزيز

تيتينيوس ولوسيليوس – طاب ليلك أيها المولى بروتوس

بروتوس – وداعاً جميعاً . (يخرج الجميع عدا بروتوس) . (يدخل لوسيوس بالجلباب)

بروتوس – هاتِ الجلباب . أين آلةُ الطرب ؟

لوسيوس – هنا في الخيمة

بروتوس – ما بالك تتكلم ناعساً . مسكين لا لوم عليك فقد أضناك الوقوف للحراسة . ادعُ كاوديوس وادع معهُ غيره يناموا هنا على فُرشٍ في خيمتي

لوسيوس – ثارو ! كلوديوس ! (يدخلان)

ثارو – هل نادى مولاي ؟

بروتوس – اضطجعا في الخيمة فقد أنهضكما عما قليل وأرسلكما الى أخي كاسيوس

ثارو – عفوك . بل نبقى واقفين نتلقى أوامرك

بروتوس – لا . لا أريد ذلك بل اضطجعا والاّ غيَّرتُ فيكما ظني . (مخاطباً لوسيوس) ها الكتابُ الذي طلبتهُ منك يا لوسيوس فاني وضعتهُ في جيب جلبابي . (يضطجع كلوديوس وثارو)

لوسيوس – اكدتُ لمولاي انهُ لم يعطنيه قط

بروتوس – لا تؤاخذني يا غلام فاني كثير النسيان . هلاّ فتحتَ عينيك المتثاقلتين قليلاً وعزفتَ على الآلة دقةً أو دقتين

لوسيوس – أمرك مطاع يا مولاي

بروتوس – اني أتعبك فوق طاقتك ولكنك مطواع

لوسيوس — ذلك واجب عليّ

بروتوس — يجب ألاّ اسألك فوق ما تستطيع فان دم الشباب يتطلب الراحة

لوسيوس — لقد نمت منذ هنيهةٍ يا مولاي

بروتوس — حسناً فعلت وستنام عما قليل أيضاً فلست بممسكك طويلاً . وسأحسن اليك ان عشتُ . (عزف على الآلة) لحنٌ منوّم (ينام الخادم) يا لك من نعاسٍ قتّال . هل لمست غلامي بعصاك الثقيلة فأنمتهُ على أوتاره . هنيئاً لك النوم يا غلام فلست بمزعجك وموقظك . ان كبوتَ لوجهك كسرت آلتك . سآخذها منك . طاب ليلك يا غلام (يعود للقراءة في كتابه) ألم أطوِ الورقة عند ما انقطعت عن القراءة . دعني أرَ . ها هي . (يدخل خيال قيصر)

ما اردأ نور هذه الشمعة . ها ! من القادم ؟ ان ضعف عينيَّ يصوّر لي هذا الخيال المزعج . لقد جاء عليّ . من أنت ؟ آله ؟ أم مَلك ؟ أم شيطان ؟ فقد برّدت الدم في عروقي وأوقفت شعر رأسي . تكلم من أنت ؟

الخيال — أنا روحك الشريرة يا بروتوس

بروتوس — ولمَ أتيت ؟

الخيال — لأخبرك انك ستراني في فيلبي

بروتوس — أ أراك مرةً أخرى ؟

الخيال — نعم في فيلبي

بروتوس — اذن سأراك في فيلبي . (يخرج الخيال) لقد هدأ روعي اذ اضمحليت . سيكون لي معك شأن أيها الخيال المشوم

لوسيوس ! يا غلام ! ڤارو ! كلوديوس ! انهضوا جميعاً

لوسيوس — الاوتار رديئة يا مولاي

بروتوس — يظن انهُ لا يزال يضرب على الاوتار . أفق يا لوسيوس

لوسيوس — مولاي

بروتوس — هل كنت تحلم عند ما صرخت في نومك ؟

لوسيوس — ما علمت اني صرخت يا مولاي

بروتوس — نعم صرختَ . هل رأيت شيئاً ؟

لوسيوس — لا يا مولاي

بروتوس — عد الى نومك يا لوسيوس . كلوديوس ! وأنت يا غلام انهض !

ڤارو — مولاي

كلوديوس — مولاي

بروتوس — لماذا صحتما في نومكما ؟

الاثنان معاً — هل فعلنا ذلك يا مولاي

بروتوس — نعم . هل رأيتما شيئاً

ڤارو — لم أرَ شيئاً يا مولاي

كلوديوس — ولا أنا يا مولاي

بروتوس — اذهبا لكاسيوس بلّغاه سلامي وقولا له يُمدّ جيوشه و يتقدمنا فسنلحق بهِ

الاثنان — سنفعل يا مولاي

الفصل الخامس

« المشهد الأول »

سهول مدينة فيلبي . يدخل اوكتافيوس وأنطونيوس بعساكرهما

اوكتافيوس — ها قد تحققتْ أمانينا يا أنطونيوس . قلتَ انالاعداء لاينزلون لملاقاتنا بل يلازمون المرتفعاتِ والتلال فخاب ظنك . ها كتائبهم تقترب وغرضهم مفاجئتنا القتال قبل ان ندعوهم اليهِ

أنطونيوس — اسكت . أنا في ضمائرهم وأعلم لأي غرض يرمون . يودّون لو أتيح لهم الذهاب الى غير هذه الاماكن ولكنهم ظنوا انهم يخيفوننا بهذه المظاهرات الهائلة فتتوهمهم على شجاعةٍ وقوةٍ عظيمتين . ساء ما يخمنون (يدخل ساعٍ)

الساعي — تهيأ ! أيها القائدان فالعدوُّ قادم بمظهر فخمٍ رافعاً راية حربه الحمراء فبداراً الى العمل

أنطونيوس — اوكتافيوس ! تقدّم بجيشك على مهلٍ وكن على يسار الميدان .

اوكتافيوس— بل سألزم الميمنة والزم أنتَ الميسرة

أنطونيوس — أتقاومني والموقفُ حَرِج

اوكتافيوس— لا أقاومك ولكني سأفعل ما قلتُ (سير جنود في الخارج)

(صوت طبل . يدخل بروتوس وكاسيوس بعساكرهما ولوسيليوس وتيتينيوس ومسلاّ وآخرون)

بروتوس — ها هم واقفون وأظنهم يرغبون في المداولة

كاسيوس — ألبث مكانك يا تيتينيوس فسنخرج اليهم ونكلمهم

اوكتافيوس — هل نبدأ القتال يا انطونيوس ؟

انطونيوس — لا بل نلزم خطة الدفاع . تقدّم فان قوادهم يرغبون في المداولة

اوكتافيوس - لا تتحركوا وانتظروا اشارة القتال

بروتوس - الكلام قبل امتشاق الحسام . أليس كذلك بني وطني ؟

اوكتافيوس - ليس لأننا مثلكم نفضل الكلام على الحسام

بروتوس - الكلام الطيب خير من الضرب الخائب يا اوكتافيوس

انطونيوس - انك تلحق ضرباتك الخائبة بكلام طيب يا بروتوس فبينا أنت تنادي ليحيى قيصر اذا بك تطعنه الطعنة النجلاء تخترق قلبه

كاسيوس - أما ضرباتك يا انطونيوس فلم نعلم وجهتها بعد ولكننا نعلم عن كلامك انهُ يسرق من النحل شهدها

انطونيوس - لكنه يُبقي على إبَرها

بروتوس - نعم ويحرمها طنينها فأنك سرقتهُ منها وانتحلتهُ لنفسك فصرت تهدد قبل ان تلسع

انطونيوس - أما أنتم أيها الانذال فلم تهددوا قيصر قبل ان تكسّرت نصالكم بعضها على بعض في جسده . بل كشرتم عن اسنانكم كالقردة وتذللتم كالكلاب وانحنيتم تقبلون أقدامه كالعبيد بينا كاسكا اللعين يغتاله كالكلب من الوراء يضربه في عنقه . يا لكم من مداهنين !

كاسيوس - مداهنون ؟ احمد نفسك يا بروتوس الآن فلم يكن هـذا اللسان ليسيئ بمثل هذا الكلام لو كنتَ أصغيت لمشورتي في ذلك الحين (١)

اوكتافيوس - مهلاً مهلاً . ان الجدال يعرّقنا . اما تأييده بالأفعال فيسيل دماءنا . اني قد سللت سيفي على المتآمرين فمتى تظنونه يرجع الى غمده ؟ ليس براجع قبل ان يثأر جراح قيصر الثلاثة والثلاثين أو يسقط قيصر آخر بسيوف الخائنين

بروتوس - اي قيصر انك لن تموت بيد الخائنين الاّ اذا كنت قد أتيت بهم في صحبتك

(١) كل المتآمرين عدا بروتوس كان من رأيهم قتل انطونيوس مع قيصر

اوكتافيوس — صحيح فاني لم أخلق لأموت بسيف بروتوس

بروتوس — لو كنتَ خيرَ من قام في عشيرتك أيها الشاب لما لقيتَ موتاً أشرفَ من موتٍ يجيئك على يدي

كاسيوس — ولدٌ غرٌّ طائش لا يتأهل هذا الشرف يصحبهُ مراء منغمسٌ في الملذات

أنطونيوس — لا تزال كما كنتَ كاسيوس الأحمق السفيه

اوكتافيوس — هلمَّ بنا يا أنطونيوس . وأنتم أيها الخونة ان أعجبكم القتال اليومَ فانزلوا الى ساحتهِ أو تربصوا حتى تميلَ اليهِ نفوسكم (يخرج اكتافيوس وأنطونيوس وعساكرهما)

كاسيوس — اعصفي أيتها الرياح الآن وازبدي أيتها الأمواج ولتشقَّ السفينةُ عبابكِ . ها قد اشتدت الانواء وصار القول الفصل للاقدار

بروتوس — لوسيليوس ! تعال . لي كلمة أسرّها اليك

لوسيليوس — مولاي (يتهامسان)

كاسيوس — مسلاّ

مسلاّ — أمرك أيها القائد

كاسيوس — اسمع يا مسلاّ . هذا يوم ميلادي . في مثل هذا اليوم وُلد كاسيوس هات يدك واشهد اني مثل بومبـاى قد أُرغمتُ على خوض غمار معركةٍ فاصلةٍ يتوقفُ عليها كياننا (١)

انك تعرفني تلميذاً لابيقورس ولمذهبه . أما الآن فقد تغيّرتُ وصرت اعتقد بنبوءات الاشياء فانّا عند ما رحلنا عن ساردس في طريقنا الى هنا تبعنا نسرانِ قويّان وسقطا على قوائم راياتنا الامامية وظلاّ يرافقاننا ويتناولان طعامهما من أيدي

(١) اشارة الى كونه لم يرتأي خطة الهجوم التي اختطها بروتوس

عساكرنا حتى بلغنا فيلبي اليوم فطارا واختفيا عن الأبصار وجاءتنا بدلاً منهما العقبان والغربان والأصقر تحوم على رؤوسنا كأنها ترقب فينا فريسة هالكة وتمدُّ لنا من ظلال أجنحتها كنفاً مخيفاً يبيت جيشنا تحته متأهباً للموت

مسلاّ — لا تصدق هذه الأمور

كاسيوس — لا أصدّقها الاّ بعض التصديق فاني عقدت النية على ملاقاة الأخطار بصدر رحيب

بروتوس — وهو كذلك يا لوسيليوس[1]

كاسيوس — اي بروتوس كليّ النبل ليت الآلهة تقف في صفوفنا وننتصر فنعيش ما بقينا بسلام متحابين . ولكن ّ أعمالنا في سرّ الغيب فقد يقع لنا شؤم الانكسار وهذا آخر كلام بيننا . فما الذي عزمتَ عليه ان انكسرنا

بروتوس — أتمسك بالمبدأ الحكيم الذي لمتُ كاتو على مخالفته اذ انتحر ، وأتدرّع بالصبر مترقباً أحكام القوى العليا في شؤوننا الدنيا[2] لأني أرى من الجبن والدناءة تعجيل المرء في القضاء على نفسه فراراً من وقوع ما يخشاه

كاسيوس — فاذا دارت علينا الدائرة رضيت لنفسك ان يقودك المنتصرون في شوارع رومه ؟

بروتوس — لا يا كاسيوس . لا يا ابن رومه . ان بروتوس لن يساق الى رومه أسيراً . انهُ أأبى من ذلك نفساً . اليوم خاتمة أعمال بدأنا بها في خامس عشر مارس ولست أدري ان كان يُتاح لنا الاجتماع بعد . لذلك أودعك الوداع الأخير . الوداع ، الوداع يا كاسيوس . ان قُدّر واجتمعنا فسيكون اجتماعنا محظوظاً والاّ فأكون قد ودعتك وداعاً جميلاً[3]

---

(١) آخر كلام المهامسة بين بروتوس ولوسيليوس (٢) كاتو أحد عظماء الرومانيين مات منتحراً ولعله حمو بروتوس (٣) أظهر شكسبير بروتوس في جوابه هذا راضياً

كاسيوس — الوداع . الوداع يا بروتوس ان قدّر واجتمعنا فسيكون اجتماعنا محظوظاً والاّ فأكون قد ودعتك وداعاً جميلاً

بروتوس — هلمَّ بنا . آه لو استطعنا علم ما يكنّه لنا هذا اليوم قبل مجيئه . انما حسبنا انهُ سينقضي وحينذاك تعلم النتيجة . هيا بنا . (يخرجان)

« المشهد الثاني »

ساحة القتال . صوت بوق . يدخل بروتوس ومسلاّ

بروتوس — اسرع يا مسلاّ . امتطِ جوادك واذهب بأوامري الى الجنود المرابضة على الجانب الآخر . ليهجموا في الحال فاني ألحظ الضعف بادياً على جناح أوكتافيوس فاذا فاجأناه بصدمة قويّة تضعضع وتشتت شمله . اركب واسرع يا مسلاّ دع الجميع يهجموا (يخرجان)

« المشهد الثالث »

ناحية أخرى من ساحة القتال . صوت بوق . يدخل كاسيوس وتيتينيوس

كاسيوس — ويل لهم يا تيتينيوس . ويل لهؤلاء اللئام كيف ولّوا الادبار ، هاك حامل رايتي رأيتهُ يتأهب للفرار فانقلبت عدوًّا له فقتلتهُ وخلصتُ الراية

تيتينيوس — لقد تسرَّع بروتوس بالهجوم وعندما رجحت كفّتهُ كفّة اوكتافيوس توغل جيشه في السلب وتخلّفوا عن نجدتنا تاركين أنطونيوس يحيق بنا . (يدخل بنداروس)

بالانتحار فراراً من الاسر خلافاً لجوابه السابق وهذا تناقض لا يبرره الا ان يكون قد غير فكره بغتة عند ما ذكر له كاسيوس الاسر الشائن . على أن تاريخ بلوتارك يروي ان بروتوس جاوب كاسيوس وقال « اني عند ما كنت شاباً لم اختبر الدهر كنت ألوم كاتو على انتحاره أما الآن وقد عرفت الدنيا فقد غيرت مذهبي

بنداروس — فراراً مولاي . ابتعد عن هذا المكان . أنطونيوس في خيامك اسرع أيها النبيل كاسيوس وابتعد

كاسيوس — إننا لعلى بُعدٍ كافٍ . أنظر تيتينيوس . أخيامي هذه التي أرى النار مشبوبةً فيها

تيتينيوس — خيامك يا مولاي

كاسيوس — ان كنت تحبني يا تيتينيوس فاركب جوادي واغمد مهمازيك في جنبيهِ الى ان يبلغ بك تلك الكتائب المقبلة . تبيَّنها وعدْ اليَّ واخبرني أمن الاصدقاء أو من الاعداء هي

تيتينيوس — سأعود اليك بأسرع من مرّ الفكر (يخرج)

كاسيوس — وأنتَ يا بنداروس ارقَ قمة هذه الرابية وارقب تيتينيوس في سيره وانقل اليَّ ما تراهُ في ساحة القتال فاني لم اكن حادَّ البصر قط . (يصعد بنداروس الى الرابية ويبقى كاسيوس وحده) . في مثل هذا اليوم ولدتُ . دار بي دولاب الزمان دورته لحقَّ لي ان أنتهي حيثُ ابتدأت . لقد اكمل جواد حياتي شوطه . ما الخبر يا غلام ؟

بنداروس — (من على الرابية) آه يا مولاي !

كاسيوس — ما الخبر ؟

بنداروس — أرى فرساناً تسرع لتحيط بتيتينيوس ولكنهُ لا يزال جادًّا نحوهم كادوا يأخذونهُ . لقد ترجل بعض منهم . ترجل هو أيضاً . لقد أسروه . اسمع . انهم يهتفون فرحاً (هتاف في الخارج)

كاسيوس — انزل وكفَّ عن النظر . ما أجبنَ قلبي . أأعيش لأرى أعزَّ أصدقائي يؤخذُ أمامي ؟ (ينزل بنداروس) اقترب يا غلام . اني أخذتك أسيراً في بارثيا ولكي أبقي على حياتك جعلتك تغلظ لي الايمان ان لا تخالف لي أمراً . تعال

واوفِ بقسمك الآن وكنْ حرًّا . اطمن صدري بهذا السيف الذي مزّقتُ بهِ أحشاء قيصر . لا تتردَّدْ . خذْ مقبضهُ في يدك فاذا ما غطّيتُ وجهي سدّدْ ساعدك واطمن . (يطعنهُ العبد) ها قد ثُئرتَ يا قيصر الآن بنفس السيف الذي أرداك (يموت)

بنداروس — لقد أصبحتُ حرًّا . فوالله لآثرتُ العبودية لو استطعتُ عصيان أمرهِ . وا كاسيوساه ! سيرحل بنداروس عن هذه البلاد الى حيث لا تراه عينُ رومانيّ . (يخرج)

(يدخل تيتينيوس مع مسلاّ)

مسلاّ — الحرب سجال يا تيتينيوس فقد قهر بروتوس اوكتافيوس وفازت جنود أنطونيوس على كاسيوس

تيتينيوس — ستسرّ هذه الانباء قلب كاسيوس

مسلاّ — أين تركته

تيتينيوس — في يأس شديد مع عبده بنداروس على هذه الرابية

مسلاّ — أليس هو ذاك المضطجع على الأرض ؟

تيتينيوس — ما هكذا تضطجع الاحياء . واهٍ يا قلبي

مسلاّ — أهذا هو ؟

تيتينيوس — بل ما كان هو . لم يعد كاسيوس بموجود . ايهٍ أيتهـا الشمس الغاربة لقد غاب كاسيوس في دمه القاني كما تغيبين أنتِ وسط أشعتك الحمراء . غربت شمس رومه وتبدّل نهارنا بغيوم وأمطار وأخطار . قضي الأمر . ان تيقّنه اندحاري دفعه الى هذا العمل

مسلاّ — بل شكّهُ في الانتصار قد دفعه الى هذا العمل ! ويحك أيها الخطأ المبغوض يا ابن اليأس ؟ لِمـا تضع تصورات مكذوبة في عقول الناس السليمة ؟

(٦٦)

ويحك ما أسهل مجيئك ! انك لا تغشى السرير مبشراً بميلاد مبخوت حتى تنذر بموت الوالدة !

تيتينيوس — بنداروس ! أين أنت ؟

مسلاّ — ابحث عنه ريثما اذهب لملاقاة بروتوس أخرق أذنيه بهذا النبأ الأليم . نعم أخرق اذنيه . فوقع السيوف القاطعة والسهام المسمومة أسهل على بروتوس من خبر هذا المنظر

تيتينيوس — أسرع يا مسلاّ أما أنا فسأبحث عن بنداروس . (يخرج مسلاّ) وا كاسيوس الشجاع ! لما بعثني رسولاً ؟ اني لقيت اصدقاءك فضفروا لي اكليل النصر أحمله اليك ! أما سمعت هتاف فرحهم ؟ ويحي انك اسأت تأويل كل شيءٍ ! هاك الاكليل . ضعه على جبينك . أخوك بروتوس أمرني ان أعطيكه وها أنا منفذ أمره . تعال يا بروتوس وانظر كيف توجّتُ كاسيوس . غفرانكِ أيتها الآلهة الآن ! ان واجباً رومانياً قد دعاني . تعال يا سيف كاسيوس فتش عن قلب تيتينيوس . (ينتحر)

(صوت بوق . يدخل مسلاّ ومعهُ بروتوس وكاتو الشاب وستراتو وفولمنيوس ولوسيليوس)

بروتوس — أين . أين جثتهُ يا مسلاّ ؟

مسلاّ — هناك يندبها تيتينيوس

بروتوس — أرى تيتينيوس مستلقياً على ظهره !

كاتو — ميت !

بروتوس — أي يوليوس قيصر ! ألا تزال قديراً . أيطوف بنا خيالك فيحدّد سيوفنا لنمزّق بها أحشاءنا ؟ (صوت بوق ضعيف)

كاتو — لله درُّك يا تيتينيوس الشجاع ! أنظر كيف كلّل رأس كاسيوس

بروتوس — أباقٍ في الرومان اثنان كهذين ؟ وداعاً يا آخر أبناء رومه ! ان رومه لضنينة بمثلك ! أي أخواني . اني مدين لهذا الراقد بأكثر مما تروني أذرف من الدمع . سأفيك حقك يا كاسيوس سأفيكه . هلموا الآن وأرسلوا جثته تدفن في ثاسوس [1] فاني أخشى انحلال عزيمتنا ان نحن أقنا مأتمه بيننا . تعال يا لوسيليوس وأنت يا كاتو هلمَّ الى ساحة القتال . أعدّا كتائب الجيش يا لابيو وفلافيوس فانما الساعة الثالثة الآن ولا بد من خوض غمار معركة ثانية قبل حلول الظلام [2]

(يخرج الجميع)

« المشهد الرابع »

ناحية أخرى من ميدان القتال . صوت بوق . يدخل جنود من الفريقين يتحاربون ثم يدخل بروتوس وكاتو ولوسيليوس وآخرون

بروتوس — اثبتوا قليلاً بعد يا أبناء وطني . ارفعوا رؤوسكم وانشطوا .

كاتو — لقيطٌ لئيمٌ من يتخلّف ! مَنْ يتبعني ؟ سأكرُّ منادياً باسمي في ساحة الطعان وأنتسب ! أنا ابن ماركوس كاتو ! عدوُّ الظالمين وصديقُ وطني ! أنا ابن ماركوس كاتو ! أنا هو ! (يهجم على الاعداء)

بروتوس — وأنا بروتوس ! ماركوس بروتوس أنا ! بروتوس صديق رومه الحميم ! اعلموا اني بروتوس ! (يهاجم قسماً من جنود الاعداء فيفرّون ويتبعهم . ويتكاثر الجمع على كاتو . يطعنهُ احدهم فيقع ميتاً)

لوسيليوس — أسقطتَ يا كاتو الشابّ النبيل ؟ ما أشبهَ موتك بموت تيتينيوس الشجاع ! اننا سنكرمك يا ابن كاتو

جندي — (يهجم على لوسيليوس) سلّم والاَّ متّ !

---

(١) هي جزيرة طثيوز الواقعة في بحر ايجه بالقرب من قوله

(٢) وفي التاريخ ان المعركة الثانية وقعت بعد الأولى بعشرين يوم

لوسيليوس — اني أسلّم كي أموت . (يعطيه نقوداً) هذا كلهُ لك ان أنتَ عجّلتَ في قتلي ! اقتل بروتوس فتنال شرفَ قتله !

الجندي — لا نقتله ، بل نأخذه اسيراً

جندي آخر — افسحوا مجالاً . بلّغوا أنطونيوس أسر بروتوس

الجندي الاول — سأنقل الخبرَ . ها قد جاء القائد (يدخل أنطونيوس) لقد أسرنا بروتوس يا مولاي . لقد أسرنا بروتوس !

أنطونيوس — أين هو ؟

لوسيليوس — في حرزٍ أمين يا انطونيوس . ان بروتوس لأمنعُ من ان يقعَ لكم . ما من عدوٍّ يستطيع اخذه حيًّا . لتحرسهُ الآلهة من مثل هذا العار العظيم . فاذا ما لقيتموهُ ان حيًّا او ميتاً تلقونهُ هو هو وأشبهَ الناس بنفسهِ !

انطونيوس — (للجندي) ليس هذا بروتوس يا صاح ولكنهُ لا يقلُّ عنهُ قيمةً . احتفظوا بهِ وقولوا له قولاً ليناً . ليت مثل هؤلاء الرجال أعواني لا أعدائي . اذهبوا ابحثوا عن بروتوس . أحيٌّ هو ام ميت . ثم تعالوا قصّوا علينا الخبر في خيمة اوكتافيوس (يخرج الجميع)

« المشهد الخامس »

ناحية أخرى من ميدان القتال

(يدخل بروتوس وداردانيوس وكليتوس وستراتو وفولمنيوس)

بروتوس — تعالوا يا بقيةَ اخواني نجلس الى هذه الصخرة

كليتوس — لاح لنا ستاتيليوس بمشعاله ولكنهُ لم يرجع بعد فقد يكون أُسر او مات

بروتوس — لقد راج سوقُ الموتِ اليوم وأصبح لفظةً مألوفاً . اقعد يا كليتوس

واصغ لي قليلاً (يكلمهُ همساً)

كليتوس — ماذا ؟ أنا يا مولاي ؟ لا ولو أُعطيتُ ملك العالم !

بروتوس — اذن فاسكت . اسكت لا تتكلم

كليتوس — بل اوثر قتل نفسي

بروتوس — اسمع يا داردانيوس (يكلمهُ همساً)

داردانيوس — أأنا أقدم على هذا العمل ؟

كليتوس — داردانيوس !

داردانيوس — كليتوس !

كليتوس — أيّ شرٍّ طلب منك بروتوس عمله ؟

داردانيوس — ان أقتله . أنظر انهُ شارد الفكر

كليتوس — لقد طفح هذا الاناء الشريفُ حزناً ففاض من عينيهِ

بروتوس — تعال أيها الطيب فولمنيوس . لي كلمةٌ أقولها لك

فولمنيوس — ماذا يريد مولاي ؟

بروتوس — هاك ما اريد . لقد زارني طيفُ قيصر مرتين في الليل مرةً في ساردیس وأخرى الليلة هنا في فيلبي . لقد جاءت ساعتي

فولمنيوس — لا . لا يا مولاي

بروتوس — بل أنا واثق من قربها . قد انقلب الزمانُ علينا ودحرّنا الاعداء حتى حافةِ الهوّة فصار الأليقُ بنا ان نثبَ نحن اليها من ان نتربص حتى نُقذفَ قذفاً . أنتَ رفيقي يا فولمنيوس وقد كنا معاً في المدرسة . فبحقِّ الوداد القديم هلاّ امسكتَ سيفي فأرتمي عليهِ

فولمنيوس — ما تلك بمهمة صديق يا مولاي (صوت بوق)

كليتوس — الفرار الفرار يا مولاي ! لا مقام هنا بعد

بروتوس — الوداع يا كليتوس . الوداع يا داردانيوس . الوداع يا فولمنيوس .
ستراتو ! أكنت مستغرقاً في النوم كل هذه المدة ؟ وداعاً لك . اي أبناء وطني !
ان قلبي ليطرب عند ما أراجع كل تاريخ حياتي فلا أرى رجلاً لم يكن يخلص لي
ولذلك حقٌّ لي الفخر هذا اليوم مع الانكسار اكثر من اوكتافيوس وانطونيوس
بالانتصار . الوداع الوداع فقد نطق لساني بكل ماضي حياتي . ان الظلام يغشى
عينيَّ وعظامي تتطلب الراحة التي كانت تسعى لنيلها

(صوت بوق وأصوات اهربوا اهربوا اهربوا)

كليتوس — أهرب يا مولاي أنجُ

بروتوس — اخرجوا أنتم سألحق بكم (يخرج كليتوس وداردانيوس وفولمنيوس)
ابقَ أنت يا ستراتو بقرب مولاك . انك لعبدٌ بارٌ اصطبغت حياتك بصبغة الشرف .
أدر وجهك عني وأمسك لي سيفي أقع عليهِ . افعل يا ستراتو

ستراتو — هات يدك أولاً . الوداع يا مولاي

بروتوس — الوداع أيها الطيب ستراتو (يقع على سيفه) نم مستريحاً يا قيصر
الآن فاني لم أقدم على قتلك بنصف العزم الذي أقدمتُ بهِ على قتل نفسي (يموت)

(صوت بوق . يدخل اوكتافيوس وانطونيوس ومسلاّ ولوسيليوس والجند)

اوكتافيوس — من الرجل

مسلاّ — هو عبد مولاي . أين مولاك يا ستراتو ؟

ستراتو — حرٌّ من مثل العبودية التي أنت فيها يا مسلاّ . فان يستطيع
المنتصرون الاّ احراقهُ الآن فقد انتصر على نفسه ولم يدع لغيره شرف القضاء عليه

لوسيليوس — وكذا كان رجاؤنا فيهِ . شكراً لك يا بروتوس فقد حققت
قولي فيك

اوكتافيوس — سألحق بي كلَّ من كان في خدمة بروتوس . أتبذلُ سعيك
لي يا غلام ؟

ستراتو – أقبل اذا شفع مسلاّ بي لديك

اوكتافيوس – اشفع بهِ يا مسلاّ

مسلاّ – كيف مات مولاي يا ستراتو ؟

ستراتو – مسكتُ له السيف فوقع عليهِ

مسلاّ – خذه اليك يا اوكتافيوس خذ اليك من قام بآخر خدمة لمولاي

انطونيوس – لقد كان اشرفَ رومانيٍّ في المتآمرين . كلٌّ منهم حاشاه فعل فعلته بقيصر العظيم لحسدٍ وغيرة . اما هو فانضمَّ اليهم ابتغاء مصلحة الأمة وارضاء لمعتقده الشريف . ما اكرم حياته وما اشرف عنصره . ان الطبيعة نفسها تنادي بأعلى صوتها وتقول ذلكم رجل كامل

انطونيوس – فليكن اكرامنا له على قدر فضيلته وندفنهُ باحترام عظيم . اما الليلة فستبيتُ جثتهُ في خيمتي موضوع الاكرام العسكريَ نادوا بالجيوش تسترحْ وهلموا بنا نتقاسم مفاخر هذا اليوم السعيد . (يخرجون)



« تمت الرواية »

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء العاشر فبراير (شباط) ١٩١٣ السنة الثالثة

الجمهورية الفرنساوية

﴿ رئاسة ريمون پوانكاره ﴾

رجلٌ من الشعب صار ملكاً . لم يصر اليهِ الملك بالإرث عن والديه ، بل صار هو الى الملك بجدّه واستحقاقه . هنيئاً للشعب الذي يفسح المجال لكلّ كفوء ان يكون ملكاً

ولدت فرنسا ملوكاً عظاماً . بل لعلّها ولدت أعظم ملوك التاريخ الحديث . ما كانت قط عاقراً ، ولا دبَّ اليها العقم في الزمن الأخير . غير أن تمدّنها كان يمشي حثيثاً الى الكمال مشيةَ أخلاقها الى السموّ وعلمها الى الارتقاء . وان يكن قد قام فيها قتلةُ لويس السادس عشر وماري أنطوانت ، فقد قام فيها بعدهم محرّرو الأمم من الرق ، ومطلقو الممالك من قيود الملوك ، ومعلّمو الشعوب حقوق الشعوب

هذه الحكومة التي استهلّت الأمة رئاستها برجل « كتيارس » لم يولد ملكاً ، ولا ورث الملك وراثةً ؛ ثم تنقلت بها من رئيس الى رئيس ،

حتى وضعتها بين يدي « بوانكاره » انما هي النموذج الاول لما سيصير اليه حكم الأمم في المستقبل البعيد

ان شعباً استطاع ان يكون في يومهِ ، مثال جميع الشعوب في غدها ، لهو الشعب الذي يجب على العالم ان ينحني أمامه باحترام

***

في السابع عشر من شهر يناير (ك ٢) الماضي انعقد المجلس الوطني الفرنساوي في قصر فرسايل على مقربةٍ من باريس ، وانتخب مسيو « ريمون بوانكاره » رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية ، رئيساً للجمهورية بدلاً من مسيو « ارمان فاليير » الرئيس الحالي الذي تنقضي رئاسته في السابع عشر من هذا الشهر

دستور سنة ١٨٤٨ — كان الدستور الفرنساوي الذي سُنَّ في سنة ١٨٤٨ يقضي بانتخاب رئيس الجمهورية انتخاباً شعبياً محضاً ؛ اي انه كان لكل فرنساوي لم يفقد صفته السياسية ، حق الاشتراك في ذلك الانتخاب . غير أن هذا الشكل الدستوري كان خطراً محيقاً بكيان الجمهورية ؛ فان الرئيس الذي تجمع الأمة على ترئيسه ، او ترئُسهُ عليها باغلبية آرائها ، يتأيد بقوة ذلك الاجماع ، او بدعامة تلك الأغلبية على الأقل ، تأيداً اذا عزَّزه الطمع ، دفعهُ الى قلب الحكومة من شكل الى شكل ، والاستئثار بها لنفسه ، كما فعل في سنة ١٨٥١ لويس نابوليون المعروف بنابوليون الثالث . لذلك قام رجال الجمهورية على قانون سنة ١٨٤٨ وأبدلوه بآخر جعلوا فيهِ الرئيس منتَخَب منتخَبي الامة : نوّابها وشيوخها .

يريدون بهذا إضعافَ تلك القوة المستمدة من الأمة بوضعها اولاً بين أيدي النواب والشيوخ ، ثم بتدرّجها من هؤلاء الى الرئيس . قالوا : وان في تدرّج القوة من الاصل الى الفرع ، ثم الى فرع آخر ، تجزئةً لها ، وان في هذه التجزئة ، على هذا النمط ، اتقاءً للخطر المشار اليهِ ؛ فالرئيس الذي يجمع عليهِ النواب والشيوخ أضعف شوكة ، وأقل صولةً من الرئيس الذي تجمع عليهِ الأمة على بكرة أبيها

المجلس الوطني — يُطلق اسم المجلس الوطني ، او الجمعية الوطنية ، على مجلسَي الشيوخ والنواب ، متى اجتمعا معاً ، في قصر ڤرسايل ، لانتخاب رئيس الجمهورية . وينعقد هذا المجلس بأمرٍ سامٍ يصدره رئيس الجمهورية قبل انقضاء رئاسته بشهرٍ على الأقلّ . فان لم يفعل ، لأمرٍ ما ، انعقد المجلس لنفسه قبل انتهاء تلك المدة بخمسة عشر يوماً . على انه اذا خلا منصب الرئاسة ، قبل الأجل المقرر ، وذلك اما بموت الرئيس ، وإما باعتزاله ، وإما بخلعه بعد الحكم عليه ، وجب انعقاد المجلس الوطني على الأثر ، بدعوة من رئيس مجلس الشيوخ ، لانتخاب رئيس جديد . والرئيس المنتخَب حينئذ انما ينتخب الى سبع سنوات جديدة وليس لتكملة السبع التي لم تتمّ . ويرئس هذا المجلس في جميع الأحوال ، الرئيس الأول لمجلس الشيوخ ؛ فيقصر العمل على الانتخاب وحده ، وتحظر المناقشة والجدَل

طريقة الانتخاب — كل فرنساويّ ، متمتع بحقوقه السياسية ، يصحّ أن يكون رئيساً للجمهورية . ولكنّ المجلس الوطني لم ينتخب الى اليوم غير مَن كان من اعضائه . اما الانتخاب فالى سبع سنواتٍ ،

وبالاكثرية المطلقة ، على طريقة الاقتراع السريّ . ويجوز تجديد رئاسة الرئيس وتكرارها ، وإن يكن لم تجدَّدْ لأحد من الرؤساء السابقين ؛

مرتب الرئيس — ليس لرئيس الجمهورية مرتّب معين يتقاضاه كموظف في الحكومة . فان النظام الذي وضع في سنة ١٨٧٥ ، ولم يزل معمولاً به الى يومنا الحاضر ، أغفل هذا الأمر تاركاً لمجلسي الأمة تقريره سنوياً في ميزانية نظارة المالية . وقد جعلته هذه في العهد الأخير مليوناً ومئتي ألف فرنك : خصّت الوظيفة منها بستمائة ألف فرنك ، وعينت لنفقات القصر ثلاثمائه ألف ، وتركت الثلاثمائة الألف الأخرى لنفقات الأسفار والاحتفالات

حقوق الرئاسة — اذا كانت الجمهورية في فرنسا قد قامت على اكتاف رجال الثورة ، فلأن تلك الاكتاف كان قد أرهقها استبداد الحكم المطلق ، وناء بها حمل الحاكم الفرد . واذا كان الدستور الفرنساوي قد جرّد رئاسة الجمهورية من معظم حقوق الملكية ، فلأن الدستور يقضي أنّى كان ، بأن تكون الأمة حاكمة نفسها بنفسها بكل معنى الحكم . لذلك كانت السلطة المخوّلة لرئيس الجمهورية ضيقةً ، محدّدةً ، تكاد تخلو من كل مسئولية ، ولذلك ايضاً ما اهتمّ لاحراز هذا المقام العالي — بعد تيارس وقبل بوانكاره — أحد الساسة النابغين

كل ما لرئيس الجمهورية من الحقوق لا يتعدى حقاً تشريعياً محصوراً في قليل من السلطة على مجلسَي الامة ، ويسير من التدخل في سنّ القوانين ، واشتراع الشرائع ؛ وحقاً آخر تنفيذياً مقيداً بقيودٍ

ضيقة الحلقات يتحمل مجلس النظار كل مسئولية فيه

الحق التشريعي — أناط الدستور برئيس الجمهورية حق إشغال مجلسَي الأمة ؛ فهو يجمعهما للعمل او يؤخر اجتماعهما الى أجل . وهو يحل مجلس النوّاب اذا وافقهُ على حله مجلس الشيوخ . غير ان الرئيس لا يستخدم هذا الحق، حسب مطامعه وأهوائه ، ولكن في أحوال معينة نصَّ عليها القانون ؛ كأن يتعذر ، على جملة وزارات متعاقبة ، تسييرُ الأعمال ، والقيام بالواجبات ، لاصرار مجلس النواب على المشاكسة في أمرٍ ما ، واستمراره على رأيٍ رآه ، لأول مرة ، في ذلك الأمر ثم لم يتحول عنه . حينئذٍ يقرر الشيوخ وجوب فضّ المجلس فيعمل الرئيس بذلك القرار

وللرئيس ان يشترك بالرأي مع وزرائه في التشريع ، وان يحمل مجلس الأمة على اعادة البحث ، واطالة النظر في كل قانون طرحتهُ الوزارة في المجلس على بساط الجدل والبحث . وعلى مجلس الأمة ان يفعل بمشيئة الرئيس

الحقّ التنفيذي — يشمل هذا الحق الأمور التالية :

١ً ان يتوّجَ الرئيس باسمه جميع القوانين ، ويراقب تنفيذها

٢ً ان يسامح وان يعفو

٣ً ان يستأثر بقيادة الجيش

٤ً ان يعيّن في الوظائف المدنية والعسكرية

٥ً ان يرئس المجتمعات الوطنية

٦ً ان يمثل الأمة في علاقاتها السياسية الخارجية

أعطيَ الرئيس حق المسامحة والعفو معاً ، ولكنّ الدستور أطلقه في الأول وقيده في الثاني اذ جعله ميسوراً له فقط بموجب قانونٍ يصدّقه مجلسا الأمة ، لأن العفو في عرف السياسة غيرُ المسامحة . هذه لا تمحو الجرم الأصلي بل تمحو جزءًا من عقابه ، أو عقابه كله ، وذاك يلغي الجريمة نفسها كأنه لم تكن جريمة فلم يكن عقاب

وخُوّل الرئيس قيادة الجيش العليا بمعنى أنه رئيس الحكومة الأكبر . غير ان هذا الحق لفظي لا فعلي . فالدستور الذي جعل الرئيس غير مسئول لدى الأمة ، وضع كل مسئولية في اعماله على وزرائه . فمن الصعب جداً ان يعمل الرئيس بهذا الحق ويحمل ناظر الحربية المسئولية عنه . بل الأصعب أيضاً ان يضع مجلس النواب ثقته في ناظرٍ يأخذ على نفسه تبعة هذا الأمر

مسئولية الرئيس — ليس رئيس الجمهورية بمسئول لدى مجلس الأمة بل المسئول عنهُ في جميع أعماله انما هو رئيس الوزارة ، ومجلس الوزراء . غير ان الدستور الفرنساوي قال بوجوب محاكمة الرئيس اذا ارتكب «الخيانة الكبرى» ؛ ولكنهُ لم يفسر هاتين اللفظتين بل ذكرهما مجرّدتين . ثم اعطى مجلسَ النواب حق الاتهام ، ومجلسَ الشيوخ حق الحكم . ونصّ بوجوب تطبيق هذه القواعد نفسها في جرائم الرئيس المدنية كما في جرائمه السياسية

*
* *

ريمون بوانكاره — وُلد في « بارلدوك » من أعمال فرنسا سنة ١٨٦٠

فهو اليوم في الثانية والخمسين من عمره . أما حياته فهي سلسلة جدّ ونشاط ، وأما تقدّمهُ فهو تقدم السائر في مراحل الترقي بالسرعة التي يمشي بها كبار الرجال ، فكانت كل درجة من درجات الارتقاء التي وطئها قذّافةً بهِ الى درجة أعلى حتى لقد أصبح في كهولتهِ في أعلى القمم التي يمكن ان يحلم بالصعود اليها انسان : في الثانية والعشرين من عمره كان سكرتيراً لمؤتمر المحامين ؛ وفي السادسة والعشرين ، عضواً في مجلس النوّاب ؛ وفي الثالثة والثلاثين وزيراً للمعارف ؛ وفي السابعة والأربعين عضواً في مجلس نقابة المحامين ؛ وفي الثامنة والأربعين عضواً في الأكاديمي ؛ وفي الحادية والخمسين رئيساً لمجلس النظار ؛ وفي الثانية والخمسين رئيساً للجمهورية .

هذا هو ملخص حياته المجيدة ، وتقدمهِ المدهش . ولا تكون مثل هذه الحياة الاّ لرجلٍ نابغة متفرّد بصفاتهِ . وأهمّ تلك الصفات ارادة شديدة ، وفكر نيّر ، وثبات في العمل ، وميل عن الأوهام الى الحقائق ، وحكمٌ صائب ، وشعور دقيق . وقد زانتهُ الطبيعة بصفات قلما اتفق اجتماعها في نفس واحدة فبينا تراه كاتباً بليغاً اذا بك تراه عالماً مدققاً ، وبينا تقرأه فيلسوفاً مفكراً ، اذا بك تجده شغفاً بالفنون الجميلة ، وبينا تسمعهُ خطيباً تهتز له أعواد المنابر ، اذا بك تراه هادئاً ساكن الجأش . قال الأب « مرشال » أستاذه الأول وقد اتصل به صدى خطبه الرنانة :

« لو كنت أعلم ان بوانكاره سيستعمل لسانه بمثل هذه الزلاقة ما كنت عاقبتهُ مراراً على الثرثرة في خلال الدروس »

هذا وأما انتخابه لرئاسة الجمهورية فقد كان له أعظم وقع في فرنسا

خصوصاً وفي العالم كله عموماً . واستقبلتهُ الجرائد على اختلاف نزعاتها ولغاتها بكلمات الاجلال والاحترام . قالت جريدة التيمس عنهُ : «ان فوزه يعدُّ فوزاً لمبادىء الجمهورية العاقلة المعتدلة » . وقالت الدايلي مايل : « لم يرأس الجمهورية الفرنساوية بعد «تيارس» رجل ذو تفوُّق حقيقي ، ومحاط باحترام عام مثل بوانكاره » . وقالت عنهُ غازتة المانيا الشمالية : « ان لهُ الفضل الأعظم في حفظ السلم في أوروبا ابَّان الأزمة البلقانية »

اقتراح على شعرائنا — لم تترك صحف اوروبا شيئاً الاَّ ذكرته عن الرئيس الجديد . فامامنا الآن اول مقالةٍ نشرها في الجرائد ، واول مرافعة له في المحاكم ، ومأثورات جمة عن صباه وجميع أطوار حياته . ومما قرأناه له أبيات شعرية نظمها يوم انتقل من حضن الحياة العائلية الى ميدان العمل والجهاد . وهذه هي ترجمة تلك الابيات لعلَّ بين شعرائنا من يسبكها في قالب النظم . قال بعنوان « الفراق الاول »

« ان الذي أتأسف عليهِ هنا ليس الصفاء ولا الراحة المضرَّة . ونفسي القلقة ما كانت لتتكدر من أجل دواعي الافراح والملذات التي أُغادرها

ان الذي أتأسف عليهِ هو نارٌ مدفئة في الشتاء ، وسماء صافية في الصيف

ان الذي أتأسف عليهِ هو أخٌ وصديقٌ ووالدٌ محبوب . هو أمٌ ساهرة ابداً على ولدها

انقضت الايام الجميلة . فالذي أتأسف عليه — ويا له من أسف لا يجدي — لن يرجع ابداً . . . »

حرفة الأدب

« للشيخ أبي السامي مصطفى صادق الرافعي »

لا أريد من معنى هذه الحرفة ما يتجوز به المتكلمون من إملاق أهل الأدب وسوء أثر الزمان عليهم كسوء أثره على بعض الكتب القديمة .. ولا ما يترسلون به من جفاء الأديب واطراحه دون منزلته وتقديره بما ليس من كفايته ، وذهابهم الى أن الأقدار ما برحت تنصرف بسعادته الى غيره ، وبشقاء غيره اليه ، كأنه في لغة الأقدار باب من الطرد والعكس . . . ولا ما يتمثلونه من قبح مكافأة كل اديب لنفسه ، وجنايته عليها وابتغائه بها المراميَ في كل ما أجرى اليه من قصد ، واستهدف له من غرض ، كأنها غير نفسه أو نفس غيره ، فما إن يزال ينصب ويتهالك فيما يعاني من أمر الادب لا يرفق بها ولا يستجمّ لها ، حتى تسترخيَ جوانبها ، وتتناثر بما فيها من قوة ، فيحتف عليها كل بلاء ، ويمكّن منها لكل قضاء ، وهو يرى أن لا بأس على نفسه من شيء ولو كان الموت ما دام قد استيقن أن لا بأس في لبه

لا أريد ذلك وما اليه مما عسى ان تبلغ به بلاغة القوم في تفضيل هذه الحرفة [1] اذا هم جمعوا أطراف البيان وأخذوا في مناحي القول ؛ وانما أشير الى معنى الحرفة على الحقيقة ، وأريد أن أصف شيئاً من اخلاق جماعة يحترفون من الادب صناعة كسائر المهن ؛ والصناعات التي بها قِوام

(١) استوفى الرافعي تاريخ كلمة حرفة الادب وبيان الاطوار الاجتماعية التي تقلبت عليها في الفصل الاول من المجلد الاول من كتابه تاريخ آداب العرب

العيش لهؤلاء المستأكلين والمتكسبين من السوقة والمرتزقة لا على جهة ما تحتاج اليه الحرفة من نفاق السوق ، وتحرّك الصناعة ، وتوفير الغلّة مما تزكو به الثروة ويستطيل النَّماء ، وتتصل أسباب الفائدة ، ولكن على جهة الحاجة اللازمة في كل حرفة الى الأدوات والآلات ، والى التمرّس بالاسباب والوجوه ثم الى نزعة اللؤم التي لا بدّ منها في كثير من أهل الحرف والصناعات عند ما يعرض من اهتضام الحق وبخس المماكسة ؛ وعند تقليب النظر في أحوال الحرفاء وما أفاء الله عليهم من خير وبسط لهم من سعة ؛ وعند اهتمام القلب بكسادٍ إن وقع في الحرفة ، وفوتٍ ان فات من الربح ، وضعف ان أخذ في اطراف العمل ، وصداع ان ضرب في رأس المال ؛ وعند نصب البدن واستفراغ الذّرع وتوميق الصبر ؛ فهذا كله وما يكون من بابه ويتصل بأسبابه رأيناه في كثير من أهل الأدب الذين اتخذوا من الأدب حرفة يُعرفون بها دون أن تعرف بهم ، وذهبوا يتجرون في أخلاقهم على الناس ، ولعل أحدهم أن يكون اسوأ من الحمق ، واذمّ من الحسد ، وأقبح من الجهل ؛ ثم لعله ان يكون مع ذلك أضعف مَن أنت واجد ممن يدّعي الفهم ، ويتنبل بالعلم ويتنفق بالادب ، ولكنه يمضي ممدوداً له في غيّه ، وينطلق منفّساً له في باطله ، ولا يزال قد ملكه السرف ونزت به الضراوة ، وبعث منه التسلط ، حتى يأخذ في كل فنّ من الحمق ، ويضرب في كل ناحية من السخف ، زرايةً على هذا ونفاسة على ذلك وتربصاً بغيرهما . ثم هو في جماع ينزع الى لؤم الحرفة ويتسكع في كل وجه من السفه منتحلاً ما شاء ان يتنحل

من الأسماء يصنع منها المعاذير ، ويستر بها على نفسه فضيحة من الاخلاق كان الرأي ان يتوقاها قبل ان تظهر ، لا ان يحاول سترها وقد ظهرت ؛ فربما زعم انه منتقد أو متصفح أو هو يصلح عيباً أو يبغي مرمة ولا بدَّ في هذا ومثل هذا بزعمه من سورة حمق ونزوة غضب ومن كلمة كزجرة المؤدب ، وأخرى كغمزة المثقف ، ونحوها مما يكون انتقاماً ويسمى في مذهبهم انتقاداً ولعناً ، ويسمى في اصطلاحهم طعناً . . . وربما كان الرجل من الحماقة وفساد الاخلاق بحيث يرى سوء الادب أدباً ، والجنف عن الحق الواضح قصداً ، والتنطع فيما يجهل علماً ، وبحيث لا يرى له حجة ظاهرة على أحد الاّ في العناد وركوب الهوى والمخاطرة بالنصفة والمعدلة فمن ثَمَّ لا يرى عليه لأحد حجة ظاهرة ، ولا يرى ان احداً يقوم له في الحجاج او يثبت معهُ في الخصام ، او يرجع بالحق عليه وعلى باطله وهو ما هو ؟ غبي قَذَمٌ الى الجفاء والغلظة والى السجف والفسولة وتراه على ذلك يجمع الى ضعف الرأي قوة العجب والى قلة الصواب كثرة التخطئة والى بطء الفهم سرعة الحكم ويرى كأن الله لم يخلق لأحد من الناس عقلاً الاَّ على قياس من رأسه . . . فان أنت جئته بما يعلو عن فهمه ويخرج عن طاقته بادر فقطع فيهِ برأيه وجزم عليهِ بالركاكة والإِحالة والإِفساد وسوء التعبير . ولِمَ ؟ لانهُ هو لا يفهمه فلا يوجد من يفهمه البتة اذ كان ما زاد عن قياس رأسه لم يكن الى العقل بل الى الجنون . . وان هو أراد ان يبتَّ الرأي في كلام من الكلام ويتعسف في الجزم عليهِ بانهُ محال لا يستقيم ، مفسد لا يصح ، مضطرب لا يتماسك ، زعم

لك بلا حياء انهُ لا يفهم . وعليك أن تكون ذكياً بالوراثة منطيقياً بالفطرة لتنتهي من هذه المقدمة المسلمة . . . الى النتيجة الطبيعية . . . فتقطع بان ما لا يفهمهُ هو لا يُفهم بتةً إذ لا يوجد من يستبطن حقيقته في الجيل كله ما دام علم الهستولوجيا (الانسجة) لا يقيم عليهِ البرهان بان رأسه غير ذلك الرأس الذي نصبهُ الله في أرضهِ مقياساً للعقول . . . !

وبعد فان من لؤم هذه الحرفة ان ترى صاحبها ساقط الحرمة ذمر المرؤة ، زريّ النفس بذيئاً متهراً خفّاشاً في هجائه أستغفر الله بل في انتقاده . . يضع لسانه حيث شاء من عِرض أو خلُق أو صيغة لا يبالي في كل ذلك ان يكون صدق وبرّ أو كذب وفجرَ ، بل همهُ ان يكون قد أوجع وأمضّ ، وطبّق المفصل الذي يحزُّ فيهِ لا ينكر من ذلك على نفسهِ نكيراً ولا يغير منهُ تغييراً . ولا بدع فاني رأيت أن أحداً من الناس لا يخلو من الفضيلة الاّ كان فيهِ ما يعتدُّه في رأي نفسهِ فضيلة وان فضيلة اللئيم التي يراها أن لا يخذله لؤمه دون الاستطالة والتمكن ؛ فلو كذب وعقّ وكفر النعمة ، وغمط الحق ، وجاء بكل مخزية ومندية ، ثم كان له أن يستطيل ويغلب ، لقام ذلك عنده مقام الصدق والمبرة والشكر والإقرار والاحسان ، ولكان عند نفسهِ أفضل أهل الفضائل جميعاً ؛ فهو لذلك لا يتورّع عن قول بذيء ولا يتنزه عن فعل دنيء ولا يأبى ان يكون أسخف الناس عند الناس اذا كان من نفسهِ ما عرفت

والغرور نعوذ بالله منه فهو ألأم اللؤم في محترفي الادب خاصة قلما يؤتى أحدهم الاّ من جهتـه ، ولا يعرض له الشيطان الاّ من قبله ؛ وانه

لجنون هؤلاء العقلاء اذا كان لكل امرئ شعبة من الجنون . فلو رأيت ذلك المغرور، وَرِم أنفه ، ان يكون أحد أولى منه بالحق أو أحق بالصوت فلجّ في العناد ، وجنح الى الباطل ، وأصرّ واستكبر استكباراً ؛ ولو رأيته قد زيّن له الغرور وسوّلت له نفسه الخبيثة أن يهتف بأحد هتفة مشؤمة أو يقوم فيه مقاماً مشهوداً لجعل يفتري الكذب ويصنع الباطل وينقض الحق ويحيل الصدق حتى يصف لك أفضل خلق الله فلا تراه في ألفاظه الاّ غثاً بارداً سمجاً ، وأكرم خلق الله فلا تعرفه الاّ كزّاً لئيماً متوقحاً ، وأعلم خلق الله فلا تصيبه الاّ جاهلاً غبياً فدماً ، وأفصح خلق الله فلا تجده الاّ عياً بكيئاً حصِراً ؛ وهذا لا يزال يجترئ على الله ، ويمثل بخلقه هذا التمثيل ، ويمسخ منهم هذا المسخ حتى لكأن الله إله المخلوقين وهذا المغرور اله الاخلاق ، وكأن لله جلّ شأنه قوة الخلق ولهذا الأحمق في معارضتها قوة الاختلاق

ولو قيل لي إن في أديب من الادباء مائة فضيلة وفيه الغرور ، لما صدّقت أن تكون فيه مع هذه الرذيلة فضيلة ؛ فان الغرور لا يكون الاّ من سوء تقدير المرء لنفسه وتقدير نفسه للناس ، وهما خصلتان لا غاية لهما الاّ تجاوز غاية المدح وغاية الذم ؛ وما أسرف امرء في مدح الاّ كاذباً ولا أفرط في ذمّ الاّ كاذباً ومتى كانت مع الكذب فضيلة ؟ ولولا هذا الغرور ما استنكف المخطئ ان يفيء الى الصواب ، والضال ان يثوب الى الحق والجاهل ان ينزل الى حيث يتعلم ، والناقص ان يخرج الى طلب الكمال من غيره وهذا كله تراه على أهونه وأقله في عوام الناس وطغامهم

وحثالتهم من لا يثبتون على الباطل الاّ بمقدار ما يفهمون الحق ؛ ولكنه على أعظمه وأتمه في هؤلاء الذين يحترفون الأدب لأنهم أهل زلاقة ولَسَن وصنعة من الكلام ، وانما قلوبهم عند النضال في حصون من وراء أفواهم فلا تزال تصرع دون قلوبهم كل حجة ، أو ترد على أعقابها مهزومة أو كالمهزومة وهيهات هيهات ان تصل اليها مطلقة ، أو تنزل فيها ان نزلت الاّ موثقة . وصفة المغرور ان يكون لسانه فوق عقله ، وتكون نفسه تحت لسانه ، فكيف تراه يكون لو تمت له مع هذه الصفة قوة اللسان وسُرعة البديهة وشدّة العارضة واستجابة المعاني وهي أخصّ أدوات حرفة الأدب ؟

على أني يعلم الله ما رأيت كالغرور من هؤلاء الادباء يذم لك الغرور وينتفي منه ويعتده السيئة المجترَحة التي لا تكفّر عنها الحسنة بالغةً ما بلغت ، ثم لا تجده الا أشدّ الناس كلفاً بأن يكون كل ما يؤثر عن المغرورين مسنداً اليه ، متظاهراً عنه وأن تفشوَ له بذلك فاشية في الألسنة وتذهب عنه القالة في المجالس ليكون مرهوب الجانب ، متقى اللسان ، مخشيّ المعرّة مستعاذاً بالله منه ، وليُعرف أنه لا يضع جانبه لخصم ، ولا يغتمز فيه عدوّ غميزة ، وليس أحد معه أبداً الا على خطأ ، وليس هو مع أحد أبداً الا على الصواب ؛ وأنه على ذلك سريع البادرة قبيح الازراء موجع القذع حاصد اللسان ؛ وان من حمل نفسه عليه فقد حملها على التهلكة وأخطرها لما لا يملك له دفعاً دفعاً ، وطلب بها ما انّ المعجزة كلها في أيسره ؛ وان من أخلد اليه وشدّ به يده والتمس مناصرته ، فذلك

الذي يضرع كل عدو الى أمانه ، ويخرّ كل قلم ساجداً يطلب المغفرة من لسانه . الى صفات أخرى من أمثال هذه لا يكون الغرور بدونها غروراً ، ولا تكون هي في أحد الا بخذلان من الله

فما أشأم حرفة الأدب على أهلها وعلى الناس من أهلها . . . على أنه ما من خير الا وفيه جهة قريبة من الشرّ تجعله كله شراً ان أُريد ، ولا من شرّ الا وفيه جهة من الخير تحيله كله خيراً ؛ فالأمور بأسبابها ، والآداب بأخلاق أربابها ، وقلما نبغ أديب الا كان انساناً فوق الانسان ، واذا اعتبرت أخلاقه لا تراه الاّ أقرب الى الملَك أو أقرب الى الشيطان

كيف نقيس الزمان

الزمان ؛ ما هو الزمان ؟

يمرّ بنا ونمرّ به ، يُحيينا ونحييه ، يلاشينا ونلاشيه ، ولا نعرف ماهية كيانه . ويعبر جسر الحياة تاركاً بين جوانب الأحياء جروحاً ، ناثراً على سواد الشَعر بياض القدَم ، طابعاً على الجباه الوضّاحة تجعدات المجاهدة والملل ، دون أن نحاول ارهابه او الاقتصاص منه : الشيخوخة قبلةُ الزمان للبشر . لكن ما هي الشيخوخة ، وما هو الارهاب ، وماذا يعني العقاب ؟

والزمان . . . ما هو الزمان ؟

أراد لبنتز تحديده فقال فيه أنه « تتابع الاشياء المتواردة » . وسواء

كان هذا التحديد كافياً او غير كافٍ على الاطلاق ، فهو دائماً يعبر نوعاً عن أهم أحوالنا البسيكولوجية والفيسيولوجية البسيكولوجية المنقسمة الى ثلاثة ظروفٍ هي سلسلة حياة الانسان : الماضي والحاضر والمستقبل . ولـكلٍّ من هذه الظروف علاقة كلية بالآخر يستحيل فيهـا الحذف والالغاء ، لانها ان لم تكن تلاشى الظرفان وتلاشى الزمان ، وهـذا من ضروب المحال

فالحاضر بمفهوميتنـا هو ما يقع تحت ادراك الحواس اللمسيّ أو المعنويّ ، في آنٍ كائنٍ بين خطين وهميين كل منهما اكثر أو أقلّ وضوحاً : خط الذكرى وخط الأمل ، أي خط الماضي وخط المستقبل ؛ والحاضر مزيج من الاثنين ، وفي الوقت نفسه لا هو هذا ولا هو ذاك . بيدَ ان العلم المجرّد يكاد يلغي هذه الازمنـة الثلاثة ، وليس الزمان في نظره الاّ تتابع أشياءٍ وأوقات لا بداية فيها ولا نهاية ، كما ان الفضاء مسافة لا تحدّ ، ولا أعالي فيهـا ولا أداني . « وجميع أجزاء الوقت التي لا نعيها كساعات النوم وساعات الغيبوبة تمتزج بعضاً ببعض وتتيه في هاوية الزمان » (كانْت)

فالزمان — كالمسافة — كائن وان لم تتوارد فيهِ أشياء متتابعة ، لأن ما لا نراه نحن يراه غيرنا ، وما لا يراه غيرنا يستمد من الطبيعـة قوةً ، ويتبادل مع أنواع متشابهة متضادة حركته الحيوية الدائمة . وفروغ الزمان — كفروغ المسافة — كلمة لا تعني شيئاً ، ويتعذّر على الانسان تصوُّر مسافة أو زمن خاوٍ خالٍ من كل ما يقع في دائرة الحواس : فهنالك دائماً

هواء ونور أو ظلام؛ وذرّات صغيرة هي عالم بذاتها، ودقائق أثيرية إن هي الاَّ جراثيم الحياة

أما قياس الزمان مجرداً كما هو فأمرٌ مستحيل لأن ادراكنا متناهٍ والزمان غير متناهٍ، فضلاً عن ان القياس يستوجب مشابهة حجم الى حجم من نوع ثانٍ. فكيف نقيس الماضي وهو قد انقضى ولم يبق منهُ الاَّ الذكر — أي أمانة في الحواس — بالمستقبل الذي لا نتامس خيـاله الاَّ في دوائر الرموز والتقادير؟

على أنّا وان لم نقوَ على قياس الزمان طولاً وعرضاً فتأثيراتنا النفسانية ميزان بخله وكرمه، ولا قيمة الاَّ بما يورثه الينا من السعد والشقاء. أرواحنا ملك مشيئته ولا ينفك جائلاً فيها — حتى يرضى. وهل يعرف الزمان معنى الرضى؟

وهناك أقيسة علمية رياضية آلية تترتب عليها حركات الاجتماع وقد اصطلح البشر على استعمالها والسير بموجب قواعدها

***

منذ فجر الوجود كانت الحوادث الفلكية الطبيعيـة أساس تقسيم الزمان، وأهم هذه الحوادث لدينا هي دورة الشمس ودورة النجوم. والاوقات في علم الهيئة السماوية ثلاثة: يوم شمسي، ويوم متوسط، ويوم نجميّ. وكلٌّ من هذه الايام ينقسم الى أربع وعشرين ساعة، وكل ساعة تتركب من ستين دقيقة كما ان كل دقيقة تتألف من ستين ثانية

فالوقت الشمسيّ يقـاس بمرور الشمس تتابعاً في مكان غير ثابت

وهو أطول من اليوم النجمي . وأطول يوم شمسي هو ٢٣ دسمبر ، وأقصر يوم يومُ ١٦ من الشهر نفسه

والوقت المتوسط أوجده الفلكيون لاصلاح الوقت الشمسي ، وذلك باختراع شمسين آليتين تدوران على محورهما . أولهما تجتاز القوس السمتية بحركة متعادلة متوازنة ، بنوع انها تصلح حركة الشمس الحقيقية المتباطئة بسيرها من البعد الأدنى الى البعد الأقصى ، المتسرعة بسيرها من البعد الأقصى الى البعد الأدنى . والشمس الثانية أو المتوسطة ، تجتاز خط الاستواء السرعة التي تجتاز بها الشمس الأولى القوس السمتيـة ، فتمران في آن واحد في خط معادلة الليل والنهار . وحركة هذه الشمس المتوسطة اليومية هي اليوم المتوسط وهو أصلح جميع الايام الشمسية على تعددها واختلافها

والوقت النجمي يقاس بمرور نجمةٍ تتابعاً في مكان واحد في ساعة معينة ، والمسافة بين المروو والمرور هي اليوم النجمي وهو أقصر قليلاً من اليوم الشمسي ، ذلك لأن بينا الأرض تدور دورة تامة على محورها تتبع الشمس في القوس السمتية انحناء ملائماً لحركتها الخصوصيـة غير انه نقيض حركة النجوم اليومية . وأعظم فرق بين اليوم الشمسي واليوم النجمي هو في ٢٣ دسمبر وقدره ثلاثون ثانية . وأقصر فرق بينهما في ١٦ من الشهر نفسه وقدره ٢١ ثانية . واليوم النجمي هو في ٢٣ دسمبر وقدره ٢١ ثانية . واليوم النجمي أقصر قليلاً من اليوم المتوسط

ان كانت حركة الفلك أساس قيـاس الزمان فالساعات والمقاييس

(Chronomètres) تدوّن تلك الحركة . وأول آلة كان يستخدمها الأقدمون هي بناية حجرية أو خشبيـة (Gnomon) تحدد الساعات وتقيس ارتفاع الشمس بموجب اتجاه الظـل نحو الشرق والغرب ، نحو الشمال والجنوب . ويقال ان الأهرام شيدت لهذه الغاية ايضاً . ففي اهرام مصر اذاً درس مهم من هذا القبيل

وأعقبت الساعة الشمسية هذا النوع من قياس الوقت . وأقدم ساعة شمسية يذكرها التاريخ هي ساعة اشاز ملك اورشليم سنة ٧٤٠ قبل المسيح وردّد ذكر هذه الساعـة صدى الاجيال ناقلاً خبر أعجوبة النبيّ اشعيا الذي اخّر الظلّ في الساعة عشر درجات . اما الآن فلا نرى أعجوبة في مثل هذا الفعل لأنه يتجدد يومياً في ساعة تنعت بالرجعية من اختراع فلاماريون في مدينة جوفسي

ووجدت أول ساعة ثمينة في اثينا في سنة ٤٣٣ قبل المسيح ، وأول ساعة في رومية في سنة ٣٠٦ ق . م .

هذه كانت أقيسة النهار . وكانوا في الليل يستعملون ساعـة الماء (Clepsydre) أو الساعة الرملية (Sablier) وهذه الساعة عبارة عن حوض صغير وفي قعره ثقبٌ يسيل منه الماء — او الرمل — نقطة فنقطة في أنبوب ذي درجات محصاة تدلُّ الملآنة والفارغة منها على عدد الساعات . وكانت هذه المقاييس مصطلحاً عليها بين جميع فلكيّي الشرق من كلدان وصينيين ويونان . وقد أهدى هارون الرشيد الى شارلمان ساعة ماء قيل انها اجمل ساعات ذلك العصر . وكان ذلك بمناسبة اتفاقهما

ضدّ يونان الاستانة ومسلمي اسبانيا

وأول من أوجد حركة ساعاتنا الحالية راهبٌ عاش في القرن العاشر يدعى الأب جربر وقد صار بعد ذلك بابا رومية وسمي سلفسترس الثاني . واشتغلت الشعوب على اختلافها في تحسين الآت الساعة وضبط حركتها الدقيقة ، وبرع في ذلك المانيا وفرنسا فأوصلتا قياس الزمان الى حدّ قصيّ من الدقة الصناعية والاتقان الذي لا اتقان بعده . اما اشهر ساعة أوروبية فهي ساعة ستراسبورج وقد استمرّ اساتذة الصناعة على الاشتغال بها مدة جيلين ونيف ولا تزال باقية الى ايامنا هذه . غير ان حكومة ستراسبورج اضطرت الى تغيير بعض عقاربها وتبديل بعض آلاتها في القرن الماضي

* * *

لم يكتف زعماء التقدم الآليّ بقياس الزمان بل ارادوا قياس الارتقاء في الكون بواسطة الآلات . فما اكثر دعوى الانسان ! فقد اخترع هاينرتش شميد تلميذ هيكل ساعة لا تعدّ الساعات بل الاجيال ، وتدل عقاربها الى الدرجة التي وصلتها الانسانية في سلم الارتقاء

كل ساعة في هذه الآلة التاريخية عبارة عن عشرين ألف عام ، وكل دقيقة تمثل ثلاثة اجيال ، وكل ثانية تعني خمس سنوات . فليس ما يذكر في النهار الانساني قبل الساعة العاشرة صباحاً — أي العصور الميثولوجية . وقبل الظهر بعشرين دقيقة تدل العقارب على ظهور آثار الارتقاء الأولي في مصر وبابل . ومنذ سبع دقائق — بالنسبة الينا — تجلت شمس

الفلسفة اليونانية وانتشرت مبادىء العلوم . ولم يمض بعد اكثر من نصف دقيقة على ظهور الآلات البخارية ، كذا ولم ننتبه غيبوبة الجهل الى عالم المعرفة الاَّ منذ دقيقة وبعض الثواني

هذه فكاهة علمية فلسفية . لكنها كجميع الفكاهات تضمر تهكماً ودعوى ، وتمكن في اعماق معانيها مرارة في رغبة المعرفة ، وألماً في استكشاف ما اغمض عن العقول في ضمير الوجود

فياليت شعري لماذا كانت الايام ولماذا كنا ؟ ألندوّن حركات النجوم بعقارب معدنية ، أم لنقابل نبضات القلب في الصدر بخفيف الافلاك في الأثير؟ ألنرى الزمان تائهاً في دوائره الابدية التي لا مجال للمدارك فيها ، أم لنشعر بأقدام خياله دائسة على الارواح فتطبع عليها ما شاءت من آثار حاسة مجهولة بذاتها ، نسميها ألماً أو سروراً بحسب ما تُسر به الى أعصابنا من الاهتزازات المريحة أو المضنية . . . ؟

أم كانت الايام وكنا لنرتقي بها وتتعظم بنا ؟ مىّ

خطرات

« لكارمن سيلفا – ملكة رومانيا الحالية »

* ما يُخجل في الصبى ، يُبكي في الكهولة ، ويُضحك في الشيخوخة
* النار تغلي الماء والماء تطفئها ؛ لا تكرم الجحود لئلا يطفئك
* البيت لا أولادَ فيه كالجرس لا مطرقة له !
* غيرة الخاطب محمدة ، وغيرة الزوج اهانة
* الحب قويّ يفلّ السلاسل ، ويكسر القيود ، ولكنه يقتله تثاؤب بسيط !

في رياض الشعر

الشعر والشعراء

هل عرفتم لعاشقٍ نُظراءَ عشقَ الأرضَ قلبهُ والسماءَ
تقطعُ البرَّ منهُ لحظةُ عينٍ حين يجتاز فكرُهُ الجوزآءَ
يُصلحُ الحسنُ عندَه كلَّ خلقٍ فيسوّي الاحياءَ والاشياءَ
شبَّ مذ شبَّ عاشقاً لا يبالي حكمةً كانَ عشقهُ أم خطاءَ
عشقَ الروضَ والغياضَ وأزها رَ الروابي والأغصنَ الخضراءَ
وصغارَ النجوم تبدو وتخفى والدراري والقبَّةَ الزرقاءَ
وفضاء البحار والسحبُ تحكي سُفناً تحتها تشقُّ الماءَ
وسكونَ الدجى كأنَّ الكرى أل قى عليهِ مع الظلامِ غطاءَ
هامَ بالغابِ زانها الشجرُ العا لي وزانَ الفضاءَ والصحراءَ
يسمعُ الوحشَ والطيورَ فيهوى كلَّ صوتٍ كأنَّ فيهِ غناءَ
أيُّ تاجٍ يتوّجُ الغابَ في ك لّ صباحٍ يُزالُ عنها مساءَ
دررٌ من أشعة الشمسِ صيغت ملأتها مهابةً وبهاءَ
واذا الشمسُ بالحجابِ توارتْ تكتسي الغابُ حلةً سوداءَ
تحتها تنضوي الطيورُ فتمسي دونها كلُّ جنةٍ غنَّاءَ
انَّ في الغاب للقوافي عروساً جمَّةَ الحسنِ تفتنُ الشعراءَ
تتراءى فلا يَراها سواهم وَهيَ ليستْ لغيرهم تتراءى
ولذا يرتجي من الزمنِ الشا عرُ لو أنهُ يجيبُ رجاءَ
عيشةً في الخلاء لا عيب فيها غيرَ أنْ ليس يسمعُ الضوضاءَ

حيثُ لا خبثَ في الهواء ولا في الـ ـترب والماء يجلبُ الادواء
حيث لا رزقَ كلما ركض المر ء مجداً وراءهُ يتناءى
فهوَ ما بينَ خوفِ سبقٍ وكدٍّ كغريقٍ يصارعُ الانواء
لا تطيبُ الحياةُ الاَّ لمن يه ـربُ منها ويهجرُ الاحياء

☆☆☆

ليت شعري متى أرى شعراء الـ شرقِ يوماً بفضلهم أغنياء
ورثوا مَنْ تقدَّموهم فنالوا شرَّ إرثٍ مذلةً وشقاء
بين هجوٍ كالسبِّ أو هوَ أدنى ومديحٍ تعدُّهُ آستجداء
عوَّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ فيهم حينَ يسألُ الكبراء
ليس كالمالِ للقرائح سمٌّ حين يلهو بها بيعاً وشراء
انما الشعرُ للنفوس غذاء أفسدوهُ فصيَّروهُ هُذاء
يتبعُ الشعرُ أهلهُ فامتهاناً وابتذالاً أوْ عزَّةً وإباء

☆☆☆

أيها الشاعرُ اتَّقِ الله واذكرْ أنَّ للشعرِ حكمةً عليـاء
كنْ دليلاً الى سبيلٍ سويٍّ ومناراً يبدِّدُ الظلماء
ثمَّ لا تنسَ موطناً كان يوماً لكَ كالأمِّ نسبةً ونماء
فاحترمْ عهدَهُ وعهدَ بنيهِ ثمَّ علِّمهمُ كذاكَ الوفاء
علِّم الشعبَ انَّ للشعب ديناً يمنحُ النفسَ قوةً ورجاء
قلْ لهُ إنهُ كذلك حرٌّ يعبدُ اللهَ مطلقاً كيف شاء
خُلِقَ الدينُ رحمةً غير أنَّ الناس كانوا لبعضهم أعداء
هدموهُ سرًّا وشادوهُ جهراً وأقاموا منهم لهُ رؤساء
فانبرى بعضُهم عدوًّا لبعضٍ يخدعون الجهَّال والبسطاء

عمرَكَ اللهَ ليس أعجب أمراً من رؤوسٍ تهشّمُ الاعضاء

٭٭٭

ليس هذا القريض الاّ حديثَ الـ روح أوحت بنظمهِ إيحاء
فتملّكْ بهِ العواطف واملأ كلَّ نفس فضيلةً وعلاء
واتخذْهُ الى القلوب سبيلاً وتلطّفْ تصطدْ بهِ العنقاء
لا تهاجمْ بهِ عفافَ العذارى لا تُضلَّ الاحداثَ والضعفاء
لُذْ برأيِ الجمهور في كلّ صعب وَصُنِ العدلَ وارحمِ البؤساء
لا تصفْ أيّ حالةٍ قبل أن تد رسَ منها الافعالَ والاسماء
لا تقلّدْ فيهِ ولا تتكلفْ في المعاني مشقةً وعناء
قلْ سلامٌ على القديم ودعهُ فكفانا تقلّدُ القدماء
وتعلّمْ اذا رأيتَ دعيًّا كيف تعمى عن أن ترى أدعياء
وتجلّدْ لصنعةٍ مَنَحَ اللَّـ ـهُ ذويها تجلداً وعزاء
لهوًى في نفوسهمْ زاولوها وكذا اللهُ يخلقُ الاهواء
عشقوها فأسكرتهمْ زماناً ثم ماتوا من سكرهم فقراء
فهمُ كالشموعِ تفنى احتراقاً وهمُ كالشموعِ تلقي ضياء
رحمَ الله مَن مضى ولنفاخرْ أنّ للعلمِ عندنا شهداء

نقولا رزق الله

﴿ شكوى شاعر ﴾

يا نسيمَ الشيح ان جزتَ حمًى يستقي الدمعَ على البعدِ رَهاما
أبلغِ المحبوبَ عني سلوتي قبلَ أن تُبلغهُ عني السلاما
علّهُ يبلو اناساً بعدنا فيرى مَن ذا على العهدِ أقاما

ربما أعلنَتَ مرضاةَ الهوى سرَّ من تهوى فقطَّعتَ الذماما
أيها الباذرُ حبًّا في الرُّبى جئتَ تصطادُ فطيَّرتَ الحماما
قد سكرنا فوجدنا دولةً وصحونا لم نجد الاَّ المُداما
وَبذرْنا العمرَ حُبًّا ومُنىً وحصدناهُ انشقاقاً وانقساما
ولقد عشنا كِراماً في الهوى فاذا مُتنا بهِ مُتنا كِراما

عبد الحليم المصري

﴿ نظرة بعيدة ﴾

ويح العيونِ أكلّ شيءٍ أبصرتْ أغرى بها ألماً وهاجَ شُجونا
القبحُ يقذيها وتسبلُ دمعها غرُّ المحاسنِ حسرةً وفتونا
فانظرْ كانك حين تنظرُ لا ترى أو عِشْ معنًّى في الحياةِ حزينا
أو قلْ لغاويةِ العيونِ تقدَّمي عهدَ الملاحةِ والشبابِ سنينا
ان الذي يسبيكِ سوف تريْنهُ قوساً ولكنْ لا تُصيبُ طعينا
قد كان يُذكركِ السماء فقد غدا حدِباً يحنُّ الى الترابِ حنينا
الدهرُ أغرى بالجمالِ جنودَهُ لولاهُ جُنَّ العاشقونَ جنونا
ان أبدعتْ أيدى الطبيعة صورةً جاء الزمانُ فأفسدَ التلوينا
فأعاد نضرتَها البهيةَ سُفعةً وأحالَ سوداء الغدائرِ جُونا
حاشايَ أشمتُ بالجمالِ وانما أجدُ الخيالَ على الخيالِ معينا

عباس محمود العقاد

ڤرسايل

VERSAILLES

اتخذ الانسان الحروف ، والانغام ، والألوان ، والاحجار ليعبر عن افكار عقله وعواطف قلبه . فنشأ عن ذلك فنُّ الكتابة وفنُّ الموسيقى وفنُّ التصوير وفنّ الهندسة . وكل فنٍّ من هذه الفنون يُعدُّ مظهراً من مظاهر العقل البشري ، وشكلاً من الاشكال التي تجلى بها في خلال الاجيال والعصور ؛ فنبغ الكتَّاب البارعون ، والموسيقيون المطربون ، والمصوّرون الحاذقون ، والنقاشون الصانعون . وكانت درجة نبوغهم بنسبة حذقهم في استعمال المادة الأوّلية — من ألفاظٍ وأنغامٍ وألوانٍ وأحجار — في إبراز مولّدات أفكارهم وبنات قرائحهم

ان البصير المتأمل يقرأ تاريخ الفكر البشري تارة مدوّناً في كتاب ، وطوراً موقّعاً في لحن ، وحيناً ممثلاً في رسم ، وآونة منقوشاً في بناء ، حسبما كتبهُ القوم بحروف أو نغم أو لون أو حجر

وما اهرام مصر ، وبعلبك الشام ، وحدائق بابل ، وأكروپول آثينا ، وكاپيتول رومة ، وايوان كسرى ، والخورنق والسدير ، وبرج إيفل ، وجسر بروكلين الاَّ صفحات كبيرة من ذلك الكتاب العظيم المدوَّن فيهِ تاريخ البشر القديم والحديث بحروف من حجارة وحديد . فنقرأ فيها عادات القوم وأخلاقهم وأميالهم وأطوارهم كما نقرأها في أقوال بنتاؤور وهوميرس وڤرجيل وامرىء القيس وغيرهم ؛ أو كما نسمعها في نغمات

الموقّعين ونراها في ألوان المصوّرين منذ القِدَم حتى اليوم

***

من أجمل فصول هذا التاريخ المكتوب بالحجر المنحوت قصر فرسايل الشهير . واذا كانت عظمة المنشيء تتجلى في ما ينشيء ، وابّهة الواضع تظهر في ما يضع ، فاننا نصف هذا القصر بأبلغ وصف اذا قلنا أنه أثرٌ من آثار لويس الرابع عشر الكبير الذي ازدهرت العلوم والمعارف والآداب والفنون والصنائع في عصره ازدهاراً قلما عرفتهُ من قبل ومن بعد ، حتى أُطلق عليهِ اسم «الملك — الشمس» وعلى عصره اسم « العصر الذهبي »

وهذا القصر قائم في البلدة المعروف باسمها ، وهي واقعة على مسافة ثمانيــة عشر كيلومتراً من باريس جنوباً بغرب ، وقد ورد ذكرها لأول مرة في التاريخ في النصف الاول من القرن الحادي عشر . ولم تكن في بداية عهدها سوى مزرعة قائمة في ظهرانيّ العاصمــة ، يقصدها ملوك فرنسا — وأخصهم هنري الرابع ولويس الثالث عشر — للصيد والقنص في غابتها ، الى ان شاء لويس الرابع عشر ان يجعلها مقرّاً ملكياً له ، فتبارى رجال الفنون والصنائع حتى أقاموا فيها ذلك الصرح الشاهق ، فقام تحفّ به العظمة والجلال ، ويكتنفهُ الذوق والجمال ، مثــل كل ما تمّ على عهد هذا الملك المجيد من الاعمال . وقد بدأ العمل في بناء القصر سنة ١٦٦١ ؛ وظلّ البنّاؤون والرسامون والمصوّرون يعملون فيهِ مدة احدى وعشرين سنة متوالية ، وكان الملك يطّلع على كل الرسوم والمقايسات ويراقب بنفسه تنفيذها . ويبتدئ تاريخ بلدة فرسايل في الحقيقة من ذلك العهد .

لأن الملك امر ان تقام حول قصره منازل لضباط بلاطه ورجال حاشيته . وأخذ الأمراء يتسابقون لتشييد القصور لهم حتى يكونوا على مقربة من سيدهم ومولاهم . فاتسع نطاق البلدة وزاد عمارها . ولم يسمح لأحد ان يزيد بناء داره عن دور واحد . وشذّ عن هذه القاعدة قصر كلاني (Clagny) الذي أراده الملك مضاهياً لقصره رونقاً وجمالاً ، وأُعدّ لسكنى « مدام ده مونتسپان » ؛ على انه هُجر فيما بعد وهدم بأمر الملك سنة ١٧٦٩

وظلت البلدة في عمار متواصل على عهد لويس الخامس عشر . وفي ٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٧٨٧ عُقدت فيها جمعية الاعيان، فكانت بداية الثورة الفرنسوية الكبرى ، لأن هذه الجمعية قررت تقسيم البلاد الى مقاطعاتٍ تديرها مجالس محلية . وهذا أشبه شيء باللامركزية التي يطلبها العثمانيون اليوم

وجاءت سنة ١٨٨٩ فكانت ڤرسايل ميداناً لحوادث خطيرة يطول تفصيلها لأنها صفحة كبيرة من تاريخ الثورة . ففي ٥ مايو من تلك السنة كان انعقاد الجمعية العمومية في ڤرسايل ؛ وفي ٢٠ يونيو اجتمع فيها مندوبو الأمة وأقسموا ألاّ يتفرّقوا قبل ان يسنّوا للبلاد نظاماً دستورياً تسير عليه ؛ وفي ٥ اكتوبر هجم شعب باريس على ڤرسايل ، ودخلوا القصر عنوةً ، وعادوا ثاني يوم بالملك والملكة أسيرين الى باريس . وظلت المدينة في هدوءٍ وسكينة بعد انتقال مقرّ الحكام منها حتى سنة ١٨١٤ اذ احتلها جيش المتحالفين المهاجمين فرنسا ، وقد أُحلّ بها البروسيان في السنة

التالية الخراب والدمار . ولكن الملك لويس فيليب أعاد لڤرسايل سنة ١٨٣٧ رونقها وبهاءها باقامة متحف فيها جامع لكل آثار فرنسا المجيدة ؛ على انه أبى ان يسكنها كما أبى ذلك ايضاً نابوليون الثالث بعد تبوّئهِ عرش الامبراطورية ، كأن ذكرى ما حلّ بلويس السادس عشر ظلت تخيف الرؤوس المتوّجة فلم يأمن رأس منها ان يستظلّ سماء ذلك المكان

وفي الحرب السبعينية احتلت جيوش بروسيا مدينة ڤرسايل ، وظلّ معسكرهم العام فيها من ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٠ الى ٧ مارس سنة ١٨٧١ . وفي القصر الذي بناه لويس الرابع عشر ملك فرنسا الاكبر ، نودي بغليوم الاول ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا

وبعد جلاء الجيش الألماني عن أرض فرنسا قامت في البلاد حرب أهلية ، فتألفت حكومة لمقاومة الثورة وجعلت مركزها ڤرسايل

وفي ٥ مايو سنة ١٨٨٩ أقيمت في ڤرسايل احتفالات باهرة بمناسبة التذكار المئوي للثورة الفرنسوية الكبرى . وفي ١٨ اكتوبر سنة ١٨٩٦ استقبلت حكومة فرنسا امبراطور وامبراطورة روسيا استقبالاً رسمياً

* * *

أما القصر القائم في مدينة ڤرسايل والمعروف باسمها فهو من أفخم آثار فرنسا واجملها . فهو فخمٌ جميلٌ بنفسه ، فخمٌ جميلٌ بما جرى فيه من الحوادث ، فخمٌ جميلٌ بما يضمّ الآن من الآثار النفيسة وطرَف الفنون والصنائع التي يندر أن يوجد لها مثيل

وفي الجزء الأوسط من القصر قاعة السلام ، وقاعة الحرب وقاعة ديانا ، إلاهة الصيد ، وقاعة ابولون ، وغيرها كثير ، وهناك ايضاً حجر الملك وفيها سريره وهو اشبه شيء بعرش للملك لا بسرير للنوم . وفي المؤخر قاعة المرائي الشهيرة وطولها ٧٢ متراً زانها المصوّر لبرون برسوم بديعة الصنع

والى جانبي باحة الرخام الكبرى ينبسط جناحا القصر ، كل جناح على طول ١٢٠ متراً . وكان الايسر منهما خاصاً بسكنى ماري انطوانت التي قيدت من تلك المقاصير الفخمة الى ساحة العذاب إبان الثورة المشهورة . ولا تزال الى اليوم حجرتها الخاصة كما تركتها في ذلك العهد . وكان الجزء الاسفل مسكناً لوليّ العهد . اما الجناح الأيمن فكانت فيه مخادع الملك الخاصة . وفيها نافذة محجوبة يطلّ منها الملك على باحة الرخام الكبرى فيرى ولا يُرى

وبعد ان حوّل الملك لويس فيليب القصر الى متحف في سنة ١٨٣٧ جعل من الجناح الايمن معرضاً لرسوم الحوادث والوقائع العسكرية ومن الجناح الأيسر معرضاً لصور ورسوم ونقوش تتعلق بتاريخ فرنسا وآثارها المجيدة

وكان في طرف الجناح الأيسر المصلّى وهو آية في جمال الهندسة ورونق الزخرفة ، وفي طرف الجناح الأيمن الملعب الذي اتخذه المجلس الوطني مكاناً لاجتماعه من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٥ ثم تحوّل الى مجتمع لمجلس الشيوخ الى سنة ١٨٧٩ . وفي سنة ١٨٧٥ أعدت الحكومة في

الجزء الاوسط مكاناً فسيحاً لمجلس نوّاب الأمة وهو اليوم مجتمع المجاسين « النوّاب والشيوخ » عند انعقادهما معاً كاجتماعهما في أواسط الشهر الماضي لانتخاب رئيس الجمهورية ، كما رأى القارئ ذلك مفصلاً تفصيلاً في صدر هذا الجزء

وفي جنبات القصر وفسحاته وحدائقـه تماثيل عديدة من الرخام او البرونز لمشاهير رجال التاريخ الفرنسي يتوسطها في الباحة الكبرى تمثال باني القصر لويس الرابع عشر ممتطياً جواده

ومَنْ ذَكر ڤرسايل فقـد ذكر قصرَي التريانون الكبير والصغير المتصلة حدائقهما بحدائق القصر الأكبر . وقد بُني التريانون بأمر من لويس السادس عشر وأهداه الى الملكة ماري انطوانِت

اما حدائق ڤرسايل ، فعند وصفها يقف القلم واجماً واللسان عييًّا . أهي جنة الله في أرضه ؟ أم هي احدى الجنان التي ورد ذكرها في اقاصيص « ألف ليلة وليلة » ؟ فسماؤها وارضها ، وهواؤها وماؤهـا ، واشجارها وغياضها ، وأطيارها وأزهارها فتنة العقول والعيون ، وآية من آيات الجمال والابداع

وبعد هذا — وما هو الاّ يسير من كثير — ألا يصح القول بأن مثل هذه الآثار صفحات حية من تواريخ الأمم تقرأ فيها آيات مجدها ، واسفار عظمتها

في جنائن الغرب

« ضريح الشاب »

« للشاعر الروسي الشهير بوشكين »

هبّتْ سموم الحياة فأذوت وردة الربيع . قصفتها قبل ان يفوح شذاها العطر؛ نزعتها عن الغصن وورايتها التراب

حجب ، فاعتاض عن المحبة والمسرات سكوناً وبرداً مخيفين

كان يحب المذارى عندما كنّ يجتمعنَ أيام الربيع تحت الاشجار؛ والآن لا صوت له في مجتمعاتهنّ وانديتهنّ . كم حسدته اعين الشيوخ ، وكم خفقت لمرآه قلوب المذارى ! كم وكم تهامس الشيوخ عند مرآه « كنا نحن أيضاً شباناً ، وكان فينا نضارة ونشاط . ستتوالى السنون وتصبح ايها الشاب مثلنا » . وآسفاه ألم يصبح مثلكم ؟ انه ذوى قبل ان يجني ثمر الحياة . لم يكد ينشأ حتى قصفته يد المنية . كان بالامس ففقد . وكما تتلاشى أنوار النجوم أمام عظمة الشمس ، تلاشت حياته امام ملاك الموت

لا يزال الشيوخ في قيد الحياة وهو ذوى في ربيعها ، وصديقات الشاب عاكفات على المسرات كأنه لم يكن . وقلّ ان يرد ذكره فى الاحاديث . ولعلّ واحدة هنالك من اللواتي أحببنه تسكب الدمع على ضريحه

هنالك ضريح الشاب فى آخر الطريق — حيث نبتت السروة تمايل أسفاً على زهرة الحياة الذابلة — عبثاً ترسل الشمس أشعتها ، و يسبح البدرُ

في أوقيانوس الفضاء ، وتنساب الساقية قرب الضريح مرددةً انينها المنسجم ! عبثاً تمايل اغصان الغابة ، وعبثاً تأتي الحسناء في طلب الاثمار وتضع رجلها وجلة في المياه الباردة . . . لن يوقظه من ظلمات قبره شيء !

عبده ابو جوده

الزهور

الزهور أحلى خلائق الله التي نسيَ ان يضع فيها نفساً ناطقة

ه . و . بتشر

الزهور شعرُ الأرض المطرب　　دى مونتغميري

ان الزهور كتاب مفتوح قد وضعهُ الخالق لتعليم الانسان اللطف والتسامح في كل شيء ؛ وأحسن برهان على ذلك ان الانسان يدوسها تحت قدميه ، أما هيَ فترفع رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة ، واذا أدناها من أنفهِ اشتمَّ رائحة ذكية وهذا معنى الآية « احسنوا الى مبغضيكم »　　دى مونتغميري

خلق الله الزهورَ لزينة الأرض وجمالها ، ولتعزية الانسان ؛ ولكنَّ أغبط البشر وأسعدَهم مَن يجمعُ آيات الحكمة السماوية من زهرة واحدة

وورد ورث

الزهور تعزية الانسانية ، وكنز القروي الحقير　　رسكن

ان العالم بلا زهور كوجهٍ بلا ابتسام ، ووليمة لا يرحب أصحابها بالمدعوين ، بل يقابلونهم بكل عبوسة . أليس الزهور كواكب الأرض ، والكواكب زهور السماء ؟

مسز بلفور

(الخرطوم)　　تعريب　　**بباوى غالى**

قصر سان جيمس

مرَّ بالقارىء في غير هذا المكان شيء عن قصر « فرسايل » كتبناه بمناسبة الجمعية التي عُقدت فيهِ لانتخاب رئيس الجمهورية الفرنسوية . ورأينا بمناسبة اجتماع المندو بين العثمانيين والبلقانيين في قصر « سان جيمس » بلندن ان ننشر كلمةً عن هذا القصر كتبها خصيصاً لمجلة « الزهور » كاتبٌ اديبٌ فاضل زاره في العام الماضي قال :

سرْ كيفما شئت في شوارع عاصمة الانجليز ، لا تجد فيها من عظمة البناء ما تشاهده في غيرها من عواصم الغرب . وما ذلك الاَّ لأن الانجليز أبعد الناس عن الابّهة الظاهرة ، وأشدهم تمسكاً بالعظمة الحقيقية . فاذا نظرت الى قصور ملوكهم لا تجدها تمتاز بشيءٍ من فخامة البناء التي تمتاز بها صروح اللوفر وفرسايل والتويلري ؛ ولكنك اذا دخلت اليها وقفت عندها حاسر الرأس خاشع الطرف ، مما يتمثل لك من عظمة الملك ورفعة السؤدد

ولعلَّ الانجليز أحرص الناس على آثار ملوكهم ، وقصور عظمائهم . والعبرة عندهم بما وقع في تلك القصور من الحوادث التاريخية الخطيرة . ولذلك تراهم ينظرون الى قصر « سان جيمس » مثلاً ، فتطربهم ذكرى ما وقع فيه وطرأ عليه

مررتُ بهذا القصر لاوّل مرة ، فوجدته ذا منظر حقير من الخارج ، حتى ظننتني واقفاً أمام بيت رجل من طبقة العامة . ولولا صديق لي

كان معي ولفت نظري اليهِ ما صدَّقت أني واقف أمام قصر من أعظم قصور الانجليز

بني هذا القصر في عهد الملك هنري الثامن الذي اتخذه مسكناً له . الا أن ملوك انجلترا الذين جاءوا بعده لم يتخـذوه مقرًّا خاصاً حتى عهد الملك وليم الثالث . ويظهر أنه لم يبقَ اليوم من بنائه الأصلي الا آثار قليلة ، فان ناراً هائلة التهمت معظمه في سنة ١٨٠٩ ، فدمرت جناحه الشرقي . ثم أُعيد بناؤه بالنسق الذي هو عليهِ اليوم . اما الدخول اليـه فيقتضي طلب اذن خاص الا في بعض المواسم التي يعرض فيها الجيش في فناء القصر اذ يستطيع الزائرون الدخول الى الباحة الكبرى ليشاهدوا حفلة العرض

ولهذا القصر تاريخ يترنح له الانجليز ويطربون لذكراه . فان اسمه مقرونٌ عندهم بذكر ملوك وملكات وساسة وعظماء تركوا بعدهم ذكراً مجيداً . فهو القصر الذي سكنه الملك هنري الثامن وادورد السادس والملكة اليصابات . واليه لجأت الملكة ماري عند غياب زوجها ، وأقامت به حتى وفاتها . وكان هذا القصر مقرّ الملك شارلس في أهنإ أيام ملكه ، وفيه ولد معظم أولاده . ولما حُكِم عليـه بالموت صلّى صلاته الاخيرة في البيعة التي في داخله ، ثم خرج منها واجتاز في حديقتهِ محاطاً بثلـةٍ من من الجند الذين اقتادوه الى المشنقة كما هو معروف عند دارسي التاريخ . وقد ودَّعهُ اولاده في ذلك اليوم وداعاً اتخذه كثيرون من الرسَّامين موضوعاً تفننَّوا بهِ وأبدعوا ما شاء لهم الفنّ . وكان القائد مونك الشهير

يعقد موآمراتهِ السياسية في هذا الصرح ويسعى لاعادة الملك المخلوع . وفيهِ ايضاً وُلد البرنس جيمس فردرك ادورد الذي كان مطالباً بعرش انجلترا . وكان البعض يعتقدون انهُ لم يكن ابناً شرعياً بل نقل الى غرفة امهِ الملكة بطريقة الخداع . ومن أدلتهم على ذلك ان السرير الذي وُجد فيهِ الطفل مقمطاً كان الى مؤخرة الدَّرَج التي في داخل القصر بعيداً جداً عن أمهِ . على ان هذا الزعم لم يبقَ من يؤيدُه اليوم في انجلترا

ومن الحوادث الخطيرة التي وقعت في هذا القصر ان الملك جيمس الثاني نام فيهِ في الليلة التي سبقت تتويجهُ . ومن هناك هرب ولم يرجع الى انجلترا قط . ولما جاءَ وليم اوف اورنج اتخذه مقرًّا له ريثما يستتب له العرش . وبلغ قصر سان جيمس ذروة شهرتهِ على عهد الملكة حنة وزوجها ؛ فانهُ اصبح منذ ذلك الحين مركزاً لسائر الحفلات والمقابلات الرسمية . وسكن فيهِ جورج الاول والثاني والثالث والرابع . ولما جاء وليم الرابع اتخذه هو والملكة ادلائيد مقرًّا لهما؛ وأقاما فيهِ كثيراً من الحفلات الرسمية ؛ الاَّ ان شمس سعده آذنت بالافول عند ارتقاء الملكة فيكتوريا الى العرش فانها أهملتهُ ووقفتهُ على بعض الحفلات الرسمية فقط . وربما كان آخر الحفلات التي جرت فيهِ حفلة اليمين التي أقسمها المرحوم الملك ادورد السابع عند ارتقائهِ العرش ، ثم حفلة اجتماع المندوبين الاتراك بمندوبي البلقان للبحث في شروط الصلح كما يعلم القراء

س . ع .

في حدائق العرب

« الانتقاد »

انتقادُ الخنساء لشعر حسّان بن ثابت مشهورٌ؛ والخنساء من شهيرات شواعر العرب، وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد المضريّ. والخنساء لقبٌ غلب عليها، وكنيتها أمّ عمرو. وقد ضرب بها المثل في حزنها على أخيها صخر. ومعظم شعرها في رثائه ورثاء معاوية أخيها الآخر. قيل لجرير: مَن أشعرُ الناس؟ قال: أنا، لولا هذه الخبيثة. يعني الخنساء. وقال بشّار: لم تقلِ امرأةٌ الشعرَ الاَّ تبيّن الضعفُ فيهِ. قيل: أوَ كذلك الخنساء؟. قال: تلك فوق الرجال. أما انتقادها الذي أشرنا اليهِ فاليك خبره:

أُنشدت الخنساء النابغةَ قصيدةً في أحد المواسم. فقال لها «انكِ أشعر من كل ذات ثديين» وكان حسّان بن ثابت ممن أنشدوا في ذلك الموسم، فغضب من اطراء النابغةِ الخنساءَ، وقال «أنا أشعر منكَ ومنها» فقال النابغة «خاطبيهِ يا خنساء» فقالت لحسان «ما أجوَد بيت في قصيدتك» قال: هذا البيت

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى   وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دَما

فقالت: ضعّفتَ افتخارك، وأنزرتهُ في ثمانية مواضع من هذا البيت؛ فقد قلتَ «لنا الجفنات» والجفنات ما دون العشر، ولو قلتَ «الجفان» لكان اكثر؛ وقلتَ «الغرُّ» والغرّة بياض في الجبهة، ولو قلتَ «البيضُ» لكان اكثر اتساعاً؛ وقلتَ «يلمعنَ» واللمع شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت «يشرقنَ» لكان أفضل؛ وقلتَ «بالضحى» ولو

قلتَ « بالدجى » لكان اكثر طراقاً؛ وقلتَ « أسيافنا » والاسياف ما دون العشرة، ولو قلتَ « بسيوف » لكان اكثر؛ وقلتَ « يقطرنَ » ولو قلتَ « يسلنَ » لكان اكثر؛ وقلتَ « دَماً » والدِماء اكثر من الدم. فسكت حسان ولم يحرِ جواباً

ثمرات المطابع

حديث عيسى بن هشام

« لمحمد بك المويلحي »

كلفتني « الزهور » ان أنتقد « حديث عيسى بن هشام » لمحمد بك المويلحي . فكرهت في أول الامر ان أضع نفسي بين الادباء في موضع يحقّ لهم ان ينكروه عليّ، لانني ما كتبت قبل الآن فكيف بهم ان رأوني دسست نفسي بينهم لانتقد كتاباً أنشأه كبير من كبارهم، والمنتقد مكروه عندهم ولو كان ذا اطلاع واسع ومادة غزيرة . ولكنني آنست من اسم المويلحي فائدة للناس كالفائدة التي عادت علينا جميعاً من « ما هنالك » للمرحوم أبيه، فقرأت كتاب الابن متيمناً باسم الوالد

كنت اذا أتاني كتاب عربيٌّ أُلقي عليه نظرة لأرى حجمه؛ فان كان غليظاً ثخيناً قرأت اسم المنشيء؛ فان كان ذلك الكتاب اول عهد المؤلف بالتأليف قلت ان في الرجل بعض الغرور لأني لا أتوسم خيراً في رجل لم يروّض نفسه على التأليف من قبل، ثم هو يرمي الى القراء كتاباً

ضخماً لا يقدم عليه الا كل محنَّك في هذه الصناعة ؛ لأن الانشاء كبقية الصنائع يجب على الانسان ان أراد التفوّق فيه ان يمارسه كثيراً ، ويجهد نفسه في كل يوم لتقويم اعوجاجه ، وتصحيح هفواته . وخير طريق للمرء تبلغه ذلك ، الاقتداء بكبار المنشئين ، والمقارنة اليومية بين عمله وعملهم ، واسلوبه واسلوبهم ، في مؤلفات صغيرة ينشئها من حين الى آخر . فان ارتاحت نفسه الى المقارنة ، وآنس منها الفلاح ، جاز له بعد ذلك التعرض للمواضيع الواسعة وتأليف المؤلفات الضخمة

أضف الى ذلك ان من عرّض نفسه للتأليف وجب عليه ان يضع نصب عينيه التفوّق فيه ، ذلك اولاً لان المؤلف حرّ في ان يظهر كتابه متى شاء فاحرِ به ان لا يظهره الا بعد ان يكون أتم بنيانه ، وأحكمه ، ومحص كلياته وجزئياته . فان أظهره قبل ذلك عدّ مغروراً او محتاجاً ، والقارئ لا يغتفر له غروره وليس عليه سدّ احتياجاته ، وثانياً لأن المنشئ يعلل نفسه بان كتابه سيعمّر طويلاً ، والعمر الطويل في البنية الصحيحة

وهنالك قاعدة اخرى أشير اليها اشارة خفيفة لأنها لا تحتاج الى بيان كبير ، وهي تنحصر في ان كل مؤلف يعتمد على جهل قرائه في عدم كشف خطاءه لهو شرّ المؤلفين

***

هي قواعد اولية ، تكاد تكون بديهية ؛ ويسؤني ويسوء كل مجتهد ان نرى بعضاً من جماعة المؤلفين العربيين أغفلوها في عصرنا هذا . ولذلك حوّل المجتهدون وجوههم شطر كتب الافرنج فانكبّوا عليها . ولا غرابة

في ذلك لان حبّ الكمال والجمال طبيعة في الانسان يهتز له فيسعى اليه من كل صوب

خذ اكثر الكتب العربية التي أنشئت في هذه السنين الاخيرة وأنا الكفيل لك ان ترى فيها احدى الخلال الآتية : اما ان يكون الكتاب متين اللغة تافه الموضوع ، واما تافه الموضوع وركيك اللغة معاً ، وقلما وجدت كتاباً متيناً لغة وموضوعاً

موضوع « حديث عيسى بن هشام او فترة من الزمن » بسيط . وخلاصته ان عيسى بن هشام ، رأى في المنام ، انه بينما هو سائر بين القبور يحدث نفسه بغرور الانسان اذا برجّةٍ عنيفة من خلفه . فرأى قبراً قد انشقّ وخرج منه دفين كان في حياته أحد الباشاوات المعاصرين لمحمد علي باشاء وطلب اليه ان يسير معه في انحاء القاهرة . وعند خروجهما من المقبرة تعرض لهما مكاريّ مكّار واراد خدعهما ، فتشاجروا فأدّت بهم المشاجرة الى تداخل البوليس فقاد الجميع الى القسم ، ومن القسم الى النيابة ، فالمحكمة . وبعد انتهاء المحاكمة أراد الباشا التطواف في القاهرة فسار يصحبه عيسى بن هشام وزارا منتدياتها وحوانيتها ومحال اللهو فيها الى غير ذلك

وغرض الكاتب من هذا كله انتقاد كل شيء وقع النظر عليه من « الحمّار » المكار الى الهرم الكبير

والكتاب يقع في ٤٤٧ صفحة على هذا المنوال وكل ما جاء فيها رآه عيسى بن هشام في المنام

قبل كل شيء أرى ان محمد بك المويلحي اخطأ في تسمية كتابهِ حديث « عيسى بن هشام » لان عيسى بن هشام هذا يعرفهُ صغار التلاميذ وكل ناطق بالضاد أنهُ رجل بديع الزمان الهمذاني عزى اليهِ البديع رواية المقامات التي ابتدعها . واني لأخاف ان يرى المجتهدون في هذه التسمية حيلة على ترويج الكتاب

عجبت من هذه التسمية كما يعجب محمد بك المويلحي نفسه لو رأى كتاباً لي ومن وضعي اسمهُ « كليلة ودمنة » او « سقط الزند »

وزاد تعجبي ايضاً عندما رأيت ان المنشيء اقتصر في اهداء كتابه الى أرواح ابيهِ الاديب ، وجمال الدين الافغاني الحكيم ، ومحمد عبده العالم ، والشنقيطي اللغوي ، والبارودي الشاعر ، وأغفل عمداً او عن غير عمدٍ بديع الزمان . ليس من العدل ان يؤخذ اسم رجل شهرهُ البديع حتى صار كنار على علم ويزان به كتاب توخى فيه الكاتب اسلوب البديع في الانشاء والتسجيع ثم يضنّ عليهِ بهدية معنوية لا قيمة لها

***

حدث « عيسى بن هشام » انهُ رأى في المنام القبور تفتح ويخرج منها دفين ، وحمَّاراً يخدع الدفين ، وشرطياً يحابي الحمار ، ومأموراً يحابي الشرطي ، ومفتشاً يحابي المأمور ، ونيابة تحابي المفتش ، وقاضياً يحابي النيابة ولجنة مراقبة تحابي القاضي ، وناظر حقانية يحابي لجنة المراقبة ، ومحامياً يخدع الجميع

كل هذا رغبة منهُ في انتقاد الحمَّار والعسس والمأمور والمفتش

والنيابة والقاضي ولجنة المراقبة والحقانية والمحامي ولكنهُ لم ينتقد شيئاً فيهم بل طعن عليهم ، والانتقاد شيء والطعن شيء آخر . ويجب على المنتقد ان يأتي بالبرهان الصادق ، والبرهان مشقة عقلية ، فاختار المؤلف الطعن لكي لا يتكلف البرهان . المنتقد يصف الدواء والطاعن لا يصف شيئاً

نظامنا الحالي أرقى نظام وجد الى الآن . فيهِ اضرار وفيهِ منافع ولكن منافعه اكثر من ضرره . فمسخهُ على هذه الصورة ، وعرضهُ على الناس بهذا الشكل القبيح ليس من العدل في شيء ولا من حسن الانشاء ايضاً

زار الباشا يصحبهُ عيسى بن هشام القسم فقلم السوابق فغرفة التحقيق فمحكمة اول درجة ، فمحكمة الاستئناف فمكتب المحامي ، فلم يرَ سوى الرشوة والاهمال والنصب والكسل والمحاباة والاغتيال والسرقة . ان هذا التعميم تحامل معيب لا يصدقهُ فيهِ احد واني انكره عليه وادعوه الى دار المحكمة الاهلية يوماً لينظر بعينيه كيف يعامل المتقاضون ويسمع بأذنيهِ الاحكام التي يصدرها القضاة

وسار الباشا يصحبهُ عيسى الى الحانات والفنادق واندية المقامرين وقال فيهم ما قال مالك في الخمر . فلا ارى بأساً ؛ غير ان كلامه عليهم اصبح مبتذلاً يعلمه الخاص والعام وقد ردده الناس منذ ابينا نوح اول من سكر الى اليوم فلم يأتنا المؤلف بشيء جديد من عنده

ثم تحامل المؤلف على هيئتنا الاجتماعية تحاملاً لا يبرره شيء حتى ان الباشا تعامى عن كل عمل صحيح فيها . سار الباشا ما سار وطاف ما

طاف ، فلم يرَ خط الترامواي ولا اوتوموبيلاً ولا تلفوناً ولا نوراً كهربائياً ، وان رأى شيئاً من ذلك عرضاً لم يسأل عنهُ ولم يتعجب منه . ذلك اما ان يكون لضعف في التأليف واما لغرض في نفس المؤلف لكي لا يسوقه الكلام في ذلك الى مدح مدنيتنا التي قد لا تروقه

وسمع عيسى بن هشام ما سمع ورأى ما رأى وطاف ما طاف ، في منام واحد لم يستيقظ منهُ لحظة واحدة لا فزعاً من الدفين الخارج من القبر ، ولا على صياح الباعة وضوضاء المدينة ، ولا من شيء آخر . وكنت قد أمَّلت ان المؤلف سيوقظه في آخر الكتاب بعد ٤٤٧ صفحة فخاب ما أمَّلت واظنه لا يزال نائماً الى اليوم

لا بل ذكر المؤلف ان عيسى بن هشام رأى في المنام انهُ دخل الى غرفتهِ ونام صفحة ٤٤٣

تالله لم يبقَ للتعجب موضع

* * *

لو أردت ان اتتبع المؤلف في كل خطواته لاضطررت الى انشاء كتاب اضخم من كتابه انتقاداً عليه واني ما اعتدت الكتابة الاّ قليلاً فاحجمت عن ارتكاب خطإٍ وقع هو فيه

ولكني لا اختم هذه المقالة قبل ان اذكر للقراء شيئاً من حسن ذوق المؤلف في التأليف ، واختياره البرهان الصحيح على ما يقدمه من المقدمات . قال : « كان محمد علي باشا الكبير معجزة دهره وآية عصره في الدهاء وعلوّ الهمة وبعد النظر . . . . واني اعرف له قصة في حسن

الاجمال والادماج وذلك ان صدر امره الى المرحوم حسن باشا الانجير كويلي بتعيينه حاكماً على السودان فامتنع الرجل وأظهر عجزه لجهله باللغة العربية وقال كيف يمكنني ان اتولى امور قوم لا اعرف حرفاً واحداً من لغتهم فدعاه محمد علي وقال: ليست معرفة اللغة مما تقتضيه ولاية الاحكام ولا هي اداة لازمة للحكم يختل بفقدها، وما عليك في منصبك هـذا الاّ ان تكتفي بمعرفة كلمتين اثنتين في اللغة العربية يجري بهما لسانك وهمـا (فلوس) (كرباج) »

ويحه ألم يخجل من خديوينا حفيد ذلك الرجل الكبير. انها فرية على محمد علي باشا وهو « معجزة دهره وآية عصره في الدهاء وعلو الهمة وبعد النظر» ان من كان ذلك الرجل لا يقول هذا القول ا. ي.

التصوير الشمسي والزنكوغراف [1] — لشكري افندي صادق ولعٌ خاص بالفنون الجميلة والصنائع. وقد أتحف قرّاء العربية بابحاث جليلة في هذا الباب. والكتاب الذي نحن بصدده الآن يبحث في صناعة التصوير الشمسي والحفر على الزنك من الوجهتين العلمية والعملية، وهو مزين بصور ورسوم كثيرة تساعد القارىء على تفهّم ما فيه من القواعد والشروح. ولا غنى لطلاب التصوير الشمسي من اقتناء مثل هذا الكتاب الحافل بالفوائد

تاريخ الفنون الجميلة اليونانية [2] — هذا الكتاب ايضاً للشاب

(١) طبع بالمطبعة الجمالية بمصر • عدد صفحاته ٢٦٤

(٢) طبعة بمطبعة التوفيق بمصر • عدد صفحاته ١٤٤

النشيط الأديب شكري افندي صادق . ومن عرف الشأو البعيد الذي بلغته الفنون عند قدماء اليونان يعرف الفائدة التي يمكننا ان نجنيها من درس تاريخ الفنّ اليوناني الذي عبّروا عنه بكلمة واحدة وهي « الجمال » فنثني على شكري افندي الثناء الجميل ذاكرين له اعتناءه بالفنون الجميلة على قلة المعتنين بها اليوم في الشرق

قانون الزواج[1] — هو أكبر كتاب علمي فيسيولوجي صدر في بابه في اللغة العربية . وضعه حضرة الكاتب الفاضل الياس أفندي الغضبان صاحب « تاريخ الانسان الطبيعي » وضمَّنه نواميس الزواج الطبيعية وشروطه الصحية والأدبية وأهم ما توصل اليه العلم والاستقراء فيما يتعلق بتعليل الجنس والحمل والولادة والمولود والامراض الناشئة من الافراط وغير ذلك . وقد عمد حضرته في وضع هذا السفر الكبير الى أحدث ما كتبه علماء الغرب في هذا الباب والى ما جمعه من كتب العرب مراعياً في ذلك الأنسب لعاداتنا وللمحيط الذي نحن فيه ، فجاء كتابه ملآناً بالفوائد والملاحظات الطبية التي يهم المتزوجين وطلاّب الزواج ان يطلعوا عليها ، فيستفيدوا مما فيها من النصائح والارشادات التي كثيراً ما يتوقف عليها هناء الزوجين مادياً وأدبياً . والكتاب مزين برسوم كثيرة وهو مكتوب بعبارة سهلة منسجمة

روض الرياحين[2] — أو الجزء الأول مما كتبه حضرة الأديب

(١) مطبعة الهلال عدد صفحاته ٥٢٣ وثمنه ١٥ غرشاً ويطلب من محل الانصاف في شارع النورية بمصر والمكتبات الشهيرة (٢) مطبعة المقتطف والمقطم

ظاهر افندي الريس قبل الثلاثين . وهو مجموعة الرسائل التي نشرها في جريدة المقطم . ولما كانت هذه الرسائل تتناول مواضيع شتى من أدبٍ وسياسة وفكاهة واقتصاد ، فانها لم تفقد جدتها بفوات الحوادث التي كتبت بصددها . ولذلك يمكن القارىء ان يجد فيها لذة وفائدة لا سيما وان كاتبها الفاضل بعيد عن الدعوى يروي الحقائق كما يراها ليستفيد منها وليشاركه غيره في الفائدة . وهذه صفة من أجلّ صفات الكتّاب والمنشئين

تاريخ الصحافة العربية — أنجز حضرة الفاضل الفيكونت فيليب دي طرازي كتاب « تاريخ الصحافة العربيـة » ومثله للطبع على ورق صقيل بحجم كبير . وهو يبحث عن مجمل اخبار صحافتنا الشريفة وآدابها منذ ظهورها حتى الآن في العالم كله . ويشتمل ايضاً على حوادث كل جريدة أو مجلة أو نشرة موقوتة بلا استثناء واحدة منها مع رسوم اصحابها والمحررين فيها . وقد أضاف الى ذلك تراجم مشاهير الصحافيين حرصاً على صيانة آثارهم وتنويهاً بفضلهم وتخليداً لذكرهم في القرون اللاحقة . ولا شك ان مثل هذا العمل المجيد قد اقتضى من حضرة الكاتب عملاً شاقاً ، وجلداً كبيراً . فنحن نثني على همته كل الثناء ، ونتمنى لكتابه الرواج الكبير

الصحة والآداب[١] — كتاب وضعه الدكتور پول جود من أطباء البحرية الفرنساوية وعرّبه حضرة الأديب الفاضل فريد افندي يوسف

(١) طبع بمطبعة الاخبار ويطلب من مكتبة بدروس متاتيان بالظاهر

بزري . وقد عرف العلماء مزية هذا المؤلَّف فنقلوه الى لغات شتى وجعلوه بين ايدي الناشئة ليتعلموا منه ما يجب عليهم لحفظ صحتهم وآدابهم فللمترجم الأديب الشكر الوافر

مواليد شهر فبراير (شباط)

يزعم الكثيرون ان لليوم والشهر اللذين يولد فيهما الانسان تأثيراً في أخلاقه وحياته . وها نحن ناشرون على سبيل الفكاهة شيئاً من ذلك عن شهر فبراير (شباط)

فالذين يولدون في :

١ منه ثوريّون يحبون الحرية وينزعون اليها

٢ « من عشاق الثوب العسكري ، تطربهم فخفخة الالقاب وصليل السيوف

٣ « سيئو الاخلاق ، محرومون من لذة المعيشة العائلية

٤ « يحبون التنقل في الاعمال ، ويوفقّون في الغالب الى وجودها

٥ « معسرون في شبابهم وعزوبتهم ويثرون بزواجهم

٦ « أفكارهم سامية ، ويميلون الى الاجتماعات

٧ « أخلاقهم سيئة ويحبون الانفراد

٨ « كبار العقول مفكرون ولهم بالمصائب أعظم درس ويميلون الى الاشغال الرياضية

٩ « ذوو رزانة وحزم ، بطيئو الحركة ، معتدلون في طلباتهم

١٠ « حسّاد كسالى ، يتمنون ولا ينالون

١١ « حمقاء يحبون الخصام سريعو الغضب سريعو الرضى

١٢ « سيئو الادارة معرضون دائماً الى خطر الفقر

١٣ منه قساة القلوب ، متصلبو الرأي عديمو الحركة أمام مصائب الزمان

١٤ « ذوو أمزجة حادة ، يتأثرون لأقلّ الأمور وينظرون لكل شيء بعين الاستغراب

١٥ « يطرون الانتحار ويلجأون اليه متى تعسرت أمورهم

١٦ « يميلون الى الاشتغال بالزراعة ، وأمامهم مستقبل حسن

١٧ « طائشون تتملكهم العادات الشريرة ولا ينجون منها الاَّ بصعوبة في أيام كهولتهم

١٨ « سريعو الخاطر ، جريئون ويفوزون بالمناصب العسكرية

١٩ « ذوو أفكار عالية وآراء صائبة وينالون الشرف والثروة

٢٠ « لينو العريكة ذوو صدور رحبة يوفقون الى سعادة المعيشة العائلية

٢١ « بطيئو الحركة يجلبون لأنفسهم الخسائر المالية

٢٢ « ميالون الى الاشغال الادارية ويصلحون للمراكز السامية

٢٣ « سعداء في حياتهم قانعون بما بلغوا اليه

٢٤ « ضعفاء العقول متقلبو الرأي مع شيء من الحق

٢٥ « يُحيطهم الشقاء كيفما اتجهوا ولكنهم صبورون ويفوزون في النهاية

٢٦ « يتزوجون من غير جنسهم طمعاً بالثروة ويعيشون بهناء

٢٧ « أسفارهم محفوفة بالمخاطر

٢٨ « مهددون بالخراب ويوفقون لتربية ابنائهم تربية صالحة فيسعدون بهم

ا . غ .

رأي في اللغة

قلنا كلمة في جزء سابق عن « حديث القمر » وهو الكتاب الذي وضعه حضرة الكاتب المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي ، وكان ان انتقد المؤلف احد الكتاب وآخذه ببعض ألفاظ قال انها من استعمال العامة . فنشر الرافعي رداً على ذلك نقتطف منه ما يأتي ، قال :

. . . كأننا لا نزالُ نحتاجُ في استعمال كلّ حرفٍ ووضع كل كلمة الى نصوص هؤلاء (أصحاب الصحاح واللسان والقاموس) وكأنّ هذه اللغة لا تجري على قواعد يمكن ان تنزل منزلة السنن الطبيعية في الحياة ، بحيث لا تأبى في عصرٍ من العصور أن يُضافَ اليها شيء من المستحدثات الزمنية . والاَّ فكيف وضعها العرب اذن ، وكيف تبسطوا فيها حتى بلغت بهم ما بلغت من السعة ، وكيف جاء القرآن الكريم من ألفاظهم نفسها وأجراه فيما لم يستعملوه ولا لهم بهِ عهد ، وهو مُعجزة القوم ، وكيف فصحت الالفاظ المولَّدة وأسماء المستحدثات العلمية حتى ألحقت بمادة اللغة ؟ ؟

إنّ القول بأن هذه فصيحة ، وهذه مولّدة قد مضى زمنه . فانما كان الباعث عليهِ قرب عهد الرُواة من فصحاء الأعراب في الصدر الأول ، ثم تقليد علماء اللغة من المتأخرين لأولئك الرواة تحقيقاً بشروط هذا العلم الذي يحملونهُ وبآدابه التاريخية

اذا كنَّا في كلّ كلمةٍ نقول : نصَّ الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان ، ونغفل عما وراء ذلك مما تنصُّ عليهِ طبيعة اللغة من أوزانها وقواعدها وطُرُق الوضع والاستعمال فيها ، فما نحن بأهل هذه اللغة ولا بالقائمين عليها ، ولا هي لغة عصرنا ، انما هي لغة الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان

لستُ أتردّد في القول بأن سبب الضعف الذي طرأ على هذا اللسان انما هو في هذه العقول الضعيفة التي تقوم عليهِ أسوأ القيام ، لا بالنظر ولكن بالتقليد الأعمى ، فلا نزال نرجع بكل لفظة الى حدود البادية ؛ كأنّ هذه البادية العربية هي جغرافية اللغة ، وانما يستقيم مثل هذا اذا كانت اللغة ميتة ليس فيها قوة النموّ كهذه العقول التي يغني عنها كلها كتابٌ واحد كلسان العرب

أبو السامي الرافعي

(٧٣)

فهرس ١

﴿ مواد السنة الثالثة مرتبة على حروف المعجم ﴾

فهرس ٢

﴿ كتّاب « الزهور » ومقالاتهم ﴾

فهرس ٣

(الصوَر والرسوم)

